سردم العربي

فصلية تعنى بالتواصل الثقافي الكردي- العربي

تصدر عن دار سردم للطباعة والنشر

السنة الثانية- العدد السابع- شتاء 2005

موقع المجلة على الإنترنيت

www.sardam.info

المراسلات

تلفاكس: 00447043129839

ايميل: info@sardam.info

أو عن طريق سكرتير التحرير

nawzadaa@yahoo.com

موبايل: 07701420909

تصميم الغلاف: قادر ميرخان

المصمم المنفذ: جمال حسين

الطباعة: تاڤگه فائق

المشرف على الطبع: فرهاد رفيق



مقدمة

دراسات وبحوث

دراسات تأريخية

دراسات ادبية ونقدية

شعر

قصة

مسرح

محتويات العدد

حوار

وثائق

شخصيات كردية

محطات ثقافية

كتب

بلاغة التلكؤ في المشهد العراقي الراهن

تتبارى الأفواه و الأقلام والمنابر هذه الأيام، السياسية منها والإعلامية، الإقليمية والعربية منها، والخارجية والداخلية كذلك.. في موضوعة التأكيد على أن مرحلة جديدة قد بدأت في العراق الجديد. فتتوزع الأصوات في هذا الميدان بين من يصف المرحلة بالديمقراطية، ومن يصفها بمابعد الدكتاتورية أو مابعد الطائفية ..أومابعد الشوفينية ... وغيرها من المابعديات الشائعة في عالم السياسة والصحافة والدعاية. لكن معظم تلك الأوساط تعجز عن، أو تتهرب من تحديد ماهية هذه المرحلة وما يجب أن تكون عليه واستشراف ماينبغي التهيؤ لها ، وذلك بنبرة شفافة بعيدة عن الغموض الذي طالما لفّ الذهنيات الغارقة في الحماسة الخطابية والبهرجة البلاغية، التي تحسب كالعادة أن حداثة أي مرحلة تتحدد بمسمياتها الجديدة و معاييرها الزمنية بمعزل عن التحولات النوعية والجوهرية في الفكر والممارسة والوعي.

لكن الحقيقة هي أن خصوصية أي مرحلة تقاس بنوعية القطيعة التي تحدثها في الوعي والبنى الثقافية والاجتماعية والسياسية، التي لابد أن تُترجم الى نصوص قانونية وبالتالي ممارسات مختلفة عن سابقاتها على أرض الواقع.

يلاحظ المتابع الدقيق لأوضاع العراق أن ثمة لهجة خطابية لازالت تطغى على المشهد لاختزال هاجس التغيير، وخصوصاً فيمايتعلق بتنظيم العلاقة الدستورية بين شعب كردستان والشعب العربي وتنظيم العلاقة الجغرافية بين إقليم كردستان والإقليم العربي في العراق، في مجرد شعارات وتصريحات مطاطية دون وضع الأصابع على بيت القصيد وجوهر المشكل العراقي. ذلك المشكل الذي يتجسد بالدرجة الأساس حسب اعتقادنا في مشكل الهوية التي يستحيل تبلورها دون تنظيم الهويات القومية واللغوية والجغرافية على أسس إختيارية بعيدة عن الإكراه أو التشبث بالهوية الوطنية الزائفة التي لاتعجز عن جمع عربي وكردي على مائدة وطن واحد فحسب بل تعجز أيضاً عن جمع عربيين إثنين لمجرد انتمائهما الى طائفتين مختلفتين أو منطقتين جغرافيتين مغايرتين.

أخوَفُ ما يخيفنا هو أن تتحول الوعود المدوّنة على المواثيق التي سبقت وتزامنت ثم تلت سقوط صنم صدام حسين في بغداد، من قبل أطياف واسعة من المعارضة العراقية السابقة، ورموز الحكومة الحالية، فيما يتعلق بالعلاقة الإختيارية بين شعب كردستان والشعب العربي، الى مجرد حبور لم ترسمها الإرادة الواعية النابعة من الإيمان بأن شعب كردستان شعب حر وأن مايربطه بغيره من الشعوب هو قيم التعايش الحضاري واحترام خصوصيات الآخر.

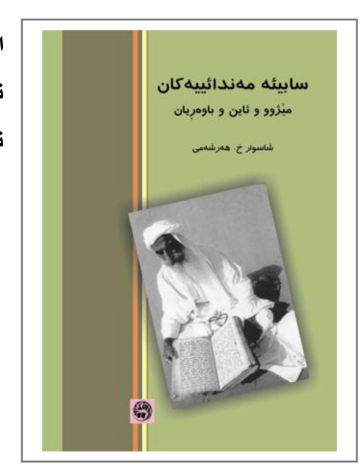
وإلاّ لمَ هذا التلكّؤ في تطبيق بنود قانون إدارة الدولة للمرحلة الإنتقالية؟! وخصوصاً البند الـ(58) منه المتعلق بتطبيع الأوضاع في مدينة كركوك وغيرها من المناطق الكردستانية التي تم تعريبها من قبل الأنظمة العراقية الشوفينية السابقة، عن طريق حملات ترحيل وإبادةٍ لمواطنيها الأصلاء من الكرد والتركمان وإقامة مستوطنات عربية فيها، واقتطاع الأقضية والنواحي الكردية منها بهدف تغيير واقعها الديموغرافي والجغرافي. تلك الحملات التي بلغت ذروتها أثناء ذروة تسلط النظام الشوفيني السابق في نهاية الثمانينيات، وبالأخص أثناء تنفيذ الفصول الرهيبة لعمليات الأنفال التي استهدفت تطهير الشعب الكردي عرقياً.

أليس من حقنا أن نخاف من هذا التلكّؤ وهذه اللهجة الخطابية الغامضة؟! ما يذكّرنا بتلك الفصول الرهيبة التي عشناها والتجارب المريرة التي خضناها في بلد مفتقر الى التجانس، ذلك الإفتقار الذي عولج على حساب شعب إحترق لعقود من الزمن في محارق الجينوسايد وعلى حساب جغرافية وطن شوّهت بمقص المصالح الدولية الجشعة في بداية القرن الماضي وخناجر الدكتاتورية الفاشية والشوفينية البدوية على مر القرن المذكور.

في وقت يستمر العد التنازلي نحو إجراء الإنتخابات في العراق، المتزامن مع العدّ التصاعدي لنبرة مطالب شعب كردستان بتنفيذ مستحقات المرحلة الحالية وتطبيق مواد قانون ادارة الدولة العراقية المتعلقة بالشأن الكردستاني.. ثمة مختبر حقيقي لاختبار حقيقة حلفاء أمس وإظهار نواياهم التي نأمل أن تكون حسنة، من خلال ترجمتها من الخطابات الإرتجالية الى وعي فعلي وممارسات على أرض الواقع الجديد.

أسرة تحرير سردم العربي

من مطبوعات دار سردم للطباعة والنشر



الصابئة المندائيون

تأريخهم ودينهم وعقائدهم

تأليف: شاسوار هرشمي

بحيرة البونك

قصائد للشاعر دلشاد عبدالله

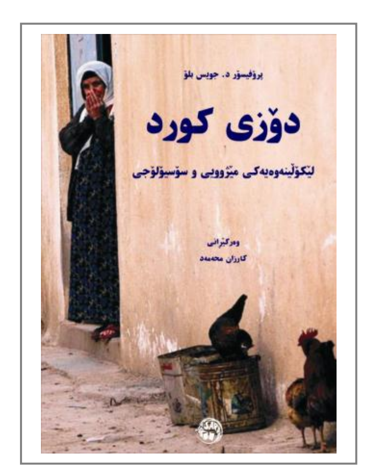


الاعلام الانترنيتي ومشاكله القانونية

تأليف: سامان فوزي

ترجمة: هونر رسول

سلسلة كتاب الجيب

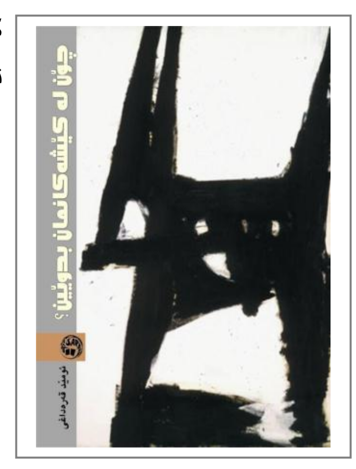


قضية الكورد

دراسة تأريخية وسوسيولوجية

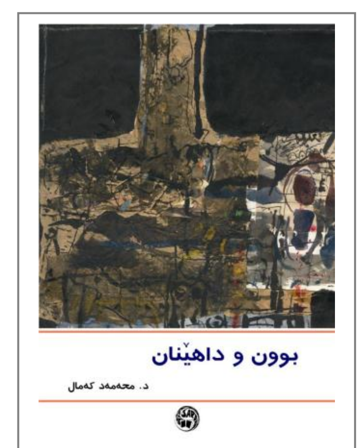
تأليف: د. جويس بلو

ترجمة: كارزان محمد



كيف نتحدث عن قضايانا

تأليف: اوميد قرداغي



الوجود والابداع

تأليف: د. محمد كمال

الكرد تحتَ الهلالِ

من الوثنية الى الاسلام

الأب توماس بوا

الترجمة عن الفرنسية: بافى آرام

من الوثنية إلى الإسلام

لقد كانتِ المجوسيةُ، دينَ البلد الذي نسميه اليوم "كردستان"، كما كانت ديناً للميديين، حيث تذكّرنا نقوشُ داريوس، في "بيستون" والذي يسميه الفرس اليوم بنقوش رستم، بقوة الإله الكبير آهورا مزْدا/ الرب الحكيم، حيث سمحتِ النعمةُ الإلهيةُ لداريوس بغزو كل الشعوب، والذي ضرب به المثل كثيراً. ولم يكن هذا الإله لوحده، حيث فيما بعد سنذكر إلى جانبه آلهة أخرى: ميترا/ إله الشمس والعقود والخلاص، وآناهيتا/إلهة المياه والخصوبة والإنجاب، وقد كانوا يعبدون كل قوى الطبيعة، ويقدسون الآلهة بالتضحيات الدموية التي لم يكن بالإمكان تقديمها دون اللجوء إلى المجوسية؛ إن الأخوية بالنسبة لهؤلاء الأخيرين، ربما تكون ذات أصل ميدي، حيث كانت تحتفظ بالعديد من الإمتيازات السياسية والدينية بالأخص، ولقد عرف المجوس مبدأين هما الخير والشر: أهورا مزدا، أو هرمز، وأهرمان، وكانو يقومون بتشريح الجثث، ويحضرون مشروباً Haoma الذي يشكل جزءاً من الطقوس الفارسية. وكانوا يحتفلون بمناسباتهم في الهواء الطلق، والإحتفاظ ببعض القبور: ضريحٌ على شكل برج مربع، مع غرفة واحدة في الأعلى، حيث كان المجوس يضعون النارَ المقدسة فيها، ثم أعيد تصحيح الديانة المزدكية/ المجوسية في العهد الأشميني 550 قبل الميلاد، وقد قام بذلك زرادشت، لقد ولد هذا النبي في ايران القديمة حسب قول الكثيرين في بلاد موكري في قلب كردستان سنة 660 قبل ميلاد السيد المسيح، وعاش حتى عام 583 ق. م، وقد حُفظت نبوءة زرادشت في غاتاس، والموجودة في الآفستا/ الكتاب المقدس لدى الفرس، وهي مؤلفات غنائية تنقل مذهب الإصلاح الذي إستبعد منه التضحيات الدموية وإستخدام Haoma، ولكنها حافظتْ على تضحيةِ النار: رمز العدالة والصراع ضد قِوى الشر، حيث على كل إنسان الإختيار بين النور والظلام، بين الخير والشر، بين هرمز وأهريمان، كما عليهم أن يكونوا طيبين مع الحيوانات.

"فكرٌ مفيدٌ، كلامٌ مفيدٌ، وأفعالٌ مفيدةٌ" هو الثالوث الذي يشتمل على الخلق الزرادشتي، وقد أصبحتِ الزرادشتيةُ الديانةَ الرسمية للفرس تحت حكم الأسرة الساسانية 224 ـ 651 ميلادي حتى اليوم الذي أزاحها الإسلام؛ لكنْ، لم يكنْ ذلك دون صدامات، وعملياً، وباحتلال تكريت وحلوان عام 637م فقد دخل الإسلام إلى كردستان، حيث إتجه سعد بن أبي وقاص إلى الموصل، وإحتل المناطقَ التي يسكنها الكرد، وهكذا إحتل المرج، أو بلاد الماركا، وبانوهدرا، وباآدرا، وهيبتون، وداسن..إلخ، غير أنَّ هذا الإحتلال كان بعيداً لجعل هذا البلد إسلامياً بالكامل، فقد إصطدمتْ جيوشُ الخليفة عمر مع كرد الأهواز، ولم يكنْ ذلك دون إراقة الدماء، حيث إستولتْ على شهرزور عام 643، وعلى برود وبالاسجان عام 645م، إن ذكرى هذا الإعتناق العنيف والشاق مذكورة في نص تمت قراءته قديماً، غير أنه تمَ التشكيكُ في صحته مؤخراً:

"تهدمتْ معابدُ هرمز، وأخمدتِ النيرانُ،
واختفى أحدُ أكبر الزعماء،
وانسحب الكرد إلى حدود شهرزور،
ووقعتِ النساءُ والفتياتُ في الأسْرِ،
قُتل الأبطالُ في الكمائنِ،
وظلّ قانونُ الملك زرادشت لاحول له ولا قوة،
ولم يعد لـ هرمز الشفقة لأي شخص"

لقد ساعد سقوطُ العائلة الساسانية المالكة 652م على زوال ديانة ملك الملوك ومواطنيه، وأُستخدمتِ الكثيرُ من الدوافع للنظام السياسي أو الإجتماعي كحجّة للإنتقال من عبادة النار، إلى ديانة الفاتحين.. حيث ماتزال تشاهد في سورداش في العراق، أطلال قصر الملك جولاندي.

في العهد الأموي عام 708، عاقب الحجّاج الكرد الذين سلبوا فارس، وقد دعم نفس هؤلاء الكرد الخليفة مروان الثاني، ضد الخوارج عام 744. 750م، حيث أن والدة الخليفة مروان كردية. لقد أصبحَ قسمٌ كبيرٌ من الكرد مسلمين، غير أنّ الغالبية قد تمردتْ أكثر من مرة ضد الخلفاء وجنودهم.

لقد إندحر الكرديُّ جعفرين فهارجس عام 839 م، بداية في بابغاس، فانسحب إلى جبل داسَن، حيث تحدى جيوشَ الخليفة المعتصم، وفي عام 866 م إنضم كرد الموصل إلى الخراجي موساور، ثم إنحازوا إلى العربي حمدان بن حمدون عام 894 م الذي إستولى على الموصل، غير أن محمودين بلال من العشيرة الكردية الهَضبانية، دمّر منطقة نينوى، لكن تمّ صده، وإندحر أخيراً، كما هزمَ عبدالله بن حمدان، الحميديين وسكانَ جبل داسنْ، وفي عام 940م لم يستخدمِ المغامرُ ديسم إبراهيم النصف الكردي من طرف والدته، إلا الجيوشَ الكردية لغزواته في أذربيجان. إزاء كل هذا نرى بأنَّ الكرد إجمالاً منذ بداية إعتناقهم للإسلام، كانوا يفضّلون مذهب الخوارج، غير أنَّ العديدَ منهم قد إعتنق المذهب الشيعي، ومع ذلك فقد أصبحوا مسلمين بالكامل، وعلى المذهب السني بالإجماع في القرنين العاشر والحادي عشر.

كردستان المتزهدة

في الحقيقة إنَّ ممارسةَ الشعائر الدينية باللغة العربية، تشكّل عقبةً لهذا الشعب القليل التعليم بشكل عام، ويُخشى أن تتوجه ممارساتهم الدينية إلى الشكلية، وأن الكردي الورع يتمسك فقط بالطقوس الإسلامية، ولكن في التزهد، أو التعليم التزهدي للطرق الدينية الصوفية التي دخلتْ بسرعة إلى كردستان، والتي كوّنتِ العديدَ من المريدين، خاصة لدى الطبقات الدنيا من الشعب.

ظهرتِ الصوفيةُ لدى الكرد بسرعة في القرن الثاني عشر، وازدهرتْ بشكل كبير. فقد وجد المؤرخ "مقدسي" الذي زار

كردستان حوالي 980 م، أربعين صوفياً كانوا يرتدون ملابس النسّاك، ويعيشون على البلوط. وأن أبا محمد بن شنبوكي وهو قاطع طريق كردي، قد إهتدى إلى الدين، وأصبح المعلّم الروحي لأحد الكرد من قاليني، وهو "أبوالوفا الحلواني" عام 1110م، والذي بدوره كان أول من تسلم في العراق لقب "تاج العارفين" حيث جمع أربعين مريداً بينهم سبعة عشر أميراً؛ غير أن الكثيرَ من الصوفيين الكرد وغيرهم قد سكنوا كردستان، وأن مؤرخي الأولياء المسلمين قد أرشدونا على العديد منهم. حتى يمكن أن يكونَ هذا هو سبب وجود هذه الجماعات الصوفية في الجبال الكردية، والذين آثر الكثير من الجاذبية على معابد لالش في جبال هكّاري للشيخ "آدي" الذي عمل دون أن يعلمَ أو يريد ذلك للايزيديين في البدء كما سنرى فيما بعد. لم يكتفِ التقاةُ المسلمون هؤلاء بقراءة القرآن غيباً، أوأن يقتبسوا منه العلمَ الشرعي والعكوف إلى الشريعة القرآنية، وإستخراج التطبيقات العملية المصاغة بـالفتوى، بل كانوا يريدون أن يستخرجوا من هذه الدراسات المجردة، أو الشريعة المجردة كلياً للإستغراق في التأمل عن طريق التزهد للوصول إلى النشوة والإتحاد مع الله. لقد كانوا يعبرون عن نظرياتهم الصوفية، وسلوكياتهم المتزهدة في العديد من القصائد، والتي كان المطلعون على السر وحدهم قادرين على فهمها. صحيحٌ أنها قصائدُ رمزية/صوفية، إلا أننا نلاحظ فيها عنصرَ المحبة الإنسانية، وغالباً ما يجمع موضوعها المرئي دعوات الشاعر العاطفية مع الله. كما أنها تتضمن الكثيرَ من الخمريات، حيث الكأس الأرجوانية التي تستدعي فكرة النشوة الروحية، ولكن وبما أن العديد من الصوفيين قد إستخدموا لغة الخمر، فانهم كانوا يحلمون حقيقةً بالسُكر الحرفي، كمثيله المجازي. في المدارس الصوفية لا تخرج علاقات المعلم مع التلاميذ عن إطار ترجمتها بالميل، إلى الصفة القديمة، أي العلاقة بين الشيخ والمريدين، لذلك فقد تم تأسيسُ المدارسَ الشرعية، وخصصت لحماية شيخ مشهور مع تلامذته الذين يدرسون تحت إشرافه لخدمة الله معه، ولفترة طويلة إلى حد ما؛ إن إيقاف المتصوفة السريين على بعض أسرار الدين، يُلاحظ من خلال إرتدائهم لباساً خاصاً "الخرقة" التي ترمز إلى الإنتساب، وفي نفس الوقت، فان شهادة الأستاذية التي تمنح تقليداً بالإحتفال الديني، والتي ترجع بالتدرج إلى النبي محمد (ص)، ثم بدأتِ المدارسُ في القرن الثاني عشر تتحالف في جمعيات دينية واسعة للمتصوفة، وتطبق نظاماً وكتاباً مشتركاً، أما الآن فإن الخليفة هو الذي يتصدرها جيلاً بعد جيلٍ، ويقرر السيادة زعماء الفروع المستقلة لمختلف المراكز، بينما تحدد الأقليةُ الإقامةَ في مساكنَ مخصصة للتعليم والعبادة (التكية)، وتتكون الغالبيةُ العظمى من المؤمنين البسطاء/المريدين الذين يعيشون هائمين على وجوههم، والذين يثبتون وجودهم بالإشتراك دورياً في الإحتفالات الدينية للتكية. إلى جانب خصوصية العبادة/الطقس، حيث تختلف هذه التكايا المتعددة من خلال العقيدة. لقد كانتِ القادريةُ أولى هذه التكايا، والتي أسسها الكردي الشيخ عبدالقادر الكيلاني 2078 ـ 1166م، والتي لم تتأخرْ في التأصلِ لدى الكرد، حيث لايزال القادريون كثراً حتى اليوم، وأن العديد من عائلات الشيوخ لها السلطة والشهرة، كما هي الحال بالنسبة للعائلة الطالبانية في كركوك، والبريفكية في العمادية، ويحمل الرئيسُ العام للتكية لقب نقيب الأشراف في بغداد. أما التكية الثانية فهي "النقشبندية" التي أسسها بهاء الدين البخاري 1317 ـ 1389م، والتي إنتشرتْ مؤخراً بفضل "مولانا خالد" وهو فقير كردي من عشيرة جاف، ولد في قرية قره داغ عام 1779م، قام بالحج إلى مكة اثر حلم. فقد إلتقى بدرويش يقتل قمله، وهو نفسه الذي رآه في الحلم، والذي قال له أن يذهب إلى دلهي في الهند، حيث سيرى طريقَ

الخلاص، وتعلم هناك في مدرسة الشيخ عبدالله الذي تلقن أصول النقشبندية، ثم عاد بعد ذلك إلى السليمانية في وطنه حوالي 1808م، فلقي هناك الكثير من الإعتراض من الشيوخ الآخرين، ولكن أثر (تبشيره!) نجح في إجتذابِ بعض الأعضاء من القادرية إلى طريقته، والآن فان الشيوخ النقشبنديين كثيرون جداً، وهم إجمالاً أكثر تأثيراً من الشيوخ القادريين. وعلينا الإشارة من بين العائلات القوية والمتنفذة إلى شيوخ "شمدين" أو "نهري" و"وتافيلي" و"برزان"، ولم يقفْ نزاع التكيتين في النطاق الفكري فحسب، بل قاد أحياناً إلى تعقيداتٍ، أدتْ إلى معاركَ حقيقيةٍ.

أما التكية التيجانية المعاصرة جداً، والتي أسسها أحمد التيجاني 1727 ـ 1815م في أفريقيا الشمالية، فلم تلقَ إلا القليل من التأييد لدى كرد الأناضول، مثلها مثل بقية التكايا الأخرى في تركيا التي عانتْ من السياسةِ العلمانية لأتاتورك. إن تأثيرَ الشيوخ غير مصقول في الوسط الكردي، وهو قليل الوسائل، ولا يتم الصدق به إلا بمشقة. كما أن ثقة المريدين بشيوخهم تتجاوز حدَّ الإرشاد، حيث لاحظ "أدموندس" بأنه سواء بالإفتقاد إلى سلطة عليا في الجوار، أو الخطأ في التعليم، يبدو أنَّ الأعضاءَ غير المتأدبين للتكية النقشبندية في كردستان يميلون بشكل خاص إلى الإنحراف عن المركز.

مهما كان الخوف من أن الشيوخ ذوي النية السيئة يسرفون في سذاجة تلامذتهم، أو إستخدامهم لمصلحتهم، وإن أمكننا الكشف أحياناً عن بعض الحركات المتعصبة لدى الكرد/ فإن ذلك يعود إلى تحريض شيوخهم لهم. لذلك فإن نداء الحرب المقدسة/الجهاد في منطقة أورميا، أثناء الحرب العالمية الأولى كانت من تدبير شيوخهم، وسيكون بإمكاننا أن نلاحظَ أيضاً أن معظمَ هذه الحركات الأخيرة هي عصيانية ثورية، سواء في تركيا أو العراق، والتي أثارها، كان كلهم نقشبنديون، وكذلك الحال بالنسبة للشيخ سعيد بيران، والشيخ محمود شيخ السليمانية، والشيخ أحمد شيخ بارزان، حيث لم يكنِ الدينُ وحدَه في اللعبة، بل كانتْ للمصالح السياسية المكانة الكبيرة. من جانبٍ آخرَ، يبدو أنَ الحماسة الصوفية قد فقدت من أصالتها وقيمتها الكثير، وأن واحداً من الكتاب الصوفيين الأواخر، وهو كردي من أربيل، والذي مات عام 1904م، إنه الشيخ محمد أمين الكردي الشافعي النقشبندي، قد كتب "تنوير القلوب" والذي كان في طبعته السادسة في القاهرة 1929م، وقد خيَب هذا الصوفي الأمل في قراءة الوصف الذي أعطانا في طريقة تطبيق "ذكر القلوب" حيث يقول لنا ARBERRY في هذه النقطة، والذي لخص النص، بأن الصوفية قد فقدتْ إمبراطوريتها على القلب وفكر الأوساط المثقفة والجدية بسبب هذا النقص في النظام العقلاني والعقيدة الحقيقية. حيث ليس من النادر رؤية أن يتدفقَ في هذه الأوساط غير المصقولة والسهلة التأثر إلهام منحرف تقريباً يُظن بذاته الدعوة إلى إصلاح الدين والمجتمع، وينتهي دورهم المؤقت بشكل يثير الرثاء غالباً. حيث علينا الإستشهاد وببساطة بطائفة HHHAHAQQA، وشيوخ TOPZAWA و SERGALU في العراق، الذين إعترفوا بالخطأ إلى جانب العُريي والفجور.

الكرد فرّوا من الإسلام

إن هذه التحولات في الممارسة، والمعتقدات الصوفية، كانت في الأصل للعديد من الطوائف الضالة التي إنتهتْ بالفرار من الإسلام إلى درجة أنه كان من الممكن التردد في سيمائهم الحقيقية، ونسبهم الموثوق بها، إن أكثر الطوائف أصالة هي اليزيدية، أو عبدة الشيطان كما نسميهم عادةً، والذين هم كرد كلياً، وعددهم اليوم (50,000) تقريباً، يعيشون في العراق في وديان شيخان المشجرة، وجبل سنجار، وفي سوريا يسكنون بعض قرى الجزيرة،

وقرى أخرى في جبل سمعان، وأخيراً كرد منطقة يريفان أو تفليس في الإتحاد السوفيتي، الذين هم أيضاً يزيديون، وبما أنهم طائفة كتومة، فقد كدسوا جميع الفرضيات من عبادة الشمس والزرادشتية وعبادة ميترا، والوثنية الكردية الأصلية، وفروع الطوائف المسيحية. وفي الحقيقة لقد خرج اليزيديون من الإسلام، ولإثبات ذلك يكفي تفحص السلوكية الخارجية لهم، قبل الولوج داخل أفكارهم، حيث يظهر عندهم المناخ الإسلامي في أسماء الأعلام، وتعيين التاريخ، وعبادة الأولياء، وكذلك الحج إلى ضريح الشيخ آدي، حيث توجد طقوس إسلامية للحاجّ، ومصطلحات غريبة جداً عن الكرد، بالإضافة إلى الجو الصوفي الكامل: الأولياء المقدسون من الصوفيين المعروفين، والصوفية هي المرتبة الدينية، والصلوات والنصوص الأخرى لها قرابة واضحة من مصطلح وفكر العلم الروحاني الصوفي، وان الصلات مع نشوة الصوفي الإسلامي الذي يبدو حتى في النظرات المتطرفة حول أصول العالم والإنسان والتجسيد والتقمص والعودة الثانية والأخيرة للإبليس. ومن الملاحظ أن يكفي فكّ أحجار الأمل التي يحويها الإسلام وطوائفها لإيجاد اليزيدية في كمالها.

لكنْ، كيف وصل اليزيديون إلى المروق؟ أمن خلال ولي مسلم أصيل هو الشيخ آدي نحو 1037 ـ 1162م؟ لقد حصل التطور بشكل تقدمي، حيث أن الإبن الأصغر لمؤسس "الزاوية" شمس الدين حسن 1197 ـ 1246م، قد فتح الطريقَ إلى البدعة، ثم إنشقَ الأتباع إلى فرعين: هاجر أحدهما إلى سوريا ومصر، وحافظوا فيها لزمن طويل على إسلامٍ مستقيم تقليدي تحت إسم "العدوية"، وبقي الآخرُ في بلاد مابين النهرين، شرق دجلة، ليس فقط لأنه فقَدَ كل إتصال عقلاني مع تلاميذ محمد، بل أنه لم يتأخرْ بالإبتعاد من وجهة نظر عقائدية، كي يصبحوا معادين. وأخيراً خلال القرن السابع عشر لم تفعلِ المجازرُ الزمنية إلا بغرز اليزيديين في المارسات والمعتقدات أكثر فأكثر غرابة وسرية، بحيث لم يعودوا اليومَ مسلمين أبداً، غير أنه من الصعب الإنكار بأنهم كانوا مسلمين في الأصل.

إن كان اليزيديون ينحدرون من الصوفيين السنيين أنصار الخليفة يزيد الأول 680 ـ 683م، فان طائفة كردية أخرى هي "أهل الحق" قد دفعت بالدعوات الشيعية إلى أقصى حد؛ وُلدتْ هذه الطائفة في لورستان، ودخلتْ في منطقة شهرزور وهورامان، حوالي القرن الحادي عشر، وقد أدخلها مبارك شاه بابا خوشين، حيث إعتمد في عداد مرافقيه السبعة على إمرأةٍ هي "فاطمة المشوقة" شقيقة الشاعر المشهور بابا طاهر الهمداني (935 ـ 1010م)، وقد أصلح هذه الطائفة سلطان إيشاق أو سوهاك، إبن الشيخ عيسى برزنجي، ودايراك خانم، إبنة الأمير محمد زعيم قبيلة جاف، والسلطان سوهاك هو الذي بنى عام 1316م نياز خانه، أي مكان القرابين النذرية في هورامان، وأقام قيادته في برديوار، حيث كان محاطاً بثلاث مجموعات تتكون كلُ واحدة منها من سبعة أشخاص، وهم خالدون، ولا إثم لهم، وهؤلاء كانوا أولاد السلطان سوهاك نفسه، وهؤلاء الكهنة أو المريديون السبعة، يُختارون من بين 72 خريجاً، ليكونوا المرشدين، إن السيّاد الحاليين للكاكائيين في العراق ينحدرون من هذه العائلات المقدسة.

لدى "أهل الحق" إجلال عظيم لـ "علي" حيث يؤلّهونه، ويجلّون ذريته والأئمة، غير أنهم يحافظون على علاقات جيدة مع السنيين، كما أنهم يجلّلون بابا يادكار(1596م) حيث يُعتبر ضريحُه مزاراً، ويتضرعون إلى موسى عليه السلام، وإلياس، والسيد المسيح، وكذلك داوود، ويؤمنون بالظهور المتعاقب للألوهية في عداد السبعة، حيث تظهر الألوهيةُ كل مرة برفقة 4 أو 5 ملائكة، كما يؤمنون بالتقمص، كما هي الحال عند اليزيديين والدروز.

تحتل هذه الطائفة القرى الكورانية على طريق خانقين كرمنشاه، كما تنتسب قبائل يوشي كوه/لورستان، أيضاً إلى هذه الطائفة، وخاصة الدلفانيين، والذين إبتداءً من العيد الكبير لإنقلاب الشمس الشتوي، عندما يكونون في حالة تسمم كحولي وهيجان ديني، حيث يمشون على النار دون الإحساس بأي ألم، ويسكن الكاكائيون في العراق في 18 قرية في ناحية توق في لواء كركوك، و12 قرية في كل من قضاء خانقين، وقصر شيرين.

إن كان اليزيديون على الأغلب يعيشون في العراق، فإن "أهل الحق" الكرد يعيشون على التخوم العراقية الإيرانية. أما القزلباش، وهي طائفة أخرى منشقة، تتواجد بشكل خاص في الأناضول، في إقليم سيواس، ولهم قلعة طبيعية، هي جبال ديرسم، حيث يقيم زعيمهم الروحي الكبير، ويصل عددهم لأقل من مليون. ويضيف الكرد إلى هذا الإسم بُدعيين آخرين مثل "النوسيري" أو اليزيديين، الذين ليستْ لهم أية علاقة معهم، غير أن القزلباش شيعيون إلى أقصى درجة.

كما أنهم يحصون 5 ملائكة كوساطة بين الله وبين الناس، و12 وزيراً لله، و40 نبياً، مثل النبي سليمان في عدادهم، وهو معترف به لدى أهل الحق أيضاً، إن زعيمهم الديني مكلف بتعليم وجباية العشيرة، وهم الأسياد، كما يزورهم المرشد مرة كل عام للمشاركة في الإحتفالات الدينية، ولشرح المذهب، أو العقيدة، ولايوجد عندهم جامع، ويصومون 12 يوماً على شرف الأئمة الإثني عشر، وثلاثة أيام أخرى قبل عيد "خضر". مبدئياً فإن عليهم الصلاة مرة واحدة في اليوم، كما يقومون بعبادة الشمس عند الشروق، وعند الغروب، ويقدّسون النار، ويقدّمون القرابين لمصادر الأنهار، وليس عندهم أبداً كتاب مقدس، ولكنهم يقدسون التوراة والإنجيل والقرآن.

غير أن أخبارَ المسافرين عن القزلباش، غامضةٌ، وأحياناً متناقضة، ربما لأنه توجد بينهم طوائف مختلفة، وهناك إعتقاد بأنه يمكن أن نتعرفَ من بينهم على عدد كبير من المؤمنين والممارسات للطقوس المسيحية. من جانب آخر، فما تزال لهم نقاط مشتركة مع "البكتاشيين"، وهي تكيةُ دراويش، الوحيدة التي تبنّتِ الشيعية بشكل واسع في تركيا، وقد أكثر بشكل خاص العديد من أماكن المزارات، إلى جانب هذه الطوائف ذات الأهمية، وبعض الشهرة، توجد لدى الكرد أيضاً الجماعات الصغيرة الضالة والمختلفة تقريباً، ولها الممارسات المشتركة، وتدفع بالميول الشيعية إلى أقصى حد. نشير هنا باختصار إلى "شَبَكْ" حوالي الموصل، والذين يصل عددهم إلى (10,000) شخص، حيث يبدو عليهم الميلُ إلى الإتحادِ بين اليزيديين والشيعة المتطرفين. و"سارلي" على ضفاف نهر الزاب، الذين يرتبطون مع الكاكائيين، وكذلك "الباجوران" الذين يسكنون نفس المنطقة والحدود الإيرانية. و"الشمسيين" هكذا يُسمَون، لأنهم يعبدون الشمسَ، والمشار إليهم في ماردين، في بداية القرن التاسع عشر، ولكن يبدو أنهم قد إختفوا كلياً، حيث أصبحوا مسيحيين يعقوبيين، ظاهرياً على الأقلّ.

على هامش الدين: الخرافات

غالباً مايكون الكرديُ شاعراً يعشق الطبيعة التي تحيط به، وإن كانت جميلةً، فلأنها مسكونة بكائنات ربّانية تنعش هذه الطبيعة: الجنيات، الحوريات اللواتي يترددن على الينابيع الجبلية، أما بخصوص الجن، فإن كل العالم يؤمن بوجودها، والآشوريون مثلهم مثل الكرد واليزيديين، يؤمنون بذلك. ويوجد بين الجان الخيّرون والشرّيرون، ولهم دينٌ خاصٌ بهم، والجان نافع بعض الأحيان، وأحياناً أخرى ساخرٌ، وهم يلبسون قبعات حمراء تجعلهم غير مرئيين، ويسكنون الوديان العميقة، حيث

تختبأ الروحُ الشريرةُ لديهم في ثقوب الصخور، وفي أعماق الكهوفِ، وقد دفع الفضولُ بالعديد من البواسل الذين أرادوا الدخولَ إلى تلك الكهوفِ، فخرجوا منها مجانينَ، حيث كان ذلك متوقعاً، وإن عتبة البيت، هي المكان الذي يجب أن يسكنَ فيه الجان، لذلك يجب عدم سكب الماء الساخن على العتبة خوفاً من أن يصيبنا سوءٌ، والجان، وإن كانت تؤدي إلى جنون الإنسان، فإنها مرغمةٌ أن تأكلَ مثل الإنسان، لتعيشَ. وقد نجح شيخٌ يزيديٌ من سنجار في الإرتباط بجنيٍ يتبعه في كل مكانٍ، كذلك فإن أحد الآشوريين من "تال" فعَل الشيء نفسه مع جانٍ، ومن ذلك الحين، كان يساعد زوجته في الأعمال المنزلية، بالإضافة إلى أن العديدَ من البشر، قد تزوجوا من الغوليات، ويؤكد التاريخ بأن الأمير محمد أمير بوتان، المتوفي سنة 1750م، قد تزوج جنية، وكانت له منها عدة أولاد، وحصلتْ نفس المغامرة لصوفي يزيدي من سنجار، غير أنَ الأمورَ سارتْ نحو الشر، ففقد عقله إثر ذلك.. على كل، فقد إشتهر العديدُ من الشيوخ بمقدرتهم في السيطرة على الجان، لأنها تلجأ إلى الشيوخ بغية الحصول على الحُجبِ والطلاسم.

إن الإعتقادَ بالأشباح والأطياف الليلية أمرٌ دارجٌ، حيث فقد الكثيرُ رأسَه بسبب ذلك، كما أن الرؤيا تؤثر بقوةٍ على التخيلات التي يعتقد بها الكثيرُ، كصلابة الحديد، ويرى فيها البعضُ النورَ الذي سينير له قدَرَه، كما يرى فيها متيَمون آخرون مثل الشيخ كامو اليزيدي دوافع الإنتحار، كما أن الكوجك اليزيديين إخصائيون في تفسير الأحلام، حيث يمنحهم ذلك هيمنة كبيرة جداً على جمهور البسطاء.

لا يمكننا إنكار وجود الحيوانات المقدسة، لذلك فإن العديدَ منها يتم تقديسها، كالديك الذي يعلن بزوغ الفجر، ويحمل السعادة للأزواج الجدد، أو الطاووس لدى اليزيديين، والذي يمثل ملكَ الضياء، كما هناك الخوف من بعض الحيوانات كالأفعى الذي يرد ذكره كثيراً في الحكايات الكردية، ولحسن الحظ أن نرى ذلك لدى اليزيديين، حيث يحوي شيوخهم الثعابين، وحتى أنهم يبتلعون تلك الثعابين. فشيوخ عائلة الشيخ مَندْ كانوا مختصين في قدرتهم على الإمساك بالزواحف وترويضها، وآخرون من عائلة عمر مَندان بالقرب من كركوك تاق تاق، كانوا يعالجون لدغات الأفاعي. ويوجد في نظر الكرد حيوانٌ سريٌ آخر هو الحرباء، ويسمونه ثعبان السماء، لتأكيدهم بأنهم لم يروا هذا الحيوان يأكل أو يشرب أو ينام أو يقوم بأدنى فعل، كما يعتقدون بأن هذا الحيوان قد وُلد في السماء، وسقط منها ذات يوم جميل، والحقيقة لا تثبت إعتقادهم إلا نتيجة تغيير هذا الحيوان للونه.

وتوجد في كردستان بعض النباتات الغامضة لها ميزات خارقة، ويأتي في المقدمة نبات "اللفَاح" وهو من الفصيلة الباذنجانية، وهو معروف جداً في إستعماله لإثارة الشهوة، والوارد ذكره في الإنجيل: "أنه نبات يلمع في الليل"، ويبدو أن له أوراقا فضية بقدر ما نستطيع الإقتراب منه، حيث يدخل تحت الأرض مختبئاً بسبب المطاردة من الذي يبحث عنه، ويُقال بأنه يبقى ساكناً إن صبَ فوقه بضع قطرات من بول المرأة، ويطبقون العديد من الخرافات لإبقاء النبات ساكناً، وتشبه أوراقه أوراق الكرمة إلى حد ما، وجذوره تمثل بشكل تام جسم رجل أو إمرأة، ولها لون اللحم، ويروي الكرد بأنه عند إقتلاع هذا النبات تصفَرُ جذورُه مثل الريح، ويموت من يقتلعها، لذلك ولتجنب هذا الخطر، يبدأون بحفر ما يحيط بأطراف النبتة، ثم يربطون جذورها بطرف حبل، والطرف الآخر من الحبل برقبة كلب أو عنزة، ويبتعدون قدر الإمكان، حيث يقذفون من بعيد بالأحجار على ذلك الحيوان، فيهرب، فيقتلع الجذر، ثم يموت الحيوان، كما يقول "كامبانيل".

كما يُروى أيضاً بأنه توجد في جبال العمادية عشبة غريبة جداً تؤدي إلى العمى في الحال للذي يشمَ رائحتها، وتوجد بجانبها

عشبة أخرى هي الترياق، ويتم تفسير العديد من الظواهر الطبيعية من خلال معتقدات غريبة إلى حدٍ كبيرٍ، حيث لا يجهل أحدٌ في كردستان وكذلك البدو، بأن خسوفَ القمرِ يسببه حوتٌ ضخمٌ، أو تنينٌ يحاول إبتلاع الكواكب، فيقومون بأكبر ضجة ممكنة كي يجعلوا هذا الحيوان المشؤوم يهرب، حيث يتم إطلاق النار والطرْق على المراجل النحاسية الفارغة، أما الهزة الأرضية، فهي تحصل نظراً لتوضع الأرض على ظهر ثور أحمر، حيث يحرك الثورُ ذيله، أو يرفع أذنيه من وقت لآخر. ويقول آخرون بأنه تدور حول الثور ذبابةٌ، وعندما تقترب من عينيه، فانه يرفَ، فتهتز الأرضُ، وإذا ما حطّتِ الذبابةُ ذات يوم على ظهر الحيوان، فإنه يتحرك، وعندئذ يهلك العالم بأكمله، وأمر طبيعي أن يبعثَ اللهُ المطرَ بوساطة النبي سليمان، الرئيس الأعلى للحيوانات، حيث ينقل الأوامرَ إلى "هومائي" وهو طائر إسطوري شبيه بطائر الفينيق، الذي يجمع مباشرة كلَ الطيور، ويأمرها بإلتقاط الماء من المحيط أو البحر، ثم الإرتفاع إلى الجو، وسقاية منطقة ما بمناقيرها، ولهذا كانتْ قطراتُ المطر مختلفةً: كبيرة وصغيرة، وذلك لأن الطيورَ ليس لها نفس الحجم. إن تأملَ السماء يذكرني بأن الكرد يملكون أفكاراً غريبة إزاء الأجسام السماوية، وكل مظاهر الطبيعة، حيث أنهم يعتبرون القمرَ والشمسَ كأخ وأخت، ويطارد أحدهما الآخر منذ الأزل، وأن القمر هو أخ الشمس وعاشقها، وينتج كسوف الشمس بسبب الأخت المتغنجة هذه التي تخفي وجهها عن شقيقها العزيز، كي يثبتَ لها التصميم الأكيد لرؤيتها، ويعتقد الكرد بأن لكل إنسان نجمه الذي يلتمع في السماء، وأنه يموت معه، ويرون في الكسوف والخسوف والمذنبات على أنها نذير شر، وتعتقد النساءُ خاصة بالكشف عن الفال، فيسألن بثقة تامة الغجرَ الرحلَ الذين يعالجون ذلك بالقراءة، وبطرافة، بالإضافة لعظم كتف خاروف وتراب وتصرفات خرافية أخرى، ولكن من بين المعتقدات الباطلة، يبدو أن الإعتقادَ بالعين الشريرة هو الأكثر تأصلاً، ومثل كل الشرقيات، فإن النساء الكرديات يخشين من العين الشريرة، وبعكس الإعتقاد المنتشر في الشرق بشكل عام، فإنهن لا يعتبرن العيونَ الزرقاءَ شريرة، وذلك حسب مثلهم القائل "من كانتْ عيونه صفراء، فان عيونه شريرة" وأكثر الناس الذين يخشون من التأثير السيء هم بالتأكيد النساء في حالة الولادة، والأطفال، لهذا يجب عدم العمل والغزل قرب فراش المرأة في حالة النفاس، ومن جانب آخر، لايجوز للمرأة التي وَلدتْ منذ أقل من أربعين يوماً بزيارة إمرأة أخرى قد وَلدتْ في نفس الفترة، لأنَ الزيارة تعتبر مجلبةً للشر، وإن حصل لقاءٌ بين إمرأتين قد ولدتا منذ أقل من أربعين يوماً في الطريق، فيجب عليهما التبادل بالإبر والرضيع، ثم العودة سوية دون أن تتقدمَ إحداهما على الأخرى.

الحُجب والطلاسم

للوقاية من العيون الشريرة والإحتماء من الأذية أو العكس لجذب أفعال القدر المفيدة للمرء، والتمتع بحظ جيد، فإنه من الضروري اللجوء إلى قوى الطبيعة المجهولة، أو الأرواح، وذلك بفضل الحجب التي يتصورون بأنها تثبت فعاليتها.

إن العديدَ من هذه التعاويذ تكون من الجواهر التي يصنعها حرفيو السوق، وتكون مزودةً بعقَدٍ، وتتعلق فعالياتها في الحماية أما بلونها الأزرق، أو بشكلها (الصَدَفة) أو صوتها الجرسي، أو مادتها من العقيق الأحمر أو حجر يمان، أو من جذع الشجرة، وتوجد بعض الحجب في كُييس مخيَط، يصنعها السيّاد الجوالون مقابل مبلغ من المال، حيث أن هؤلاء السيّاد لايستوحون أية ثقة خارج هذا النشاط. وتتكون هذه الحُجب من قطع الورق يؤشر عليها بخطوط من الحبر الأحمر على شكل مربعات صغيرة، حيث يكتب فيها (الساحر) بعضَ الأرقام والكلمات، ويمكن رؤية بعض

الرسوم كالسيف مثلاً، أو نقاط حمراء على ظهر الورقة أيضاً، وتطوى هذه الأوراق على شكل مثلث، وغالباً ما توضع بداخلها إبرة مقسّمة إلى قسمين، ثم يُوضع الكلُ في كييس صغير، وإذا ما أضيف إليه شعر الزوج أو الزوجة، فان ذلك لإستهواء الحبيب. كما تحمي الكثيرُ من الحجب أو التعاويذ GULBEND المرءَ من طلقةِ الرصاص، ولاحاجة للقول بوجود العديد من الشيوخ المختصين في صناعة الطلاسم بالطريقة التي يرغبونها.

من جانب آخر، يُستخدم كل شيء في صناعة الحُجب، حيث يكفي أن لا تكونَ هذه المادة من المواد ذات الإستعمالات الدارجة، حيث تستخدم أنياب الذئاب، جذر اللفّاح، قطع الخشب أو الأحجار، أو اللؤلؤ، لاسيما الأصداف. ويُغطى العديد من الأطفال بالحُجب تماماً: على القبعة، على اللباس، وعلى الكتف حول الساعد، وبالطبع النساء وحتى الرجال لا يُحرمون منها كلياً، وخاصة في القرى ولدى كل الأوساط، أما أهالي المدن والقرى المتعلمون، فانهم يرفضون هذه الممارسات الباطلة.

الطقوسُ السحريةُ

إن المرءَ لا يكفيه فقط حمل الحجاب دوماً، بل يجب أحياناً القيام ببعض الحركات التي غالباً ماتكون غريبة، بغية الحصول على الوسائل التي لا يمكنه الحصول عليها بقواه الطبيعية، وهذا يعني القيام بممارسات سحرية خالصة وخرافية، وللمثال: تعتقد المرأةُ بأنها قادرةٌ على السيطرة على زوجها وقيادته مثل الحمار حسب إرادتها، إذا نجحتْ في أنْ تجعلَه يأكل من مخّ الحمار الذي تدخله في طعامه دون علم منه، غير أن عادة البدو هذه نادرة جداً عند الكرد.

وهناك ظاهرة عجيبة نوعاً ما عند الكرد، وهي "الدائرة السحرية" حيث من المعروف في إعتقاد الكثير أنّ الدائرة تبدو، وأنها تحوز على فضيلةٍ سحريةٍ، وأن رمزيتها في الوقاية والإنفتاح على العالم الآخر معروفة عبر كل الأزمان، وفي كل الأماكن، وكذلك الأمر في كردستان، ولهذا فان الكرديَ عندما ينام في مكان معزول ومجهول، فانه يرسم حوله دائرةً درءاً من الأرواح الشريرة، ولو نَشر القطرانُ حولها، فان الشيطان يمكن أن يلتصقَ به، فيُمسك؛ ويرسم العديد من الشيوخ في فترة التزهد أيضاً حولهم هذه الدوائر "مَتدار" حيث يرسمون ذلك بدم خاروف قد قدَموه قرباناً، وذلك كي لا يأتيَ الشيطانُ أو الجانُ ليقلقَهم، وهناك شيوخ سَحَرة نوعاً ما يدخلون أيضاً في الدائرة، ليستسلموا لسحرهم.

ويعتقد اليزيديون أيضاً بالدور السحري لهذه الدائرة، ولو قام أحدٌ ما من باب الدُعابة، ورسم دائرةً حول اليزيدي، فان هذا التعيس سينتظر نفساً كريمة، ليحطمَ هذه الدائرة المشؤومة، ولن يستطيعَ الخروج منها، حتى لو لعنوا الشيطان أمامه. ومن جانبهم فان "الكورانيين" يؤدّون اليمين وذلك برسم دائرة، ووضع ثلاثة أحجار فيها، بالإضافة إلى خنجرٍ وقطعة خشب، حيث ترمز هذه الأشياء إلى معبد داوود، أو ترمز إلى سيف علي "ذو الفقار" أو أشجار "بابا يادكار". وأخيراً يستسلم الكرد لهذه الطقوس الدينية لطلب المطر، أو بالعكس لإيقافه، حيث أنهم في حالة الجفاف لا يكتفون بتلاوة الصلوات المعتادة، بل توجد هناك صلوات أخرى، هي "صلوات المطر" كما يروي لنا "توفيق وهبي" حيث تكون هذه الصلوات خارج المدن والقرى، لأنه توجد هناك تكية دراويش، وهم المعظّمون الذين يسوّدون وجههم، ويذهبون إلى قبر أحد الأولياء/PIR اليزيديين الشهيرين في المنطقة، وبعد تلاوة صلاة المطر، يستسلمون للذكر، وتسعى النساء في مواجهة الجفاف حيث يذهبن إلى النبع، ويتبللن بالتبادل، أو يتعلقن بالمحراث ويجرونه حتى النهر، حيث يرششن الماء، كما أنهن يلبسن أجمل ملابسهنَ، للذهاب جماعاتٍ إلى الريف، للإقامة تحت شجرة مقدسة وجليلة. كما تجلب النساءُ الأدوات المطبخية الضرورية وحاجياتهن، ويرقصن حول الموقد بإنتظار أن تستويَ

الطبخة، وبعد الوجبة، يبدأن برش الماء فوق أجمل فستان ترتديه إحدى الحاضرات، وينتظرن المطرَ فإنْ لم يهطلْ قبل ساعة العودة، يقمن برشق الماء على ملابسهن بالتبادل، حيث يصلن إلى منازلهن، وهنَ مبتلات بالماء تماماً. وفي كركوك تجتمع النسوةُ على الطريق تحت المزاريب، وبعد أن يوزعنَ الوجبة على الفقراء، فإنهم يبللنهنَ بماء المزاريب، وفي الريف يغطسون رجلاً تقياً في بركة ماء، كما أنهم يكتفون في بعض المناطق الأخرى بغطس حجر من قبرِ شيخٍ يزيدي/ بير في الماء، ويظل فيه حتى هطول المطر، والأطفال من جانبهم يلهون بقلبٍ فرحٍ، وذلك بأن يصنعوا من قطعتين من الخشب لعبة على شكل صليب لاتيني، ويلبسون "بوكاباراني/عروس المطر" الملابس والعمامة، ويحملها ولدان، كل منهما بإحدى يديه برفقة زملائهم، حيث يذهبون من بيت إلى آخر، وهم يغنون:

" ياإلهي، ليهطلِ المطر،

لأجل الفقير والمريض.

إلهي، ليهطل المطر

....

ياعروس المطر،

اسكبي الماءَ على المزروعات"

عندئذ يغطس الأولاد تلك اللعبة في بركة كل بيت، فترشَ ربةُ البيتِ سطلاً من الماء على اللعبة، ثم توزع الحلوى على الأولاد. وعلى العكس من ذلك، وبغية إيقاف المطر عندما يكون هناك خوف من ضرر على المحاصيل، يطوف الأولادُ بلعبةٍ مشابهةٍ، وهم يغنون KUDU KUDU وتوزع الحلوى عليهم أيضاً، وهناك سلوكٌ آخرُ أعقد بقليل، يكمن في تناول حبل، وجعله سبع أو ثماني عقد، وتسميتها بقدر ما يمكن من أسماء الصلعان، ورميها في النار، قائلين: "لقد ألقيتُ النارَ على الصلعان، كي ترمي الشمسُ علي بالنار" ومن جانب آخر، يوجد أربعون إسماً للصلعان حيث تعقد على الحبل، وتعلق على المزراب باتجاه مكة، لكن يمكن تسهيل هذا، وذلك بكتابة أسماء الصلعان الأربعين على ورقةٍ فقط، وتعليقها بشجرة.

مخلّفات العبادة الوثنية

إن كل هذه المعتقدات الخرافية، والتقاليد السحرية، ليستْ خاصةً بالكرد وحدهم، إنما توجد عند الشعوب المجاورة في الأناضول والقوقاز، لكنْ مازالتْ عند الكرد بعض الممارسات التي يعتبرها الكثيرُ بأنها من مخلفات العبادة الوثنية المحفوظة رغم مرور القرون، وبحجة أنَ دينَ الكرد القدماء كان الزرادشتية، فإن بعض المستشرقين، وبعض الكرد أنفسهم يميلون إلى قبول بقاء "عبادة الشمس والنار" لدى الكرد بشكل عام، واليزيديين منهم بشكل خاص؛ لكن، لايمكن إستنتاج حقيقة إستدارة الشمسيين واليزيديين نحو شروق الشمس، أو غروبها للصلاة، حيث يصلي العديدُ من المسيحيين متوجهين نحو الشرق، أما بالنسبة لعبادة النار، فيمكننا إستخلاص ملاحظات عدة، فمن المؤكد أن الموقدَ يعتبر مقدساً لدى الكرد، وإستمرار النار يدل على إستمرارية العائلة، ويحتوي رمادُ العديد من مواقد (السحرة) و"أهل الحق" في كردستان على قوة سحرية/ دينية، كما يعتقد بذلك بعض الأوساط، ذلك مايرويه لنا "محمد مُكري"، ويوجد نفس هذا الإثبات لدى "شانتر" التي نقلتِ العديدَ من التفاصيل، فقد كتبتْ: " إن الكرد يجاهرون بالإحترام المطلق للموقدِ الأبوي، وموقد شيوخهم؛ والموقد مقدس، وهو يتكون من بضعة أحجار، حيث ينظرون إلى النار التي تشتعل فيه على أنها عنصرٍ صافٍ، ومادة نقية، ويؤدي البصق على النار إلى إهانة دامية، لأن الكرد يقسمون بمواقدهم، كما أنهم يطوفون بالوليد الجديد حوله، وتدور الفتاة التي تتزوج، حول موقد أبيها قبل مغادرتها إلى

موقد زوجها.. ولكنْ هل ترّوج الأمّ ولدَها؟ فهي التي بنفسها تحضر موقد الزوجين الجديدين، وذلك بأخذِ نارٍ من المسكن الأبوي، لكن لا يجوز تبادل النار بين الجوار، حيث يُعتبر ذلك من الشؤم، ويحافظون على إشعال الموقد ليل نهار خلال مدة الربيع حتى تتوالد النعاج".

ولا يجوز مطلقاً أخذ النار من تحت القِدْر الذي يسخن فيه الحليب، ولا إجتياز القطيع بوساطة ضوء أو نار، كما أن تقدير النار والضوء نفسه موجود لدى اليزيديين والقزلباش، وأن هذين الأخيرين لايريدون أن يكونَ لهم أي شيء مشترك مع "عبدة النار" ولكن لا نجد في كل هذه المارسات أي أثر للعبادة بمعنى الكلمة.

كما لاتوجد أية صلاة أو دعاء بسيط ولا أقل إشارة لقربان. وفي أثناء الحرب العالمية الأولى، أقرّ ضابط قوقازي بالتعرف على آثارٍ لعبدة النار في مخيم كردي على الحدود الإيرانية التركية، حيث وجد في إحدى الخيام مَنصَباً ذات ثلاث قوائم يحمل قِدْراً بالإضافة إلى سلسلة صدئة، وقد عَلق أحد أطرافها بقرون وعل، ويمتد الآخر تحت المنصب، ووضعت حول هذا الموقد أحجار تحمل رسوماتٍ وإشاراتٍ وحروفاً.. لكن لا أحد يسكن تحت هذه الخيمة، فهو مكان جماعي مصان، يأتونه فقط أيام الإحتفال، عندما يضحي فيه قدماء العشيرة بالحيوانات على هذه الأحجار(نقلاً عن نيكيتين) ولكن هل يمكننا الإستنتاج بأننا أمام معبد؟ وهل القرون النصف كلسية للخاروف المددة بين أحجار الموقد هي بقايا قربان، أو بقايا وجبة للرعيان/الكهنة؟ إن العناصر المادية ضامرة حتى لو كانت أحجار الموقد تحمل نقوشاً، كما لا توجد في هذه المناطق الكثير من الإنهيارات القديمة لإستخدامهم الأحجارَ، ولكن لانعرف لأي سبب، حيث أنا شخصياً بقيتَ متحيراً، ولكن على ماذا يعتمد المفسّر الأرمني ليؤكّدَ بأن ذلك يعني معبداً؟ إنه غير متأكد من ذلك تماماً، ما لم يكن العمال أنفسهم يشرحون لنا ما كان في نيتهم إتمامه. غير أن عبادة قوى الطبيعة تبدو أكثر تأكيداً، فكما هو معروف بأن القدامى في كل أنحاء العالم تقريباً يتصورون بأن الجان الخيّرة أو الشريرة تسكن في العديد من الأشجار والينابيع، ولم تختفِ هذه المعتقدات كلياً، بل ماتزال موجودة في كردستان حتى الآن، حيث يُنظر إلى العديد من الأشجار والينابيع على أنها مقدسة. ولكن مهما يكن بإستطاعة "دريفر" أو غيره أن يكتبوا بأن العبادة ـ إن كانت توجد عبادة ـ يكون التوجه إلى الشجرة نفسها أقل من التوجه إلى الجني الذي يسكن في هذه الشجرة، وتوجد الأشجار المقدسة عادة بالقرب من ضريح إنسانٍ مقدس مثل شيخ/بير، ولهذه الأشجار أسماء، فمثلاً عند اليزيديين "ست نفيسة: اسمٌ لشجرة تين في قرية "بعشيقة" كما يقدسون في كربلاء شجرة توت، ولا يمر أحدٌ بالقرب من شجرة مقدسة، إلا ويربط عليها قماشاً، وذلك كدليل لنذر، أو يقدم نذراً للصحة، فقد لاحظتْ "مدام هانسن" بشكل واضح بأن هذه الأقمشة المربوطة على الشجرة هي ظاهرة مختلفة عن تلك الأقمشة التي تعلق بعيدانٍ عالية بالقرب من ضريح أحد الأولياء، حيث أن الأولى هي عبادات يمكن أن تكونَ وثنية، بينما الأخرى ليست كذلك. ومن الوارد أن يكونَ هناك "نبعٌ مقدسٌ" أيضاً ملاصق لمعبد أو مزار، وتتم زيارته بهدف الشفاء من أحد الأمراض، حيث لدى اليزيديين دوماً في "شيخان" نبع "كاني زركي/ النبع الأصفر" الذي يشفي من مرض الصفار كما يدل إسمه على ذلك، ولكنني لن أتكلمَ عن نبع زمزم في ضريح الشيخ "آدي" الذي يأتي مباشرة من مكة، حيث يعمدون فيه الأولاد، كما تحوي العديد من هذه الينابيع أسماكاً مقدسةً، حيث يمنع إصطيادها. كذلك توجد في "بهزاني" في شيخان بالقرب من مزار الشيخ "بَكَو"، وتوجد في نبع الشيخ عبدالقادر في "تورونـد" في

جبل سمعان. إن المغارات العميقة والصخور التي على شكل "منهير" أو "دلمن" ، وينابيع صافية ملآى بالأسماك، وأيائك لمقابر قديمة، وأشجار مقدسة التي لايُسمح حتى بقطع أغصانها الميتة، وكل هذه الأماكن يسكنها الجان النباتيون والمائيون كثيرة في كل مناطق كردستان، وكلها تلقى نفس التقدير، وكما كانت عليه سابقاً في العصور القديمة جداً للوثنية، وان عبادة الأولياء التي ربما كانت قد حلّت محل عبادة قوى الطبيعة هذه، فانها لم يكن بمقدورها الإستئصال من قلب الطبقات الشعبية، بالرغم من تحريم الإسلام الصارم المستقيم لها.

عن كتابه: CANNAISSONCE DES KURDS.

حل القضية الكردية يفرضه التاريخ والواقع، ويفرضه المبدأ الانساني، ولايوجد للقضية الكردية اكثر من حل واحد في الاطار المذكور، وهو ان تمكن، المجموعة الكردية من ارضها، وان تساعدها على بناء دولتها المستقلة. طبعا ليس هذا الامر بسهل ولابهين، فالعراق مثلا سيخسر موقعا استراتيجيا وجزءا من ثرواته الطبيعية التي هي في الاصل ليست من ثرواته. ولكن نحن امام خيارين: اما الدفاع عن المبدأ الانساني، عن الحرية وعن حق الشعوب في حق تقرير مصيرها، او مصادرة حقوق الاخرين. واذا ما اخترنا الحل الثاني، فلابد من ان نفكر في مصادرة اسرائيل للارض الفلسطينية ومصادرة تركيا للواء اسكندرون ومصادرة ايران لعربستان والجزر الاماراتية.

الدكتور تهامي العبدولي
كاتب وباحث عربي من تونس، استاذ الحضارة في كلية الاداب والعلوم الانسانية بجامعة سوسة (تونس)

مدن عابرة و بلاد اسمها انفالستان..

خارج اللغة و داخلها

خالد سليمان

كل واحد منا كائن مكاني على طريقته، و حسب علاقة تكونت بينه و بين المكان، ربما عن طريق الصدفة او اثر "جبرية" لاشعورية، او نسمة هواء عابرة في ظهيرة صيفية. هناك صياغات كثيرة و متعددة للتعبير عن الانتماء للمكان او الغرف التي ولدنا فيها، و لدى كل واحد منا "ايضاً" تصور شاعري للظاهرة المكانية التي لخصها غاستون باشلار في جملة واحدة وهي: "ان النور الذي ينير حياتنا هو نور شمعة تلك الغرفة التي ولدنا فيها". كنت اقرأ هذه الجملة باللغة العربية، دون اتقانها بشكل جيد، و لكني حملتها معي خارج سياقات اللغة الحركية المتمثلة في الفتح و الضم و الرفع و الكسر. التصقت بذاكرتي الخالية من المخزون العربي في التعابير و المفردات، و رفعت من شأن امكنة مجهولة، صرت ابحث عنها دون ان اعرف ان باشلار يريدنا ان نترك امكنتنا، كي نتعرف عليها من خلال هذه الفكرة التي لم تبق باطنية و عنصرية في فرض القيود على الانسان، منذ اعلانها كقول شعري لا اكثر.

في منطقة نائية و منسية اسمها كرميان Garmiane أي المناطق الحارة او موطن الشمس او "دفئستان" حملتني الفكرة ذاتها، عناد طفل مشاكس، و بدأت ابحث عن غير كرميان التي تعرضت بكاملها الى حملات الانفال على يد حكومة البعث في العراق، عندما هاجمت كردستان عام 1988. كان المكان ذاته الوجه المسترد و الامل الوحيد للقاء في كل بحث جديد. بدأ وسواس هجر المكان او الهروب منه بالأحرى في العام نفسه، أي 1988 و هو "تيبيكمان" Typiquement كما يقول الفرنسيون؛ كان عام البحث عن ملاذ ما، كي تنجو الروح من عمليات الارشفة ضمن اعداد الموتى، اذ انفل النظام مئات الالاف منا، و تم تجميعنا في

المجمعات القسرية، التي بنيت بغية اخراج الامكنة الاولى من ذاكرتنا، و ملئها بجيل جديد من الامكنة و ضمن تأثيث حداثي لا يترك الفراغ بين جسد و اخر، و بين مؤنفل و اخر. و لابد من الاشارة هنا، الى ان مرحلة ما بعد الانفال و الابادة و التصفية و التجميع ضد الكرد، تضمنت استراتيجيات واسعة للتسمية، و اصبحت لدينا القدرة على ابتكار المفردات و النحت اللغوي على جروحاتنا، و في أي احتفاء وجداني مع ذكرى اختفاء ذوينا. فمن اسم الانفال الذي اطلقه نظام البعث على عملياته العسكرية، نحتت اسماء اخرى، و اصبحت كلمة الانفال مصدراً لـ"انفالستان، المؤنفل (بفتح الفاء)، أي المجهول الذي لا احد يعرف مكان سجنه او قبره بالاحرى، بقايا المؤنفل، أي الشخص الذي تعرض للتجميع مع غيره، قبل التصفية، و يعيش في المجمعات القسرية كهامش للأنفال، الانفلة و التأنفل و.. الخ، من الاستعارات اللغوية التي تشير كل واحدة منها الى مكان خاص، له دلالاته الجد خاصة في انتاج الحزن المكاني.

كانت كرميان قبل الانفال، مكاناً افتراضياً لعناصر الدفء، و لم نكتشف رموزه، الا و نحن في صراع يومي مع صور كانت تواجهنا على طريق ارضية واحدة و طرق كثيرة في الفضاء، ففي هذه الثانية اكتشفنا طائرات هيلوكوبتر حربية، تخترق سماءنا الزرقاء، و تسقط صواريخها على بيوتنا و اجسادنا في الصمت. حصل مرة ان قامت عدة طائرات، بالتناوب، بقصف قرية كرميانية لعدة ساعات متواصلة، و لم يتمكن اهل القرية من الخروج من الملاجئ، و لكن ادامة القصف، صنعت الصورة التالية: في وسط بيت قروي، حيث السور و الفضاء، تقف امرأة، و تحمل معها رغيف خبز، و ترسم النجاة من خلال كلمات، تشير الى عزلة مطلقة و الانقطاع عن العالم. يا رب ابعث طلقة مجهولة لهذه الطائرة الملعونة، و خلصنا منها بحق هذه النعمة بين يدي.

لا تعبر هذه الصورة عن اللاتوازن بين ثقافة القرية و التكنولوجيا، بقدر ما تشكل عودة لصدفة الامل للخلاص من الشر، فالطلقة المجهولة هنا هي دعاء نسمعه في الثقافة الشعبية الكردية القديمة (كلاميات الكرديات) و يقصد بها الرحمة ضمناً، لأنها تنهي الشر. و لا تدخل الطلقة نفسها او الصورة بالأحرى في سياق اللغة، بل تبقى خارجها، و تواصل انتاجها للحزن و العزلة و الانقطاع. اما في الطريق الاول، أي الطريق الارضي فكنا نسمع الاخبار و الشائعات من خلالها، و كانت جريدتنا اليومية المفضلة بعد الاذاعات الكردية التي كانت تبث برامجها من الجبال، و اعتدنا ان نسمع اخبار المعارك و نشاطات البيشمركه منها، اما الاخبار السرية عن الهجومات المباغتة للجيش على القرى، و اعدام السياسيين، و الملصقات الجدارية ضد الحكم، بالاضافة الى ارتفاع اسعار المواد الغذائية و اختفاء "تمن امريكي"، الرز الامريكي في السوق، فكل هذه الاشياء كانت تصلنا

من المدن عبر الطريق الارضي قبل ظهور العقارب الحربية في السماء.

بعيداً عن دفئستان، و في الشام تحديدا، بدأ حلم التعرف على المكان الجديد، جزءاً من النوستالجيا الكمونية، و بدت دمشق التي ضاقت بنا ارصفتها العالية و غير المنسجمة مع حركة الناس و الشارع، كفسحة واقعة بين صعوبات جمة منها الوقوف خارج اللغة و دهاليز اللهجة الشامية، و تأمل طريق مطار دمشق الدولي ليل نهار، ربما يأتي يوم يكون فيه مكاناً للوداع. و خلف هذه الاشياء كان هناك مقهى الروضة و الجهاد المستمر للوصول الى الصحافة اللبنانية، لأن انغلاق الصحافة السورية اصبح روتيناً يومياً، و بات لا يقرأ الناس الا لاكمال الواجب الصباحي، و كمتعة اضافية مع القهوة، الى ان تمرر دائرة الرقابة الصحف اللبنانية. ظهر هنا امتحان صعب، يرجع شكل السؤال فيه الى لاجدوى البقاء خارج اللغة، ما لم يؤد حفظ بعض الجمل و الافكار سوى الى نهاية الاشياء، و بدت صور بشلار عن المكان بالتالي متعة لغة الحلم، و ليس لغة الحفظ. لكن التجربة اليومية مع عناصر المكان كانت رهناً اخر لتثبيت القدمين على عتبة يرى الكائن الغريب من خلالها باباً مغلقاً وراء الراحل و اخر مجهولاً بوجه الاتي. لم تبق البؤر المكانية في هذه الحالة الا سلطة لتليين اللغة و الرغبة و الحلم مع قليل من القسوة. فعلى ارصفة الشام و ضيق الطرقات و "الخناقات اليومية" التي تحدث بسبب ذلك، و فوضى الاشارات يرى المرء نفسه امام ظاهرة تعبئوية للجسد خشية الوقوع في اية لحظة يريد فيها النزول من الرصيف او الصعود اليه. اما الشتائم العابرة و المتشابهة كما المدن بسبب تلك الطرقات الضيقة و ارصفتها العالية فتفرض على العابر "صبر ايوب"، لتقبل المسبات و الشتائم و الانفعالات و الانفلاتات الذكورية التي تتجسد في عنف لفظي بوجوه النساء.

في خضم تلك "العجقة" المكانية الموزعة بين اكتاف الشام القديمة، كملحق اضافي للوعي المتخلف بالمدن الايلة للتضييق، بدا تذكر غرف الطفولة و الطرقات التي زرعت فينا الخوف من هيلوكوبتر و قافلات السيارات العسكرية، مكاناً اخر، تستعيد مصادرة قيماً جديدة و مثيرة للتأمل و المراجعة و مونولوجاً طويلاً و مملاً احياناً مع المكتشفات المتأخرة. اتذكر هنا "او سبي"، نهرنا الوحيد في كرميان، الذي غرق فيه اول رفيق صباي، و تركنا جميعاً في حر الصيف، و هو لم يقصد برحيله ذلك الا الهروب من ظهرية صيف دفئستان. جاء التذكر ضمن الدوران في اللامكان، و البحث عن صورة تشبه نور الشمعة الاولى و الصديق الاول و الشجرة الاولى و النهر الاول و المكان الاول، اذا تركه الانسان اصبح اكثر انفتاحاً تجاهه. فذلك النهر النحيف و المتعرج على الخضار في حياتنا ابداً كان مصدراً للحزن ايضاً، و قد نسيته بسبب كثرة الاحزان في تلك البقعة التي نسميها انفالستان بدل كرميان اليوم.

وفي دمشق ايضاً، حرضني تكتل ثقافي جمعت الصدفة افراده في مقهى الروضة، للنبش عن مدينة السليمانية الواقعة على قبر (اربعين طفلاً، اربعين

كبداً) كما يقول الشاعر شيركو بيكس، ففي تلك المدينة التي تفصل كرميان عن دمشق، تعلمنا الحياة السرية و الحوار السري و القراءة السرية و التعبير السري و الاستماع السري ايضاً. كانت الاشياء تمشي وفق ايقاع مكون من الرقابة الشمولية و نقاط التفتيش الموزعة بين شارع و اخر، اذ كنا نستمع لكاسيتات مهربة (شفان برور)، و حتى مارسيل خليفة و احمد قعبور، و نقرأ الام ل مكسيم غوركي، و العقب الحديدية ل جاك لندن، كمقدمات ضرورية لاشعال الثورة سراً. اما قصائد شيركو بيكس و رواية "مخاض الشعب" لابراهيم احمد و قصص محمد موكري، فكانت تصلنا كقصاصات مهربة من الجبال الى المدن التي اصبحت متاريس لحروب اشعلت قبل اعلانها!

بين مسكننا الواقع قرب مقبرة سيوان، حيث يرقد اربعون كبداً، و تسهر معهم كلمات شيركو بيكس، و بين معهدنا المسرحي، كانت هناك الكنيسة الكلدانية، و كنا نذهب اليها كلما احتجنا لشحنة رومانسية ثورية متأثرين بشخصيات رواية "الاخوة الاعداء، و المسيح يصلب من جديد" لـ نيكوس كازانزاكي، و للتعرف على سلوك الشخصيات الدينية التي كنا نمثلها في المسرحيات العالمية. و لكننا عشنا حرب اخوة اعداء اخر في المدينة ذاتها و في المدن الاخرى، و صارت المتاريس هذه المرة لمقاتل اعلن الحرب على ذاته بعد ان ضاع منه العدو. و هل كنا نبحث عن هذه الحرب الاخيرة ضد انفسنا، عندما نقصدها في البحث عن كازانزاكي، و في وقت كانت حروب صدام تسحقنا في كل حي و حارة؟ لم يعطنا التفكير بالسفر و الهروب الجماعي من ارصفتنا الملاصقة للشارع، عكس ارصفة الشام؛ فرصة لطرح سؤال كهذا، و تركنا النسيان في اللامكان و مدن عابرة نكتشفها و لا نكتشفها، لكنها تبقى جزءاً منا. و كنا جزءاً من مدن بعيدة دون ان نراها و نجدها قرب عتباتنا، فقد جسدت مثلاً بيروت الواقعة على اجنحة حرب اخوة اعداء خاصة، حينذاك صورة رومانسية اخرى لنا طالما اعتبرناها مدينة للحلم و الانطلاق و القراءة المعلنة و الوقوف خارج الحياة السرية مثلما كنا خارج اللغة. فان اصبحت تلك اللغة مصدر التواصل التاريخي مع المكان المتمثل في ذوات مستقبلية موهومة، تتضح فكرة تقتضي الخروج و المشي على حافة الاشياء التي تتجسد في "الان/هنا"، و صار من الممكن ان نصنع حياة موهومة ايضاً، و كانت النتيجة الاستقرار في اللامكان او المغتربات كما نسميها.

بين السليمانية و دمشق مغترب من اللغة، مغترب فتح باب الدخول الى العربية، بعد ان كانت لغة حصص يومية قاسية، كنا نهرب منها و نعتبر مدرسها سبباً رئيساً للملل في حياتنا، لم نعرف ان المدن هي التي تصنع الروتين، و تضعنا امام فلسفة مرور الكرام. اما ذنب مدرس العربية الذي ما كان يعرف من الكردية شيئاً، فهو عصبيته للضم و الفتح و رفضه للسكون، الذي كنا نحبه بسبب جهلنا بقواعد التحريك، بالاضافة الى جهله في الربط بين قواعد اللغة و غواية المدينة المتحركة دوماً. و كانت

العربية بالتالي، اسيرة سياسة البعث و تحجر عقول معلميها و مدرسيها، و نحن ضحايا حفظ الاعراب و البلاغة عن ظهر قلب، متناسين اننا نعبر مدناً اخرى تقف خارج ذلك الروتين القاتل بين قيامة سياسة تقليم البشر و بين تحجر اللغة.

لا تختلف اللغة عن المدينة بشيء، بل تشاركها في مزايا كثيرة، اذ تحتمل الثانية اساليب احياء العمارة وفق نظريات اقتصادية و اجتماعية و معرفية و سكانية و اثنية، اذا تحررت من هيمنة الثابت، فتقترب الاولى من الحدود الداخلية لكل عملية احياء او ترميم تفرضه ثقافة العابرين، لا القائمين الذين لا ينتجون سوى الدوغما، و الدوغما داخل اللغة و المدينة و خارجهما. لكن مدننا بقيت اسيرة هندسة سياسية متخلفة، بعد ان تجاوزها عصر التعولم كنص ضمن الـ"انتيك"، و ترتطم اللغة بحواجز الاصالة المتعددة و دفاعات التراث، و لهذا السبب ذاته بقيت فكرة عابر سبيل في مدننا و لغتنا المسموحة و الممنوعة في دائرة الحط من قيمتها و تسفيهها و اعتبارها مصدراً للازعاج.

لم تكن رغبة الكتابة بالعربية في دمشق شيئاً ارادياً، بقدر ما كانت شكلا للتجانس مع المدينة و شروط الحلم فيها، رغم كل المحرمات التي تحيطها، و الدخول الى المساحات الداخلية للارصفة و اناثها و الحدائق المسيجة و مقاهي الروضة و الهافانا و النوفرة. ففي هذه البؤر المكانية الثلاث الاخيرة، بدأت اكتب اشيائي الكردية، و بالكردية، و كان المفكر الراحل هادي العلوي يدفعني لكتابة تلك الاشياء بالعربية كلما زرته في بيته، و كأنه هو نفسه يسكن اللغة في قراءته للتاريخ و التراث الاسلاميين، كي لا يهرب منها اناس مثلي، يأتون من كرميان اخرى. و لا اخفي ان قلت اني تجاوزت الخوف من تعقيدات الضم و الفتح و الكسر، عندما بدأت احاور شخصاً كـ"العلوي"، الذي كان يرى اللغة في الحياة و ليست الحياة في اللغة. و كان هاجس التحاور مع الاخر على ارصفته و في مقهاه او في (دكانه) دون التفكير بالكلمات قبل نطقها، يشكل دافعاً رئيساً، كي تصبح العربية كما الكردية لغة الحلم و التحرر من حفظ الكلمات و الحياة كما علمنا اياها مدرسو اللغة العربية.

الشبك الكورد المنسيون

اصل الشبك

احمد شوكت*

الشبك هم بناة الموصل القدماء، و ربما كانوا اول من بنى هذه المدينة الكوردية و سموها قديما قلعة "نواد شير" و العديد من المصادر التاريخية الرصينة و المعتمدة حتى يومنا هذا، يشير الى ان "نواد شير" الكوردي – الميدي هو الذي شيد قلعة حصينة على الضفة الغربية لنهر دجلة قبل قدوم الاشوريين الى المنطقة بنحو خمسة قرون في الاقل، لتكون محطة تتوقف فيها القوافل التجارية القادمة من الشرق عبر الطريق التجاري القديم الذي كان يسمى بطريق (حرير) او (طريق القطار) و بالكوردية (ريگاى قەتار)، و كان هذا الطريق يربط الشرق بالغرب على سواحل البحر الابيض المتوسط حيث تربط مدينة الموصل –حلب- سواحل البحر في لبنان و فلسطين من جهة، حلب – اللاذقية و بانياس من جهة اخرى، تتخذ المسار القديم نفسه، أي طريق القطار، و بهذه المناسبة فان كلمة (قطار) مشتقة اصلاً من اللغة الكوردية التي تلفظ الكلمة (قەتار) و التي تعني السير رتلا او تعني الرتل – سواء كان من الدواب او العربات – نفسه ايضاً و قد ادعى الكثيرون من المؤرخين و الكتاب الذين تعرضوا للشبك و اصلهم بأن احداً لم يقطع باصلهم، و سبب ذلك يعود الى امرين:

اولهما انهم لم يكونوا على علم بلغتهم و تاريخ وجودهم في المنطقة، و ثانيهما انهم لم يمسكوا بالمفتاح الذي يفتح لهم مغاليق اصولهم وهو موطنهم و حركة الاقوام على ارض هذا الموطن عبر التاريخ او ان بعضهم تعمد تشويه اصولهم – لغرض في نفوسهم – و القفز على حقائق التاريخ و وقائعه. فلو عدنا الى البحث في الجذور الاولى لوجود مدينة الموصل كأقدم حاضرة سكنها الكورد وشيدوها، لوجدنا انهم بناتها الاصليون و الاوائل، كما اكدت ذلك عدة مصادر تاريخية، و منها (ابن

الاثير) في كتابه الشهير "الكامل في التاريخ" حيث يقول: "وعندنا استولى الساسانيون على البلاد بعد تقويض اركان الدولة الاشورية و امتلكوا حوض دجلة، اعادوا تعمير (الحصن العبوري) – وهو الاسم الذي كان قد اطلقه الاراميون القدماء على مدينة الموصل – قلعة الموصل و اسكنوا فيه جنودهم وشيدوا حوله القرى و الدور التي سكنها فلاحوهم و صناعهم الفرس و اللر و الكورد و بعض النصارى" و هذا يعني ان قلعة الموصل كانت قائمة قبل الساسانيين، في حين يقول "ياقوت الحموي" في كتابه "معجم البلدان":

"ان اسم الموصل كان في ايام الفرس "نواد شير" و ان اول من اطلق عليها اسم (الموصل) هو (رواند بيوراسف) و رواند هذا كما يدل اسمه عليه – كوردي من اهل المدينة القدماء"[1].

ولقد ذكرها المؤرخ المحارب اليوناني القديم "كزينيفون" ابان عودته من بابل بمعية العشرة الاف مقاتل انه شاهد قلعة مهدمة مقابل مدينة نينوى على الضفة الغربية من نهر دجلة[2] ولم تكن هناك قلعة مهدمة مقابل مدينة نينوى سوى (الحصن العبوري – قلعة الموصل)، فاذا علمنا ان هذا المؤرخ اليوناني كان يرافق "الاسكندر" في غزوه لبلاد وادي الرافدين او ماكان يسمى (ميزوبوتاميا) Mesopotamia في سنة 331 قبل الميلاد أي بعد انهيار امبراطورية اشور باكثر من ثلاثة قرون، حيث كان الفرث الماديون قد استولوا عليها في العام 608 قبل الميلاد، نعلم تماماً ان المدينة كانت خرائب الكورد الذين كانوا قد نزحوا عنها الى الساحل الشرقي من نهر دجلة احتماءً بالنهر من الغزوات المتكررة كحاجز طبيعي دفاعي لاشك في انه كان يمنح لهم الوقت الكافي لاتخاذ تدابير الدفاع او الهرب الى مناطق ابعد امام العدو الغازي الذي غالباً ماكان يأتيهم من الجنوب.

و لكن السؤال الذي قد تبادر الى الذهن هنا هو، من الذي كان يسكن المنطقة قبل الاشوريين ام انها كانت خالية من السكان، و هذا غير معقول، فنحن عندما لانمتلك الادلة القطعية بشأن كهذا، لابد لنا من اللجؤ او الاحتكام الى الافتراض و الاستنباط وفقا للمنطق الجدلي و الاجتهاد، وعلى ذلك، اذا ما صدقت الاساطير التي اكدت بعضها الاديان السماوية كأسطورة الطوفان الذي اجتاح الارض كلها، فان السفينة الوحيدة التي حملت بذور البشرية هي سفينة "نوح" التي "على الجودى استوت" و كما نعلم ان جبل "الجودى" يقع في كوردستان الشمالية و هذا يعني ان البشرية ابتدأت – بعد الطوفان – من جبال كوردستان ومن البديهي ان تنحسر المياه تدريجيا عن المناطق الاعلى ارتفاعاً ومن ثم عن المناطق السهيلة المنبسطة.

ولاشك ان انحسار مياه الطوفان قد استغرق ردحا طويلا من الزمن مما اضطر الناجون – ركاب السفينة – الى الانتشار و العيش في كوردستان، و بعد انحسار المياه عن المناطق السهليه المتاخمة لاول سلسلة جبلية من جبال كوردستان و هي سلسلة (جبل مقلوب) المطلة على المنطقة التي يسكنها الشبك حالياً، بدأ النزوح الى هذه المناطق.

فهل كان "نوح" عربياً ام كوردياً او ارامياً او اسرائيليا..؟؟

فليس هناك ما يؤكد هذا الجانب على الرغم من كثير من الافتراضات، و لكن الثابت المرئي حتى اليوم ان هناك اثارا للسفينة البشرية الاولى، مازالت شاخصه على قمة جبل "جودى" الذي يقع مقابل جبل "زوزان" داخل الاراضي التركية، و قد رأيت تلكم الاثار بأم عيني و مازالت بعثة اثارية علمية تنقب عن حقيقة هيكل السفينة.

اما اذا عدنا الى فرضيات و نظريات العصور الجليدية، فاننا سنضطر مرة اخرى الى العودة الى الكهوف العميقة التي لجأ اليها الانسان بحثا عن الدفء و اسباب الحياة – و كما نعلم ليس هناك كهف في الصحاري و السهول – و هذا يعني بالتأكيد ان البذور الاولى للبشرية كانت مخبأة في كهوف كوردستان و جبالها، و هذا يعني ايضا ان الزحف البشري الاول – بعد ذوبان العصر الجليدي الثاني الاخير – قد انطلق من كوردستان، و ما يؤيد هذا الرأي ما عثرت عليه البعثات العلمية الاثارية و تنقيباتها في قاع كهف "شانەدەر" وهو اكبر كهف معروف حتى الان في العالم، فقد كانت البعثات الاثارية قد عثرت على هياكل عظمية بشرية و حيوانية على عمق ثلاثة عشر مترا في قاع هذا الكهف قدرت اعمارها باكثر من خمسة عشر الف سنة.

و على ذلك، فان الزحف المفترض انه كان قد انطلق من شبه الجزيرة العربية لاكد و سومر بابل و اشور يشوبه الكثير من الشك و الريبة، و حتى اذا كان صحيحا فانه لم يكن الزحف الاول للحضارة البشرية في الاقل، فانه من المعروف ان شبه الجزيرة العربية اخر ما يمكن ان تنحسر عنها مياه الطوفان واخر ما يمكن ان تصلها البشرية بعد ذوبان العصر الجليدي.. ربما كان الزحف الثاني او الثالث او الرابع او.. ولكن من المؤكد ان الزحف الاول لانطلاق البشرية كان من الشمال الى الجنوب وليس العكس.

اذن.. سكان كوردستان هم اول من زحفوا نحو جنوبها و شيدوا فيه مواقع لاستيطانهم، و من المؤكد –منطقيا- ان الزحف كان متواصلا نظرا للخصائص الجغرافية الطبيعية التي تتمتع بها المنطقة من عناصر الامن الغذائي – كالاراضي الزراعية الخصبة و المياه الوفيرة و امكانات تنمية الثروة الحيوانية و ما الى ذلك من عناصر اخرى علاوة على ما توفره هذه العناصر من تسهيلات طبيعية للاستيطان.

وعلى ذلك يمكنني القول بكل ثقة ان اول من استوطن ارض نينوى هم الكورد الاوائل، و لكن نظراً لما كانت هذه الارض تتمتع به من اغراءات، فقد تعرضت لغزوات و زحف اقوام و امم اخرى، و لهذا نجد من يقول:

"كانت البقعة التي تقع عليها الموصل اليوم، و قبل ان تمتد اليها يد العرب بالبناء، حصناً اشورياً اطلق عليه الاراميون اسم "الحصن العبوري" و معناها القلعة التي تقع على الضفة اليمنى من دجلة ازاء نينوى عاصمة اشور"(3) و الحقيقة ان هذه القلعة كانت موجودة قبل الاشوريين وهم

الذين خربوها حيث زحفوا اليها من الجنوب حيث كانت عاصمتهم الاولى "اشور" في الشرقاط التي تبعد عن الموصل جنوبا نحو 200 مائتي كيلومتر و مازالت اثارها شاخصة هناك، و يبدو ان قائل هذا القول لم يكن يعلم بذلك، حيث اوقع نفسه في خطأ جغرافي واضح في قوله:

"اما مدينة نينوى اقدم المدن الاشورية، فلعلها شيدت في حدود الزمن الذي شيدت فيه مدينة اشور التي تقع اطلالها على ضفة دجلة اليسرى مقابل مدينة الموصل و تعرف بتل (قوينجق) و على الرابية التي تجثم فوقها الان قرية النبي يونس"[4].

و الحقيقة ان مدينة نينوى ليست اقدم المدن الاشورية، بل مدينة اشور التي تقع اطلالها على الضفة اليمنى لدجلة في الشرقاط جنوب الموصل بـ(200)كم و قد بنيت نينوى بعد انتقال العاصمة الاشورية من اشور الى نينوى التي تقبع تحت تلال (قوينجق) اما الرابية التي تجثم فوقها قرية (النبي يونس)، فتقبع تحتها اثار القصر الملكي للملك الاشوري (اشور بانيبال)، وفقاً للتنقيبات الاثارية في الثمانينات من القرن العشرين.

و يقول المؤرخ الالماني (فون هامر) الذي كان قد ولد في العام 1774م و توفي عام 1859م: (ان سكان الموصل يتكلمون الكردية وانهم اكراد علاوة على كونهم يتكلمون العربية و الفارسية و التركية)[5].

و يؤكد هذه الحقيقة ايضا المؤرخ الشهير (لسترانج): (ان اهل الموصل كرد منذ اقدم العصور)[6].

كما يؤكد ذلك ايضا المؤرخ الكوردي المشهور (امين زكي بك) فيقول: ان اهل الموصل هم كرد و انهم كانوا كذلك بصورة عامة في القرن الرابع)[7].

و يقول (كاتب جلبى زاده) الذي كان قد ولد سنة 1000هـ و توفي سنة 1067هـ عندما زار الموصل و كتب مؤلفه (كشف الظنون) في عام 1638م انه رأى الناس في الموصل يتكلمون (الكوردية)[8] كما يؤكد ذلك الرحالة الايطالي الشهير (ماركو بولو) و الذي كان قد مر بالموصل في العام 1280م حيث يقول:

(و اذا خرج المرء خارج اسوار الموصل لوجد قبائل قوية المراس تعيش في حاله البداوة على السلب و الرعي تسمى (الكورد)[9] ولاشك في ان معظم سكان ضواحي الموصل كانوا كورداً حتى القرن الثالث عشر الميلادي كما كانوا قبل ذلك ايضاً، فنقرأ مثلاً في كتاب (فتوح البلدان) لمؤلفه (احمد بن يحيى بن جابر المعروف بالبلاذرى) تحت عنوان فتح الموصل قالوا، ولي عمر بن الخطاب عتبه بن فرق السلمى الموصل سنة 20 هـ فقاتله اهل نينوى الكرد، فاخذ حصنها وهو الشرقي عنوة، و عبر دجلة فصالحه اهل الحصن الاخر على الجزيه و الاذن لمن اراد الجلاء في الجلاء، ووجد بالموصل ديارات فصالحه اهلها على الجزية ثم فتح المرج وقراه الكوردية و اهل باهزري و باعزري و حيتون و الحنانه و المعله و دامير و جميع معاقل الكرد)[10] و هذا يؤكد بما لا يدع مجالا للشك ان نينوى او الموصل كانت كوردية تماما في سنة 520 (و قبل

الفتح الاسلامي، و الا فلماذا لم يقل "البلاذرى" وهو المؤرخ الاسلامي فقاتله اهل نينوى العرب) لانه ببساطة لم يكن يسكن الموصل حينها عربي واحد و ان الفتوحات الاسلامية – و إنها كانت استيطانية (استعمارية)- هي التي جاءت بالعرب و اسكنتهم فيها.

و يقول "ابو بكر احمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه" في هذا الصدد:

"ان اول من اختط الموصل و اسكنها العرب و مصرها هو (هرشمه بن عرفجه البارقي)[11] و الحقيقة ان (هرشمه بن عرفجه البارقي) هو الذي فتحها في عهد عمر بن الخطاب و لم يؤسسها او اختطها، فقد كانت مدينة عامرة بكردها منذ تأسيسها في بدايات الألف الثاني قبل الميلاد كمحطة استراحة للقوافل التجارية القادمة من مملكة ميديا الكوردية و بلاد فارس و المتجهة الى سواحل البحر الابيض المتوسط عبر الحلب في بلاد الشام.

فقد كان الملوك الميديون على علاقة وطيدة بملوك بني اسرائيل – كما ورد في كتاب "الديمقراطية من ميديا الى الولايات المتحدة" لمؤلفه الدكتور (ستيفنس) – كما كانوا يمتلكون علماً واسعاً بالفلك و التنجيم حيث انهم كانوا اول من تنبئوا بولادة السيد المسيح "عيسى بن مريم" فارسلوا اليهم وفداً رسمياً رفيع المستوى يحمل غصن زيتون، و هناك رسم منحوت بهذا المعنى على سفح جبل (بيستون) ما يزال تفاصيله شاخصة حتى يومنا هذا.

وعلى ذلك فان وجود الكورد في المنطقة اقدم من وجود كل الامم و الاقوام فيها، فالاشوريون و البابليون و السومريون وقبلهم الاكديون، موجات بشرية تعاقبت في النزوح من ارض شبه الجزيرة العربية الى ارض الرافدين – كما يجمع على ذلك اغلب المؤرخين العراقيين و العرب – كذلك العرب، فانهم اخر موجة سامية مهاجرة من شبه الجزيرة العربية الى العراق بعد الفتح الاسلامي.

على ان الموجات القديمة – و ان كانت سامية – لم تكن عربية، كما انها جميعا و بضمنها الموجة العربية الاخيرة، لم تكن موجات حضارية، لانها ببساطة قدمت من صحار خالية من أي مظهر حضاري، و انما جاءت الى وادي الرافدين و استعمرت حضارات الاخرين و ادعتها لنفسها و علاوة على كل ذلك، فانه ليس هناك في التراث العربي القديم الذي اجتمع كله في المعلقات السبع الشعرية الشهيرة على جدار الكعبة ما يشير الى أي اثر حضاري من بناء او فنون او صروح حضارية اخرى غير الفخر و الاعتزاز بالقتل و السلب و النهب و الغزو و الاف الاسماء و المرادفات للوحوش و الحيوانات و مفردات الصحاري كالنقع و الاطلال و الكلأ و العشب و الواحة و السراب و الرمال و ما الى ذلك، و هذا يعني قطعا بانهم كانوا في حالة البداوة و عدم الاستقرار ردحاً طويلاً من الزمن، فلم يشيدوا حضارة ولم يستقروا على الزراعة او اقامة مستوطنات ثابتة، فكانت حياة العرب حلا و ترحالا دائما، اما هربا اما من يطلب الثأر و الانتقام او مطاردة و ملاحقة لمن كان مطلوبا لهم بدم او مال بحيث اقتصرت حياتهم على الغزو و القتل و السلب او بالاحرى، كانت

الحياة العربية الى ما قبل الاسلام، حياة طفيلية خالية من أي مفهوم حضاري.

و عندما بعث فيهم الرسول محمد بن عبدالله (صلعم) تم توظيف تلك الحياة الطفيلية ذاتها و لكن على نطاق اوسع و اكثر تنظيما تحت عنوان الفتوحات الاسلامية و التبشير بدين الله، فتوحدت كل القبائل العربية تحت راية الاسلام فاصبحت قوة متجانسة عقائديا و تربويا و سايكولوجيا و مهيأة للانقضاض على كافة الامم و الاقوام المجاورة من ذوي الحضارات القديمة.

و هكذا اجتاحت القوة العربية الاسلامية بلاد فارس و بلاد الكورد و بلدان المغرب و الشرق الاقصى بلاهوادة واستطاعت الاستيلاء على اصقاع شاسعة من الارض و الناس حتى لم يعد بمقدور ادارات هذه القوة من اداء مهامها التنظيمية و الادارية.

و شيئا فشيئا بدأت امبراطورية الاسلام بالتمزق و الاضمحلال شأنها شأن اية امبراطورية سادت زمنا ثم بادت و اندثرت. و لكنها تركت اثارها في كل مكان، فزرعت عربا هنا و اعرابا هناك في كل ارض ادركها نفوذها، و هكذا.. تركت في الموصل بعضها من عرب تغلب و بعضاً من عرب تميم و غيرهم، و لكنهم ظلوا و لسوف يظلون غرباء محتلين.

و من حقيقة ان العرب لم يكونوا قط بناة مدن او أي شكل من اشكال الاستيطان الحضري، ندرك بيقين تام ان الموصل كانت مدينة كوردية و ماتزال كذلك على الرغم من كثرة حملات التعريب المتعمدة.. و لكن ما يدعو الى الاستغراب حقاً، ان القوى السياسية و القومية لم تكن جادة بالقدر اللازم في المطالبة بضم هذه المدينة الى حدود كوردستان سواء في اتفاقية اذار 1970 ام في احداث الانتفاضة التحررية في العام 1991 او في مد و تشييد العلاقات التنظيمية.

فاذا كان الموطن كوردياً و امتدادا طبيعيا لارض كوردستان و اهلها فماذا يكون الشبك سوى ان يكونوا كورداً؟؟ و اذا كان الشبك لم يعرفهم المؤرخون بهذا الاسم الا متأخرا – في اوائل القرن العشرين او اواخر القرن التاسع عشر- فكيف يمكن القبول بعروبتهم او تركيتهم او اية تسمية اخرى ظن البعض ظنا و افتراضا او افتراء انها تدل عليهم؟ افليس غريبا ان نقرأ في مصدر تاريخي ان اسمهم "شوك" بالواو و ليس بالباء و دونما الاشارة الى أي مصدر اخر؟؟

لقد ورد في كتاب "مسالك الابصار في ممالك الامصار" مانصه: الشوك، و هؤلاء الشبك حكمهم شنكاره و شوانكاره) و ما يبعد بعضهم عن بعض في موازنة العقول، الا انه لايحلون بينهم من دماء تطل، و مواثيق فيما تحل، و فيهم كرم و سماح، تقصدها الفقراء و تنزل في قراهم و تقيم في ضيافتهم و قراهم و لهم فيها و لها فيهم حسن الظن..)(12)
فكيف تعددت الاسماء و القوم واحد؟؟

و الحقيقة ان هذه التسمية (شوك) و ما الحق بها "فضل الله العمر شهاب الدين احمد بن يحي" من اسماء (شنكاره و شوانكاره) لم تظهر لدى احد المؤرخين من جيله و يبدو واضحا انها من بناة

افكاره وحده و الا لكنا وجدناها او عثرنا على احداها في المعاجم القديمة او الحديثة او في احد المصادر التاريخية، فلقد تناول تاريخ الموصل و اهلها مؤرخون كثر، فهذا "سليمان صائغ الموصلي" وهو من مؤرخي بدايات القرن العشرين يقول ما نصه: "ومن عشائر الموصل الاعجمية هم التركمان و اصلهم من قبيلتي (آقوينلو و قره قوينلو) و قد اقبلوا الى الموصل في حملة (اوزون حسن) فاستوطن بعضهم (تلعفر) و فيها ايضا من تغلب و بعضهم اقاموا في شرقي دجلة على الشواطيء.. ثم شبك و باجوان (باجوران) و هؤلاء اقبلوا من بلاد الفرس الا اننا نجهل تاريخ مجيئهم الى الموصل و لغتهم خليطة من الكوردية و الفارسية و التركية، و قرى الباجوان هي عمر كان و تبراخ زيارة وتل يعقوب و بشبيثا، اما قرى الشبك فهي عليرش و ينجيكا و خزنه وتلاره و قرى اخرى عديدة اطراف سنجار)[13] و الحقيقة ان "الموصلي" اخطا كثيرا في انه اخذ الشبك برقاب الباجلان، فلم يميز بينهم، فاذا كان الباجلان (الباجوان او الباجوران) كما يسميهم على هواه العربي وقد اقبلوا من بلاد الفرس فهذا لا يعني ان الشبك ايضا قد قدموا من البلاد نفسها وهم بناة الموصل القدماء، وهم الذين فرض عليهم الباجلانيون فرضا دونما ارادتهم و اضطروا الى القبول بهم و ايوائهم لانه والي الموصل – حين قدومهم من بلاد الفرس – ملكهم الارض وسلطهم على الشبك لاسباب سياسية وردا على مواقف الشبك من حملة نادرشاه على الموصل و تعاطفهم معها.. بل و ايوائهم العديد من افراد جيش نادرشاه حين اجتاحهم مرض الملاريا حتى فتك بقائدهم "جيلوخان" على ان المؤرخ "الموصلي" قفز فوق وقائع التاريخ و خلط بين الشبك و الباجلان لانه كان على يقين تام بحداثة وجود الباجلان في المنطقة فاراد سحب هذه الحداثة على الشبك ايضا ليسهل و يبرر طردهم منها و من ثم الاستيلاء على موطنهم، ثأرا و انتقاما لمواقفهم السابقة.

كما ان (الموصلي) قد اخطأ ايضا جغرافية بينة في اسماء قرى الشبك و الباجلان، فقرية "عمر كان" هي وحدها التي تسكنها اغلبية باجلانية اما بقية الاسماء التي ذكرها، فكلها قرى الشبك باستثناء قرية تلاره التي لفظها و كتبها خطأ ايضا، فهي تلفظ "تلياره" و يتناصفها الشبك و الباجلان و قد كانت اصلا للشبك و دخلها الباجلان في القرن التاسع عشر.

و علاوة على كل ذلك، فليس هناك أي وجود للشبك في اطراف سنجار، و لقد خلط المؤرخون كلهم بين طائفة "البابـاوات" الايزدية و الشبك خلطا مقصودا في زمن كان تكفير الايزيدية رائجا فاراد بذلك "الموصلي" تكفير الشبك ايضا، على ان "للموصلي" فضلا في تأكيد كوردية الشبك و الباجلان من حيث لغتهم و انتماؤهم القومي.

على ان كوردية الشبك و الباجلان تأكد منذ بدايات القرن العشرين في مصادر كثيرة: "ان هذه الأجيال الثلاثة (الصاليه و الباجوران و الشبك) و ان تباينت اديانها و اختلفت مذاهبها الا ان بينهم جامعة واحدة تجمع اصحابها و تأخذ رقابهم و

تسوقهم جميعا الى عنصر واحد وهو العنصر الكردي في الأصل و على الأغلب و ان كان بينهم العديد من الفرس.

و هذه الرابطة هي ملامح الوجه و تقاطعه، فانك ترى الباجوران (الباجلان) و الصاليه (الكاكائيه) و الشبك كالكورد، مفتولي الخلق، شديد العضل، طول النجاد، لطيفي الاطراف، سمر البشرة، فتى الانوف، يغلب على عيونهم الدبسة (لون بين السواد و الحمرة) و على شعرهم السواد، اسنانهم بيضاء، براقة متناسقة، متضامة، و افواههم واسعة و صدورهم رحبة و غير ذلك من الفصول المميزة للكرد و بالخصوص يغلب على اخلاقهم الحنف و العنف و الهمجية و العنجهية، على نوع لا ترى الا في الكرد، و أشر من ذلك انها معقودة بالحقدو الضغينة اللتين يخفيهما للمداهنة و تظهرهما العزة حتى انه "يلقاك و العسل المصفى يجتنى من قوله و من الفعال العلقم – كما قال فيهم احد الشعراء"[14] و الحقيقة ان الكاتب في مقاله هذا قد اصاب كبد الحقيقة من ناحية و تجنى عليهم من ناحية اخرى. فقد اكد ان الصارليه و الباجلان و الشبك كرد، حتى في سماتهم الانثروبولوجية التي مازالت تسود ملامحهم و تميزهم عن الاقوام و الاعراق الأخرى، و لكنه تجنى عليهم عندما وصفهم بكونهم يكنون الحقد و الضغينة، فانه من الشائع جدا، لدى كافة شعوب المنطقة، ان الكرد عموما، طيبو السريرة و على نياتهم و يعيشون بقدر كبير من السذاجة و البساطة الى حد انه ليس هناك من مجلس يخلو من القفشات و النكات التي تصور سذاجاتهم و قلة حيلتهم و بطء بديهيتهم، فهل مثل هؤلاء القوم يكنون الحقد و الضغينة؟؟

على انهم لا يسكتون على ضيم و لا يقبلون بالغدر و الطعن في الظهر بعد السلام و الامن. و لكن اخلاقيات الشعوب قابلة للتطور و التغير وفقا لمعطيات العصر و متطلبات الموقف و انماط الحياة في كل مكان و ليست هناك ثوابت اخلاقية تصلح لكل زمان. و على ذلك فان الشبك كرد مئة بالمئة، الشبك جيل من الناس، الكوردي العنصر، مبثوثون في قرى ولاية الموصل، و ليست لهم كتب دينية حقيقة"[15]

و يسرد الكاتب اسماء ثلاث و ثلاثين قرية لهم و يستطرد بان لهم قرى اخرى على تخوم بلاد ايران من جهة الموصل، و هذا يؤكد ماورد في الموسوعة البريطانية تحت المادة الشبك طائفة اسلامية كوردية الاصل تقطن ولاية الموصل، (shabek: islamic Section of kurdish orrigin live mosul state) فهل بقى هناك ما يدعو "احمد حامد الصراف" و "عباس العزاوي" و "ثامر عبد الحسين العامري" و غيرهم الى الافتراء على الشبك و الادعاء بانهم عرب او ترك. وقد كانت كافة المصادر التي اشرنا اليها، و اقتبسنا منها نصوصا، منشورة في زمان ادعائهم و افترائهم؟ و هذا يؤكد بلا ريب ان دوافع هؤلاء و سواهم، كانت اما نابعة عن حقد دفين او مغرضة، و الهدف واضح.. و هو تأجيج الصراع القومي و تبرير التعريب و الاحتلال و الاستلاب.

و يبدو واضحا ان النخبة السياسية العراقية كانت و مـاتزال، منـذ بدايـة تأسـيس الدولـة العراقيـة الحديثـة و حتـى يومنـا هـذا، تسعى بكل الوسائل و تحـت تـأثير مبـدأ الغايـة تـبرر الوسـيلة، الى تعريـب المنطقة ارضا و سكاناً كجزء من ثوابت الامـن القـومي العربـي، لان تلك النخبـة كانـت علـى يقـين تـام بانها سـتكون مهـددة دومـا بالصـحوة القوميـة مـا لم يـتم تدارك التركيـب القـومي التعـددي للشعب العراقـي، ان هاجس الخوف هذا من تعدد القوميـة، هـو الـذي دفـع بالعديد من كتـاب النخبـة السياسـية (المؤسساتية) الى الافـتراء علـى وقـائع و حقـائق التـاريخ و تشـويهها، و مازال هو الهاجس عينه الذي يدفع الكثيرين الى اعـادة كتابة تاريخ العراق.. اما اصل البـاجلان – البيجـوان، الباجوران، الباجوان – و الذين يطلق علـيهم الشـبك، بالإملاء الكوردي "بەجلانگەل" فواضـح لالـبس فيـه، وفقا لما ورد في المصادر التاريخية المعاصرة و لمـا يرويـه شيوخهم و عجائزهم و مثقفوهم.

ولاحقـة "گـەل" تسـتخدم فيـه لهجـة "ماچـۆ" الكورديـة للدلالـة علـى الجمـع فـاذا اراد الكـوردي الشبكي لفظ اسم او كلمة بصيغة الجمع، اضاف اليها لاحقة "گەل" وهي تعني بالكوردية "الشعب" مثـال ذلك: "كور – ابن" تصبـح في الحالـة الجمـع: "كوڕە گەل – ابناء او اولاد" و هكـذا.. "كناچـە – بنـت – كناچە گەل - بنات" و "سپە – كلب - سبە گـەل - كلاب" و "هەسپ – فرس – هەسپ گـەل – فـراس او افـراس" و "مـەهان – حصـان – مەهانگـەل – حصن - خيل".

فالبەجلانگەل.. (البـاجلان) هـم اخـر النـازحين من بلاد الفرس الى العراق.. الى مدينة الموصل حيث يقول عنـه المؤرخ و ضـابط الاسـتخبارات البريطـاني "المجرسون" في كتابه او تقريره الموسع تحت عنـوان "ملاحظـات عـن قبائـل كوردسـتان الجنوبيـة بـين الـزاب الاعظـم و ديـالى Notes on the tribes of southern kurdistan between the grater zab and dialah, June, 1919. Mager, E. soane." مانصه:

(مؤسس هذه الاسرة الباجلانية هو (عبدال بـك الباجلاني) من اهـالي ديـاربكر، و ينحـدر اصلا مـن احدى العشائر الكرمانجية المقيمة قرب تلك المدينـة. و في العـام 1630م رحـل عبـدال بـك البـاجلاني الى منطقـة "زهـاو – زهـاب" و اسـتولى عليهـا و فـرض عليها سلطانه على سكانها الناطقين باللغـة البهلويـة او بالاحرى اللغة الكلهرية غير الوضحة المعالم. ولكن هذه الاسرة اضطرت للرحيل عـن المنطقـة (زهـاو – زهاب) بعد ان خسرت اخر معاركها مع (محمـد علـى ميرزا) و ذلك في القرن التاسع عشر حيث تم توقيـع معاهـدة ارضـروم الاولى في 1847/5/31 و اعيـدت المنطقة بموجبها الى ايران"[16].

علـى ان المترجـم "فـؤاد حمـه خورشـيد" يعلـق على ذلك في هامشه فيقول:

(قبل توقيع معاهدة زهـاو (زهـاب) عـام 1639 بين الـدولتين العثمانيـة و الصـفوية، كانـت المنطقـة التي يقطنهـا الكـوران اليـوم، بمـا فيهـا منطقـة زهـاو (زهاب) و تلال (كرنـد و باوانيـج) و الاراضي الممتـدة

شرقي زهاو برمتها، موطنا للكلهر من الكرد الا ان الكلهر جردوا من اراضيهم بعد وصول عبدال بك الباجلاني اليها عام 1630م قادما من المناطق الشمالية و اخضاعه سكانها لاسرته و الذي اطلق عليهم لقب (گوران) و سلم السلطان العثماني مراد الرابع باشلق زهاو بعد ان انتزعه من الصفويين بموجب تلك المعاهدة، لباشوات الباجلان بقيادة عبدال بك الباجلاني و اصبح الباشلق يمتد من جبال هورامان شمالا و حتى تلال كرند شرقا. كما ان زعيم الباجلان هذا يعتبر مؤسس مدينة زهاو الحالية.

و بقي باشوات الباجلان يديرون هذا الباشلق حتى وثوب القاجاريين على السلطة في فارس فتمكنوا من ازاحة اخر باشا باجلاني من حكم زهاو في عام 1806 بعد ان عينوا محمد علي ميرزا حاكما على كرمنشاه، فدخلت الاسرة الباجلانية في معارك طاحنة مع الحكام الجدد حتى اضطرت للرحيل عن المنطقة بعد ان خسرت اخر معاركها و للمزيد من المعلومات راجع:

1-soan, E.E., short antology of guran poetry, J.R.A.S. January, 1921, part 1, P. 58.

2-Minorsky, V(The Guran), B.S.O.A.S. 1948, Vd X1 part, 1, P. 58-86.

3-soan, E.E., (Report on the sulaimania.) District of: kurdistan, calcutta, 1918, P. 73.

و تذكر هذه المصادر الثلاثة التفاصيل ذاتها مع بعض الاختلافات و لكنها تؤكد على ان نزوح الباجلانيين من زهاو (زهاب) الايرانية الى الموصل و كركوك كان في منتصف القرن التاسع عشر ومع توقيع معاهدة ارضروم الاولى في نهاية ايار 1847.

و هكذا يؤكد ان الشبك اقدم منهم في الموصل وفقا لكل المصادر التي تناولتهم. و علاوة على ذلك، فقد اكد الدكتور "احمد عثمان ابوبكر" في مقال له بعنوان "كردستان في عهد السلام، القسم الخامس و العشرون، بعد الحرب العالمية الاولى" نشره في ص 60 من المجلة "الثقافة" العدد الثالث، السنة الثالثة عشرة 67، اذار 1986 نقلا عن الوثيقة البريطانية المرقمة 81 (6857) (139152) (3406) (371) of (June 8th, 1918). Major E. Soan.: على المعلومات نفسها مع بعض الاختلافات ايضا راينا نقلها هنا لتعميم الفائدة: (الباجلان: ان ثمة عشائر كردية لم يكتب عنها او كتب القليل جدا بشأنها، و منها عشيرة الباجلان. و تجدر الاشارة الى هذه في بعض الاحيان لفائدة ذلك و تتضمن الوثيقة المرقمة (كما اشرنا اليها اعلاه) ملاحظات عن بعض عشائر كوردستان كتبها الميجرسون في خانقين، و حتى طبعت في حينها، وقد جاء فيها عن عشيرة الباجلان ما يلي:

1-العشيرة، الاقسام: جومور و فرانلو. الاقسام الفرعية لجومور هي سايكوند، حاجيلار، غريب وند، شيره وند، جار كالاو، هموند، داوده وند، و جليل اغا.

الاقسام الفرعية للقازانلو هي حاجي خليل، ولي اغا، عبدالرحمن اغا، رؤساء الجومور، مجيد اغا،

بارويز اغا، مبارك، جهان، باخش، قادر اغا، و محمد امين اغا، اما رؤساء القازانلو – ولي اغا – عبدالرحمن اغا – عيدان اغا – حاجي خليل اغا.

القوة – نحو 300/ عائلة. كان مع مجيد اغا قبل الحرب الاولى حوالي 80 فارسا، و مع محمد امين اغا و ولي اغا 400 فارس. في الوقت الحاضر العشرة موزعة و لا قوة لها.

الموقع -أ- جومور، قسم في سهل باجلان الذي يحده شمالا –نهير عباسان، جنوبا – طريق نحو كرمنشاه، شرقا – تلال داري ديوان و بيشيكان. غربا – نهر سيروان و تلال اغا داغ.

ب-قازانلو – قسم منهم في سهل كودرا و يحده شمالا و غربا نهر سيروان. جنوبا – بابا بيلاوي و جبل مورواريد، شرقا – اغ داغ. و قسم منهم في بيبوغ بين الموصل و الزاب الصغير بقيادة علي اغا قازانلو، و قسم منهم في القرية المسماة باجلان قرب كركوك بامرة عبدالرحمن اغا"[17].

في الحقيقة ان قسما من الباجلان النازحين الى قرية "بايبوغ" قد نزح فيما بعد الى قرى "النوامران" و "تليارە" و "باريما" و "اومەر قابسنى" و "فەديلە" و "خور سةبات"، فالشبك غالبا ما يطلقون على هذه القرى: "هۆزگەلى بەجلانگەلى" و كلمة "هۆز" بلهجة الشبك تعني "قرية".

على ان الميجرسون يذكر في تقريره ايضا ملاحظات عامة هذا نصها كما ترجمها الدكتور "احمد عثمان ابوبكر": "الرئيس الحالي – مصطفى باشا باجلان، رجل مسن حازم و قد حمل ميله الموالي للانكليز لحد التضحية باملاكه للحلفاء للحفاظ على عهده معنا.. كان سابقا في الخدمة المدنية التركية و مديرا في اوقات مختلفة في العزيزية و البدرة و له معرفة تامة بالسكان العرب في تلك النواحي و كذلك بعشائر كوردستان الجنوبية. انه كوردي صميمي منتم للكرمانج الخالص. وهو ثقة و مصدر كبير لتأريخ العوائل الكرمانجية الرئيسية. و كان دوما معاديا للعثمانيين.. كان في مختلف الاوقات متمردا او منفيا و له سمعة عريضة في البسالة في معارك العشائر. و سيكون اداة فعالة و متحمسا لأي مشروع للحكم الذاتي الاوتونومي لكوردستان. وهو متزوج من اسرة بابان الارستقراطية التي تعتبر من اقدم العوائل الكرمانجية البحتة في كوردستان الجنوبية. و اسم زوجته اسماهانم"[18] و كما يلاحظ، ان العلاقة الباجلانية – البريطانية كانت وطيدة جدا منذ بدايات القرن العشرين، على الرغم من ان الوالي العثماني في الموصل وفي خانقين و كركوك، و بايعاز من الباب العالي (السلطان العثماني) كان قد منحهم المال و الجاه و اسكنهم في العراق و سلطهم على اراض زراعية واسعة و قطاع واسع من الفلاحين الكورد في منتصف القرن التاسع عشر حين اضطر اغلب الباجلانيين الى النزوح عن (زهاو) الايرانية بعد هزيمتهم امام الحاكم الايراني محمد على ميرزا.

انني اشير الى هذه العلاقة هنا لكي اعود اليها فيما بعد لانها كانت سببا مباشرا لاحتدام الصراع

بين الشبك و الباجلان و من ثم تكريس عداء تقليدي بينهما، و كان هذا العداء التقليدي جزءاً اساسيا من السياسة البريطانية في العراق بعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة.

و يواصل الدكتور (احمد عثمان ابوبكر) ترجمة التقرير البريطاني فيقول تحت عنوان: "تأريخ الاسرة – ان الجد الاصلي لباجلان كان مواطنا في مقاطعة دياربكر من احدى قبائل الكرمانج الساكنة بقرب تلك البلدة. و قد هاجر هو حوالي سنه 1630م الى زهاب (وكانت مقاطعة تركية انذاك) و استولى عليها من سكانها الفلاحين الناطقين باللغة الفهلوية. و قد سلم السلطان مراد الرابع زهاب له و فرض عليه واجب تقديم 2000 من الفرسان عند الطلب و ضريبة سنوية مقدارها ثلاثمئة الف قرش (300000).

ان هذا الجد كان يسمى عبدالله بيك باجلان – و الحقيقة ان الاسم ورد باللغة الانكليزية عبدال بك باجلاني – اما لقب الباشا فمنح لأول مرة لاحمد باشا باجلان الذي حارب نادر شاه في باثاق و استمر باشاليف زهاب في الوجود حتى عهد عثمان باشا والد مصطفى باشا في السنين الاولى من القرن التاسع العشر. ثم فوض على عائلة باجلان و الفلاحين المنتمين اليها ان يحاربوا محمد على ميرزا معتمدين على انفسهم وقد اضطروا على تخلية زهاب.

و على اثر توصية لجنة ارضروم التي كان عثمان باشا عضوا فيها.. اختارت عائلة باجلان ان تبقى في الرعية العثمانية و نزحت الى خانقين التي لا تزال مقرا لها[19].

ان ما تسمى العشيرة كانت و لاتزال تجمعا للفلاحين من مختلف العشائر التي بقايا عشيرة تركية من الشرق كانت تستقر في همدان في زمن سابق و يشكل هذا القسم قاعدة لعدة تجمعات لهم بقرب الحدود مثل دركزبنلو.. و سكان قازاني التي كانت تعرف سابقا ايضا بأسم قازانلو و قبل حصول أي ارتباط بباجلان. و توافد على زهاب نوع من السكان يتحدثون بلهجة فهلوية هجينة لا تزال هي لهجة قسم منها موجودا من الباجلان[20] وهذا على النقيض من لغة العائلة و التي هي كرمانجية خالصة.

و يتمتع العضو الرئيس من العائلة حتى الان بنفوذ واسع على العشيرة بالرغم من انه ليس برئيسها في الحقيقة اما قسم جومور فهو اقل تأثيرا بنفوذه. في الوقت نفسه يملك قسم قازانلو القوة الاوفر من حيث عدد المحاربين و المزارعين. و ينتمي هؤلاء جميعهم الى السنة على المذهب الشافعي"[21].

ان الكورد و ان كانوا على مذهب السني الشافعي، فان هذا لم يمنع الكثيرين منهم من التشيع علاوة على ان قسما كبيرا من العشائر الكوردية دخلت الطرق الدينية التصوفية كالقادرية و النقشبندية و البكتاشية و القزلباشية فيما بقى قسم منهم محتفظين بأديانهم و مذاهبهم السابقة كالايزيدية و النصرانية و حتى الزرداشتية القديمة واليهودية، فقد كان رئيس وزراء اسرائيل السابق (اسحاق رابين) كورديا من سكان (اكري - عقرة) في

كوردستان العراق. على ان اختلاف و تباين المعتقدات الدينية عند الكورد لم يكن سببا في الصراعات القومية و السياسية و حتى القبلية، فالشائع عند الكورد ان الدين عندهم عادة و ليس عبادة. و بغض النظر عن مدى صحة هذه الشائعة او افترائها، فان ظاهرة الالتزام الديني و العشائري و الحرص على اداء الطقوس الدينية و خاصة الاسلامية، تطغي بشكل واضح على عموم الشعب الكوردي و بشكل لافت للنظر.

و بناء على ما اسلفنا، تأكد لنا ان الباجلان كرد، كرمانج، غرباء عن مناطق التي استقروا فيها و مازالوا يعيشون فيها و لكن ما السر في انقسام افخاذ و اقتسام العشيرة الواحدة و وجودها في مناطق متباعدة عن بعضها جغرافيا؟! و بنظرة تحليلية لتسلسل الأحداث يمكن القول بأن النزوح لم يكن سهلا و كانت الهجرات الجماعية تواجه دوما رفضا و صراعات قبلية عشائرية، فعندما نزحت عشيرة الباجلالان من موطنها الاصلي (دياربكر) و المناطق المحيطة بها الى منطقة (زهاو او زهاب) لاشك في انها واجهت مقاومة شديدة و خاضت من اجل الاستيلاء معارك طاحنة كان النصر حليفها في النهاية لما كانت تتمتع به من الشجاعة و البسالة و كثرة الفرسان و دعم السلطات العثمانية لها ضمان ولاء المنطقة لها ازاء العدو التقليدي لها (الدولة الصفوية الايرانية) أي بمعنى اخر ان العشيرة الباجلانية كانت مطية لأغراض عثمانية سياسية.

و حينما احتدمت الصراعات السياسية بين الدولتين العثمانية و الصفوية و كانت الاولى قد الت الى الضعف و الانهيار و اصبحت الرجل المريض في العالم و تكالب قوى الاستعمار الغربية، وظفت العشيرة الباجلانية مرة اخرى لتكون مطية للمصالح الاستعمارية البريطانية خاصة، و تطلب منها ذلك الدخول في معارك اخرى حتى خسرت اخرها و اضطرت الى النزوح من الاراضي الايرانية الى الاراضي العراقية التي كانت قد دخلت تحت النفوذ الانكليزي، فاذا كانت العشيرة قد حصلت لها على موطئ قدم في منتصف القرن التاسع عشر في خانقين و كركوك و الموصل، فانما كان بدعم السلطات العثمانية انذاك و التي كانت تكن العداء و الكراهية الشديدين للكورد (الشبك) في الموصل قبل ذلك بأكثر من قرن من الزمان.

و بالعودة الى قراءة احداث حصار نادر شاه للموصل سنة 1743م نجد ان الوالي العثماني على الموصل انذاك (حسين بك الجليلي) كان قد قرر الدفاع عن الولاية و عدم الاستسلام للجيش الغازي، فاصدر من اجل ذلك فرمانا بجمع الناس (اهالي الولاية و ضواحيها) داخل اسوار الموصل ليسهل عليه الدفاع و تكون المقاومة اكثر جدوى و تأثيرا و تستغرق اطول فترة. و لكن الكورد (الشبك) كانوا قد رفضوا الانصياع لذلك الفرمان العثماني و استقبلوا جيش الغزاة الذي كان معظمهم يتحدث باللغة نفسها، ومن هنا نشأ عداء اهل مدينة الموصل للكورد حتى انني كنت غالبا ما اسمع في مجالس

المواصلة (الموصليين) القدماء بأن الشبك هم من جماعة نادر شاه! و بعد ان فشلت الحملة الفارسية على الموصل و في حصارها لها سنة كاملة بالفشل و من ثم الهدنة و عقد الصلح. كان الكثير من جيش نادرشاه و خاصة اولئك الذين كانوا قد اصطحبوا عوائلهم، قد اندسوا في قرى الشبك و استقروا فيها و بدأوا بالدعوه الى التشيع فتشيع معظم الشبك على ايديهم.

و عندما وفد الباجلانيون (بەجلانگەل) الى المنطقة بدعم من السلطان و امتلكوا الارض و النفوذ، كانت الفرصة الذهبية قد توفرت للسلطات في الموصل، للثأر من الشبك بواسطة الباجلان، و كان النظام الاقطاعي قد بدا يستشري في المنطقة حيث كان بعض عرب الموصل – و خاصة الارستقراطيون المرتبطون بالسلطات العثمانية – قد بدأ بشراء او الاستيلاء على الاراضي الزراعية في منطقة المرج – منطقة الشبك – فما كان من الباجلان الا الارتباط بهولاء الاقطاع و اقامة مصالح مشتركة معهم و بدعم حكومي.

فوجدت هذه الحالة مقاومة شديدة افرزت عدة معارك و صراعات دموية و اغتيالات في صفوف الاقطاعيين و الاغوات الذين كان الشبك يطلقون عليهم اسم (سپاهی – او میره با) لما كانت الحالة قد افرزت من مظالم و اضطهاد و سلب و اقتطاع الاراضي الزراعية الخصبة بالقوة، مما اضطرت البەجلانگە ل الى تبني كل الوسائل لاستمالة الكرد الشبك و جعلهم يتجاوبون معهم، حتى انهم تشيعوا فعلا ولكن الشبك ظلوا يناصبونهم العداء و الكره و الرفض و يعدونهم غرباء، غزاة لا مكان لهم في موطنهم، مما ادى الى تمزيق العشيرة الى طوائف و اقسام و انتشارها فرادى او عائلات في عدة قرى و من ثم اضمحلال الهيكل العشائري و القبلي للباجلان باستثناء رؤسائهم و اغواتهم الذين ظلوا و حتى يومنا هذا عملاء للسلطات الحكومية بغض النظر عن نوعية هذه السلطات.

فعندما كانت السلطة الانكليزية، كان اغوات الباجلان عملاء لها و موالين على حساب بني قومهم، و عندما اصبحت السلطة العراقية ملكية، ظل ولاؤهم لها، و بعد انقلاب 1958 و تأسيس الجمهورية العراقية، ظل هؤلاء الاغوات على ولائهم للسلطة و استمر هذا الولاء حتى بعد قيام السلطة البعثية الدكتاتورية حتى يومنا هذا، سواء بصيغة الانتماء الحزبي ام التعريب القومي مع وجود استثناءات قليلة جدا، و لذلك استمر عداء الشبك الكورد القوميين لهم حتى اليوم.

فالباجلان بشكل عام، باستثناء رئيس فخذ واحد من افخاذ القازانلو وهو (فاضل اغا الباجلاني) لم تنم فيهم روح الكوردايتي التي طغت على معظم الشبك. عاش الشبك عصرهم الذهبي في عهد الامارة الزنگيه في الموصل، وذلك عندما ساءت علاقة (صلاح الدين الايوبي) بامراء هذه الامارة مما اضطره الى الاستعانة بالكورد الزرارية من اهله، فجاء بقسم كبير منهم من قرى الزرارية مثل (بيرمام و صلاح الدين و بيرخال و اجندكان و

هــدوين و غيرهــا)، و زرعهــم في مــرج الموصــل – منطقــة الشــبك – الــذي كــان يقطنــه الكــوران و الروزبيــان و البــاراميون و الســورجي و الهركيــة و بعـض الزيباريـة و الشـكاك و ذلـك في اواخـر القـرن الحادي عشر حيث كان الزراريون ظهيرا قويا للشبك و ســاهموا في تشــكيل وحــدة قوميــة قويــة ضــد مـؤامرات الامـارة الزنكيـة مـع ملـك (اربيـل) انـذاك مظفـر الـدين الكـوكبري – وكـان هـذا صـهرا لصـلاح الدين الايوبي، على ان حنكة صلاح الدين السياسية افشلت تلك المـؤامرات بنقـل الـزراريين و توحيـدهم مع الشبك ليكونوا بذلك قوسا امنيا يحيط بالموصل مـن شمالها و شـرقها و جنوبها أي مـن المـاء الى المـاء، فلـم يعـد بمقـدور الامـير الزنكـي القيـام بـأي تحـرك عسكري مشترك بأتجاه اربيل، كما يؤكد ذلك الشاعر و الباحـث الكـردي (عبـد الخـالق سرسـام) شـاركه الزرارية كعشيرة في الحـروب (27) جـاء اسـم عشـيرة الزرارية عشيرة الصلاح الدين بشكل واضح في جيش صـلاح الـدين او كاسمـاء و ابطـال و خـير دليـل علـى ذلـك في ص 220 مـن الفـتح القسـي)[22] أي انـه كـان يستعين باهله و عشيرته الزرارية في الملمات.

لقــد ظــل الشــبك ردحــا طــويلا مــن الــزمن يقــاطعون البــاجلانيين حتــى بعــد تشــيعهم، فلــم يكونوا يقبلـون بمصاهرتهم او التعامـل معهـم حتـى اضــمحل نفــوذ البــاجلان العشــائري و لم يعــد لرؤسـائهم تلـك السطوة الـتي كـانوا يتمتعـون بهـا في بداية نـزوحهم الى المنطقـة، و لم تتحسـن علاقـاتهم الاجتماعية الا بعد تطبيق قـانون الاصـلاح الزراعـي في منتصـف القـرن العشـرين حيـث عـادت بموجبـه ملكيات الفلاحين الشبك الى سـابق عهـدها و لم يعـد نفـوذ الاغـوات البـاجلان كمـا كـان، علـى ان العـداء التقليدي بين الشبك و الباجلان ظل حديث الاجيال اللاحقـــة بســـبب مـــن اســـتباق البـــاجلانيين الى الاسـتعراب و الانخـراط في حـزب السـلطة العراقيـة (حـــزب البعـــث العربـــي الاشـــتراكي) و مســاهمتهم الفعالة في كتابة التقارير الحزبية الى الدوائر الامنية و المخابراتيـة عـن الناشـطين الكـرد مـن الشـبك و علاقتهم بالثورة التحررية الكوردية على الرغم مـن الموقـف القـومي المتميـز الـذي اتخـذه احـد اغـوات البــاجلان اثنــاء ثــورة ايلــول 1961-1969 وهــو (فاضـل اغـا البـاجلاني) الـذي اوى في داره اكثـر مـن خمسين عائلة كوردية مـن المـرحلين عـن ديـارهم و التقاسـم معهـم لقمـة العـيش بضـع سـنوات حتـى تمكنوا من العودة الى المناطق المحررة مـن كوردسـتان او النزوح الى مدينة الموصل.

و الجدير بالذكر هنا ان (فاضـل اغـا البـاجلاني) هو احد احفاد (علي اغا قازانلو) الـذي ورد ذكـره في تقريـر الميجرسون: (وتقطن جماعة اخـرى مـن فـرع قـازانلو في قريـة (بـايبوخ Baibukh) بـين الموصـل و الـزاب و يتزعمهـا علـي اغـا قزانلـو)[(23)] علـى ان الزعامة القبلية لم تعد كما كانت في الايام الغابرة ان لم تكن قد اندثرت، ولـولا عـودة السلطات العراقيـة الحاليـة و منـذ بضـع سـنوات الى تكـريس المشـيخة و الزعامات القبليـة و العشـائرية مـن جديـد لتأسـيس مراكز قوى دكتاتورية صغيرة يسهل شراء ولاءاتها و

السيطرة عليها، لانـدثرت الزعامـة القبليـة الى الابـد في العراق، ولكن.. للانظمه الدكتاتوريـة الشـمولية في شعوبها شؤوناً و شـؤون و لهذا دفـع النظام العراقـي بكاتب مثل (ثامر عبد الحسين العـامري) الى تشـويه اسـم البـاجلان و تحريفـه الى (بيجـوان) و الادعـاء بنسبهم العربي العريق على الرغم من انهـم كـانوا و مازالوا كوردا من اصل كرمانجي خالص.

و على الرغم من ان الكورد، منذ اقدم العصور و حتـى بدايـة القـرن التاسـع عشـر، كـانوا يشـكلون اغلبية سكان الموصـل ممـا دفـع بالرحالـة الانكليـزي الشـهير (جـيمس سـليك بكنغكهـام James Slik Pakingham) الى القـول حـين زار الموصـل في العـام 1816م مـا نصـه: (سكان الموصل بنسب متسـاوية من الكورد و الـترك و العـرب)[24]. علـى الـرغم مـن تعـدد حمـلات التعريـب المنظمـة و كثـرة الهجـرات العربيـة و التركمانيـة عبر عـدة مراحـل تأريخيـة و خاصـــة في عهـــود الســـلاجقة و البـــويهيين و القرهقونيلو و الاق قوينلو و غيرهم. على ان المدينة ظلت حتى يومنا هذا تضم ثلث سكانها من الكورد و لاتتجـاوز نسـبة العـرب فيهـا الثلـث بـأي حـال مـن الاحوال على الرغم من اخضاع الكثير مـن الكـورد و التركمان و الاشـوريين و الايزديـة للتعريـب القسـري خلال العقود الثلاثة الاخيرة من القرن العشرين.

امـا مـن يسـمون بالسـادة الهواشـم، فشـأنهم شـان الباجلان غرباء عن منطقة الشبك. نزحوا اليها مـن بلاد الاناضول في وقت متأخر ايضا بعد ان طاردتهم السلطات العثمانية لأنهم كـانوا مـن الفـرق الباطنيـة في الاسلام، فلم تقبـل بهـم الاغلبيـة السـنية التركيـة بل ان بعضهم لم يتورع عن تفكيرهم و اقامـة الحـد علـيهم ممـا اضـطرت هـذه الفـرق الى الادعـاء بأنهـا تؤمن بطريقة تصوفية تحت اسم (الفتوه) ومن ثـم تحولت هذه الفتوه الى ما يسمى بالأخيه او الكاكئية: (كانــت الكاكائيـــة تــدعى (الفتـــوه) و انتشـــرت في الاناضول باسم (الاخيـه)، انتشارا هـائلا)[25] و كـان ظهورها اواخر الدولة السلجوقية كطريقة من طـرق التصوف – كما اشار الى ذلك (السمعاني) في (قـاموس الاعلام، الجزء الثـاني، ص 802) – و هـؤلاء السـادة الهواشم، وان كانوا ما زالـوا يـدعون بـأنهم ينتسـبون الى اهـل البيـت النبـوي، فـانهم ليسـوا سـوى تـرك كاكائية و بكتاشية و قزلباشية و هذه النحل الـثلاث تفرعــت عــن (الســبأية و الحروفيــه و الصــفوية و العلويـة المغاليـة و الباطنيـة): ان الباطنيـة في بـلاد الـــترك عنـــدما رأوا مقاومـــة عنيفـــة في الجهـــر بعقيدتهم، تستروا بالتشيع و مالوا الى الابطان – بـل كـانوا بـاطنين – فانصـرفت عـن انهـا (مبـدأ صـوفي) يـدعو للأخـاء بـل انقلبـت الى النحلـة او عقيـدة مـن عقائـــد الغـــلاة و تقحصـــوا بأثوابهـــا)[26]. فلمـــا لم يتمكنـوا مـن مقاومـة القـوة الـتي كانـت قـد جنـدت لمطـــاردتهم و ملاحقـــتهم، تســـللوا الى كوردســـتان الجنوبية فرادى وجماعـات حتـى وصـل قسـم مـنهم الى ديـار الشـبك في الموصـل، فوجـدوا في هـذه الـديار فرصتهم الذهبية لمـا كـان عليـه مـن تشـيع، و طيـب السرية و السذاجة و ميـل لتقـديس رجـال الـدين و المشايخ و الملالي عـلاوة علـى مـا كـان يسـود المنطقـة

مـن جهـل و اميــة" فانــدفعوا في التبشير بعقيـدتهم سراً في اواخر القرن التاسع عشر فما كادوا ان كسبوا نفراً قليلاً الا و بدأت الحرب العالمية الثانية و قامت الدنيا و لم تقعد الا بعد سقوط عـروش و اخـتلاف مراكـز القـوى و النفـوذ و تأسـيس الدولـة العراقيـة الحديثة في العام 1920 و زحـف التعليـم و التنـوير شيئاً فشيئاً الى القرى القريبة من الموصل و مـن ثـم افتضاح امرهم لـدى عامـة الشبك و انحسارهم عـن السادة الهواشم و طقوسهم الغريبـة العجيبـة. و كـرد فعـل طبيعـي لتحصـين مـواقعهم و قدسـيتهم الـتي كـادت تطغـى علـى الشـيوخ و المسـنين و العجـائز الشبك، بدأوا بالتبشير بالتشيع و المغالاة في حب اهل البيـت و الاتصـال بـالمراجع الدينيــة في النجـف و كربلاء و قيـادة قوافـل مـن الشـبك الى زيـارة المراقـد المقدسـة هنـاك في شـهر محـرم مـن كـل عـام و نشـر الدعاية بأن الشبك كلهم يتبعونهم فجنوا بـذلك شـر جنايـة علـى الشـبك و البـاجلان و الكاكائيــة ايضـا حيث اختلطت العقائد و المذاهب و الطرق الصوفية في بعضـها لـدى البـاحثين و الكتـاب الـذين طالمـا تعرضوا لهم.

على ان الحقيقة ظلت شاخصة لدى عامة الشبك الـذين طالمـا رفضـوا ان يقـال عـنهم بكتاشـية او قزلباشية او كاكائية، و من الطريف حقا ان معظـم الشــبك يكنــون الكــره و النفــور مــن الكاكائيــة (الصـارية) و يعـدونهم كفـاراً فـلا يصـاهرونهم و لا يتعــاملون معهــم، و تكــاد العلاقــات الاجتماعيــة مقطوعة بينهم، و خاصة بعـد ظهـور كتـاب "احمـد حامد الصراف" الذي اتخذ من احد شيوخ الكاكائيـة "ابراهيم الباشا" مصدراً رئيسياً لمعلوماتـه و تجنـى كـثيراً علـى حقيقـة الشـبك مـن حيـث اصـلهم و عقائدهم.

و مــن الطريــف ايضــاً ان يعــترف "الصــراف" بنفسه بأن معلوماته كلها مستقاة من هـذا "الباشـا" فيقــول" "و انــا ارويهــا في هــذا الكتــاب و العهــدة عليــه"[27] ان الســادة الهواشــم في حقيقــتهم، لاهــم ســادة و لا هواشــم، و انمــا اتــراك، يجيــدون اللغــة التركية اجادة تامة قراءة و كتابـة و تكلمـا، اعتنقـوا مـذاهب شـتى للفـرق الباطنيـة و بـأثواب عديـدة و منهــا الكاكائيــة الاخيــة (الفتــوة) و البكتاشــية و القزلباشــية و اوهمــوا النــاس الســذج و البســطاء بمعتقدات ما انزل الله بها مـن السلطان، و كـان لهـم البــاع الطويــل في تشـويه سمعــة الشـبك الكـورد في المنطقة.

*جـزء مـن الفصـل الثـاني مـن كتـاب (الشـبك الكورد المنسيون) للكاتـب و الصحفي الراحـل احمـد شوكت الذي اغتيل في الموصل بسبب ارائـه الصـائبة حول القضية الكردية.

الهوامش

1-الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ص 10.

2-(The Guran), B.S.O.A.S. 1948, VOL. X1, Pant 1, P.85-6 Minorsky, V.,

3-الصوفي، احمد علي، خطط الموصل، الجزء، ص 3، م. ام الربيعين، الموصل 1953.

4-المصدر السابق نفسه، ص 3.
5-فون هامر، تاريخ الدولة العثمانية، المجلد الرابع، ص 28.
6-لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص 88.
7-امين زكي، خلاصة تاريخ الكورد و كوردستان، عن احمد علي الصوفي.
8-احمد علي الصوفي، خطط الموصل، الجزء الاول، ص 10-3، م ام الربيعين، الموصل 1953.
9-المصدر السابق نفسه، ص 11.
10-البلاذري، فتوح البلدان، م. النهضة المصرية، القاهرة 1956، ص 407.
11-ابن الفقيه، مختصر البلدان، طبعه ايران، 1303 هـ. ص 28.
12-فضل الله المر، شهاب الدين احمد بن يحيى، مسالك الابصار في ممالك الامصار، ص 90.
13-الموصلي، سليمان صائغ، تاريخ الموصل، الجزء الاول، ص 55، المطبعة السلفية مصر، 1923.
14-مجلة المشرق البيروتية، العدد 5، 1902، ص 577-582.
15-مجلة "المقتطف"، العدد 59.، 1921، ص 230-232.
16-ترجمة و تعليق فؤاد حمه خورشيد، العشائر الكوردية، م الحوادث بغداد 979.
17-مجلة الثقافة، د. احمد عثمان ابو بكر، العدد 3 السنة 13، ص 66، بغداد 1983.
18-المصدر نفسه، ص 66.
19-اذا علمنا ان هذا التقرير قد كتب في العام 1918 فهذا يعني ان الباجلان لم يكونوا قد نزحوا الى الموصل حتى ذلك الوقت، او ان قسماً قليلاً او فخذاً واحداً فقط من افخاذ العشيرة كان قد وصل الى الموصل – قرية بايبوغ.
20-ان احتفاظ الباجلان بهذه اللهجة الهجينة هناك و في الموصل وهي لهجة الشبك حتى يومنا هذا، دليل لاريب فيه على ان هذه اللهجة كانت احدى اللهجات الكوردية الاصلية.
21-المصدر نفسه، ص 66-67.
22-عبد الخالق سرسام، صلاح الدين الايوبي من جديد، ص 30، منشورات كاوه، اربيل، بيروت 1999.
23-فؤاد حمه خورشيد، العشائر الكوردية م. الحوادث، بغداد 1979، ص 20.
24-المجرسون، رحلة متنكرة الى بلاد ما بين النهرين و كوردستان، ص 64. عن المجرسون.
25-العزاوي، عباس، الكاكائية في التاريخ، شركة التجارة و الطباعة المحدودة، بغداد 1949، ص 8.
26-المصدر نفسه، ص 19.
27-الصراف، احمد حامد، الشبك، م. المعارف، بغداد 1954، ص 7.

الثقافة والوجود*

دراسة مقتضبة حول الثقافة الكردية المعاصرة

اعداد: دانا أحمد مصطفى

توطئة:

قبل الولوج في خضم هذا البحث المقتضب علينا ان نستعرض الخطوط العريضة للحقب التاريخية التي مرت بها الثقافة واللغة الكرديتان في كوردستان.. المنطقة الجبلية الوعرة التي تمتد من سلسلة جبال زاغروس جنوبا حتى هضبة الاناضول شمالا، والتي تسمى بارض كردستان، موطن الكرد، حيث تنشطر حاليا بين دول في الشرق الاوسط.. بعد مخاض طويل بين المقاومة والتقوقع في دين قديم والاستسلام والانفتاح امام دين جديد، من قبل شعب ضرب جذوره في العرفان الشرقي والحكمة الايرانية من جهة، وبدأت تشده ثقافة دينية جديدة مطعمة ببيان عربي وافد من الصحراء المولدة لثراء ايقاعي بطبيعتها من جهة اخرى.. اذ بدون ذلك العرض لا يمكننا قراءة الواقع الحالي للثقافة الكوردية بالدقة المطلوبة.

بالنسبة للغة الكردية فهي تنتمي الى فصيلة اللغات الهندو اوربية قسم اللغات الهندو ايرانية، الا ان هذا الانتماء الى هذه المجموعة اللغوية لا يعني بأية حال من الاحوال عدم استقلال اللغة الكردية بين لغات العالم الحية، اذ بالرغم من وجود التشابهات الكثيرة بينها و بين لغات هذه المجموعة من النواحي المذكورة الا ان لها اصولها و قواعدها و تطوراتها و دلالاتها و اشتقاقاتها الخاصة، و هي ليست فرعا من اية لغة اخرى.

لدراسة اصل اللغة الكردية تجب مراجعة اقدم المؤلفات المكتوبة باللغات الايرانية و لعل اقدم هذه المؤلفات هو كتاب – افستا- كتاب الدين الزردشتي و الذي كتب في حوالي القرن السابع قبل الميلاد.

وتدل الدراسات التاريخية على ان ما وصلتنا من كتب زردشت نزر قليل مما كانت عليه. فقد ذكر المسعودي في مروج الذهب ان الابستاق –أي الافستا كتب في اثني عشر الف مجلد بالذهب، فيه وعد

ووعيد وامر ونهي وغير ذلك من الشرائع و العبادات، فلم تزل الملوك تعمل بما في هذا الكتاب الى عهد الاسكندر و ما كان قتله لدارا بن دارا فاحرق الاسكندر بعض هذا الكتاب ثم صار الملك بعد الطوائف الى اردشير بن بابك جمع الفرس على قراءة سورة منه يقال لها اسناد.

وتدل جميع الدراسات الانثوغرافية الحالية على ان الامة الكردية هي من السلالات الميدية ولعل من اكبر المستشرقين الذين دافعوا عن هذا الرأي هو العلامة مينورسكى. يقول الاستاذ احسان نورى بهذا الصدد: في الحقيقة مع ان الالفاظ والكلمات الميدية قد اختلطت بالكلمات والالفاظ الطورانية والسامية من جهة ومرت عليها عصور مختلفة، حيث احدثت فيها تغييرات كبيرة لا يمكن نكرانها او اجتنابها من جهة اخرى ولكنها مع ذلك هي اقرب الى اللغة الكردية من اية لغة اخرى والاستاذ ديرك كينين على هذا الرأي ايضا يقول: ان اللغة الكردية متفرعة من اللغة الميدية، حيث يعتبر الميديين اصلا رئيسيا للكرد.

وقد ايد هذا الرأي كثير من المؤلفين العرب ايضا نذكر منهم الدكتور محمد السيد غلاب استاذ الانثروبولوجيا بجامعة القاهرة فهو يقول: و قد ظلت ارض الجزيرة و شمال العراق تستقبل هجرات البدو الهندية – الاوروبية من وسط اسيا بما تحمله من صفة الشقرة و هذه المنطقة هي وطن الكرد في الوقت الحاضر و هم سلالة الميديين القديمة التي ظهرت في الالف الاول قبل الميلاد وتنتشر بينهم صفات الشقرة بشكل واضح وهم يتحدثون لغة هندية اوروبية و يحتلون منطقة الحدود المشتركة بين العراق و ايران و تركيا.

***

من هنا لابد من الاشارة الى اننا نقصد بالثقافة الكوردية الثقافة المكتوبة باللغة الكوردية، اذ هناك مثقفون كورد كتبوا باللغات العربية والتركية والفارسية وابدعوا بها بحيث صاروا من الرموز الادبية المشار لها بالبنان، كان هؤلاء مثقفين كوردا بحق معبرين فعلا عن الثقافة المحلية مستخدمين الافكار الكوردية، كما كانت مادتهم في بناء صورهم الادبية والمعرفية كوردية بحتة، ولكننا نعود ونقول اننا نعني هنا بالثقافة الكوردية الثقافة المدونة باللغة الكوردية وحدها.

تعتبر هذه الثقافة ثقافة حديثة الظهور، بل حديثة التبلور نسبيا اذا قارنّاها بثقافات الشعوب الاخرى المجاورة، أو هكذا يبدو الامر بعد القاء نظرة سطحية، وسواء ان كانت كذلك فعلا أم لا، فهي ثقافة منضوية على نفسها في الوقت الحاضر، غريبة عن اذهان مثقفي الجوار بعض الشيء، غير منفتحة بوجه الثقافات العالمية بالمستوى المطلوب. وهذا الوضع له صلة بشكل أو بآخر بالوضع السياسي السائد في كوردستان، فالحكومات التي أمسكت بمقاليد الامور في الدول التي تقسم كوردستان فيما بينها منذ ما بعد انهيار الدولة العثمانية، لم تنفك تحارب الثقافة الكوردية كجزء من حربها على القومية الكوردية، لأنها تعي باستمرار ان كل تطور ثقافي كوردي بإمكانه ان يفتح نافذة بوجه القضية

القومية الكوردية في المحافل الدولية، وبالتالي سيضر ذلك التطور بأمنها القومي ومصلحتها القومية حسب تعريفها هي للكلمتين على الاقل.

وليس هذا وحده السبب في الوضع المزري الذي تعاني منه الثقافة الكوردية حاليا ان صح التعبير، اذ حتى قبل انشطار الدولة العثمانية ونشوء الدول الحديثة في المنطقة، كانت الثقافة الكوردية غائبة نوعا ما، لقد اقتصرت الحركة الثقافية الكوردية برمتها في بعض القصائد التي نظمها جيل من الشعراء خلال القرن التاسع عشر باللغة الكوردية، وقد فعل شعراء قلائل، وحتى قصائد هؤلاء الشعراء الاوائل كانت في معظمها تتمحور حول الحب والتصوف والتغني بالطبيعة ومشاهدها، أي كانت قصائد تعتمد على فن تهذيب القوافي وتعقيد الكلمات والجمل، مع الالتزام بالاوزان المعروفة في الشعر العربي حينذاك، مما يمكّننا من القول ان كل هؤلاء الشعراء مجتمعين لم يتمكنوا من تجاوز المشهد الشعري نحو مشهد ثقافي حقيقي اوسع ولو بقليل.

ولكن وإن لم يكن السبب هو ذاته في الظاهر، الا ان الأمر لا يخرج عن الاضطهاد القومي الذي مورس بحق الكورد طوال التاريخ القريب والبعيد والذي أخر الى ابعد مدى ممكن ظهور ثقافة مكتوبة باللغة الكوردية، فمنذ اعتناق دين الاسلام من قبل الكورد، اصبحت لغة القرآن هي لغة العلوم التي يتلقاها الكوردي بما ان العلوم اساسا انحصرت في المسائل المتعلقة بالدين الجديد، هنا يمكن القول بين قوسين ان هناك الكثير من الآراء حول وجود مكتبة كوردية موغلة في القدم تعرضت للتطاول ابان الحملات العسكرية القديمة، لكننا لا يمكن أن نبني نظرة تحليلية ونقدية بخصوص مكتبة لم تبق الأ أخبارها فقط. وكانت هناك بعض المصادر التي كتبت باللغتين الفارسية والتركية يتم تدريسها كذلك في المدارس الدينية في كوردستان، من هنا كان يعاب على الكوردي الذي يحسب نفسه متعلما أو مثقفا بمفهوم تلكم العصور انه لا يتقن لغة القرآن واللغتين الاخريين اللتين كما قلنا كتبت بهما مصادر علمية قيّمة واساسية. ولكي يبيّن ذلك المثقف درايته بتلك اللغات، صار يكتب بها ويتفنن بمفرداتها ويهتم بخفاياها اكثر من اهتمامه بخفايا لغته الام. وقد اصبح لاحقا تعلم اللغات تلك دون العلوم الدينية هو بحد ذاته من الاهتمامات الجديرة ببذل المساعي.

عموما، يمكن اعتبار مطلع القرن العشرين هو البداية الحقيقية لتبلور المشهد الثقافي الكوردي بالمعنى الذي نقصده، حيث تطور مفهوم الشعر قليلا عما كان عليه في القرون السالفة، بحيث اصبح الشاعر يتطرق ولو على مضض لقضايا اجتماعية (كما عند قانع) وفلسفية (كما عند ڤيرةميَرد) ووطنية وقومية (كما عند بيكس). كما ظهرت الى الوجود الصحافة الكوردية التي تشكل جانبا مهما وحيويا من المشهد الثقافي، وبظهورها بدأ جيل من الكتاب المثقفين من غير الشعراء، من كتاب المقالات الصحفية الى محرري الاخبار وكتاب القصة والخواطر، وصولا الى المحللين السياسيين، رغم اللغة البدائية

والسطحية التي استخدمت في البداية في هذا المجال. وقد أسس الشعراء الاوائل الذين اشرنا اليهم استخدام اللغة الام في الكتابة بدلا من لغات الشعوب الجارة.

موضوع بحثنا هنا هو المشهد الثقافي الكوردي المعاصر، المشهد الذي قلنا بداية انه منضوٍ على ذاته نوعا ما وغريب بعض الشيء عن اذهان مثقفي الجوار، ولكي نحدد تفاصيل هذا المشهد علينا المرور بشيء من الايجاز بالمراحل التي قطعها خلال القرن العشرين، أي منذ بداية تبلوره وظهوره وصولا الى ما هو عليه حاليا.

مرت هذه الثقافة خلال القرن العشرين بمراحل متعددة ومختلفة تماما عن بعضها، تلك المراحل تحددت ملامحها حسب الظروف السياسية والاجتماعية المتغيرة باطراد، وكذلك حسب رقي مستوى الانفتاح الثقافي نسبيا بعد كل مرحلة، ولكي نتعرف على تلك المراحل وخصوصيات كل مرحلة منها، علينا أخذ عينات من المشهد الثقافي السائد في كل فترة:

المثقف الواعظ:

كانت الثقافة السائدة في كوردستان عشية الحرب العالمية الاولى هي نوعا ما امتداداً للنمط الثقافي السائد في القرن التاسع عشر والفترات التي سبقته، حيث ان خريجي المدارس الدينية والجوامع هم من اطلقت عليهم تسمية المثقف، هذا المثقف، مثقف مطلع القرن العشرين له بشكل عام مجموعة من الخصال التي اكتسبها من النمط التعليمي الذي تلقاه في المدارس المذكورة، مضافا إليها الخصال التي كونتها لديه الظروف والاحداث التي طغت على الساحة السياسية في تلك الاثناء، كانحصار معارفه في علوم الدين وما يخص اللغة العربية وربما القليل من اللغتين الفارسية والتركية، وكذلك سطوة نزعة القاء الوعظ والنصائح لديه بما ان الجوامع تخرّج الوعاظ اكثر من تخريجها للباحثين، والتفاؤل الذي تكون لديه لتأثره بالظروف التي فتح عينيه عليها والاحداث التي عاشها حيث استقلال معظم الشعوب التي كانت ترزح تحت نير الدولة العثمانية وظهور الدول القومية على انقاض الامبراطورية العثمانية المنهارة. أي باختصار، كان مثقف مطلع القرن العشرين واعظا متفائلا يتقن اكثر من لغة في اغلب الاحيان الى جانب اللغة الام.

هذا التعريف الموجز لمثقف مطلع القرن العشرين يساعد في معرفة الخطوط العريضة للمشهد الثقافي في تلك الحقبة التاريخية، فحين نعود الى نتاجات الشعراء الذين ذاع صيتهم في تلك الفترة، يمكن ان نقرأ بوضوح تام النصائح التي كانوا يقدمونها للعامة من الناس ممَن لا يفقهون حسب ظنهم (وكان ظنهم في محله الى حد ما)، بين من يدعو الى الاخوة ويرشد الناس الى التعاون والمحبة، ومن يذكّر الجماهير بمصير الأمم التي تناحرت فيما بينها، ومن يهدد بغضب الله الذي ينزل على الامم الفاسدة وغير المنصاعة لأوامره و.. و..الخ.

وبعيدا عن اجواء الشعر، حيث ظهرت كما اسلفنا نشاطات ثقافية اخرى ايضا، نلاحظ ان المقالات الصحفية مثلا في تلك الفترة كانت هي الاخرى برمتها (باستثناء الاخبار المحررة) عبارة عن

مجموعة من النصائح والارشادات المثالية، التي توحي وبالاستناد الى الافكار المثالية المقتبسة من التعاليم الدينية الى ان تزكية الروح الخيّرة كفيلة بكسب نصرة الله الى قضايا الشعب، وبالعكس، انصراف الناس الى اللهو والى أي شيء ممّا يثير حفيظة الخالق، سيكون سببا في النكسات القومية، بمعنى ان الطريق الى الحرية والرفاه والاستقلال السياسي يمر من خلال العادات الجيدة والنفوس الخيّرة.

وماعدا النمط التعليمي الذي استقى المثقف منه كل معارفه ومعلوماته وافكاره، كان هذا المثقف الواعظ تحت تأثير امرين مرتبطين ببعضهما ارتباطا عضويا، أولهما تبلور الفكر القومي الاستقلالي الذي تحدثنا عنه، في كوردستان، وعلى خلفية المستجدات السياسية التي شهدها العالم وظهور الكيانات السياسية الحديثة كما اسلفنا الذكر، والثاني هو ظهور الصحافة التاريخية كتابع للحركة القومية الاستقلالية المتبلورة حديثا، وكمؤثر بفعالية في المشهد الثقافي وكجزء من ذلك المشهد في الوقت ذاته. وكان دور الصحافة يتلخص في جانبين مهمين على الاقل، اولهما اتاحة الفرصة لأول مرة في التاريخ امام المثقفين الكورد لايصال صوتهم ونتاجاتهم الى اوسع القطاعات، وثانيهما نقل اخبار العالم وتمكين المثقف الكوردي من الوقوف على ما يحدث خلف الحدود، وقد ادى هذا تدريجيا الى نشوء حلم مشترك يتلخص في أمل حدوث ما يجري في العالم الخارجي في كوردستان ايضا.

هكذا يمكن تلخيص الخطوط العامة للمشهد الثقافي الكوردي في مطلع القرن العشرين على النحو الآتي:

1-تجاوز المشهد الشعري الاحادي وظهور ابواب اخرى للثقافة، كالصحافة والادب القصصي لاحقا والتحليل السياسي (في شكله البدائي) و..الخ.

2-حدوث شيء من التلقيح بين المشهدين الثقافي والسياسي في كوردستان لدرجة امتزاج المشهدين ببعضهما لاحقا وكما سنأتي على ذكره، وذلك لحساسية المرحلة وشعور المثقف بأنه وامته واقفان امام فرصة تاريخية نادرة، وكأن به احساسه الداخلي يخبره بأن تلك الفرصة ممكن اضاعتها عن طريق الخطأ.

3-اعتبار المثقف نفسه ناصحا ومرشدا للعامة من الناس، ووفق هذا التفكير كان لابد من رسم اطار من الالتزامات الاخلاقية وحتى الدينية للمثقف، ليصبح قدوة للأمة، وبالتالي اعتبار تلك الالتزامات من المعايير الاساسية التي يقاس بها المستوى الثقافي.

4-طغيان لغة التفاؤل في النتاجات الثقافية بالنظر الى الاحداث العالمية التي كانت في مجملها مشجعة للآمال.

تنتهي هذه الحقبة من المشهد الثقافي الكوردي عند ارتطام حلم تأسيس الدولة الكوردية المستقلة بحائط الواقع السياسي العالمي الحائل دون حدوث ذلك وما تلا ذلك من احداث ومستجدات، وكذلك عند ظهور المدارس الاكاديمية التي ساعدت في ظهور مثقفين جدد اكثر التزاما بالمنهجية واكثر توسعا في المعلومات.

المثقف المناضل (أو المثقف السياسي)

الحقبة التالية تبدأ في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية، فعلى المستوى الثقافي البحت، تميزت هذه الحقبة كما اشرنا سابقا بظهور خريجي المدارس الاكاديمية الذين اعتمدوا المنهجية اكثر من اسلافهم، وبتوسع المشهد الثقافي نفسه اكثر فأكثر، حيث ظهور جيل الرواد من الفنانين التشكيليين والمسرحيين والموسيقيين.

كان يمكن لهذا التوسع ولدخول المنهجية في المجال الثقافي ان يؤديا الى القضاء على لغة الوعظ التي كانت سائدة من المرحلة السابقة واستبدالها بلغة انتقادية حيادية، ولكن ظروف كوردستان الخاصة والذكريات التي خلفتها الانتكاسة القومية حالتا دون هذا التطور الطبيعي، وبدلا من ذلك بدأ جيل من المثقفين المتأثرين بالانتكاسة القومية وبسقوط مملكة الشيخ الحفيد في السليمانية واخماد الثورة التي اعلنها لاحقا، يفقدون الثقة تدريجيا بالقيادات الدينية والقبلية موجهين لها الانتقادات والاتهامات على اعتبار انها هي المسؤولة عن عدم بلوغ الاهداف القومية المنشودة وعن النكسة القومية وعن المعاناة الجسيمة التي آل اليها وضع الكورد، ومن هذا المنطلق بدأ المثقفون الكورد يفكرون جديا في سحب البساط من تحت اقدام تلك القيادات التقليدية واخذ اماكنها. أي اصبح الامتزاج بين المشهدين الثقافي والسياسي اكثر حدة من الاول، وتحولت لغة الوعظ الى لغة الامر والنهي.

فمعظم الاحزاب والجمعيات السياسية التي تشكلت قبل وابان وبعد الحرب العالمية الثانية هي أحزاب أسسها مثقفون تحولوا الى ساسة ومنظرين نتيجة النكسة، مثال هؤلاء ابراهيم احمد ورفيق حلمي وغيرهما.

وقد امتدت هذه الحقبة الى ما بعد الستينيات من القرن المنصرم واندلاع الثورة المسلحة في كوردستان العراق التي ادت الى تسيّس المشهد الثقافي الكوردي اكثر فأكثر، حتى ان الكثير من المثقفين التحقوا بالثوار وتخندقوا في الجبال حاملين سلاح المقاومة والتحدي، بل وصل الامر حدا في بعض الفترات بحيث صار الاخلاص للثورة هو المعيار الوحيد لديهم لقياس ثقافة المثقف، وظهر الى الوجود المثقف البيشمركة من امثال شيركو بيكس ورفيق صابر وعبدالله بشيو من الشعراء وكارزان عمر ومحمد جزا من الموسيقيين وخالد رسول من التشكيليين وغيرهم.

لقد جعلت الثورة المسلحة التي اندلعت في كوردستان من الرموز غير المفهومة بسهولة السمة البارزة للخطاب الثقافي في هذه الحقبة، فصارت الاشعار اشبه بألغاز ومتاهات تتعب المتلقي الباحث عن مخرج منها، وحتىَ بعض الشعراء الذين التحقوا بالثورة ولم يعودوا بحاجة الى اخفاء افكارهم آنذاك، قد طغى على نتاجاتهم الطابع البلاغي الثوري وبالتالي افتقرت نتاجاتهم الشعرية الى الصور الفنية الحقيقية التي تسرق فكر المتلقي وتأسر قلبه وتجعله يهرع لانهاء قراءة النص للوقوف على

الصورة الاجمالية، اما بعض شعراء المهجر فقد اثرت فيهم الغربة بدورهم وصاروا ينشدون للعودة وحدها في اغلب الاحيان واصبح نتاجهم الشعري في الغالب عبارة عن رثاء للوطن الذي فارقوه مرغمين. وما قيل عن الشعراء هو نفسه بخصوص غيرهم من المثقفين، ولكي نتمكن من تقييم المشهد الثقافي الكوردي في تلك الحقبة، ينبغي لنا ان نميز بين ثلاث فئات رئيسية من المثقفين والظروف المحيطة بكل فئة منها.

اولا: مثقفو الساحة:

او كما كان يطلق عليهم في كوردستان حينها (مثقفو الظل)، وهم المثقفون الذين آثروا البقاء في كوردستان رغم الظروف القاسية ورغم الخوف والذعر اللذين كان وجود الانظمة الاستبدادية يمثلهما لهم.

ان مثقفي هذه الفئة هم اكثر المثقفين لجوءا الى الالغاز والرموز المبهمة، والسبب واضح وبسيط، وهو انهم كانوا يعيشون في كنف السلطات ويحاولون الابداع وهم تحت مراقبة الاجهزة القمعية لتلك السلطات، وفي الحقيقة لم يعانِ هؤلاء المثقفون من بطش الحكومات وحدها، بل من بطش الجماهير ايضا، وما دفع هؤلاء الى هذه الالغاز هو ان العديد منهم قد اتهم بالولاء لتلك الحكومات والوقوف معها في مواجهة التطلعات الشعبية العامة، فاضطر الباقون الى اظهار افكارهم ورغباتهم الحقيقية للمتلقي عسى ان يفهم ما يرمون اليه، وفي الوقت ذاته كان عليهم ان يحترسوا من الرقيب الفكري الذي كان الحكام يسلطونه على كل ابداع فكري، ولا مناص من اللجوء الى الرموز للتوفيق بين طرفي هذه المعادلة الدقيقة والحساسة.

هذا الوضع قد يكون طبيعيا في بعض المجالات الثقافية، كالشعر والفن التشكيلي وحتى الموسيقى والمسرح، ولكن ماذا سيكون حال الصحافة الخبرية والتحليلات السياسية وما الى ذلك من مجالات ثقافية حيوية. فالتحليل لا يتحمل التبطين كما هو حال الشعر على سبيل المثال،

في الوقت ذاته استفاد هؤلاء الشعراء من بعض الامور، اهمها مسألة الانتشار بما ان الصحف والمجلات والنشرات الادبية الصادرة كانت تساعدهم على نشر نتاجاتهم، فباتوا معروفين لدى المتلقي المحلي اكثر من غيرهم وصارت نتاجاتهم اكثر تداولا من قبل الناقد الادبي الذي له دور مهم في تطور الشعر..

ثانيا: مثقفو الثورة:

وكان يطلق عليهم ايضا (مثقفو الجبل) وهم مجموعة المثقفين الذين التحقوا بصفوف الثورة المسلحة وصاروا ينشدون لها..

هؤلاء لم يعانوا ما عاناه مثقفو الظل من حيث كره الجماهير، بل صاروا بمثابة اناس مقدسين بما انهم رفضوا حسب ظن المتلقي حياة الذل والهوان وآثروا العيش في شعاب الجبال على قبول الذل، كما انهم تحرروا من الرقيب الفكري وصاروا يكتبون ويقولون ما يروق لهم دون خوف او ذعر، ولكنهم عانوا في المقابل من امور اخرى قد اطرت ابداعاتهم ايضا، ويمكن تلخيص اهم تلك الامور في حالتين:

1-محدودية الانتشار حيث الظروف الصعبة التي كانت تحيط باعلام الثورة والافتقار الى الاجهزة الخاصة بالطبع والنشر، فلم تصل نتاجات هؤلاء الى اوساط المتلقين الحقيقيين والى ايدي النقاد ايضا على صعيد واسع، وبالتالي كانت نتاجاتهم محصورة في اوساط ضيقة ويتناولها القراء بسرية تامة كما يتناولون المناشير الحزبية.

2-طغيان لغة العنف التي تتميز بها الثورات في اشعارهم والابتعاد عن الخيال الرقيق والمرهف الذي يخص الشعراء والادباء والموسيقيين وكذلك التحليل الموضوعي والحيادي الذي يخص الكتاب المحللين، هذه الحالة حولت معظم مثقفي الجبل الى سياسيين ثوريين يروجون للقتل والانتقام والعنف، وحتى نتاجاتهم الثقافية نراها مقتبسة من الظواهر الخاصة بالحروب والمواجهات، فنرى كلمة الدخان مثلا هي اكثر الكلمات الموجودة في شعر شيركو بيكس على سبيل المثال، ونرى التشبيه بين حب المتيم لحبيبته بحب الجندي لبندقيته و..هكذا.

ثالثا/مثقفو المهجر:

يبدو من الوهلة الاولى ان مثقفي المهجر لابد ان يكونوا قد تحرروا من مشاكل كلتا الفئتين السابقتين، وفعلا تلك المشاكل لم يعد لها وجود في نتاجات هؤلاء المثقفين الذين تركوا اوطانهم واقاموا في ارض الغربة، فلا رقيب ولا ثورة، بل والاضافة الى ذلك الاحتكاك المباشر بالادب العالمي والوقوف على آخر التطورات الطارئة على مفهوم الشعر، فصاروا يستفيدون من درايتهم بالآداب العالمية.

ولكن لم يكن هؤلاء بمنأى عن مشاكل متعلقة بنتاجهم الثقافي، فهم قبل كل شيء قد تركوا اوطانهم ويمكن معرفة صعوبة فراق الوطن والعيش في بيئة غريبة بكل ما للكلمة من معنى، من هنا طغت على نتاجهم لغة الرثاء للوطن المهجور، فكان الحزن هو السمة البارزة لثقافة المهجر.

3-المثقف المتأمل: وفي نهاية الثمانينيات من القرن المنصرم مرت كوردستان بتجارب مريرة، بدءا من حملات الانفال التي شنتها السلطات العراقية ضد قرى وقصبات كوردستان، مرورا بتشرد البيشمركة الكورد على الحدود مع ايران وتركيا والقضاء على الثورة المسلحة نوعا ما، وانتهاء بالاقتتال الداخلي الذي عانى منه ومن نتائجه الوخيمة كل افراد الشعب الكوردي والمثقفين من ضمنهم، كل هذه المآسي انهت حقبة المثقف السياسي المناضل واعلنت عن بدء حقبة جديدة من المشهد الثقافي قد تصح تسميته بحقبة المثقف المتأمل السائل عن الحقيقة.

فقد جرب المثقف الكوردي طيلة القرن العشرين عجز القادة القبليين ومن بعدهم القادة المثقفين عن تحقيق تطلعات الكورد، وهذه التجربة دفعت به الى الانعزال عن السياسة والبحث عن مشهد ثقافي مستقل لا يمت بصلة الى السياسة وعالم السياسة.

اهم ما يتميز به مثقفو هذه الحقبة عن مثقفي الحقب السابقة هو ان المشهد الثقافي اصبح هذه المرة وبفضلهم ناقدا حقيقيا، يقرأ الاحداث والامور والاشياء بانتقادية تامة غير آبه بالوطنية والقومية وما الى ذلك، فليس الاعداء والمحتلون هم وحدهم

الذين هم يجدر بنا نقد سياساتهم وتصرفاتهم، بل العنصر الكوردي ايضا، وليست السياسة وحدها هي محور اهتمام المثقف، بل تجاوز المثقف الكوردي هذه المرة تلك العقدة السياسية وصار يتأمل في كل الاشياء الموجودة، ناهيك عن ان المثقف الكوردي لم يبق ذلك الناقد الواعظ البسيط الذي يتدوال الامور بسطحية، بل ذهب يعتمد المنهجية في التحليل معتمدا في ذلك على كم هائل من المعلومات والذخيرة الفكرية الموجودة المقتبسة من الثقافات العالمية المعاصرة.

لقد تجاوز المشهد الثقافي الكوردي، متأثرا بالمدارس العالمية المعاصرة، كل المفاهيم التقليدية التي ترسم الاطر للمثقف، ففي حين كان سابقا يشترط في المثقف ان يكون ذا اخلاق حميدة وصفات انسانية كذا وكذا ومحترما بين الناس و.. و.. الخ، اصبحت هذه الامور غير ذي اهمية لاحقا، فيمكن ان يكون هناك شخص غير مهذب وغير محترم وحتى غير ملتزم اخلاقيا، ولكنه مثقف حقيقي له افكاره الخاصة وطريقته الخاصة في التعامل مع الساحة الثقافية.

المصادر

1-مقدمة اناء الالوان للشاعر الكبير شيركو بيكس ترجمة الي العربية وقدم له الاستاذ شاهو سعيد، دار الآداب.

2-الصمت والسعادة، مريوان وريا قانع، دار سردم للطباعة والنشر 2004.

3-نظرة سريعة حول اصل اللغة الكردية –اكرم قرداغي- سردم العربي العدد 2، سنة 2004.

*بحث مقدم الى مهرجان (العراق والحضارة) الذي اقيم بدولة الامارات العربية.

ان الكرد هم شعب موجود في هذه المنطقة، وله فيها جذور تاريخية، وهذا الوجود يعود الى القدم الذي وجدت فيه شعوب المنطقة الاخرى. اذ ثمة اشارات توثيقية كثيرة تشير الى وجود الكرد كشعب وكجماعة لعبوا دورا في تاريخ المنطقة، سواء من خلال هويتهم المستقلة ككرد، او ضمن بوتقة الهوية الاسلامية العامة. انطلاقا من ذلك فانا لاتردد في اعلان تأييدي لهذا الشعب الذي له هويته ولغته وتقاليده وارضه، لنيل حقوقه القومية المتمثلة في دولة مستقلة كما لكل الشعوب الاخرى في هذا العالم.

الاستاذ الراحل ممدوح عدوان
مثقف عربي من سوريا، شاعر ومسرحي

إشكاليات المثقف العراقي

وليد خالد أحمد حسن*

كاتب وباحث – بغداد

بما يشبه المقدمة

لاشك أن الحديث عن المثقف العراقي وأزماته المتمثلة في تحديد مواقفه وتفعيل أدواره وإشكالية علاقته بالسلطة، يقود إلى الحديث عن المفهوم الدارج للثقافة الذي جنى جناية كبيرة على الثقافة وعلى موقع المثقف في المجتمع، هذا المفهوم الذي رسخه عملياً النفعيون وأدعياء الثقافة. ولهذا السبب تراجعت مكانة المثقف عندنا، من مستوى العلم والثقافة والوجاهة في المجتمع ولدى الحاكم والسلطة المعنوية والأدبية والفكرية وموئل الضعفاء وملاذ المظلومين في مجتمعنا التقليدي إلى الإنسان الذي لا يفيد، الفائض عن الحاجة الذي ينتحل وظائف لا وجود لها أو غير القابل للتمثل والاندماج والذي ترتاب فيه السلطة وتؤلب عليه الدهماء وأجهزتها أن تطاول وخاض في هرطقة سياسية واجتماعية واقتصادية، هذا المفهوم الهابط للثقافة تضافر واقترن بوضع ملتبس وبائس للمثقف في فهم الخاصة والعامة، فغدا كل متعلم – يفك الحروف – وكل اداري وكل من يرطن بمفردات أجنبية لها علاقة بالمطبخ والحافلة والمقهى والسوق والحانات والبغايا.. يعد مثقفاً. أما المثقف المفكر الكاتب المبدع المنتج فلا شأن له ولا يؤبه له في مجتمع أمي طغت عليه القيم المادية واللاأبالية، وانحسار الأخلاق وفقدان الاتجاه والهدف من الحياة.

في يقيني، أن قيام حوار صريح ترعاه مؤسسات المجتمع المدني الحالية – على علاتها – حول المسألة

الثقافية والفكرية وتداعياتها في العراق أفضل بكثير لواقع عراقنا ومستقبله من إنشاء وزارة للثقافة على رأس دوائرها أدعياء مغامرون عابرون...

إن حواراً جاداً ومعمقاً وهادفاً إلى مصالحة الذات بمناقشة أزمة الثقافة العراقية وإشكاليات المثقف العراقي ووضعهما في المجتمع والبناء الفكري بتعزيز القيم والمعايير الوطنية الاجتماعية الروحية، وإحياء الفضاء الثقافي، وتفعيل شروط الحياة الثقافية والفكرية، وإحلال الشرط الثقافي المكانة اللائقة به في سلم الاولويات والمناصب والمسؤوليات. أن حواراً كهذا كفيل بإعادة الثقة إلى النفوس وإشاعة روح الاطمئنان والأمل في التخلص من العقد والانكسارات وردم الهوة بين الواقع الكئيب والممكن المنشود والتشوق إلى مرتجيات عهد جديد بكثير من الأمل والثقة والعمل المنتج.

إن الحالة الثقافية الفكرية في العراق معقدة ومحزنة حقاً، فنحن منذ تأسيس دولتنا لم ندشن حواراً فكرياً ثقافياً متفاعلاً ومثمراً، وما ينشر على صفحات جرائدنا ومجلاتنا من حين لأخر هو عزف منفرد وصوت نشاز لا ندري هل يقرأ ويترك أثراً يختمر في النفوس ويفعل فعله في لاحق الأيام أم لا يشغل أكثر من الصفحات التي شغلها وسودها ؟

لقد كنا نؤمن بالتراكم الذي ينتج التوعية والانطلاقة، ولكن بعد أكثر من أربعة عقود من الانتظار الأبله حصل تراكم الرداءة وسادت قيم التخلف والجهل والرعونة وطغيان الأمية، أمية الفكر وأمية التعليم، واقع تعبر عنه دلالة تلك المقولة التي شاعت بين المثقفين والمتعلمين وعامة المجتمع:- ماذا تفيد الثقافة ؟ ما فائدة العلم ؟ لأن كل شيء في مجتمع متخلف منهزم تنهشه إمراض الأنانية، أصبح يقاس ويوزن بمكونات الحياة الرخيصة – أكل، وشراب، مقتنيات مادية، نساء... إما سمو الروح وقوة الإرادة والإبداع وسعة الخيال وحرية الفكر وما يستتبعه ذلك من أمل في حياة أكثر انفتاحاً وحرية وثقة في قدرات الذات ونقد فعال لحياتنا الثقافية والسياسية والاجتماعية، وحوار متكافئ يرسم اتجاهات فكرية تعبر عن تيارات سياسية اجتماعية يتجسد فيها الحق في الاختلاف مثل الحق في الوجود دون النزوع إلى التسلط والهيمنة والابتزاز الذي يمارسه بعض السياسيين، وتسيد الثقافة الارتجال والمناورة وأساليب المكر، فذلك، كله غائب وغير مرغوب فيه، ويبدو انه بعد واحة الديمقراطية واستعادة عافية الروح ونقاء الضمير.

لقد ضاع منا حتى ما كان يبشر بمستقبل ثقافي وحوار فكري واعد كانت تتجلى فيه بذور الاتجاهات التي كانت تحاول التعبير عن نفسها متسترة تحت غطاءات مخادعة، مثل كتابات جيل الخمسينيات والستينيات، لقد كان هذا الجيل برغم الاختلافات وتعدد الانتماءات، طمح إلى تأسيس واقع ثقافي ورعاية واحة الفكر التي يتفيأ ظلالها رجال السياسة، ولكنه اخفق. اشتبهت عليه أشجار الغابة وطرائدها، وتناهبته الايديولوجيات، فلم يفلح في بناء مدرسة عراقية فكرية حية لا تنحني إمام الأعاصير ولاتسقط في مستنقع سنوات الدماء والردة

وجنون تدمير الذات، وسياسات الارتجال والمغامرة والحقد وسديمية النظر.

إن جيل هذين العقدين وما تلاهما.. مثل الجيل السياسي ولنفس الفترة الزمنية أخفق في تأسيس مدرسة عراقية فكرية، ومن ثم فأن الفكر السائد اليوم هو فكر التسطيح والضحالة والاعتيادية، الفكر المنهزم الذي يدافع عن البدهيات ويرفع شعار المسلمات في عالم كل شيء فيه يتغير ويتجدد ويكرس الجمود والرتابة ويحمي طقوس الموت المجاني، جيل يدلف نحو نهايته ويدخل في المحاق حاملاً أحلامه المجهضة.

هل مطرقة السلطة أم بريقها كان هو السبب ؟ أم أن مرحلة بناء الدولة ومؤسساتها بعد إعلان جمهورية العراق وما تتطلبه من جهود الموظفين العاملين في مفاصل السلطة حالت دون نجاح هذا الجيل والأجيال التالية له، وأفشلت المشروع ؟

أليست هذه الأسباب التي كثيراً ما نتذرع بها هي من العوامل التي تساعد على تأسيس ثقافة وطنية متقدمة وترسيخ مدرسة عراقية فكرية فلسفية تتفرع على السياسة والاقتصاد والتعليم والعلوم والتاريخ والاجتماع.. تحدد المعالم وتثبت المقومات الأساسية، وترقي ملامح التنوع الثقافي الوطني في أطار الوحدة العراقية، وتمكن لحركة الإبداع والخلق والاستقلال من أن تنطلق في مسارها الصحيح، مدرسة تتغذى من الإبداع العالمي الإنساني وتغتني من مخزونها التراثي الحي وتجسد التواصل والأنساق والتكامل، أن على المستوى الأفقي أم العمودي، مدرسة تناضل من اجل افتكاك حقها في المشاركة في رسم معالم المستقبل وتوجهاته، وتمارس هذا الحق في الصيرورة التاريخية للمجتمع من خلال التعليم والمؤسسات الإعلامية والكتابية لفضح وتعرية المغاليق السياسية والدينية واقتحام المحرمات في المعابد المدنسة، بالنقد جوهر الموقف الإنساني.

أليس من نتائج هذا الركون إلى كنف التدهور إن تنزل الأنظمة السياسية – من 14/ تموز / 1958 إلى 7 / تموز/ 1968 – بمؤسساتها إلى استرضاء واستخدام واستعباد أصحاب المهمات القذرة والتقرب من المغامرين وذوي السوابق القانونية وسماسرة المواقف والأميين وإنصاف المتعلمين من المغامرين والمتاجرين بكل شريف ونبيل ليصبحوا من ذوي الشأن في تسيير الشأن العام ؟

إن اللغة العربية دقيقة في وصف هؤلاء بأوصاف تليق بكل صنف، فهي بعبقرية لا نظير لها تفرق بين الراجن والراشن والوالغ والواغل والمهتلك، فهي صفات تميز حالة كل آكل من موائد السلطة، وبخاصة سلطة البعث التي لم يستطع المثقف العراقي أن يسمق أليها فنزلت إليه لغاية في نفسها، ولم تستيقظ هذه السلطة وتتفطن إلى أنها بنزولها إلى مستوى هؤلاء إنما هي تكرس الرداءة وتديم التخلف وتعيق الانطلاقة؟

إن القضية المركزية التي للأسف لحد الآن لم تتناولها الكتابات العراقية بشكل جدي ويشتد النقاش حولها، إلا وهي قضية علاقة المثقف العراقي بالسلطة – ركزنا على السلطة البعثية فقط دون

غيرها من السلطات السابقة أو اللاحقة لها — وهي مسألة ترتبط برباط وثيق بالمسألة الثقافية التي نحن بصددها، وهذه العلاقة في رأينا تنقسم إلى قسمين:- علاقة عدوانية وعلاقة احتواء. ولكن قبل ذلك أولى وأحرى بنا أن نفكر في موقع المثقف العراقي في مجتمعه، والإدارة السياسية والحياة العامة، ودوره في صناعة الرأي العام وامتلاك الحقيقة وإنتاجها. ونسأل أنفسنا:- كم من المثقفين من نودي لتسلم منصب أو تولي مسؤولية ورفض التبعية والعلاقة، والامتثالية للحاكم، واعياً أن هذا المنصب سيكون على حساب كرامته كمثقف وحريته واستقلال رأيه وموقفه؟

منصب تهافت عليه الكثير، ولكن كم منهم باعوا ذممهم ورضوا بالرذيلة وغمرتهم أضواء المناصب وجرفتهم المسؤوليات، وكانوا حرباً على الثقافة والمثقفين الذين لم يلحقوا بهم.

كيف ومتى يحمي المثقف العراقي عذريته ويصون شرفه ويكون من صناع القرار والتأثير في الرأي العام؟

نحن لا نعرف لمثقفينا — البعض منهم — الذين دعوا لتولي مسؤوليات إلا تلبية الدعوة والتنكر لأفكارهم ومواقفهم وقناعاتهم والانسحاق إمام الحاكم الذي سارعوا إلى تبرير مواقفه وتمرير أفكاره ومشاريعه وتسويق جهله، وحجتهم دائماً أنهم يخدمون وطنهم، يؤدون المهام التي تناط بهم ولا يترددون ولا يتخاذلون وسرعان ما ينقلبون على شريحتهم التي انبثقوا منها، فيتهمونها بالانغلاق وبعدها عن الواقع وجهلها لحقائق الأشياء، وإنهم هم أصبحوا يعرفون حقائق الأمور وخباياهم، والعارف في مفهوم القوم كائن بائن، كائن مع سيده، بائن عن الناس. وفي هذه الحال تطرح إشكالية الحقيقة، من يملكها وينتجها، والنخبة من يمثلها؟

المفهوم/ التعريف

اعتقد أنه يستوجب قبل الدخول في صلب دراستنا، لابد بادئ ذي بدء من تحديد مفهوم أو تعريف كلمة مثقف، التي ما زالت غير واضحة المعالم بالنسبة للكثيرين، حيث تكاد تكون محصورة بين فكي فعلين لا أكثرهما القراءة والكتابة.

فلابد أن نستقر على تعريف للمثقف حتى نحدد مسيرة هذه الدراسة منهجياً. لكننا لن نغرق في طرح التعريفات العديدة للمثقف لأننا نعتقد انه ليس هناك كتاب أو بحث عالج موضوع الثقافة دون أن يطرح تعريفاً أو تعريفات لكلمة مثقف. وفي دراستنا هذه وضعنا تعريفاً خاصاً بنا يخدم الهدف الذي حددناه للدراسة وينسجم مع منهجنا فيها.

لقد أصبحت مسألة إعطاء تعريف شامل لأي مصطلح، أمراً لا يقبله المنطق العلمي. لذلك، فأن محاولتنا هي لاتعدو أن تكون إلا محاولة للخروج بقدر الامكان بالتعريف الذي ينسجم مع جملة العوامل والتطورات التي تلازم التحولات الاجتماعية في مجتمعنا، لاسيما وأن عدد التعاريف لكلمة مثقف كثرت وتعددت وأختلف الكتاب حولها طبقاً لاختلافهم في طبيعة المنهج وطبيعة البنية

الفكرية والإيديولوجية والمرحلة التاريخية من تطور المجتمع.

إن تعريف المثقف من أصعب ما يمكن، وهكذا حال التعريفات دائماً. على أن التعريف برأيي يجب أن يكون جزءاً من تجربة الشخص نفسه. وعليه، فقد احتار الكثير من المفكرين في تحديد كلمة مثقف، وربما ترجع هذه الحيرة إلى أنهم يحاولون وضع خصائص ورسم سمات اغلبها مثاليه لخصائص ذواتهم. فكلما توصلوا إلى تعريف للمثقف ابتعدوا به في واقع الأمر عن أوضاعهم ومكاناتهم وذواتهم في المجتمعات التي يعيشون فيها.

ويتساءلون:- هل المثقف هو الناقد أم الناقل أم المجتهد أم المبدع ؟ ما هي وضعية المثقف في سياق النظم الاجتماعية؟ أهو مشارك في السلطة، بمعنى انه ينتمي إلى الفئة التي تمثل دوراً حاسماً في تبرير النظام القائم في مجتمعه – وهو ما يعبر عنه البعض بمصطلح واعظ السلطان – أم هو الفكر الملتزم بالموضوعية العلمية بالمعنى الدوركايمي – نسبة إلى عالم الاجتماع دوركايم – أم هو الذي ينتمي إلى الفكر العلمي السالب لقوة النظام؟

إن الإشكالية لاتكمن في تعريف من هو المثقف، بل في تجديد الدور الذي يقوم به المثقف في مجتمعه. وأن السؤال الذي يجب أن يهتم به من يبحثون في هذا الشأن هو :- هل كل إنسان يقوم بدور المثقف؟

إن الإنسان المثقف في تصوري، هو من تتوفر فيه متابعة ما يحدث في المجالات المعرفية المختلفة وليس فقط في مجال تخصصه، وذلك، كي يستطيع أن يلم بالحركات الفكرية وتياراتها المختلفة والتي يموج بها العالم في الوقت الراهن، وأن لا تنحصر معرفته لها في الحاضر فقط لأن الحاضر ما هو إلا حصيلة الماضي، ولابد أن يعرف بشكل أو بأخر الأصول التي بدأت مثلاً. وأن لا يأخذ التاريخ بمعنى الإحداث وإنما بمضي التيارات الفكرية وأنماطها. إما الأهم الذي يجب أن يتوفر في المثقف هو أن يتفاعل مع المجتمع وإحداثه وليس فقط مع الثقافة العامة التي حصل عليها عن طريق القراءة والمتابعة، ويكون هذا التفاعل على مستويين:- الأول – هو محاولة نقل خبرته الثقافية ومعلوماته إلى المجتمع بحيث يطوع هذه الثقافة. والثاني– هو أن تكون لهذا الإنسان نظرة نقدية لمجتمعه، بمعنى إلا ينعزل عنه وإنما يدخل في حوار مع إحداث هذا المجتمع سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية.

إذن، الإنسان المثقف، هو الإنسان الذي يعيش بكل حياته ووجدانه وتفكيره مع المجتمع الذي يحيا بداخله، وأن يظل بعيداً عن المهاترات، وأن يكون عف الفكر واللسان، وأن لا يكون منافقاً أو متملقا.

وعليه، فالمثقف في رأيي:- هو الإنسان الذي يعي ذاته وذات مجتمعه، من خلال الصلة بواقع هذا المجتمع وموارثيه الفكرية والحضارية، وبقدرته على إدراك واقعه السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وتفسير هذا الواقع تفسيراً حقيقياً، وأخذ موقف من هذا الواقع لتجاوزه نحو مستقبل أفضل للمجموعة التي ينتمي إليها ثم لمجتمعه الأوسع إذا ما وضعنا بعين الاعتبار أن

المستقبل هو الحركة الأساسية التي علينا أن نسعى إليها، من منظور أن التغيير حتمي تاريخي لأي مجتمع من المجتمعات.

أوهام المثقف العراقي

هناك أوهام عدة طالما وقع المثقف العراقي أسير احدها أو أسيرها جميعاً، في مراحل متعاقبة، فتضاءل انفعاله بالتحولات وانعدم فعله أو تلاشى إزاءها. وفي ضوء ذلك نشير إلى وهمين :- الأول – هو شعور هذا المثقف بضآلة التأثير وصولاً إلى الإحساس بالعجز المطلق عن أي فعل في مجريات الأمور التي تدور حوله، مما يقوده إلى الانغلاق الكامل والتقوقع في دوائر ضيقة، والتحول إلى السلبية المطلقة المحفوفة بتشاؤمية مبالغ فيها في نظرته إلى الأمور. ووراء هذا الوهم دون شك جملة أسباب تتصل بالظروف الذاتية للمثقف ذاته وأحياناً بالظروف الموضوعية أو العامة المحيطة. والوهم الثاني – والذي كثيراً ما يتداخل في حياة المثقف مع الوهم الأول بل يقوده إليه في كثير من الأحيان، هو ذلك الإحساس المبالغ فيه الذي يقع المثقف فريسة له، وهو أنه قادر بكلمة أو خطبة أو موقف أو إطلالة إعلامية أو قصيدة ملتهبة أن يغير مجرى التاريخ في بلده، انه إحساس بدور رسالي أو تاريخي أو استثنائي انتدبته العناية الإلهية أو القدر للاضطلاع به، انه تداخل الأسطورة بالبنية النفسية والعقلية التي لم تحتك بالواقع الحقيقي فيصلها، وتدرك تعقيداته فتستمد من معالجتها خبرة، وقوة وتحيط بقوانينه وتتمرس بتحدياته فتصبح أكثر نضجاً.

إن المثقف العراقي للأسف يعيش على وهم انه ينتمي إلى النخبة المستنيرة القادرة على قيادة المجتمع وتغيير البينات والذهنيات الجامدة وبناء المجتمع الجديد، مجتمع العقلانية والحرية والعدل والديمقراطية والحداثة، بينما رجل السلطة الذي يحتكر القرار والسطوة، وبالتالي الحقيقة، هو رجل متخلف وجاهل وغير قادر على مواكبة سنن التطور والحياة، معادٍ للحداثة الديمقراطية، لا يهمه إلا احتكار السلطة وجمع الثروة من أي وجه أو مصدر كان.

وفي تقديري، أن أكثر مثقفينا يتصورون الأمر على هذا الشكل أو قريباً منه، ولكننا لم نصنع مثقفاً واحداً ولا طبقة متجانسة فاعلة في الحياة السياسية والاجتماعية، متفاعلة مع العالم تملك من الجرأة العلمية، واستقلالية الرأي، وسعة الأفق، ورصانة المشروع الفكري ما يؤهلها لأن تحدث تأثيرها المنشود في القرار السياسي.

إن هذين الوهمين اللذين تجاذبا العديد من المثقفين العراقيين، على رغم تناقضهما الظاهري يشتركان في كونهما نابعين من مصادر متقاربة إلى حد كبير. فكلا الوهمين ناشئ عن ابتعاد هؤلاء المثقفين عن معايشة الواقع الحي بكل تعقيداته وتدخلاته، سواء المضئ منه الذي يبعث على الأمل أو المظلم الذي يقود إلى القنوط. وكلا الوهمين ناشئ أيضاً عن ضعف فكرة الالتزام لدى هذا المثقف. والمقصود بالضعف هنا ليس قلة عدد الملتزمين من المثقفين بل المقصود به بالدرجة الأولى تلك التشويشات الشائعة العالقة بمفهوم الالتزام.

فالمقصود ليس الالتزام العقائدي الضيق أو السياسي المباشر، فيرتبط الالتزام بالتعصب والضيق بالرأي الأخر بل ويصبح مناقضاً للحرية التي هي أول شروط الإبداع وإنما المقصود هو الالتزام الحقيقي، فهو أوسع من تلك المفاهيم بكثير. انه التزام بقضية وبمثل عليا وبقيم، فمثل هذا الالتزام يحرر المثقف من الأوهام والقيود في آن معاً، ويطلق الإبداع كعملية نابعة من قلب المعاناة، وموجهة لمعالجة أسبابها وجذروها ولا يحده أي اعتبار إلا اعتبار الصدق الذي هو أساساً شرط رئيسي من شروط الإبداع.

إن عرض هذه الأوهام بتجلياتها وأسبابها ومصادرها الفكرية والاجتماعية يلخص في الوقت ذاته مظاهر أزمة الفعل لدى المثقف العراقي إمام الهجمة الفكرية والاقتصادية المرافقة للغزو / الاحتلال العسكري والسياسي، وبالتالي لابد أن يكون فاعلاً إزاء التحولات القادمة المرتقبة، وأحياناً يقلص مساحات انفعالاته بالتحولات، فيرى لفرط بأسه غير معني بها وغير آبه بانعكاساتها، والتحرر من هذه الأوهام بالخروج من أزمة الفعل والتأثير يتطلب تمييزاً بين أصناف المثقفين العراقيين وبالتالي بين وسائل قدرتهم على التأثير والفعل إزاء التحولات...

كما أن هناك شأناً أخر كان وما يزال أكثر إيلاماً، هو طريقة تعامل مسؤولي مؤسساتنا الإعلامية والثقافية مع هذا المثقف، ولدت إحباطاً له. فالعديد من هؤلاء كان ينظر إليه نظرة ملؤها الشك والحذر والريبة، إما بسبب مركبات النقص التي تلفهم تجاه مثل هكذا مثقف أو بسبب الطبيعة التسلطية التي تجعلهم ينظرون إلى المثقف الحر الفعال كمشروع معارض أو متمرد أو ثائر عليهم وعلى مؤسساتهم، فأما أن يخضعونه بالأغراء أو يسعوا إلى شطبه بالتهديد والحجر. فمثل هكذا مثقف الذي غالباً ما يواجه من قبل هؤلاء بالازدراء أو الحذر يشعر بالقلق والخوف والشعور بالعجز. فيسارع إلى الانكفاء والانزواء والانصراف إلى تدبير أمور حياته اليومية خوفاً من عواقب الالتزام المبدئي.

المثقف العراقي والسلطة البعثية

أصبح موضوع خضوع المثقف للسلطة وتبعيته لها، من الموضوعات الشائعة جداً والتي يشتد النقاش حولها في اغلب الكتابات السياسية واهتمامات الصحافة العربية والعالمية عموماً. بينما نحن في العراق لم نتناولها لحد الآن بشكل جدي، ولاسيما علاقة المثقف العراقي بالسلطة البعثية التي حكمت للفترة من تموز / 1968 ولغاية نيسان / 2003، وهي مسألة ترتبط برباط وثيق بالموضوع الذي نحن بصدده.

-كيف كانت عليه علاقة المثقف العراقي بسلطته البعثية الحاكمة، وما هي حدود تلك العلاقة، وكيف كانت؟

قبل البدء في الحديث عن هذه العلاقة، لابد من فهم نوعها. فالسلطة كانت عندنا ولاسيما في وعينا الجمعي، هي مفهوم الحاكم الذي يتبعه المحكوم تبعية خضوع وانصياع ويتعصب له عصبية مصالح وليس مفهوم علاقة منبثقة من الاندماج والنشاط المتبادل تكون جميع الإطراف فيها شركاء في أداء مهام وطنية تحكمهم قواعد وسلوك عام.

إن مثل هكذا علاقة في عمومها علاقة قهرية تتسم بالعدوانية، تتضح تجلياتها في ابسط صورها وأقربها في التبعية والانسحاق، فيها تغتال ذاتية التابع وتصادر حريته وقدرة الإبداع لديه، أو يعمد صاحب السلطة إلى نفي المثقف من جنته لأنه فاقد الثقة والوفاء للسلطة، أو لأنه يعرف أكثر مما ينبغي، أو يقحم نفسه فيما لا يعنيه، أو يتطاول على رئيسه، أو لا يملك من قوة الصبر والاحتمال ما يؤهله لأن يكون (جرذ) مكتب و(دودة أرضة) أوراق رهن إشارة سيده، تنطبق عليه علاقة السيد بحريمه في حال التبعية، وعلاقة العدو بعدوه في حالة الأبعاد والتغييب.

إن جذر المشكلة بعامة، أن المثقف الحق، الحر في تفكيره، لا يأتمر إلا بصوت العقل والعلم والمعارف وقواعد العمل، ونحن نعلم أن الاقتصاد وإدارة شؤون الدولة وحسن التدبير أصبحت ترتكز على المعارف والمناهج ولا دخل فيها للصدفة والارتجال. ومن ثم فهو خطر بأفكاره لا يؤتمن في سلوكه، غير مسؤول وغير منضبط في أدائه لمهامه، فسلوكه لا ينسجم مع ما يريده المسؤول وما تقتضيه متطلبات السلطة. وعبارة مسؤول وغير مسؤول أصبحت متداولة حتى لدى العامة، فهي تعني التحفظ والكتمان والموافقة المبدئية والنفاق الاجتماعي أو الانفلات والاعتراض والتلكؤ. من ذلك مثلاً :- المساس بمقومات الشخصية الوطنية، أو مصادرة الثوابت الوطنية، أو بث النعرات الطائفية والعشائرية والمناطقية، وثقافة الحقد أو التآمر على المنظومة التربوية بدعوى الإصلاح والتحديث والعصرنة، أو إجهاض مشروع المصالحة الوطنية واستعادة الأمن والاستقرار والثقة. وهي كلها مصائب كرثنا بها من جراء مواقف سلطة البعث المرتجلة وتصرفها الأهوج، ومساندة أنصاف المثقفين المتسلقين الذين لا يحسنون قراءة نتائج المواقف السياسية، أو من تبلد إحساسهم الوطني وأعمتهم الأنانيات والمصالح الذاتية.

والسلطة البعثية كانت في جوهرها تقوم على معيار القوة القهرية البوليسية ومدى إمكانية استخدامها بالشكل المؤثر في عملية ممارسة الهيمنة أو السيطرة على الأفراد والجماعات الأخرى، سواء كانت اقتصادية أو عسكرية أو فكرية، فهي تختلف باختلاف الاتجاهات الفكرية والسياسية. وممارسات هذه السلطة كانت من خلال القوة والنفوذ والهيمنة ليس الغرض منها التأثير في الأفعال فحسب بل يكون الغرض منها أيضاً التأثير في الأداء والمعتقدات عن طريق ممارسة النفوذ الفكري، وذلك عن طريق نشر معتقدات وأفكار الأفراد والطبقات المهيمنة السلطوية لتكون موضع إيمان إجباري عند الأفراد والطبقات التابعة لها. لذلك، كنا نرى ونلمس طيلة حكم حزب البعث رأياً واحداً سائداً هو رأي السلطة – الحزب الحاكم – وكل ما سوى ذلك يتهم بالمعارضة والخروج والكفر والخيانة، ولا يكون أمام مثقفينا إلا السجن أو القتل أو التعذيب أو الهجرة.

وقد أدى هذا الأمر إلى ضيق مجال الديمقراطية بل انعدامها عندنا بشكل لم يسبق له مثيل، نتيجة وجود مثل هذه السلطة الذي يملي والذي لا يدع

مجالاً من الحرية للمثقف وللمبدع. وبذلك انحصر دور المثقف العراقي القادر على لعب دور سياسي في خيارين محددين :- إما أن يكون تابعاً للسلطة يبرر خطواتها أياً كانت تلك الخطوات ويسير في ركاب النظام مؤثراً السلامة ورغد العيش، وأما أن يكون مقموعاً خارج إطار السلطة مقذوفاً بكل التهم والنعوت التي تكيلها له كل أدوات إعلام ومؤسسات السلطة عبر اوركسترا متناغمة. وهذا الخيار الصعب أوجد ما يسمى في الحياة السياسية العراقية بالانتهازية السياسية والفكرية، حيث ازداد عدد أولئك المثقفين الذين تساقطوا يومياً وعلى امتداد الأربع والثلاثين عاماً.

انه بجانب هذا التقسيم للمثقفين، بأنهم إما تابع للسلطة وإما معارض، أرى أن هناك بعداً ثالثاً وهو الاغتراب واللامبالاة الذي كان سائداً لدى عدد من المثقفين ممن كانوا يشعرون بالانتماء بسبب ما انتابهم من قرف لطبيعة العمل السياسي والفكري المطروح وقتئذ، الذي يعارضهم لسبب أو لآخر مما جعلهم كإفراد لا يقدمون على التضحية، فهؤلاء المعارضون لما كان واقعاً غالباً ما عملوا تحت الأرض بسبب انسداد أبواب القنوات الأخرى إمامهم.

إن المثقف العراقي الملتزم مطالب اليوم أن يكون صادقاً مع نفسه، متمثلاً عدداً من القيم الأساسية، مستعداً للتضحية، واعياً لدوره التاريخي، بمعنى واعياً أن التضحيات الراهنة ستقوده إلى مكاسب شعبية عامة في المستقبل.

ومن هنا، يستوجب عليه أن يحمل هموم مجتمعه، ويلتزم بضميره وبالتحديات التي تواجهه، وأن تكون علاقته بالسلطة – أية سلطة – علاقة استقلال، وهذه في غاية الصعوبة، خاصة في عراقنا العزيز، حيث كانت السلطة فيه لا يمكن أن ترضى من المثقف أن يشكك في أطروحاتها الفكرية وتصرفاتها.

إن مهمة استقلال المثقف عن السلطة، هدف مطلوب وغاية لابد أن يحرص عليها ويسعى إليها. لكن هذا الاستقلال هل بالاستطاعة تحقيقه بشكل كامل وبشكل مطلق ؟ تلك مشكلة المثقف الذي يعي ضرورة حريته ويشعر بها، والذي يعي حدود هذه الحرية وتؤرقه هذه الحدود المفروضة عليه، عليه أن يواجه هذه السلطة التي غالباً ما تسير في خط معاكس لكل ما يمثله المثقف. ولما كانت السلطة عندنا في غالب الأحيان هي سلطة قمعية، لم تبق للمثقف إلا المواجهة وربما الاستشهاد. ولا أعني هنا الاستشهاد بالمعنى الحرفي.

ولاشك، أن سلوكاً – كهذا – أي سلوك السلطة – يقابله النفور والرفض من جانب المثقفين الفاعلين المنتجين، والنتيجة لهذه العلاقة القهرية أو التصادمية، إعاقة النهوض وإطالة عمر التخلف وتعاقب المشاكل، واليأس من الإصلاح وتصحيح المسار، والهجرة الداخلية والخارجية، والسلبية والارتجالية في المواقف والخطاب السياسي وإهدار الامكانات البشرية والمادية.. ونحن في زمن تنضب فيه مواردنا الاقتصادية والطبيعية وتزداد حدة

النمو الديموغرافي ومتطلبات الحياة بمتوالية هندسية، فأنى لنا أن نوقف هذا الانهيار ؟

ولكن، حتى لانجانب الموضوعية، ولكي ننصف جميع الإطراف :- هل المثقف محق ومصيب في كل مواقفه وسلوكياته واطروحاته دائماً، في مقابل تخلف الحاكم المسؤول وجهله وغطرسته وضيق نظرته وأنانيته ؟ ألسنا اليوم مطالبين بان ننظر إلى هذه العلاقة غير المتوازنة وغير العادلة من زوايا أخرى قد تلغي كل الأحكام المسبقة نحو هذا الطرف أو ذاك، وتسفه رؤيتنا المنحازة المحكومة بتجاربنا الفردية المزاجية الفقيرة، وعجزنا عن التأثير في الأخر، والتفاعل معه وترقية قدراتنا المعرفية والعلمية في التسيير والإنتاج ونجاعة الأداء إلى يفاع الاستبصار ومرتجيات المستقبل ؟ أليس السؤال حول أهمية النخبة المثقفة الفاعلة الموجهة التي تضطلع بالبناء والتنمية، وبالتالي التي تمتلك الحقيقة وتنتجها، هو سؤال مشروع ؟

إن مهمة مثقفنا العراقي الظرف الراهن، هي أن يكون الفدائي الجديد !! الذي يواجه السلطة التي قد تنتهي به إلى الموت اغتيالاً. وأنا لا أبالغ هنا، فقد كانت نتيجة مواجهة بعض المثقفين العراقيين لسلطة البعث، أن انتهوا إلى الاستشهاد الفعلي.

إن دور المثقف في تحديث المجتمع، يتعارض في اغلب الأحيان مع السلطة، سواء كانت ثيوقراطية أم دكتاتروية أم رجعية أم تتستر بالتقدمية أم خاضعة أو مسيرة من قبل قوى كبرى.. فاغلب هذه السلطات – ومنها سلطة البعث بالذات – استفادت من الحداثة ومن التكنولوجيا المتقدمة بوجه خاص، وسخرتها في إغراض خاصة. فالتكنولوجيا هي بالدرجة الأولى عند هذه السلطة كانت أداة لخدمة مصالحها، وهي إضافة إلى ذلك، أداة للقمع وللتجسس وللضغط على المثقفين. فهي تستفيد من التكنولوجيا ليس من اجل تحديث المجتمع بل من اجل محاربة رواد التحديث والتجديد والتغيير ورواد التقدم والتطور بمعناه الحقيقي وقمعهم جميعاً، خاصة قمع المثقف الذي يقود الجماهير أو يؤثر فيها.

أن عملية القمع التي مورست ضد اغلب مثقفينا، كانت لاتتم فقط على يد السلطة البعثية وحدها، بل كانت تأتي في أثواب أخرى ومن مؤسسات ثقافية تقليدية، فقد أتت من مؤسسات ثقافية معارضة للحداثة ذات إغراض سياسية معادية لمصلحة المثقف الفعال ودوره، وقد أتى القمع أيضاً من مؤسسات اجتماعية واقتصادية.

لذا، كان صوت مثقفنا المتمرد الرافض على الانخراط في لعبة السلطة – وقتئذ – المتمثلة بالقتل والعمالة وتقسيم الوطن والناس والتاريخ.. قد خفت، فهو صوت الضد، الموقف الضد. ومن الطبيعي جداً إلا يلتفت إليه أحد من ازلام السلطة صناع القرار السياسي والثقافي، ولامن المؤسسات السائدة وقتها، فهو على نقيضها التي ترى أنها المسؤولة الأساسية عن كل ما كان يجري من خراب لمقدرات العراق، فمن الطبيعي إذن إلا يلتفت أولئك الذين نصبوا أنفسهم زوراً قادة وصناع قرار.. وهم في الواقع خدام العدو، بل أكثر من الطبيعي أن

يحارب هؤلاء القادة الازلام محاربة ضارية تلك الأصوات، من خلال فرض مناخ حديدي من الإرهاب والتعسف.

إن مثقفين كثيرين لم يتحملوا وقتها مناخ الإرهاب والجريمة والقتل الذي فرضه أولئك النفر عبر حزبهم ومؤسساته وتنظيماته.. قد رحلوا وهاجروا، والأصح أنهم هجروا إلى خارج الوطن. لذلك لم يبرز في صفوف مثقفينا مثقف واحد بمستوى القيادة / المواجهه يرفع الصوت عالياً. فالمثقف – بصورة عامة – ليس حزباً ولا تنظيماً ولا مؤسسة، والقيادة التي تنظم الناس لا يمكن أن تكون إلا ضمن مؤسسه، أي ضمن عمل سياسي مستمر ومنظم ويتمتع بأمكانيات كبيرة لا تتوفر عند المثقف.

إنني اعتقد أن الدور الأقوى والأكثر فاعلية للمثقف العراقي اليوم أن يكون جزءاً من حركة منظمة شريطة أن يكون صبوراً ومستعداً لتحمل كثير من احباطات العمل اليومي والابتعاد عن المثاليات والحلول السريعة.

تحديد المواقف وتفعيل الأدوار

لقد بات من المألوف القول، أننا بعد التغيير السياسي الذي حصل في 9 / نيسان / 2003، بتنا نعيش أوضاعاً أمست تحفز كل مثقف حقيقي على تحديد موقفه وتعيين خياره في المواجهة. وبما أن معركة خلاص الوطن هي معركة خلاص الذات بعيداً عن أية خطابة وحماسة جوفاء، فمن غير المعقول أن يبقى المثقف العراقي منقطعاً عن تفعيل دوره اليوم مهما ادعى القدرة على كسح المثبطات التي تجتاحه، على الضد من ذلك، أننا نرى انه كلما تأزمت الأمور وتعقدت كلما تبلورت قيمة أن يكشف هذا المثقف حقيقة وعيه للثقافة أصلاً. فالموقف الثقافي الصميمي إنما يكون لحظته التاريخية، ولا معنى له خارج هذه اللحظة.

من هنا نجد ضرورة ربط دور المثقف العراقي بقضايا مجتمعه الذي يحتضنه، ونؤثره مناضلاً في صفوف الجماهير على الانعزال في غيبوبة صوفية بحثاً عن ترف عقلي، ذلك أن المثقف بصورة عامة بحكم وضعه في مجتمع نام مطالب بالالتحام به أكثر مما ألقته الحياة في مجتمع متقدم. ومجتمعنا العراقي يحتاج إلى التوعية في مجالات شتى، وهذه التوعية لن تكون منسقة وموصلة للهدف ما لم تكن لها نخبة مثقفة رائدة تحميها بتجاربها وتغذيها بعلمها. فالمثقف يجب أن ينقل ثقافته إلى محيطه الاجتماعي بقصد التغيير والتأثير وتفعيل من يتعامل معهم، بحيث يكونون قادرين على الإسهام في إحداث تغييرات في مجتمعاتهم يرتفع بها إلى الأحسن.

ومن هنا، فإنه لابد من فك الاشتباك الدلالي بغرض معرفة المقصود بمثقف في السياق العراقي لنصل إلى المعنى الذي نفضله للمثقف، إذ يرتبط بالتفاعل والفاعلية وتجاوز الواقع في تفكيره، لذلك اعتبره سارتر "الضمير الشقي"، لأنه لايرتاح للأمر الواقع ويسعى لتفسيره وتغييره، إذ لا يقف عند حدود معرفته وتخصصه العلمي بل يتسع ليشمل الاهتمام بكل ما هو وطني وإنساني وبالتالي لا

يرضى ولا يقتنع بالأمر الواقع. المثقف بتكوينه وإدراكه يفترض فيه صعوبة التكيف ولكن الحياة الواقعية تفرض عليه في كثير من الحالات الملموسة قدراً من التنازلات والحلول الوسطية.

ففي كل المجتمعات التي تحررت وتقدمت كان المثقف هو رائد الطليعة التي تمهد وتبشر، لا تثير الحزن ولكن تبشر بالأمل والخلاص، ولذلك تعنينا كثيراً قضيته وموقفه لأنه هو الذي يصحح المسار. فموقفه بالذات هو الذي يعنينا، تعنينا خيبة أمله، خيانته للمجتمع، سقوطه وتراجعه، ترديه واستسلامه، ووقوعه في تخبطات كثيرة.

وعليه، أرى أن القضية الأساسية التي تشغل بال أي مثقف ملتزم في هذه المرحلة بالذات هي الأزمة التي يمر بها العراق، وهذه الأزمة تتبلور عند الذين يحسون بالآخرين أو أن قضية التعبير عن طموحات الآخرين هي قضيتهم.

إن اغلب مثقفينا للأسف لم يؤدوا دورهم الحقيقي كاملاً في توضيح الصورة الحقيقية للأوضاع التي جرت وما زالت تجري في عراقنا العزيز لأسباب عديدة، كحالة الجزر التي يعيشها الوعي العراقي، وقصور نظرة بعض المثقفين لهوية هذه الأوضاع، إذ نظروا إليها على أنها مجرد نزاعات إيديولوجية ظرفية، في حين انها قضايا وطنية.

إن اشد ما يتطلبه الواقع العراقي الآن، هو دور المثقف فيه، هذا الدور النهضوي المؤثر الذي ينبغي له أن يتأكد ويستمر ليشمل كل ما تشهده الساحة العراقية، فلا ينبغي للمثقف العراقي اليوم أن يكون محايداً فيما يشهده العراق بل تقع على عاتقه تحمل مسؤولية تاريخية خطيرة.

التضحية إذن مطلوبة، وعلى المثقف العراقي إعادة حساباته وتأمل مواضع قدمه وطبيعة علاقاته بما يحيط به ويتقاطع معه ويصوغ مكونات خطابه وملامح تجربته الفكرية والفنية ليستطيع بعدها أن يحدد وظيفته الجديدة في ضوء المتغيرات الواقعية المحيطة به والمتقاطعة معه في آن واحد. إذ ليس من الطبيعي ولا المعقول أن يتماثل دور هذا المثقف وتتخذ وظيفته شكلاً واحداً وثابتاً في أوقات متباينة ومراحل متناقضة، كما في الحرب والسلام أو الأزمات والانفراجات.

أنها بالتأكيد ليست مهمة سهلة ولكنها مطلوبة الآن أكثر من أي وقت مضى، والمطالبة بها ليست وليدة حاجة آنية وظرفية بل هي مشروع وطني مرتبط بالعراق في صيرورته وفي امتثالها لقيم التحرر والدفاع عن التراب الوطني.

إن المثقف العراقي الفعال يتحدد حسب قدرته الفكرية والإبداعية على المساهمة في خلق ثقافة عراقية متميزة جديدة ترتكز على العقلانية والعلمية والحرية واحترام حقوق الاختلاف والابتكار والإبداع. فالثقافة العراقية كانت مقيدة بكثير من الممنوعات والمحرمات التي تفقدها القدرة على المغامرة واقتحام الجديد، وهذا ما ولد المثقف المدجن أو الخائف. فوجد الحواجز الكثيرة علمت المثقف الحذر والشك، وفي بعض الأحيان الانتهازية والنفاق، لكي يتماشى مع الواقع عوضاً عن تغييره.

فالمثقف الذي يمكن أن يقوم بدور فعال لابد أن يكون قادراً على تحمل الصعاب والتضحيات أو ما يمكن أن يسمى " المثقف الشهيد " فهو يناضل على جبهات عديدة على مستوى الدولة والمجتمع والأفراد، وبالتالي أكثر من دور في الواقع، نظراً لعدم وجود تقسيم عمل واضح في مجتمعه التقليدي أو الانتقالي. وعليه، فأنه لا ينبغي أن يكون المثقف العني محايداً فيما يشهده العراق الآن. أن عليه دوراً كبيراً يستطيع من خلاله نقل الفكر إلى الحياة، وان يحدد معالم المستقبل العراقي انطلاقاً من حاجة وطنه على كل الصعد، وهو بذلك يشكل النواة التي تدور حولها معطيات الحاضر والمستقبل.

لقد مرت بالعراق أزمات عديدة، والذين استطاعوا أن يحفظوا توازنهم من مثقفيه هم قلة، والذين سقطوا في هوة عميقة هم بالعشرات، وأنا أرى أن بعض المثقفين الآن يخونون عراقيتهم ورسالتهم بإرادتهم، فعندما نقارن بين أدوارهم في الخمسينيات والستينيات وما بعد 17 / تموز / 1968، حتى بعد 9 / نيسان / 2003، نجد أن الفترة الأخيرة شهدت سقوطهم أكثر، وهذا لا يحزننا كثيراً، فالفرد ينتهي ولكن الفكر الأصيل باق. لكننا عند استقراء التاريخ نجد كل شيء واضح في تشخيص ظاهرة أن المثقف هو الخط المعارض، فإذا تحول إلى خط التبرير وخلط بين كونه مفكراً وسياسياً يقيم حساب التوازنات، سنجد هناك الذين التزموا بقيم ومعايير مبادئ ثابتة، وهناك الذين سقطوا مرغمين أو طائعين أو اعتقدوا أن تلك عقلانية.

المثقف العراقي اليوم يبحث عن دوره الضائع أو المنحسر ضمن ظروف صعبة وشديدة التعقيد والحساسية، ولا نستطيع أن نقول أن هذا المثقف فاعل في التحولات او منفعل بها، لأنه ذو نظرة جزئية وانتقائية تعمل في عالم يتجه صوب كونية شاملة تسقط كثيراً من الحدود والحواجز الروحية والثقافية.

وهنا يبرز سؤال مستفز:- هل ينتج المجتمع المتخلف المثقف المتخلف؟ أي بمعنى انه محكوم بشروط مراحل تطور المجتمع وبالتالي تصعب أن لم تكن مستحلية مهمة المثقف كأداة للتغيير. وهنا ستظهر معضلات عديدة في دور المثقف العراقي الذي قد يكون تقدمياً أو إصلاحياً على مستوى الأفكار، وتبقى الممارسة متخلفة.

شخصياً، لا اختلف حول الوضع الهش للمثقف العراقي داخل محيطه الاجتماعي وحتى المهني – خاصة المثقف الفعال الحقيقي – الذي ما زال ينظر إليه نظرة الريبة والحذر ويحتاط منه ويتعامل معه على انه نوع من الخطر القائم الذي يهدد بعض الأشياء التي ينبغي لها أن تكرس داخل أي مجتمع ما زال لم يستوعب بعد الشروط الأساسية لتوظيف الثقافة والفن داخل قنواتها الصحيحة. وهذا المفهوم الخاطئ هو الذي جعل ويجعل العديد من المثقفين الملتزمين يعيشون حالة من الحصار المضروب عليهم، ومن التهميش الذي يفقد المجتمع أو المؤسسة الثقافية نفسها في كل ما يمكن أن يستفاد منه لو وضع هذا المثقف في محله الصحيح.

بينما في الثورات الأوربية النهضوية على سبيل المثال، كان للمثقفين الدور الأساس في انبعاثها واستشراف مستقبلها. فقدم المثقفون تضحيات عظيمة، حتى الذين يحلمون فقد كانوا يضحون من اجل هذا الحلم، وفي ثورات النهضة العراقية، كان المثقفون هم الذين يضعون أيديهم على الصواب ويبعثون الحلم في المجتمع.

انه التزام بقضية وبمثل عليا وبقيم، فمثل هذا الالتزام يحرر المثقف من الأوهام والقيود في آن معاً، ويطلق الإبداع كعملية نابعة من قلب المعاناة وموجهة لمعالجة أسبابها وجذرها، ولا يحده أي اعتبار إلا اعتبار الصدق والذي هو أساساً شرط رئيس من شروط الإبداع.

إن السبيل إلى أن يأخذ المثقف العراقي دوره، هو تحريك الوضع الثقافي للمجتمع في مراجعة كل تصوراته أولاً عن الثقافة، وعن الدور الذي يفترض أن تلعبه الثقافة في التوجه، ويوم يستطيع هذا المجتمع أن يصل إلى التصور الصحيح الذي ينبغي له حمله عن الثقافة فسيتقدم حتماً.

بما يشبه الخاتمة/ مرتجيات مؤجلة

إن محنة المثقف العراقي تتمثل في شكواه من حالة الخنق الدائمة التي لا تمكنه من التنفس بحرية، ومرد ذلك إلى عوامل سياسية ودينية وضيق في المجتمع المدني إلى حد الغياب أحياناً، وذلك ما حد من قدرة مثقفنا على توثيق الصلة بشرائح المجتمع وفئاته التي يتحدث بخطابه لها وبأسمها ونيابة عنها.

المثقفون في العراق عموماً، إما أن يمتلكوا وعياً ومكانة يسمحان لهم بصنع قدر مجتمعاتهم باعتبارهم فاعلاً قادراً على تحفيز الجماهير وتعبئتها للبناء، انطلاقاً من فهمهم للتناقضات التي تحكم نسق المنظومة الاجتماعية وتحويل الصراعات والتناقضات في المجتمع إلى قوة دمج وصهر وذوبان ليصبح الوطن كله نسيجاً واحداً همه تحديد الأهداف والسير بها إلى خيار المصلحة المشتركة والمنفعة المجتمعية، فيستثمر المثقفون قوة زادهم المعرفي لتضييق زاوية الانحراف مجتمعاً وقيادة، وبهذا يصبح المثقفون القدوة التي تهدي المجتمع لكونهم مثالاً يحتذى به. ومن دون ذلك سيتحولون إلى مجرد أفراد مُحتوين من قبل القوة الفاعلة في المجتمع سواء القوة السياسية أو المالية، مشغولون بتبرير الممارسة السائدة من خلال المدح والإطراء والتبجيل أو موظفين من قبل الفاعلين في الدولة، وممجوجين من قبل الجماهير. وعندما يدرك مثقفونا هذه الحقيقة فانه يتحتم عليهم أما أن يكونوا احدى مفردات البيروقراطية القادرة على توفير المعاش الاجتماعي لهم من خلال ما يتلقونه من راتب الوظيفة الشهري وبقية الامتيازات الأخرى العديدة، أو أن يطوعوا معرفتهم من اجل عامة المواطنين الذين لا يقبلونهم إلا إذا وظفوا ذلك الزاد في الدفاع عن مصالحهم.

المثقفون في المجتمع العراقي يتطلب منهم ضمنياً ومن خلال السنن الثقافية وعبر مقالاتهم وبحوثهم وندواتهم ومشاركاتهم في المؤتمرات وتحاليلهم.. تقديم النصح والمشورة والرؤية لصانع القرار ولعموم فئات المجتمع، وذلك لما يتميزون به عن غيرهم من

استشعارهم لثقل الهم الاجتماعي بواسطة ما يماثل الرادار أو المجلس الوطني القادر على التقاط الذبذبات من محيط المجتمع وصياغتها في أفكار قيمة تجسر المسافة بين المواطن والمسؤول لتعميق الثقة والشعور المتبادلين بصفتهما متميزين بالقدرة على عرض قضايا وهموم ومشاكل وشجون مجتمعهما، سواء ما كان منها ظاهراً للعيان أو خافياً كامناً في عمق خفايا المجتمع.

فالمثقف اليوم مطلوب منه أن يكون ضمير الدولة ووجدان المواطن، وذلك إذا ما ألتزم الصراحة والجرأة العلمية ليدركها المشرع ويتفهمها المنفذ، ويطمئن المواطن إلى أن قضاياه ومطالبه تعالجان معالجة علمية ومعلومة لدى المعنيين بالأمر. وإذا تأكدت له هذه الحقيقة فأنه لن يلجأ إلى السراديب المظلمة ولن تغريه الإشاعة، وربما لن يصدقها طالما أن قضايا المجتمع مطروحة للمناقشة أمام الرأي العام، ومعلومة من قبل الجهات الرسمية.

غير أن مجتمعنا العراقي يعاني القحط الثقافي خصوصاً في مجال المضمون الواعي والهادف، فقد تحولت منابر الأعلام وخطب المسؤولين في الكثير إلى المدح المجوج والأغنية الهابطة والمقالة المرتزقة. حتى منابر المساجد تحولت فيها خطب أيام الجمع والأعياد إلى مجرد بيانات كلامية فضفاضة غافلة أو متغافلة عن طرح مضامين تعالج المشاكل الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع العراقي. فحتى المسائل العبادية لفقه النفس والمعاملات من تقوى وتوبة واستقامة وطمأنينة وتعامل يفضي إلى حسن المعاملة وقضاء حوائج أفراد المسلمين من قبل الموظف العام في المجتمع ظلت غائبة فضلاً عن تناول القضايا السياسية وفضح ممارسة المكلفين في الإدارة البيروقراطية. وهذا ما دفع إلى تجريد هذه الخطب الوعظية من مضمونها، فغدا ذلك قناعة لدى جل الأفراد.

أن مثقفنا العراقي منشغل بالاطروحات النظرية أكثر من العملية وترديد مقولات تراثية أو إحياء أفكار استنفذها التاريخ. فهو (يجتر) مقولات سبق أن قيلت في بقية المجتمعات سواء العربية أو الليبرالية دون ابتكار أو تجديد. فلم ينشغل لاستنباط حلول للمستجدات المتزامنة والمستحدثات القادمة لإبداع الرؤى الفكرية الموجهة أو تحديد المسارات نحو أهداف واضحة.

كل ذلك يدفعنا إلى الاعتقاد في تقصير المثقف العراقي في تلمس القضايا الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والسياسية لمجتمعه، وأستبصار احتياجات الوطن حتى في أبسط الخدمات الإنسانية والاجتماعية، فخلت الساحة من صحافة وأعلام وتأليف ومؤسسات معنية بالأدب والفن من أي مضمون جاد، مما أدى إلى تكريس تلك المنابر للأعلام الرياضي ومهرجانات الشعر الشعبي والأغنية المبتذلة الركيكة والمسرح الساذج.. دون أن ننسى الاستثناءات النادرة التي جلت بوضوح صبر المثقف العراقي وهدوئه في زمن التشنج والتوتر. والأمثلة كثيرة بدأت تتنامى وتهمس من حين إلى أخر، فيسمع صوتها.

★وليد خالد، ماجستير تأريخ، فكر سياسي بتقدير امتياز، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية- الجامعة المستنصرية، كاتب وصحفي وباحث في الشؤون السياسية والفكرية والتأريخية، نشر العديد من المقالات والدراسات في الصحف والمجلات العراقية والعربية، ترجم عن الانجليزية والفرنسية العديد من المقالات والدراسات واكثر من عشرين كتابا اهمها: العقل العربي وحرب الخليج والحركة القومية الكردية في ايران.

e.mail: waleed_alkaisi@hotmail.com

اضواء على الشخصية الكردية

[ايجابياتها، سلبياتها، المقترحات]

الأستاذ المساعد د. عمر ياسين الجباري

جامعة صلاح الدين / كلية التربية — الأساس

المقدمة:

الشخصية مشتقة من الكلمة اللاتينية persona ومعناها (القناع) أو (الوجه المستعار) الذي يضعه الممثل على وجهه للتنكر، أي ان كلمة personality مستمدة من اللغات الاوروبية، وبالذات اللغة اللاتينية أو الأصل اللاتيني، أو لفظ لاتيني بيرسونا persona ومعناها القناع، وهذه بدورها مركبة من لفظتين (بير) و (سوناري) per-sonare ومعناهما عبر أو عن طريق الصوت، واللفظة بأكملها يعود استخدامها الى زمن الاغريق، حينما كان الممثل الاغريقي يضع القناع على وجهه، وهي لفظة شائعة الاستعمال يشترك فيها عامة الناس رجلاً كان أم امرأة وقد شاع عند الرومان استخدام مفهوم الشخصية وهي تعني الشخص كما يظهر بالنسبة للآخرين، وبعد ذلك أطلقت نفس كلمة persona على لابسي الاقنعة أنفسهم أو الممثلين وذلك من قبيل الاختصار، أو للدلالة على دور كل منهم والذي يشمل سلوك الممثل، فمفهوم الشخصية عند الرومان كان يعني الشخص كما يظهر بالنسبة للآخرين، وليس كما هي عليه الحقيقة، بإعتبار أن الممثل يؤثر على عقلية المشاهدين خلال الدور الذي يقوم به فيما يتصف به ذاتياً، ومن مضمون معنى مصطلح بيرسونا (persona) يمكن ان نفهم تأثير السلوك الشخصي على الآخرين، فالشخصية بهذا المعنى مصطلح يشمل جميع جوانب الشخصية ظاهرها وباطنها، والمحصلة النهائية لسلوك الشخص

بكل أبعاده الوراثية والبيئية، ومن الجدير بالذكر أن المصريين، وحتى بداية الاربعينيات، كانوا يطلقونه على الممثل لفظ (المشخصاتي)، وفي اللغة العربية فاللفظة مشتقة من (شخص)، وهي ذات دلالات هامة في امهات المعاجم العربية.

1-ففي حالة الاسم: (الشخص) هو الانسان كله حين نراه من بعيد.

2-وفي حالة الفعل:(شَخصَ الانسان) اذا ذهب من بلد الى آخر، فهو فعل كذلك يقال: (الشخص النجم) اذا برز واصبح مرئياً مشاهدا.

3-وكإسم فاعل: (شخص شاخصٌ)اذا ارتفع وعلا واصبح ظاهرا، (شاخص البصر) اذا ارتفع بصره عالياً، (شاخص العينين) اذا فتح عينيه فلا يطرف، و(صوت شاخص) اذا كان عاليا جهوريا لايقدرُ على خفضه.

4-وكصفة(الشخيص) الانسان الجسيم مع بهائه وروعته وكذلك الانسان السيد، والمعنى في اللغة الانجليزية هو: personality وفي اللغة الفرنسية هو: persona lite

اذا هناك عدة معانٍ ترتبط بكلمة الشخصية من الناحية اللغوية أو التفسيرية، فهي الصفة والخلق وحقيقة الانسان، ووجوده متميز عن الاشياء الأخرى، لذا فكلمة persona أصبحت تشير الى المظهر الخارجي أو وجه عام يعرفه الافراد للاشخاص المحيطين بهم، وبناء على اشتقاقها نستطيع ان نستنتج بأن الشخصية تشير أو ترمز الى الجوانب الخارجية المنظورة أو المرئية للشخص التي يستطيع الآخرون رؤيتها.

الشخصية الكردية ودول الجوار

مما لاشك فيه أن الدول المجاورة لبلاد الكرد(كوردستان) بشتى الوسائل وبجميع امكانياتها وخبراتها حاولت تشويه الشخصية الكردية، ناهيكم عن ان الوراثة والبيئة لهما تأثيرهما على تكوين هذه الشخصية، وما شهدته بلادهم من حروب وويلات ودمار، عرقلت الشخصية الكردية من أن تسلك مسلكها الطبيعي والظهور بمظهر الشخصيات الاخرى التي تقطن في هذه المنطقة، لان الدول المجاورة لبلاد الكرد هي دول ذات امكانيات وقدرات بشرية وعسكرية وتكنولوجية كانت ولايزال تتخذ شتى الامكانيات والسبل لتجزئة الشخصية الكردية الى اجزاء متناثرة بعيدة بعضها عن البعض الآخر في جميع مناطق سكناها. ومما سهلت هذه التجزئة إنعدام الكيان الموحد بين الكرد، وسيطرة مجموعة من الافكار الغريبة والتي لا تتفق مع العادات والتقاليد والقيم والاعراف السائدة بين الكرد، وضعف الامكانيات العسكرية للمجتمع الكردي مقارنة بما تمتلك دول الجوار من قوة عسكرية، ومنذ مايزيد على 2500 سنة، (اي منذ سقوط دولة ميديا الكردية) تعرضت هذه الشخصية في هذه المنطقة من العالم التي سميت بـ (كوردستان) الى تخريب وتدمير من قبل الدول القوية المجاورة لها في المنطقة، وسلكت تلك الدول الطرق كافة من عمليات واحلاف عسكرية، وحروب نفسية من دعايات وشائعات وغسل دماغ، وخلق صراعات دينية وعرقية وطائفية لتنفيذ مآربها، لذا

فالظروف التي مرت بها الشخصية الكردية في كردستان لم تسمح لها أن تتطور بالصفات والمعاني الى المستوى المطلوب، لأن الدول الطامعة فيها حاولت، وبصورة مستمرة، صياغة برامج خاصة وخطط دنيئة لتحطيم افكارها وقيمها، لذا واجه المجتمع الكردي وتعرض للظلم والمحن والغموض، لان اعداء الكرد كانوا يمتلكون خبرة وذكاء لإبادته، وعلى سبيل المثال لا الحصر، ما تستخدمه الاعداء والى عهد قريب من تعريب وتفريس وتتريك هو خير دليل على ذلك النهج العدواني ضده، ومما ساعد الاعداء والطامعين على تنفيذ مخططاتهم. ان أرض الكرد كانت غنية بالمعادن والثروات المائية والحيوانية ومنابع الخير والبركة، مما جعلت بلاد الكرد مجالاً للصدام بين الدول الكبرى، وقد دفع الكرد ضريبة هذا الغنى وهي الظلم والاستبداد والتدمير والتخريب. ومن الجدير بالذكر ان القومية الكردية ومنذ معركة جالديران سنة 1514 ولحد الآن كانت موضع اطماع الدولتين المجاورتين الكبيرتين واعوانهم اكثر من ذي قبل، واعتباراً من هذه المعركة مارست الدول المحيطة بالكرد ضد الكرد الاضطهاد، والاستبداد، والحرب النفسية، وعدم فسح المجال له لتبرز على الساحة الدولية او تحصل على قسطها من التقدم العلمي، وتعاني من التجزئة والتفرقة، وضعف الامكانات العسكرية، مقارنة بالدول المجاورة، والتعايش مع معاناته نتيجة التزامه ببعض المواثيق والمعاهدات الدولية، ووضع برامج خاصة معادية، القصد منها تحطيم الشخصية الكردية واحتلال بلادهم وما عاناه الناس من الحروب والويلات والظروف السياسية جعلته انساناً عنيداً وصلباً وقوياً ناهيك عن النظام الاقطاعي المسيطر على المنطقة الكردية، وغنى المنطقة والموقع الاستراتيجي الذي جعلها في موقع صراع بين الدول الكبرى وعدم فسح المجال له للتقدم والتطور ليس لانعدام قدراته وضمور قابلياته في التفكير والابداع، بل للنوايا الشريرة التي يحملها الاعداء ضده.

ايجابيات الشخصية الكردية

عرفت الشخصية الكردية من بين الشخصيات الأخرى في العالم بالاخلاص والوفاء وحب الوطن والالتزام بالعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية والخلق الحميدة كالصدق والشجاعة والذكاء والثقة بالنفس والاعتزاز بها وكذلك بالبساطة وحب الحرية والجرأة، ولهذا يصفه بعض المستشرقين في كتاباتهم وبحوثهم ودراساتهم بالشجاعة والتصلب والقوة والخشونة، نتيجة الظروف السياسية التي مرت بها هذه الشخصية. عدا روح المساعدة والالتزام بالقيم الإنسانية والاجتماعية والدينية التي تتحلى بها. إن الشخصية الكردية معروفة بأنها شخصية متفائلة وهادئة ولم تضع أو تفقد القيم الإجتماعية، بل انها كانت في نضال دؤوب من أجل وطنها وشعبها، هذه الخصائص والمميزات جعلتها تحتفظ بحيويتها وبقائها صامدة في المنطقة على مر الأزمان والدهور. يرى بعض الخبراء والدارسين وعلماء الانثروبولوجيا بأن المنطقة الجبلية والمناخ

البارد يخلق شخصيات شجاعة محبة للتحرر والاستقلال، وعكسها فان المناطق التي ترتفع فيها الحرارة تكون شخصيات كسولة وخاملة وامبراطوريات في هذه البقاع من العالم أي أن تنوع التضاريس والمناخ والقوى العاملة لها علاقة قوية بالافكار التحررية، مما جعلت هذه الشخصية والى حد بعيد تمتلك البسالة والقدرة القتالية، لان هذه الشخصية مبنية على اسس المحبة والعطف والاحترام وتقدير القيم الاسلامية الحنيفة، لذا نستطيع ان نقول ان هذه الشخصية تمتاز بأنها أمينة ذات لغة نظيفة وخلق جيدة، مما يعني بان الشخصية الكردية لم تضع معدنها الاصيل، لذا ولحد الآن تسود بين ابنائها بعض القيم العشائرية الاصيلة مثل علاقة القرابة والدم والإيمان ببعض المعتقدات وان كانت بعض هذه المعتقدات قد انتقلت اليها من أعدائها، مما جعلتها تتمسك ببعض القيم والعلاقات الاجتماعية، وبعض العادات والتقاليد والاعراف السائدة في المنطقة وتقابلها قلة الاصابة بالامراض النفسية من بين ابنائها.

ان المجتمع الكردي بطبيعته عانى الاضطهاد والتعب والمشقة والظلم والاستبداد، لذا لم يعط له المجال الكافي للتعبير عن شخصيته بالمستوى المطلوب، مما ولدت لديه روح التضحية والثورة والإنتفاضة وجعلت منه شخصية غير راضخة للعبودية، وتحب الشجاعة والحق والاستبسال من أجل نيل حقوقها، كما اشتهرت الشخصية الكردية بالاخلاص للارض والوطن والاقرباء وأفراد مجتمعه، اضافة الى ان الخيانة لدى الكرد عمل مشين، كما اشتهرت المرأة الكردية بالاخلاص والعمل من أجل سمعتها وسمعة زوجها وعائلتها وإحترامها للكبير والعطف على الصغير، وإكرام الضيف، ومساعدة الفقير والعاجز والتخفيف عن مصائب الآخرين ومشاركة بني جلدته في السراء والضراء، فتتصف شخصية المرأة الكردية بعدم الخيانة الزوجية والسياسية والوطنية، ثم ان المرآة الكردية تكدح وتسهر الليالي لضمان لقمة عيش حلال، وهي شريكة لزوجها في العمل المنزلي، ولاتنحاد عن الحب، كما تتصف بالبساطة ونبذ البذخ في اللبس، وعدم التبذير في النفقات، كما انها تمتاز بكونها عاطفية اكثر من اللازم، كما تمتاز بقوة شخصيتها وبسالتها في الملمات، وهي شخصية مرحة ومكافحة، وهي تشارك الآخرين في الافراح والاتراح، فهذه الصفات جعلت من القومية الكردية أن تشتهر بالاصالة وبأنها ذات تأريخ أنساني طويل، حافل بالنضال الدؤوب والاخلاص للشعب والوطن ومحتفظة بعاداتها وتقاليدها و قيمها الدينية والانسانية الاصيلة، وجعلت منها تبرز من بين اشقائها من الشعوب الاخرى، وتفتخر باصالتها وحضارتها الانسانية ويحتسب بأنها قومية فولاذية تواجه المحن والشدائد والمصائب، إذن فملخص ما تتصف به الشخصية الكوردية هو: (الذكاء/ الثقة بالنفس/ الكرامة/ الشجاعة/ الصبر/ الحكمة/ التسامح/ التواضع.....الخ) من القيم والعادات والتقاليد العريقة والمحبة والعطف، والاحترام للكبير والعطف

على الصغير، والامانة، التوق الى الحرية، وقلة الامراض النفسية والعصبية والانفعال وعدم التنازل عن الحق والصلابة، وسيادة الطابع القروي والعشائري والاهتمام بمسائل القرابة.

سلبيات الشخصية الكردية

الظروف السياسية التي مرت بها هذه المنطقة، والغبن الذي لحق به من قبل الطامعين، والحروب النفسية التي مورست معها والمؤامرات التي حيكت ضدها، في الجوانب والجبهات كافة، جعلت منها ان لا تسمح للشخصية الكردية ان تنمو وتنضج وتتطور وتصل الى حقها المشروع ولاسيما في الميدان الدولي، مثل ما سمحت للشخصيات الاخرى في المنطقة، عدا الحروب الداخلية والاقتتال القبلي فيما بينها (مواجهة واقتتال الكرد ولأخيه الكرد) وهي سياسة غريبة ودنيئة انسجاماً مع شعار (فرق تسد) لذا اشتهر الكرد احياناً ونتيجة لتطبيق هذه السياسة العدائية ضده اشتهر بالخشونة وروح التمرد على النظام وبالتصلب وسيادة روح الانتقام، والانفعال وقلة الصبر والتحمل، ومما لاشك فيه ان الصراع والحروب والاقتتال وعدم فسح المجال للآخر واقصاءه عن ابداء الرأي والتفكير والغبن الذي يلحق بالاطراف المعينة المتنازعة وعدم إحقاق الحق، يولد روح الانتقام والحقد والعداء لدى الانسان، لذا يصف البعض بأن الشخصية الكردية شخصية ذات طابع عشائري وقبلي في سلوكها وتصرفاتها، وتسود فيما بينها العلاقات الاجتماعية والعائلية والقرابة، اضافة الى أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي كان يعيشها الكرد لم تسمح لها بمواكبة التطور كما لم تسمح بزيادة الخبرة في هذه المجالات والتعبير عنها، وبهذا تخلف عن ركب الحضارة والتقدم العلمي الذي شهده العالم، لذا فالشخصية الكردية من هذا المنطلق شخصية طبيعية وبسيطة وغير مصطنعة وتثق بكل شيء. ونتيجة للاحتلال والتجزئة وكبت الحريات السياسية والاجتماعية، والتخلف في مجال الاعلام والاجتماعات وحضور المؤتمرات الدولية، وحتى احياناً، ومع الاسف، نجد قيادات كردية في بعض مناطق كردستان الواسعة، ممن لهم مصلحتهم الشخصية الضيقة، والذين كانوا لايخشون حساب التاريخ لهم فاهملوا قضيتهم ونسوا الاحلام التي راودت القادة الذين فشلوا في التوصل الى مايريده ابناء شعبهم في تحقيق الآمال والأهداف كما لم ينسجموا مع ابناء جلدتهم، كما لم يهتموا بالعادات والتقاليد والقيم المتعارف عليها، والتي يتباها بها الكرد، لذا نجد ان من بين الكرد تظهر احياناً بعض العادات والتصرفات المدانة والبعيدة عن واقع المجتمع، أو تظهر لديهم بعض الظواهر الغريبة التي تمنع وتعيق تطور الشخصية الكردية، ناهيك عن ان الظروف السياسية التي عاش فيها الكرد في مثل هذه الظروف لم تتح لهم المجال في أخذ علوم العصر واخذ فرصهم من التقدم في مجالات العلوم والثقافة، ولهذا كله اتسمت الشخصية الكردية بروح التمرد على الظالمين والمتسلطين على رقاب الشعب ولم يحصل هذا التمرد بسبب جهلهم او انعدام قابليتهم

وامكانياتهم، بل بسبب عدم فسح المجال لهم من قبل اعدائهم لممارسة حقوقهم المشروعة في هذه المجالات من جهة، ومن جهة اخرى، كما اشرنا اليها سابقاً، انه ومنذ القدم ومعارك اليونان والفرس ومعارك الفتوحات وحروب الدولة العثمانية وبعض معارك الحربين العالميتين الأولى والثانية، تلك التي نشبت في هذه المنطقة وتأثير الصراعات بين الامبراطوريتين الفارسية والعثمانية وتوسعاتهما في المنطقة على حساب ارض الكرد وثقافتهم وحرياتهم، فإن دراسة الشخصية الكردية وتحليلها، تلك الدراسات التي قصد منها التعرف والاحاطة بحياة الكرد وشخصيتهم، واستهدفوا من ذلك معرفة السبل الكفيلة للسيطرة على الكرد وبلادهم، واكتساب الخبرة اللازمة في هذا المضمار بهدف استخدام الوسائل الفعالة لتضليل الكرد والسيطرة عليهم وتجزئة بلادهم وخلق الصراعات المختلفة التي تولد منها الاقتتال فيما بين الجماعات وشرائح المجتمع الكردي المختلفة، مما يعطي ذلك طابعا مخالفاً لطابعه الحقيقي من وجهة نظر المراقبين.

الاستنتاجات

أن موضوع الشخصية يهمنا جميعاً، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ودراسة مثل هذا الموضوع في علم النفس تعد من المواضيع المهمة والحساسة، بل من اكثر المواضيع طرافة، فقد حاول بعض الباحثين اعطاء تعريف محدد للشخصية، حيث أدلى كل منهم بدلوه للولوج خلال هذا المصطلح الغامض في عالم النفس الانساني في إحدى زواياه ولكنهم لم يتمكنوا من الاحاطة الكاملة بالشخصية الكردية والحكم عليها حكماً صائباً وموضوعياً، علماً بأننا جميعاً نقع في هذا الخطأ الشائع عندما نستخدم هذا المصطلح في حياتنا اليومية بصورة تلقائية، أو عندما نحكم على البعض بأنهم ذوو شخصية قوية، والبعض الآخر ذوو شخصية ضعيفة، وأن الحكم علماً وأن فلانا من الناس ذو شخصية تتسم بالاتزان والنضج، والآخر عديم الشخصية مسألة دقيقة وحساسة وخطيرة يحتاج الى الموضوعية والبصيرة لذا نستطيع في هذا الصدد ان نقول بأن المحددات البايولوجية أو الوراثية متفاعلةٌ مع المحددات البيئية والثقافية لتكون الشخصية بما فيها الشخصية الكردية، ولهذا فان التعريف الشامل للشخصية هو: (جملة من الصفات الجسمية والعقلية و المعرفية والفكرية والانفعالية والاجتماعية). فالانسان معقد التركيب والتكوين، لأنه ناتج عن مجموعة من الاجهزة الحيوية المعقدة كالجهاز العصبي وجهاز دوران الدم وجهاز الغدد، وتعتبر تلك الأجهزة التي تتكون منها الشخصية من اعقد الاجهزة تركيباً على الاطلاق.. الخ.

نستطيع الان ان نقوم بعملية تقييم الشخصية، لأن تجاهل احد هذه العوامل عند تقييم الشخصية يؤدي الى نقص في هذه العملية وعدم تكاملها وان الحكم على اية شخصية يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار جميع العوامل الوراثية والبيئية والاجتماعية، فالشخصية نظام معقد التركيب

يتكون من مجموعة من الصفات العقلية والجسمية والاجتماعية والانفعالية المؤثرة على الآخرين، الشخصية هي انتاج التعليم، وتتلقى التعزيز من البيئة.فلكل شخصية مميزات تختلف من شخصية الى أخرى، وحتى الشخصية الواحدة تختلف من موقف الى آخر لذا فان الانسان الفرد يشبه كل الناس، ويشبه بعض الناس ولايشبه احداً من الناس.

ان الفرد السليم ذا الشخصية السوية يستطيع حفظ التوازن بين صفاته الشخصية، ومتطلباته الاجتماعية المختلفة فإذا إختل هذا التوافق والتوازن تضطرب الشخصية اضطرابات صغرى وأضطرابات كبرى بدنية وإنفعالية، صوب اضطرابات بدنية وتصيب بالعصاب واحياناً بالذهان.

المصـــادر:

1-الجباري، عمر ياسين: دراسة الشخصية الكردية، محاضرة قسم الاعلام، المعهد الفني، اربيل -2000-2001.

2-الشرقاوي، انور وآخرون: اسس علم النفس العام، مطبعة اطلس، القاهرة -1977.

3-شلتز، دارون: نظريات الشخصية، ترجمة الدكتور حمد ولي الكربولي ود.عبدالرحمن القيسي، مطبعة جامعة بغداد - 1983.

4- العاني، د. نزار محمد سعيد: أضواء على الشخصية الانسانية، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد-1989.

5-عدس، عبدالرحمن ومحيي الدين توق: المدخل الى علم النفس، ط2 دار جون وايلي وابناؤه (مترجم)، نيويورك-1986.

6-كمـال، علـي: الـنفس (انفعالاتهـا وامراضـها وعلاجهـا)، دار واسط، بغداد -1983.



صدرت في الاونـة الاخـيرة مجلتـان: الأولى في السـليمانية باسـم "الرؤيـة" والثانيـة في اربيـل باسـم "ينـابيع". ونحن بدورنـا نهنيء هـاتين المجلتين ونـأمل لهمـا المزيد من التطور.

اسرة تحرير سردم العربي

تطور الوعي القومي عند الكرد
في الربع الاخير من القرن التاسع عشر
و بداية القرن العشرين

الدكتور عبدالله محمد علي علياوەيي
جامعة صلاح الدين – اربيل – قسم التاريخ

المبحث الاول: مظاهر تطور الوعي القومي
سياسة السلطان عبدالحميد الثاني العامة:

اعتلى السلطان عبد الحميد عرش الامبراطورية العثمانية، وكان هذا الحدث منعطفا في السياسة الجديدة لتلك الدولة، حيث تسلم الحكم، في وقت عصيب في تاريخ الدولة العثمانية بعد موت السلطان عبدالعزيز في ظروف غامضة و اختلال عقل اخيه السلطان مراد الخامس، و كان لمدحت باشا دور كبير في اعتلاء عبدالحميد العرش و اصدار شيخ الاسلام فتوى بخلع مراد و تنصيب عبد الحميد في شهر اب من عام 1876م[1]، و كان يوم جلوسه العرش يوما مشهودا[2]، و كانت الحكومة تعاني من الضعف و كثرة الديون، حيث قدرت ديونها انذاك بـ 200 مليون جنيه استرليني[3]، ولكن لم تمض على اعلان الدستور سنتان الا وقد امر السلطان بوقف العمل به في 1878/2/14م[4].

و في عهده حدثت الحرب الروسية – العثمانية 1877-1878م، اضافة الى حدوث مشاكل داخلية كثيرة[5]، و كان موقفه تجاه القوميات مزدوجا، حيث اعلن في جلسة افتتاح البرلمان في 13 كانون الاول عام 1877م انه يحترم حقوق القوميات و تحقيق المساواة[6]، و لكنه كان يعرقل نمو الحركات القومية دوما[7]، و من اثار تغير سياسته تجاه الكرد انه اهتم بالكرد و منحهم وظائف مهمة في الدولة، و

ذلك لشجاعتهم و تمسكهم بالدين الاسلامي و احترامهم للسلطان لكونه خليفة المسلمين[8]. و تقرب منهم، و خاصة من رؤساء العشائر الكردية و منحهم امتيازات واسعة[9]، و قد تقلدوا مناصب مهمة في الجيش و الادارة في اواخر العهد العثماني، حيث يذكر احد الباحثين المعاصرين[10]: بأن سعيد باشا وهو كردي من منطقة بشدر اصبح وزيراً للخارجية، و في الوقت نفسه كان يتبع سياسة مزدوجة تمثلت في توطيد حكمه في كردستان محاولاً تشجيع الزعامات الدينية في كردستان و امداد رجالها بالمال[11]، و قد اهتم السلطان عبدالحميد بالناحية الدينية و ذلك لزيادة المشاكل الداخلية في الدولة العثمانية و مطالبة القوميات بالاستقلال و تكالب الدول الكبرى عليها بسبب المصالح الاقتصادية التي ازدادت في الربع الاخير من القرن التاسع عشر بسبب تطور الصناعات في اوروبا و ظهور المانيا كدولة موحدة تنافس الدول الاوربية، حيث اصدر السلطان عبد الحميد في الحرب الروسية – العثمانية 1877-1878م بوساطة شيخ الاسلام فتويين تقضي الاولى بوجوب الجهاد ضد الكفار، و الثانية باطلاق لقب الغازي على السلطان عبد الحميد، و ربما كان اصدار الفتاوى للجهاد يدل على ادراكه لضعف ثقة الشعوب العثمانية بشعارات الدولة في الحقوق و المساواة التي نادى بها السلطان عبد الحميد عندما افتتح البرلمان العثماني لأول مرة في كانون الاول عام 1877م.

و يذكر علي الوردي بأن السلطان رفع شعار "يا مسلمي العالم اتحدوا"[12] وقد اراد من وراء ذلك استخدام الدين لمقاومة معارضيه في الداخل. و مواجهة اعدائه في الخارج، لذلك اهتم بالدين كثيراً، و كان يرى ان فكرة الجامعة الاسلامية ضمان لالتفاف المسلمين بقومياتهم المختلفة حول عرش السلطان و مقاومة القوى الاجنبية[13]. و امر السلطان بطبع القران الكريم و وزعه على المدن و البلدان الاسلامية، ثم قام بتوزيع شعرات النبي – صلى الله عليه و سلم – على الجوامع، و كان وصول الشعرات الى الاقاليم و من ضمنها العراق يوما مشهودا[14].و كان من اهم مظاهر الجامعة الاسلامية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وقد طلب السلطان من العلماء العرب المجيء الى الاستانة و الاستقرار فيها، و سعى الى زيادة عدد الضباط العرب في الجيش، و عين بعضهم في مناصب عالية في الدولة، حيث عين عزت باشا سكرتيرا ثانيا للبلاط، كما عين نعوم باشا مستشارا لوزارة الخارجية، و نجيب ملحمة باشا رئيسا لجهاز الامن، كما شدد موقفه تجاه الهجرة اليهودية الى فلسطين[15]، حيث رفض بشدة عرض هرتزل المغري، كما احيا لقب الخليفة و كرست الصحافة السلطانية للدعاية للجامعة الاسلامية، و احضر جمال الدين الافغاني الى الاستانة[16]. و كان من مظاهر الجامعة الاسلامية تحسين العلاقة بين السنة و الشيعة و تقريب وجهات نظرهم، و كل ذلك أثار سخط الدول الاوربية، و لكن المتتبع لسيرة و تطور الجامعة

الاسلامية يلحظ ان مدى نجاحها في استخدامها سلاحا للمقاومة الاجنبية كان ضئيلا[17].

الفرسان الحميدية:

ومن مظاهر تغير السياسة العثمانية تجاه الكرد كما قلنا، ان المسؤولين ارادوا ان يخلقوا من العشائر الكردية قوة تابعة لهم مباشرة لكي لا يخرجوا عن طاعة السلطان كما ذكرنا[18].

و بعدما تسنم السلطان عبد الحميد العرش بدأوا بتطبيق ذلك بشكل مدروس و خولوا "سميح باشا" القائد العسكري في ارضروم للقيام بذلك، حيث اراد ان يشكل قوة خيالة من العشائر الكردية تابعة للجيش، و لكن محاولاته لم تحقق النجاح في البداية، و ذلك بسبب تردد العشائر الكردية من دفع شبابها الى القوة المراد تشكيلها و قاوموا بقوة محاولات "سميح باشا" رغم ان بعض العشائر وعدت بتقديم الرجال امثال عشيرتي زيلاني و كاسكانلي[19].

و في شهر كانون الثاني عام 1877م ارسل "سميح باشا" احد رؤساء العشائر الكردية و هو ابراهيم باشا للتجوال بين العشائر الكردية لجمع المقاتلين لكنه لم يتمكن من ذلك ايضا، بسبب امتناع العشائر عن المشاركة في القوة المراد تشكيلها[20]، و بذلك فشل سميح باشا و لم يستطع تحقيق هذه المهمة، و لكنهم تمكنوا بوساطة فرض الجهاد في الحرب الروسية – العثمانية 1877-1878م، من جميع المجاهدين ليشاركوا في الحرب. و بعد ثورة الشيخ عبيد الله 1880-1881م ازدادت محاولة ادهم باشا والي هكاري عام 1884 م التقرب من رؤساء العشائر الكردية، و اقترح ان يعين الشيخ نور الله احد اقارب الشيخ عبيد الله رئيساً للكرد في منطقة هكاري و مديرا للمدرسة المزمع فتحها في باشقلا و عقد هذا الوالي اجتماعات مع وجهاء الكرد لكنه لم ينجح في جذبهم[21]، و لكن الفكرة لم تمت، فعندما اصبح زكي باشا قائدا للفيلق الرابع في ارضروم بدأ المحاولة من جديد لجمع العشائر و تشكيل قوة منهم بدعم من شاكر باشا القائد العام للقوات العثمانية للقيام بالاصلاحات في الولايات الاناضولية، حيث اخذوا الفكرة من الروس عندما شكل الروس فرقة غير نظامية عرفت بالقوة القوزاقية 1878م، و انضم الكرد القاطنون في القفقاس اليها[22].

و من اجل تشكيل هذه القوة صدر في شهر تشرين الثاني عام 1890م فرمان رسمي بذلك[23]، و استمرت محاولات العثمانيين لاقناع القبائل و الرؤساء الانضمام الى هذه القوة الجديدة، و سميت بالفرسان الحميدية تيمناً باسم السلطان عبد الحميد[24]، ووعدهم بامتيازات كثيرة باسم السلطان، و كان غرضهم العلني من تأسيس ذلك هو اداء الواجب المقدس في الدفاع عن الامبراطورية العثمانية الاسلامية، و وجهوا دعوات الى الكثير من الرؤساء و العشائر الكردية لزيارة السلطان في الاستانة، و لبى الكثير من الرؤساء الدعوة، و خصوصا بعض العشائر الكردية في كردستان الشمالية[25]. وزاروا الاستانة، حيث جرى لهم

احتفال كبير بقدومهم و استقبلهم السلطان بنفسه في قصره الذي قلما يستقبل الناس فيه، و كانت هذه الزيارة هي الاولى من نوعها لبعضهم، و قد دهشوا عندما رأوا مظاهر التطور الموجود في العاصمة، و بقوا فيها قرابة شهر، و قدم السلطان لهم الهدايا و الالقاب و الاوسمة و الرتب العسكرية، اضافة الى منحهم مخصصات شهرية بعد ان وعدوا السلطان بتقديم الرجال باعداد تفوق اعداد افراد عشائرهم[26]، كما منحهم بعض الامتيازات و اعفاهم عن الضرائب، ومن بعض الاتاوات[27]، ولما عاد هؤلاء الرؤساء الى اماكنهم تراجع بعضهم عن وعودهم، فقد رفضت عشيرة جلالي في منطقة بايزيد الانضمام الى الفرسان الحميدية، حيث ان رجال العشيرة عبروا الحدود الى ايران، كما ان امين اغا رئيس عشيرة حيدر انلي الذي منح له الوسام المجيدي من الدرجة الثالثة و لقب الباشا لم يستطع تشكيل فوج واحد، حيث وعد السلطان في العاصمة بتقديم فوجين أي (1000) فارس تقريبا، و كانت هذه العشيرة تعد من اكبر العشائر الكردية في كردستان الشمالية، و تقدر اسرها بـ(20) الف اسرة[28]، ومن بين (50) رئيس عشيرة كردية الذين زاروا الاستانة و وعدوا الدخول في التشكيلة الحميدية، ولم يدخل الا (13) رئيس عشيرة في صفوف الفرسان الحميدية[29]، كما ان الكثير من العشائر الكردية رفضت الدخول فيها مثل عشيرة هموند الشجاعة، و رفضت عشائر دياربكر الانخراط في صفوفها، و كذلك قبائل درسيم رفضت رفضا قاطعا الدخول في هذه القوات، كما لم يستجب البدرخانيون و الشمدينيون، و كذلك الكرد في كردستان الجنوبية من عشائر بشدر و الجاف[30]..

و يظهر ان اسباب رفض الكثير من رؤساء العشائر الذين وعدوا السلطان بالانضمام الى الفرسان الحميدية هي انشغال اكثرية تلك العشائر بالزراعة و تربية الحيوانات، و كذلك تفشي الانحلال و الفوضى داخل الدولة العثمانية[31].

ومن الملاحظات ان هذه الاسباب ليست كافية لعدم انضمام الكرد الى الفرسان الحميدية، بل هناك اسباب اخرى دفعت الكثير من العشائر الكردية الى عدم الانخراط في الصفوف الحميدية، و هي سياسة الدولة العثمانية تجاه الكرد عموما عبر التاريخ من حيث الظلم و الاضطهاد، حيث تعلم الكرد بحلول نهاية القرن التاسع عشر الكثير من الدروس، ولم يعودوا يثقون بالدولة العثمانية، و لابوعودها، و كذلك تطور الوعي القومي لدى الكرد بسبب انتشار الافكار القومية داخل الدولة العثمانية، و كان لظهور قيادة كردية جديدة بعد منتصف القرن التاسع عشر و التي كانت بيدها السلطة الدينية و الدنيوية المتمثلة بالعائلة النهرية، و هؤلاء لم ينخرطوا في صفوف الحميدية، و كذلك العائلة البدرخانية، و فضلاً عن ذلك فقد انتقدت صحيفة كردستان الصادرة بين اعوام 1898-1902م التشكيلة الحميدية وعدتها مؤسسة فاسدة[32].

و من اهم الاسباب التي ادت الى تشكيل الفرسان الحميدية هو: رغبة الدولة العثمانية في وضع الكرد

بمواجهة القوة الروسية في المناطق الحدودية المتاخمة مع الدولة العثمانية[33]، و استخدامهم كوسيلة لضرب الحركات القومية الكردية عند حدوثها و المشاركة في ضرب القوميات الاخرى التي تطالب بحقوقها في الدولة العثمانية[34].

و كذلك اخضاع رؤساء العشائر الكردية الى الحكومة المركزية، و منعهم عن المطالبة بحقوقهم القومية و الوطنية وكسب ولائهم للسلطان[35].

و اعتقدت القنصليات الانكليزية في الدولة العثمانية أن السبب وراء تأسيس الفرسان الحميدية هو تفرقة الكرد من اجل سهولة السيطرة عليهم[36]، وما ذكرنا يعد من الاسباب المهمة التي ادت الى تشكيل الفرسان الحميدية، حيث ان الدولة العثمانية بدأت تخاف كثيراً من تكرار الاحلاف الكردية، كالحلف المقدس الذي انشأه بدرخان الكبير في العقد الرابع من القرن التاسع عشر و عصبة الكرد التي اقامها الشيخ عبيد الله النهري في الثمانينيات من القرن التاسع عشر، و التي اشترك فيها اكثر من (200) رئيس عشيرة و متنفذون كرد.

ولم يكن هذا الامر سهلاً للدولة العثمانية التي كانت توجس خيفة من وحدة الكرد، و هكذا فكر رجالات السلطة بقطع الطريق على أي اتحاد كردي و ذلك باقامة الفرسان الحميدية الذين تستطيع السيطرة عليهم و استغلالهم لكبح المشاعر القومية للأرمن و القوميات الاخرى التي بدأت تظهر في الدولة العثمانية نتيجة الاحتكاك الحضاري مع الغرب.

و من المعروف ان رؤساء العشائر الكردية فقدوا السلطة امام الامراء الكرد و استمروا في فقدها ايام ظهور القيادات الدينية، ولم يكن لهم شأن سياسي او عسكري في الحالتين، فأرادت الحكومة رفع شأنهم بادخالهم في الفرسان الحميدية، و لكن هذه الخطوة اصابها الفشل ايضا، فقد حاول هؤلاء الرؤساء الامتناع عن دفع الضرائب، و تدخلوا في شؤون الموظفين العثمانيين في المناطق المختلفة في كردستان، مما سبب حرجا للدولة[37].

و فيما يتعلق بتشكيلات الفرسان الحميدية فانهم كانوا ينقسمون الى الاقسام الاتية:

اولا: الاحضارية:

و يلتحق بهذا الصنف من كان عمره (17) عاما، و يخدم ثلاث سنوات[38]، و يقتصر التدريب في مناطق سكناهم و يعدونهم كمحاربين. من 20-30فارسا و يبلغ مجموع الكتائب (65) كتيبة[39] حيث كان عدد الكتائب عام 1892 م قد بلغ (40) كتيبة و في عام 1893م (56) كتيبة و في عام 1899م بلغ قرابة (65) كتيبة، و قام هؤلاء الفرسان بفعل كل شيء دون مراعاة الشعور بالانتماء القومي، فلم يفرقوا بين كردي و ارمني او غيرهم.. فهم يسلبون و ينهبون و يأخذون كل شيء و يعطون حصة الاسد لزكي باشا، و اصبح كل من زكي باشا و الفريق احمد باشا اثرياء نتيجة ماكانوا يأخذون من رؤساء العشائر الكردية المنضمة للحميدية، حتى بلغ الحد بالصدر الاعظم عام 1899م ان ينبه السلطان عبد الحميد انه لم يبق

الضبط و التنظيم داخل الفرسان الحميدية[40]، ومع الاسف الشديد عندما يذكر الكثير من الباحثين مسألة علاقة الارمن بالدولة العثمانية و ما ارتكبته الدولة العثمانية بحقهم من مظالم يركزون على دور الكرد في المذابح الامنية فقط[41]، و لكني اعتقد ان الكرد بريئون من هذه التهم، و ان الذين اذوا اخوانهم الارمن هم بعض رؤساء الفرسان الحميدية، و هؤلاء عبارة عن مرتزقة فكيف لا يفعلون ما يأمر بهم اسيادهم العثمانيون، و لانستطيع ان نتهم الكرد بذلك، لأن الذين ضلوا هم قلة قليلة، و هؤلاء يمثلون انفسهم فقط، و الدولة التي تأمرهم و ليس الكرد، حيث ان اهل ديار بكر بعد الانقلاب العثماني عام 1908 طالبوا بالحاح حل الفرسان الحميدية لأن شغلهم الشاغل كان السلب و النهب[42].

و كان الاتزاق شائعا في كل القوميات تقريبا و يمثل هؤلاء اقلية اذن كان الفرسان الحميدية مأجورين من قبل الحكومة، و المأجور يجب ان يطيع اوامر سيده، لكن رغم ذلك كان هناك بعض رؤساء العشائر الكردية المنضمة تحت لواء الفرسان الحميدية ممن رفضوا ايذاء اخوانهم الارمن، و المثال على ذلك ابراهيم باشا العلي الذي كان مقربا من السلطان عبد الحميد، و منحه رتبة امير الامراء (ميرى ميران)، و كذلك لقب الباشا بعد زيارته للاستانة، حيث رفض الاخير ضرب الارمن عندما طلب منه، و فضلاً عن ذلك انقذ عشرة الاف منهم، و رفض ايضا الذهاب الى اليمن لمحاربة ثوار العرب فيها[43].

وكان الروس يعتقدون ان الفرسان الحميدية شكلت بنصيحة من الانكليز وهم الذين يحرضونهم ضد الروس، فالانكليز هم الذين نصحوا الترك باحداث هذا التنظيم، و اقترحوا ان يتولى زكي باشا قائد الجيش الرابع مسؤولية تشكيلها[44]، لذلك كان الروس غير مرتاحين بها، و لاسيما ان احد اسباب نشوئها هو خلق الاضطرابات على الحدود الروسية – العثمانية، و عدت روسيا ذلك خطرا على حدود قفقاسيا، و في عام 1899 م قتل الفرسان الحميدية ضابطين عن الضباط الروس، و طالبت الحكومة الروسية من الدولة العثمانية بوضع حد لتصرفات الفرسان الحميدية، و ذلك بمعاقبة المسؤولين عن الحادثة، و عزل متصرف بايزيد، وسحب الرتب من الفرسان الحميدية، و تعويض عائلة الضابطين، و اتفق الطرفان على تشكيل لجنة لوضع حد للمشاكل وحلها و التي تحدث غالبا في المناطق الحدودية[45].

وقد استطاعت الحكومة الروسية كسب ولاء بعض العشائر الكردية القاطنة على الحدود الروسية – العثمانية و تحريضها على عدم الدخول في التشكيلات الحميدية[46]، حتى ان حسن اغا من عشيرة حيدر انلي ارسل رسالة الى عبدالرزاق بيدرخان (الذي كان مقربا من الروس انذاك) يعلن فيها محبته و صداقته للروس، و تشاور عبد الرزاق جيركوف مساعد القنصل الروسي في خوى، و لكنه لم يرد على الرسالة، و لم يعلن استعداد روسيا لمساعدة الكرد[47].

وبعد الانقلاب العثماني عام 1908م ارتفعت الاصوات المنادية بحل هذه التشكيلات او على الاقل نزع السلاح منهم، و اراد الاتحاديون حلها، و لكنهم لم يجرؤا على ذلك خوفا من الاصطدام معهم في بداية الانقلاب، لكون هؤلاء تابعين و مخلصين للسلطان عبد الحميد.

لكن الذي فعلوه هو تغيير الاسم من الفرسان الحميدية الى (خفيف سوارى الايلرى = الوية الفرسان الخفيفة)[48]، و انزلوا الرتب الممنوحة لرؤساء الحميدية، و اعيد تنظيمهم كجزء من الجيش النظامي، و قاتلوا في الحرب البلقانية عام 1912-1913م[49]، كما اضيف اليهما صنف المدفعية[50]، و اشتركوا في الحرب العالمية الاولى، و لكن لقلة كفاءتهم الحربية لم يستطيعوا ان يلعبوا دوراً مهماً و فعالاً فيها.

المدارس العشائرية (عشيرت مكتبلري):

لقد عمدت الدولة العثمانية الى استخدام و استعمال سياسة اكثر مرونة تجاه الكرد كما قلنا، و ذلك لجذبهم لينصاعوا الى اوامر الدولة، و شعر الكرد انهم متأخرون من الناحية التعليمية، و خاصة بعد انتشار الافكار القومية نتيجة انتشار الكتب و اختلاط الكرد بالأجانب و زيارات القناصل الاوربيين المتكررة لكردستان، وقدم (17) رئيسا من رؤساء العشائر الكردية في وان طلبا خطيا (مضبطة) الى مندوب السلطان الذي كان يتجول في المنطقة لتنفيذ الاصلاحات الادارية، و طلب هؤلاء من مندوب السلطان باسم (40) الف كردي بافتتاح مدارس لابنائهم على نفقتهم الخاصة[51]، وقد شعرت الحكومة العثمانية بالمطالب الكردية من جهة، و من جهة اخرى كان لابد لها ان تهتم بالتعليم في كردستان نتيجة التطور الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي في الدولة العثمانية، و لكنها في نفس الوقت ارادت ان تكون لها السيطرة على التعليم، لكي تتمكن من تسييره وفق سياساتها المتبعة، فأمر السلطان عبد الحميد بانشاء هذه المدارس، و ذلك باصدار ارادة سنية في 1890/9/21م و بموجبها طلب من رؤساء العشائر الكردية و العربية اختيار ابنائهم للدخول في تلك المدارس[52]، و لكن لم تباشر الدراسة في تلك المدارس الا في عام 1892م، و في البداية افتتحت هذه المدارس في الاستانة و بغداد و عرفت بـ(عشيرت مكتبلري) أي المدارس العشائرية[53]، و صادف يوم افتتاحها الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف الموافق 12 ربيع الاول 1310هـ – 1892م[54].

ولعل اختيار هذا اليوم الشريف لافتتاح المدرسة جاء قصداً و ذلك للتبرك بهذا اليوم، و كانت للدولة العثمانية وراء فتح هذه المدارس اهداف عدة منها: بعث الروح القومية العثمانية في نفوس ابناء العشائر الكردية و العربية حتى يكونوا في خدمة السلطان، و التحاق هؤلاء الطلبة في كتائب الفرسان الحميدية بعد تخرجهم و يكونوا اكثر استعداداً لتقبل المبادئ الاولية للتدريب العسكري الحديث[55]، و منها كسب ولاء رؤساء العشائر للسلطان و ليكونوا على استعداد لإطاعة اوامر الدولة و الانصياع اليها

و لتقوية الصداقات القبلية[56]، و منها ايضا تتريك الطلبة الدارسين عن طريق تعلمهم اللغة و الادب التركيين[57]، و ليأخذ الطلبة اساليب التمدن الحديث و تعزيز محبة السلطان، و كسب ولاء العشائر للدولة و الوقوف ضد اية حركة قومية يقوم بها رؤساء العشائر الكردية، و ليكون هؤلاء الطلبة على استعداد لضرب بني قومهم عندما تقتضي الحاجة[58].

ولكن كثيرا من هذه الاهداف لم تتحقق، حيث تشبع الكثير من الطلبة المتخرجين بالروح القومية الكردية، و امنوا بالكفاح القومي[59].

وقد صرفت الدولة مبالغ طائلة بلغت (8) ملايين ليرة تركية على تأسيس تلك المدارس[60]، و لم يكتب لمدرسة بغداد النجاح، لأن والي بغداد قد افتعل المشاكل بين الطلاب الكرد و العرب، و عند ذلك طلب من الاستانة الموافقته على غلق المدرسة و تم له ما اراد[61].

و بحلول عام 1895م افتتحت مدارس عشائرية اخرى في كل من وان وبالتسوس و توبر خكال و مورداك.. و كانت مدة الدراسة في تلك المدارس (5) سنوات، و قبل في الوجبة الاولى خمسون طالباً فقط[62]، حيث كان نصيب العراق منها (12) مقعدا، أي بواقع اربعة مقاعد لكل ولاية (بغداد و الموصل و البصرة)، و اشترطت الدولة ان يكون الطلاب من ذوي القابلية و الاستعداد ذهنيا و جسديا و من ابناء رؤساء العشائر البارزين من ذوي السلطة و النفوذ، فمثلاً قبل في تلك المدرسة حميدي ابن فرحان باشا الشمري[63]، الذي كان ابوه قد وعد الشيخ عبيدالله في حينه بمشاركته و مساعدته عند هجومه على مدينة الموصل، و كان من ابرز طلابها عبدالمحسن السعدون و اخوه عبدالكريم السعدون، و قد اصبح الأول اشهر رئيس للوزراء في العراق للمدة بين 1923-1929[64].

و اشترط ان يكون عمر الطلاب ما بين 12-16 سنة، و كانت الحكومة تمنح لهم ثلاثين قرشا شهريا، و يزداد هذا المبلغ كلما اجتاز الطالب مرحلة و دخل مرحلة اخرى، و كانت الحكومة تتحمل نفقات المعيشة و الكسوة للطلاب[65]. و تمنح لهم الاجازة لزيارة اهلهم ايام تعطيل الدراسة السنوية[66]، و قد تخرج اول دفعة عام 1896م، و لكن بحلول عام 1907 لم يبق في المدرسة عدا طالبين اثنين نقلا الى احدى المدارس التابعة لوزارة المعارف في عام 1908م تقليصاً للنفقات[67].

وتبين من سياق سرد الاحداث ان الدولة لم تهتم بالمدارس العشائرية الا في السنوات الاولى لفتحها، و ذكرت احدى الجرائد انه تم تأسيس مكتب ليلي خاص في العاصمة و عرفت بمكتب العشيرة الخاص[68]، و لكننا لم نعثر على اية معلومات عن هذه المدرسة المسائية و كيفية القبول و عدد طلابها.

وقد شجعت صحيفة كردستان 1898-1902م رؤساء العشائر الكردية على ارسال اطفالهم الى تلك المدارس لكي يتسنموا المناصب الرفيعة في الدولة

عنـد عـودتهم الى منـاطقهم و يخـدموا بـني قومهم[69].

اما ما يتعلق بمنهاج المدرسة، فقد كان في السنة الاولى يتضمن المواد الاتية[70]:

1-تعليم الطلاب الحروف الابجدية (الالفباء التركية)، و التدريب على ذلك، و لا يعلم غيرها من الدروس الا بعد تعلم هذه الاحرف.

2-تعليم الطلاب اجزاء من القرآن الكريم ابتداء بجزء عم.

3-تعليم القراءة التركية و يكتب او يدرب الطلاب على الجمل القصيرة المفيدة.

4-تعليم الطلاب مبادئ الحساب (العمليات الاربعة).

5-تعليم الخط.

المبحث الثاني: نتائج تطور الوعي الكرد في المعارضة العثمانية

مشاركة الكرد في تأسيس جمعية الاتحاد و الترقي:

بدأت اوضاع الدولة العثمانية تمر بحالة من الاضطرابات و الفوضى الداخلية منذ الخمسينيات من القرن التاسع عشر، و بالتحديد بعد حرب القرم (1853-1856م)، و ذلك لأسباب كثيرة منها اقتصادية و اجتماعية و سياسية، حيث ان دخول الدولة العثمانية خلال ربع قرن في حربين ادى الى خسائر اقتصادية و بشرية، حيث اصبحت خزينة الدولة خاوية مما ادى الى زيادة فرض الضرائب، حتى بلغ الحال بها انها بدأت بأخذ ضرائب لسنة قادمة ايضا، فضلاً عن قيام الدولة بالاستدانة من البيوتات المالية الخارجية، و ذلك بسبب بذخ السلاطين و ترفهم المفرط، و خصوصا السلطان عبد العزيز، و ظهور بوادر الحركات القومية غير التركية، و شعور جماعة من الاتراك انفسهم بتأخر بلادهم، خصوصا بعد اتصالهم بالأجانب و الالمان بصفة خاصة، من خلال المستشارين الاجانب، و دراسة بعض الضباط الاتراك في المانيا، و ذهاب عدد من الشبان للدراسة في مدارس الغرب و الاطلاع على مؤسساتها القومية و الديمقراطية. وقد دفعت هذه الاوضاع المتردية بالشعوب العثمانية الى ان تشعر بضرورة التغيير، فأخذ الشباب، و خصوصا الطلاب الذين كانوا في مدرسة الطب العسكري، اضافة الى المتنورين المدنيين الذين اطلعوا عن طريق الاتصال المباشر او عن طريق الصحف التي كانت تهرب الى داخل الدولة العثمانية يشعرون بالبون الشاسع بين تقدم الغرب و بين تدهور الحياة العثمانية المستمرة، و ادى ذلك الى ظهور جمعية الاتحاد و الترقي التي كانت جمعية سرية اول الامر، فاعتقدت ان الاصلاح انما يتم بالدرجة الاولى بالقضاء على حكم السلطان عبد الحميد الاستبدادي، و احلال نظام يقوم على وحدة العناصر العثمانية بصرف النظر عن اختلاف قومياتهم و العمل معاً لأجل ترقية المجتمع و الوصول الى التقدم الذي حصل في الغرب.

وقد لعب الكرد دورا مهما في تأسيس هذه الجمعية السرية[1] التي اسسها عام 1889م طالب

الباني[2] هو ابراهيم تيمور، حيث طرح فكرته على ثلاثة من رفاقه المخلصين في كلية الطب العسكرية، و قد استوحى الفكرة خلال زيارته الى اهله في البانيا عام 1888م، حيث زار في طريق عودته اثنين من المحافل الماسونية في مديني برنديزي و نابولي برفقة احد اصدقائه، و اطلع هناك على شيء من دور الكاربوناري في التاريخ الايطالي، و لقيت الفكرة من رفاقه الثلاثة التأييد و كان اثنان منهم كرديين هما اسحق سكوتي من ديار بكر و عبدالله جودت من عربكير، و سموا هذا التجمع في البداية بـ(الترقي و الاتحاد)[3]، وكان ابراهيم تيمو يحث الطلاب في البداية على العمل ضد المدرسة[4]، و هؤلاء الطلاب الاربعة شكلوا نواة هذه الجمعية و كلهم كانوا غير اتراك[5]، و هدفها قلب الادارة العثمانية و عزل السلطان عبد الحميد، و ابدالها بادارة جديدة و سلطان جديد عادل لا يميز بين الشعوب العثمانية[6].

ان اشتراك اثنين من الكرد في تنظيم يتألف من اربعة افراد يدل على مدى الوعي الذي وصل اليه الشباب الكرد و مدى رغبتهم في العمل الجاد لابدال الاوضاع المتدهورة في الدولة.

و في عام 1896م انضم الى الجمعية الشيخ عبدالقادر ابن الشيخ عبيدالله النهري[7]، و لم يكن للجمعية برنامج اجتماعي و سياسي محدد في البداية ماعدا القضاء على الحكم الاستبدادي السلطاني[8]، و كان هؤلاء مع بعض المنضمين الجدد يجتمعون سراً، خوفاً من اكتشاف امرهم و تعرضهم للسجن و النفي، و قد عقدوا اول اجتماع في 1889/5/21 م حضره ابراهيم تيمو و عبدالله جودت و اسحاق سكوتي و محمد الشركسي، و عرف هذا الاجتماع بـ(دور تلر اجتماعي) الاجتماع الرباعي و تلته اجتماعات اخرى في اماكن مختلفة اهمها الاجتماع الذي انعقد تحت شجرة التين، حيث حضره (12) شخصا و انتخب علي رشيد باشا رئيسا للجمعية، و الكردي عبدالله جودت سكرتيرا لها، و يقال ان اختيار علي رشيد جاء لكبر سنه و مقامه في الوظيفة، غير ان تيمو احتفظ برقمه الأول في الجمعية[9]، و في عام 1892م كشف امر الجمعية من قبل جواسيس السلطان فألقت السلطات القبض على بعضهم و سجنتهم، و استطاع اخرون الفرار، عزل السلطان عبد الحميد مدير المدرسة علي صائب باشا و احل مكانه زكي باشا[10]، وفي عام 1895م القي القبض ثانية على بعض الأعضاء الآخرين و منهم الكرد بإن اسحاق سكوتي و عبدالله جودت[11].

وقد لعب المذكوران دورا مهما في تاريخ الجمعية، وفي ايقاظ الوعي ضد مظالم الادارة العثمانية، و بعد انكشاف امرهما نفت الحكومة اسحاق سكوتي الى جزيرة رودس و عبدالله جودت الى طرابلس بليبيا، و تمكنا اخيراً من الهرب من منفاهما الى باريس عام 1897م، و أخذ عبدالله جودت بكتابة المقالات في جريدة (مشورت) التي اصدرها احمد رضا منذ عام 1895م في فرنسا الا ان خلافا فكريا نشب بينهما ادى الى انسحاب جودت من نشر المقالات في الصحيفة

المذكورة، و جاء الى جنيف عام 1897م[12]، حيث قام باصدار جريدة عثمانلي مع زميله اسحاق سكوتي في شهر كانون الأول من عام 1897م، و كانت تصدر مرة واحدة كل اسبوعين باللغتين التركية و الانكليزية[13].

وعلى الرغم من وجود سجلات و صحف اخرى مناوئة للحكومة العثمانية الا ان السلطات العثمانية ابدت انزعاجها من جريدة (عثمانلي) و ما تحمله من هجوم على السلطان عبد الحميد و الدعوة لتغييره، و قد ارسل السلطان سفيره منير بك في باريس لاقناع الكرديين بالتوقف عن استمرار الجريدة بالصدور، فوضع الاثنان شروطا تلخص: في اصدار العفو عن المسجونين السياسيين الذين يلاقون التعذيب و الذى في طرابلس الغرب، وقد خضع السلطان لهذا الشرط، و توقفت الصحيفة نتيجة ذلك عام 1899م.

و قام السلطان بتعيينهما في مناصب بصفة طبيب في السفارة العثمانية في كل من النمسا و ايطاليا، غير ان الجريدة عاودت الصدور بالاسم نفسه في مدينة فولكستون جنوب لندن من قبل الأمير صباح الدين و بدعم سري من اسحاق سكوتي، حيث استمر دعمه للجريدة حتى وفاته عام 1602م في سان ريمو[14]، ورثته صحيفة كردستان انذاك[15].

ويعد عبدالله جودت من المفكرين الكرد الكبار و تخرج من الكلية الطبية العسكرية عام 1895م و مارس مهنة طب العيون[16]، كما اشتهر بترجمة الكثير من الكتب، و خاصة كتب شكسبير، لكنه كان الى جانب ذلك كاتبا سياسيا داعيا الكرد الى دراسة ماضيهم و الاعتبار به، و توطيد علاقاتهم بالريف الكردي لكي يدركوا مدى ما يعانيه الشعب الكردي من الظلم و التعسف و التخلف و يعملوا على تعليم ابنائهم[17]، و في سنة 1904 ذهب الى مصر و هناك اسس مطبعة و دار نشر باسم الاجتهاد، و اصدر مجلة اسمها (الاجتهاد)[18]، وبعد الانقلاب العثماني عام 1908م عاد الى الاستانة، و فيها استمر في مطالبته بحقوق الكرد، ففصلته السلطة بسبب آرائه التي عدتها متطرفة، و اعتقل عام 1922 كما اتهمته الحكومة التركية عام 1925 بأنه يدعو الى اقامة دولة كردية، لكنه توفي في عام 1932م[19].

و في عام 1902 عقد اول مؤتمر للجمعية في باريس بعد جولة قام بها الأمير صباح الدين و معه لطف الله داعيين المعارضين الى عقد المؤتمر، و اجتمع في باريس (47) مندوبا يمثلون مختلف القوميات[20]، العثمانية، و مثل الكرد في هذا المؤتمر عبدالرحمن بدرخان و حكمة بابان[21]، و انتخبوا بالاجماع الأمير صباح الدين رئيساً للجمعية، و قد اكد صباح الدين على ان غاية المعارضين هي اقامة حكم يتمتع فيه جميع المواطنين العثمانيين بالمساواة و الحرية، و رفعوا شعار الحرية و المساواة و العدالة[22]، متأثرين في ذلك بروح الثورة الفرنسية لعام 1789م.

وانعقد المؤتمر الثاني في باريس ايضا عام 1907م ومثل الكرد فيه عبدالرحمن بدرخان[23]، و قرروا العمل لقلب الحكومة المركزية[24].

اما في الداخل فقد اتخذت الجمعية من مدينة سالونيك مركزاً لنشاطها، لأن هذه المدينة كانت تضم كثيرا من المعارضين و تحظى بحماية الدول الكبرى، الى جانب احتكاكها بالغرب[25].

بداية ظهور الحركة الثقافية الكردية الحديثة :

ارتبطت الحركة الثقافية في كردستان بالجوامع، فكانت هناك مدارس دينية منتشرة في مدن و قرى كردستان، و كان يدرس فيها اعداد من الطلاب الكرد، و كانت لغة التعليم هي العربية، و كانت تدرس الى جانب ذلك اللغة الفارسية، و كانت هذه الدراسات مختلفة عن العلوم الحديثة، وكان هدفها تخريج علماء الدين وائمة المساجد، ثم ظهرت قبل نهاية القرن التاسع عشر محاولات فردية من قبل بعض الشباب الكرد، فعلى سبيل المثال شارك كرديان في تأسيس جمعية الاتحاد و الترقي عام 1889م من اصل اربعة افراد، و هذا الاشتراك له مغزى كبير، لأنه يدل على ان الشباب الكرد واعون و مدركون لالالم قومهم، لذلك شاركوا في المعارضة العثمانية، حيث ان اعتقالهم و نفيهم و هروبهم من المنفى و التحاقهم بالمعارضة في الخارج يعني ايضا الكثير، أي ان القضية تتطلب التضحية بالذات.

و تعد سنة 1892م مهمة للكرد لأن فيها تم طبع اول كتاب عن اللغة الكردية من قبل يوسف ضياء الدين باشا، وهو من اصل فلسطيني عاش بين الكرد حين كان مسؤولاً اداريا في مدينة موتكي الكردية في منطقة بدليس، وقد اجاد اللغة الكردية، و كان له المام واسع باللغتين الفارسية و التركية، اضافة الى لغته العربية[26]، و سمى الكتاب بـ(الهدية الحميدية في اللغة الكردية) و بلغ عدد صفحاته اكثر من 250 صفحة، و هو اول كتاب وضع و طبع حول اللغة الكردية.

وقد استشهد المؤلف ببعض الاشعار الكردية، و سمي بالهدية الحميدية تلافيا لمنع طبعه، و كانت مقدمة الكتاب مكرسة لمدح السلطان عبد الحميد، و يؤكد المؤلف في كتابه اهمية دراسة اللغة الكردية لأنها تؤدي الى التعرف على الشعب الكردي[27].

وقبل نهاية القرن التاسع عشر خطت الثقافة الكردية خطوة نحو الامام، حيث اصدر الكرديان اسحاق سكوتي و عبدالله جودت صحيفة عثمانلي (كما ذكرنا سابقا)[28] في جنيف و رغم انها لم تصدر باللغة الكردية، و لكن اصدارها من قبل كرديين في المنفى دليل على اصرار الشباب الكردي على تغيير الوضع العام في الدولة العثمانية، و الكرد جزء من هذا الوضع، ثم تطور الحال الى ان اصدرت صحيفة كردستان 1898-1902م باللغة الكردية.

صحيفة كردستان 1898-1902م :

لم تكن الصحافة في الدولة العثمانية مملوكة من قبل الأفراد، بل كانت مملوكة للدولة كصحيفة الزوراء التي اصدرها مدحت باشا في بغداد باللغتين العربية و التركية، اما بقية الصحف فقد كانت

تصدر باللغة التركية، و كذلك بعض السالنامات العثمانية و الخاصة بكل ولاية[29].

وبعد اسقاط الامارات الكردية و اخماد الثورات الكردية ظهرت مبادرات من قبل الشباب العثمانيين، و كذلك محاولات فردية من المتنورين الكرد ايضا سواء المنفيين او الهاربين من بطش السلطان و جلاوزته، بالمشاركة او اصدار الصحف في الخارج، و ذلك في سويسرا و مصر و انكلترا و فرنسا، و لم يقتصر الكرد في نشاطهم على صحفهم بالذات بل شاركوا في الصحف التركية المعارضة للدولة العثمانية و السلطان، و يلحظ ان هذه الصحف كانت تصل الى ايدي المثقفين، و قلما تصل الى ايدي الجماهير بسبب الرقابة الصارمة، و يشمل ذلك صحيفة كردستان، و هي اول صحيفة كردية اصدرها ابناء بدرخان في مصر عام 1898م[30] وكان صدور صحيفة كردستان بتأريخ 1898/4/22م من قبل احد ابناء بدرخان في مصر باللغة الكردية مبادرة فردية قبل ان تتأسس الجمعيات و المنظمات الكردية و انها اعتمدت على مؤازرة الشباب الكردي المتعلم.

و كانت مصر ملجأ لكل الأحرار الساخطين على السلطان العثماني و الراغبين في اقامة حكم مؤيد من قبل الشعب[31]، ومن المعروف أن الحركة الاصلاحية الاسلامية التي قادها جمال الدين الافغاني و محمد عبده كانت قد اثرت تأثيرها[32].

وفيما يتعلق بصحيفة كردستان التي ذكرناها انفا فقد طبعت منها خمسة اعداد في مصر[33]، و اما الاعداد من السادس حتى التاسع عشر، فقد صدرت في جنيف، و قام باصدارها عبدالرحمن بدرخان[34]0 بدل اخيه مقداد بسبب مرض الاخير، و عاودت الصحيفة اصدارها من العدد العشرين حتى الثالث و العشرين في مصر ثانية[35]، ثم انتقلت الى لندن لاصدار عددها الرابع و العشرين، اما الاعداد من 25 حتى 29 فقد صدرت في مدينة فولكستون الصغيرة جنوب لندن العاصمة، و العددان الاخيران 30 و 31 صدرا في جنيف[36].

وقد اهتمت الاعداد الخمسة الاولى بالقراء الكرد لتعليم ابنائهم و استشهدت بالايات القرآنية الكريمة و الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على ذلك، اضافة الى المطالبة من السلطان عبد الحميد بعدم ظلم رعيته و العناية بالكرد، و عدم محاربته لصحيفة كردستان، و تطرقت الصحيفة في تلك الاعداد الى المدارس العشائرية، و طلبت رؤساء العشائر الكردية ارسال ابنائهم اليها سيجدون فيها فرصة للتزود بالمعرفة لزيادة وعيهم القومي لعلهم سيكونون طلائع لابناء شعبهم في المستقبل، و لكن الصحيفة وقفت موقفا معارضا للفرسان الحميدية، لأنها عرفت ان هذه القوة تستخدم لأهداف لا تخدم القضية الكردية، كما تطرقت الصحيفة الى نبذ من التأريخ العالمي[37].

ثم تولى عبد الرحمن بدرخان اصدار الصحيفة بدل اخيه مقداد الذي حكم عليه بالسجن المؤبد غيابيا من قبل السلطات العثمانية و مصادرة املاكه بسبب نشاطه السياسي، و قد ايدت الصحف التركية الخاضعة للسلطة قرار الحكم هذا[38]، و دعا

عبدالرحمن في صحيفة كردستان الى توحيد صفوف المعارضة و اقامة حكومة في المنفى تؤمن بالفدرالية[39]، و العمل على اسقاط السلطان، كما رثت صحيفة كردستان اسحاق سكوتي في عام 1902م (40)، و دعت الى المؤاخاة بين القوميات المختلفة، و خاصة بين الكرد و الارمن، كما استنكر عبدالرحمن بدرخان المآسي التي حلت بالأرمن[41].

و اثنت الصحيفة على الموقف المشرف للشيخ عبيدالله النهري الذي رفض بشدة مقاتلة الأرمن[42]، و كانت الجريدة تصل الى كردستان بطرق شتى منها: المراسلات السرية، او بواسطة الجمعيات السرية كالاتحاد و الترقي، او عن طريق التنظيمات الارمنية السرية، او بوساطة تجارة السفن و خاصة الروسية، او عن طريق بلاد الشام، او العلاقات الشخصية[43].

وكانت الرقابة شديدة في العاصمة نفسها مما كان يجعل من الصعب توزيعها في استانبول[44]، و قد كانت السلطات العثمانية تلاحق المعارضين الذين كانوا موجودين في الخارج كمقداد مدحت و اخيه عبدالرحمن بدرخان[45]، و طالبت بإرسالهم الى الاستانة لمحاكمتهم كمذنبين، و هذا هو السبب الذي جعل الصحيفة تصدر في مناطق مختلفة و في اوقات متباعدة[46]، اضافة الى ماكان تعانيه الصحيفة من مشاكل مالية، و قد انقطعت الصحيفة عن الصدور في عام 1902م[47].

كردستان العثمانية في مطلع القرن العشرين:

ازدادت اهمية كردستان مع ازدياد التنافس الاستعماري و الصراع الدولي، و اصبحت محط انظار الدول الكبرى، بعد ان ادركت هذه الدول ان حرباً عالمية وشيكة الحدوث، و خاصة بعد منافسة المانيا للدول الكبرى حول المصالح في الدولة العثمانية، و اهتمت روسيا بالكرد، و ذلك للحفاظ على حدودها، و ظهر ذلك جلياً عندما زار الشيخ حامد حفيد الشيخ عبيد الله النهري مساعد القنصل الروسي في مدينة وان مما ادى الى انزعاج الدولة العثمانية، و على اثر ذلك اتصل مساعد القنصل الالماني في الموصل بحفيد الشيخ و نصحه بعدم الاقتراب من الروس[48]، و حاولت الحكومة البريطانية بوساطة وكلائها و ممثلي مصالحها امثال مارك سايكس التقرب من الرؤساء و الزعماء الكرد بهدف نيل صداقتهم و لتعطيل النفوذ الروسي و الالماني في اسيا، اما فرنسا فقد كانت لها مصالح كبيرة في الدولة العثمانية، و خاصة في بلاد الشام، و اهتمت المانيا بالكرد بعد قرارها بانشاء خط سكة حديد برلين – بغداد[49]، وكان وجود نحو ثلاثة ملايين كردي في هذه المنطقة الحساسة يدفع الدول الى بذل مزيد من الاهتمام بأحوال هذه المنطقة المهمة[50].

و كانت الدولة العثمانية تشهد احوالاً سياسية مضطربة قبل انقلاب عام 1908م و على الرغم و ذلك بدأت الاضطرابات في منطقة درسيم الحصينة ايضاً، عندما زادت الدولة العثمانية الضرائب على الكرد و ارادت ان تأخذها منهم بالقوة، لكنها اصطدمت بمقاومة الكرد و الأرمن الذين عاونوا الكرد و شاركوهم في الدفاع عن منطقتهم[51]، و في شهر نيسان من عام 1906م قامت عشائر البنجار

الكرديـة بقيـادة بشـارى جتـو في سـنجق سـعرت بالانتفاضـة و ارسـلت علـيهم الحكومـة قـوة بقيـادة عزت باشا و انهزمت هذه القوة امام الكـرد الثـائرين و الرمن، ثم جاءت تعزيزات عثمانية كثيرة فاضطر بشاري جتـو الى الانسحاب الى الجبـال و تحصـن فيهـا لمقاومة الجيش الكبير الزاحـف علـيهم، و قـد تمكـن الكرد من صدهم و جرح القائد العثماني عزت باشـا في هـذه المعركـة، و في شـهر ايـار مـن عـام 1908م اتسعت رقعة الانتفاضة و شملت منطقة ديار بكر، و قد شارك العـرب و الكـرد في الانتفاضـة ضـد الدولـة العثمانية، و بعـد ان فشلت الحكومـة العثمانيـة مـن الحاق الهزيمة بالثوار اتبعت سياسة الارض المحروقـة معهـم، حيـث قامـت جيوشـها بهـدم و حـرق القـرى الكرديـة، و قـد حـاول بشـارى جتـو ان يحصـل علـى الدعم الروسي و الانكليزي لكن جهوده لم تعثر عـن اية نتيجة، لـذلك اضطر الى الاختفـاء[54]، و في عـام 1906م قتل مدير شرطة الاستانة و اسمه (رضوان باشا)، و كان يعـادي الكـرد الموجـودين في العاصـمة و يضطهدهم، و قد اتهمت العائلة البدرخانيـة بتـدبير امـر مقتلـه و وجهـت اصـابع الاتهـام الى عبـدالرزاق بـدرخان[53]، و علـي شـاط، و اعتقـل الاثنـان، و قـد ارسل عبد الـرزاق رسـالة داخـل السجن الى السلطان عبد الحميد ينفي قتله مدير الشرطة، لكنـه يتمنـى لو كان قاتله.. و نتيجـة هـذه الحادثـة بـدأت الدولـة العثمانيـة بنفـي الكـثير مـن العائلـة البدرخانيـة الى الخـارج امثـال: امـين عـالي بـدرخان، حيـث نفتـه الحكومـة الى اسـبارطة مـع بعـض اهلـه و هنـاك الـف اغنيـة شـعبية باسـم (عزيـزة الاولاد)[54]، و شمـل الاعتقال او النفي البدرخانيين الـذين كـانوا يعملـون داخل القصر السلطاني، ثـم نقل عبد الـرزاق و علـي شـامل الى سـجن طـرابلس الغـرب بليبيـا[55]، و ادت هذه الحادثة الى ان يرسل اوكونور السفير الانكليـزي في الاسـتانة رسـالة في 1906/3/31م الى وزيـر الخارجية البريطانية ادواركراى، و تعـد هـذه وثيقـة مهمة، وجاء فيها[56] لي الشرف ان اعلمكم بأن امـين العاصمة (مدير الشرطة) استانبول رضوان باشـا قـد اغتيـل مسـاء يـوم 22 مـن الشـهر الجـاري، ان نبـأ الاغتيال الذي تقول الشائعات ان رئيسين مـن رؤسـاء اسـرة بـدرخان الكـرد و همـا عبـدالرزاق بـك و علـي شامل باشـا حرضـا عليـه قـد ادى الى هيـاج في قصـر يلدز (السلطاني) و تشكلت لجنـة تحقيـق خاصـة في القصـر، و في يـوم 28 اعـتقلا مـع 13 مـن الزعمـاء الكرد و وضعوا جميعا على متن بـاخرة و ارسـلوا الى المنافي. عبد الرزاق الى مكة و علي شامل الى بنغـازى، و الباقون الى الجزائـر المختلفـة في الاخبيـل. ان عبـد الرزاق و علي شامل هما من انجال المرحـوم بـدرخان بيك و قد نفي في حينه الى كانديا (جزيرة الكريت) سنة 1850م، و بعد ذلك اعيد بدرخان مع واحد و تسـعين مـن اعضـاء اسـرته الى اسـتانبول، حيـث اسـتطاعت هـذه العائلـة تحقيـق نفـوذ كـبير علـى السلطات، و كان هدف السلطان بسط سيطرته بهـذه الطريقـة علـى العشـائر الكرديـة السـاكنة في اسـيا الصغرى. و بمرور الزمن نفي زعماء كـرد مجددا الى العاصمة، فتشكل بهذه الصورة حـزب كـردي قـوي في

العاصمة بزعامة البدرخانيين الذين ارتقى عدد من ارمنهم الى مناصب عالية، فكان عبدالرزاق بيك نائب رئيس التشريفات لشؤون السفراء، وعلي شامل قائد منطقة سكوتارى، و كان بدري عضوا في مجلس الدولة، و كان اربعة منهم في شرطة العاصمة. و اخرون في مناصب مرموقة في الولايات. و كان نفوذهم يمتد الى قصر اليلدز و الحرس السلطاني.." ن.ر. اوكونور. كما ارفق اوكونور مع رسالته مقطعا من جريدة (اقدام) التي نشر فيها خبر مقتل رضوان باشا.

و حدثت في العاصمة مظاهرة كبيرة في عام 1906م اشترك فيها الكرد الساكنون امام الدوائر الحكومية[57]، و لعل ذلك كان بسبب نفي و اعتقال البدرخانيين.

كما قام الكرد في مدينة الجزيرة في شهر حزيران من عام 1907م بمظاهرة كبيرة اشترك فيها حوالي خمسة الاف كردي و طالبوا بطرد الموظفين الفاسدين و اقالة الوالي و احتلوا دائرة البريد و البرى[58]. و كان يوجد في العاصمة استانبول جالية كبيرة من الكرد سواء من العائلة البدرخانية او النهرية او المبعدين البابانيين او الطلبة الكرد الدارسين في العاصمة و اعداد غفيرة من الكرد المهاجرين اليها.

الجمعيات و المنظمات الكردية:

بدأ الكرد بالنشاط السياسي و الثقافي قبيل نهاية القرن التاسع عشر كما ذكرنا سابقا[59]، و قد تقربت الحكومة العثمانية من المنفذين الكرد الذين شكلت منهم الفرسان الحميدية و اسست المدارس العشائرية، ثم منح بعض افراد العائلة البدرخانية و غيرها الوظائف العليا في العاصمة لكسب تأييدهم، و رغم كل ذلك لم تعد هذه السياسة ترضي الوطنيين الكرد الذين نادوا بالتطور السياسي و الثقافي و النهوض بالوعي القومي، أي انهم اتجهوا نحو العمل السياسي لتحقيق ما لم يحققه سلفهم، و ظهرت بوادر لجمعيات و منظمات سياسية و اجتماعية و ثقافية كردية عدة[60]، منها ما يأتي:

1-جمعية العزم القوى الكردستانية

(عزم قوى جمعيتي) 1900م:

تعد هذه اول جمعية كردية ظهرت مع مطلع القرن العشرين، لكن المعلومات المتوافرة عنها قليلة ان لم تكن نادرة، حيث لا نعرف اوجه نشاطها و عملها و برامجها، و لكن المعروف انها اسست بمبادرة فردية من قبل فكرى افندي ديار بكري[61]، و من اعضائها النشيطين: احمد رامز كردى زاده، و احمد خلسي زاده، حيث كتب الأخير مولود نامه باللغة الكردية بلهجة زازا عام 1899م[62]، و كان احمد رامز كردي موجودا في مصر عام 1904م، و هو احد اعضاء الجمعية، و لا يعرف بالضبط سبب وجوده فيها، هل هو بسبب مطاردته من قبل السلطات العثمانية او لفتح فرع للجمعية في مصر، و لكن زنار سلوبي[63]، يذكر انه عرف في مصر كممثل للجمعية، و يذكر محمد امين بوز ارسلان[64]، ان الجمعية اغلقت من قبل السلطات العثمانية عام 1904م، وقد صدر كراس في مصر

بعنوان (امير بدرخان) في مطبعة الاجتهاد التي يديرها المتنور الكردي عبدالله جودت، و كتب على غلافه: ان ربع الكتاب يعود الى جمعية عزمي قوى الكردستانية[65]، و قد اقام احمد راكز في مصر علاقات مع انصار جمعية الاتحاد و الترقي[66]، ومن اللافت للنظر ان صحيفة كردستان (1898-1902) لم تذكر اي شيء عن هذه الجمعية و نشاطها و اهدافها.

2-جمعية تعاون و ترقي الكردية 1908م:

بعد الانقلاب العثماني عام 1908م اجازت السلطة الجديدة قيام جمعية تعاون و ترقي، و هي اول جمعية سياسية كردية تعمل بصورة علنية، و كان من ابرز مؤسسي الجمعية كل من: امين عالي بدرخان، و الشيخ عبدالقادر النهري، و احمد ذو الكفل، و الجنرال شريف باشا.. و غيرهم[67]، وكان للجمعية منهاج داخلي خاص بها[68]، و عدت الجمعية الممثل الشرعي للشعب الكردي في كردستان، و بعد الانقلاب العثماني عام 1908م عاد الكثير من الشباب الكرد الى الاستانة و انضموا الى الجمعية، امثال: الفريق فؤاد باشا، و محمد شكري، و فؤاد بابان زانا، و شفيق اوراسلي، و فتح الله اغفندي، و محمد امين بك سليمان، و اختير الشيخ عبد القادر رئيسا للجمعية و امين عالي بدرخان نائباً عنه[69].

وقد اعطى تعاون الشيخ عبدالقادر مع ابناء بدرخان في هذه الحقبة للحركة القومية الكردية السياسية زخما كبيراً لأنهم قد جاوزوا الخلافات التي كانت قائمة بين العائلتين في بداية القرن العشرين.

و قد لعب المتنور خليل خيالي دورا كبيرا في هذا المجال[70]، و قد نالت الجمعية العطف و التأييد من الجمعيات و المنظمات العربية و التركية و الارمنية[71]، و اقامت احتفالات و مهرجانات خطابية في العاصمة في مناسبات شتى، مما جلب اليها الانظار، و قد كتبت صحيفة فوتش الارمنية في عددها (53) لشهر تشرين الأول عام 1908 م ما يأتي[72]: "لقد اصبحت علاقاتنا بالتدريج مرضية و مفرحة.."، و كان الجانبان الأرمني و الكردي يرددان الأناشيد الوطنية و الأرمنية.

و اسست الجمعية فروعا عدة في كل من مدينة بدليس و الموصل و ديار بكر و ارضروم و بغداد[73]، وقد عم الفرح بين الناس بمناسبة انتخاب مجلس المبعوثان و ارسل فرع الموصل برقية بهذا الخصوص[74]، و كانت الجمعية قد اصدرت صحيفة باسم (كرد تعاون و ترقي جمعيت غرتسي)[75]، و كانت اسبوعية، و تولى رئاسة تحريرها توفيق من مدينة السليمانية أي (بيرەميرد) الشاعر الكردي المعروف[76]، و عاونه في ذلك ملا سعيد الكردي النورسي و اسماعيل حقي بابان، و احتوت الصحيفة على الكثير من الموضوعات الادبية و اللغوية و الحضارية و التربوية، و دعت الى تأليف قاموس كردي مدرسي، كما نشر ملا سعيد في احد اعدادها مقالا بعنوان (ماذا يحتاج الكرد) فأجاب بنفسه عن السؤال مؤكدا انه كان يفكر في هذه القضية منذ 15 عاما و توصل اخيرا الى استنتاج يقوم على ان ما يحتاجه الكرد هو الاتحاد و العلم[77]، كما اكدت

الجريدة في صفحاتها على بث روح الاخوة بين الشعوب العثمانية[78]، و لم يعثر على عدد من الجريدة لمدة طويلة، و انما عرف عنها بعض المعلومات كان مصدرها احدى المجلات الفرنسية، و كذلك كتاب اصدره شاهبازيان في الاستانة عام 1911م[79]، الا انه قد عثر في الآونة الأخيرة على العدد الأول لهذه الجريدة، و قد نشرت جريدة (كوردستاني نوي)[80] صورة زنكوغرافية لأحد اعداد الجريدة مع بعض التفاصيل.

كانت لجمعية تعاون و ترقي الكرد، نوادٍ عدة اسست من قبل المثقفين الكرد في العاصمة[81]، و غيرها من المدن كبتليس و ارضروم و موشي و ديار بكر و بغداد[82]، و افتتح اول ناد في العاصمة يوم 1908/9/25م، و اقيم بمناسبة الافتتاح حفل كبير في قاعة المطالعة (فنز نجيلرى) حضره (500) شخص بين اعضاء و ضيوف[83].

و عبر الحاضرون عن اخلاصهم للجمعية الجديدة و مدحوا الدستور، و اعلنوا اخلاصهم لمبادئ الجمعية، و كذلك مبادئ جمعية الاتحاد و الترقي في العدل و الحرية و المساواة وقد استعرض الخطباء في الحفل العلاقات الأخوية بين الكرد و القوميات الأخرى عبر التاريخ و خاصة مع الارمن، و هذا يدل على وجود ممثلي قوميات مختلفة في الحفل، و كان نادي العاصمة قد دأب على عقد امسيات صداقة مع الأرمن داخل استانبول او خارجها في المناطق التي يوجد فيها الأرمن و الكرد، و امتدحت الصحف الأرمنية انعقاد هذه الامسيات لأنها تؤدي الى تقارب الشعبين و تحمل المشاكل بينهما[84].

يعد نادي بدليس من اكبر النوادي الكردية قاطبة، حيث بلغ عدد اعضائه عند الافتتاح اكثر من (650) عضوا دفعة واحدة، ثم وصلت اعدادها بعد مدة قصيرة الى اكثر من 50 الفا، و شكلوا خلايا مسلحة، و احتوت كل خلية على (10) اشخاص، و قاموا بالحفاظ على مدينة بدليس، و لم يفسحوا المجال للسلب و النهب في حين بلغ عدد المنتمين الى نادي الاتحاد و الترقي في مدينة بدليس 90 شخصا و حسب تقرير نائب القنصل الروسي في المدينة اكيموفيتش الى وزارة الخارجية الروسية في 1908/11/22م، فقد بلغ عدد اعضاء النادي الكردي اكثر من (70) الف عضو، و شعر الاتحاديون بتزايد خطر اعضاء النادي الكردي عليهم، لذلك قاموا بغلقه في شهر ايار عام 1909م[85]، و لم نجد اثار نشاط بقية النوادي الكردية ما عدا نادي موش الذي اقام علاقات مع رؤساء العشائر الكردية[86]، و لعل هذا الاتصال مع رؤساء العشائر كان من اجل توحيد القوى للقيام بالانتفاضة، و لكن من المؤسف ان خلافات ظهرت بين اعضاء النادى من اجل السيطرة عليه[87]، و ازداد خوف الاتحاديين من نشاط تلك النوادى، لذلك امروا باغلاقها واحدة تلو الأخرى. و كان اعضاء جمعية تعاون و ترقي الكرد يعتقدون ان بريطانيا سوف تؤازرهم، و لهذا السبب فقد ارسلوا برقية بوساطة سفير بريطانيا في الاستانة، و اجابت

الحكومة البريطانية عن البرقية مباركة الخطوة و مرحبة بها[88]. كما ان فرع جمعية تعاون و ترقي الكرد في الموصل ارسل برقية الى الحكومة الثانية بمناسبة افتتاح مجلس المبعوثان[89].

ولم تستمر الجمعية في العمل السياسي و الثقافي، بل عهد الاتحاديون على غلقها، و قد زاول اعضاء هذه الجمعية نشاطهم بعد الاغلاق بصورة سرية[90].

3-جمعية نشر المعارف الكردية (كورد نشر معرفي) 1908م:

وهي جمعية ادبية تربوية تأسست بعد الانقلاب العثماني عام 1908م[91]، و كانت تابعة لجمعية التعاون و الترقي الكرد التي كانت تمولها[92]، و كان خليل خيالي من اشهر مؤسسيها[93]، و عملت الجمعية على نشر الثقافة الكردية و نجحت في فتح مدرسة كردية لتعليم اطفال الجالية الكردية في العاصمة[94] و سميت بالمدرسة الدستورية، و كان منهاجها مدارس الاتراك الأخرى التابعة لوزارة المعارف في عهد الوزير اسماعيل حقي بابان.. و انيطت ادارة المدرسة بعبد الرحمن بدرخان، و كان يدرس فيها 30 طالباً، و ازداد عددهم بعد مدة، و اسست هذه المدرسة بمساعدة اغنياء الكرد الموجودين في الاستانة[95].

تعد هذه اول مدرسة كردية صرفة، و قام بالتدريس فيها كل من احمد كردي زاده، و سعيد نورسي.. و قاموا بطبع كتاب قواعد اللغة الكردية في هذه المدة[96]. و تلقى فيها كذلك دروس في الوطنية و القومية و التربوية[97]، و كان للجمعية نظام داخلي احتوى على الكثير من المواد[98]، و للجمعية هيئة ادارية و رئيس فخري، و تكون جميع المراسلات مختومة بالختم الرسمي و توقيع رئيس الهيئة الادارية، و تتكون واردات الجمعية من بدلات الانتساب و الاعانات و التبرعات.. ومن لم يدفع الاشتراكات لمدة ثانية اشهر يرقن قيده، و بعد ان ادرك الاتحاديون تأثير هذه المدرسة على اطفال الكرد و بث الروح القومية فيهم لاحقوها و ضايقوا مدرسيها، ثم امروا باغلاقها[99].

4-جمعية هيفي 1912:

وهي جمعية سياسية ثقافية ايضا، و قد اسستها مجموعة من الطلاب الكرد في معهد خلق آلي الزراعي في الاستانة، و هم: قدري جميل، و عمر جميل، و فؤاد تمو، و جراح زاده زكي من ديار بكر في عام 1912م[100]، و كان لخليل خيالي محاسب المعهد دور كبير في تنمية الروح القومية لدى الطلاب الكرد في هذه المدرسة[101]، و هؤلاء الاربعة المذكورة اسماؤهم قد كتبوا منهاج الجمعية، و حصلوا على الموافقات الاصولية و اعلنوا في عام 1912م عن ولادة جمعية هيفي الكردية في الاستانة، و قد قوبل تأسيسها بالاستحسان لدى الطلاب و المثقفين الكرد في الاستانة[102]، و اصبح عمر جميل سكرتيرا لها بصورة مؤقتة لحين انعقاد المؤتمر[103]، و قدم الدكتور شكرى محمد بك من (معدن) مساعدات مالية مهمة للجمعية[104]، و كذلك حجي موسى رئيس عشيرة مودكان[105]، و

كـان الطـلاب الكـرد في العاصـمة يتهـافتون علـى الانتساب الى الجمعية باقبـال شـديد و مـن هـؤلاء كمال فـوزي و اخـوه و ضـياء وهمـي، و نجـم الـدين حسـين مـن كركـوك، و بابـان زاده عزيـز، و شـفيق من ارفاس، و حمزة من ميكيس، و طاهر علي مـن خربوت و عبد الكـريم مـن السـليمانية، و صـالح و عبـد القاضـي مـن ديـار بكـر، و اصـف بـدرخان و مصطفى رشاد من ديار بكر، و الدكتور شـوقي مـن مهابـاد، و محمـد مهـدي مـن سـنه، و فـؤاد الـذي اعدمتـه السـلطات العثمانيـة فيمـا بعـد و الشـاعر عبـدالرحمن رحـيم مـن هكـاري[106]، و كـان لهـذه الجمعيـة دور كـبير في ايقـاظ الشـعور القـومي لـدى الشباب المثقف الكرد في كردستان، فقد حاول طاهر علي فتح فرع الجمعية في ارضروم[107]، و في ذكرى تأسيسـها اسـتأجرت الجمعيـة مكانـا واسـعا لاقامـة احتفــال جمــاهيري، و في عــام 1913م، عقــدت الجمعيـة مؤتمرهـا الأول. و فـتح فـرع للجمعيـة في مدينـة لـوزان بسويسـرا[108]، فبعـد سـفر قـدري جميل باشا للدراسة في اوربا، التقى هناك بـالطلاب الكرد كالأخوين اكرم، و شمس الدين جميل باشا، و بابـان زاده، و رجـان نزهـت، و سـليم ثابـت مـن درسـيم، و استحصـل هـؤلاء علـى موافقـة المركـز الـرئيس للجمعيـة في الاسـتانة لفـتح فـرع لـوزان و أخذوا على عاتقهم تعريـف قضـية الشـعب الكـردي للأوربيين، و كان لهذا الفرع دور مهـم جـدا، حيـث اطلع الاجانب على وجود الشعب الكـردي و تاريخـه و حقوقه المغتصبة.

كمـا اقامـت الجمعيـة اتصـالات مـع الجمعيـات العربية المناهضة للحكم العثماني[109]. كما اصـدرت الجمعية مجلـة شـهرية عـام 1913م، واسمها (روزي كورد) يوم الكرد، و صدر منها ثلاثة اعداد، الأول في 1913/6/6، و الثاني في 1913/7/6، و الثالث في 1913/8/1م، و كـان رئـيس تحريرهـا عبـدالكريم افندي من السليمانية[110]، و كانـت تصـدر بـاللغتين الكرديـة و التركيـة، و رسـم علـى غـلاف العـدد الأول صـورة للسـلطان صـلاح الـدين الايـوبي و في غـلاف العـدد الثـاني صـورة كـريم خـان زنـد، و في غـلاف العـدد الثالث صـورة حسـين كنعـان باشـا مـن عائلـة بدرخان الكبير[111]. و كان مـن ابـرز محـرري المجلـة في القسـم الكـردي عبـدالكريم افنـدي و نجـم الـدين حسين من كركوك، و حمزة بيك مـن ميكـيس. كمـا كان من ابرز محرري القسم التركي عبدالله جـودت و اسماعيـل حقـي بابـان و ممـدوح سـالم بـك[112]، و كانت المجلة واضحة الأهـداف، حيـث دعـت الى وضـع الـف بـاء الكرديـة[113]، و في العـدد الأول كتـب مقـال بقلم احد اعضائها، و هو عبد الكريم يحـث الاطفـال الكرد علـى الانتظـام في المـدارس و الـتعلم فيهـا[114]، ثم تغير اسم المجلة الى (هةتاوي كورد) شمس الكرد.

و استمرت الجمعية في العمل الى ان بـدأت الحـرب العالمية الأولى، حيث توقفت نشاطاتها بسـبب التحـاق اكثــر اعضــائها بجبهــات القتــال، و اودعــوا ارشــيف الجمعيـة عنـد احـد الاشـخاص واسمـه عبـد العزيـز لحفظها[115]، و بعد انتهاء الحرب استأنفت الجمعيـة نشاطها، لكن الكماليين الأتراك اوقفوا نشاطها[116].

هوامش المبحث الاول:

1-باتريك مارى ملز، سلاطين بني عثمان، س 76، 77، 80/ الحنبلي، شاكر افندي، تلخيص التأريخ العثماني، ص 14/ د. محمود صالح منسي، حركة اليقظة العربية في الشرق الاسيوي، مصر، 1978، ص 71،
Shaw. History. O.p. cit. P. 172

2-علي، اورخان، السلطان عبد الحميد، ص 92.-93

3-الهلالي، محمد مصطفى، السلطان عبد الحميد الثاني، الموصل، 1994، ص 15.

*عبد القادر عصمت برهان الدين، دور النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني 1908-1914، ر.م.غ، اداب جامعة الموصل، ص 19.

4-هاسلب، السلطان الأحمر، ص 314/ مدحت باشا، حياة سياسي خدماتي، ج 1، استانبول، 1325، ص 189.

5-Edward mead Earl. Turkey, The freat powers and Baghdad railway. P. 9.

6-عبد القادر عصمت، دور النواب العرب، ص 97.

7-منسى، محمود صالح، حركة اليقظة العربية، ص 93.

8-الموصلي، عرب و اكراد، ص 194.

9-Christian More: Leskurdes. Oujourdhuis. Hormattan. Paris. 1984, p. 53.

10-الموصلي، المصدر السابق، ص 199.

11-الارحيم، تطور العراق، ص 89.

12-الوردي، لمحات اجتماعية، ج 1، ص 24.

13-منسي، محمد صالح، حركة اليقظة العربية، ص 74.-75

14-الوردي، لمحات، ج 1، ص 25.

15-بوندز، جوى و اخرون، جذورنا لا تزال حية، ترجمة: مكي حبيب المؤمن، بغداد، 1982، ص 30.-31

16-وهو من الداعين لنشوء فكرة الجامعة الاسلامية، و ذكر ان عالم اليوم هو عالم الامبراطوريات كالروسية و الانكليزية و الفرنسية و الالمانية..، و ان واجب المسلمين ان يقيموا امبراطورية توحد كلمتهم و تقف امام هذه الدول الطامعة فيهم، و لم يدع الى وحدة تامة بين الاقوام و الدول الاسلامية، بل دعا الى ان يكون للمسلمين قيادة واحدة متمثلة في السلطان العثماني. جمال الدين الافغاني و الشيخ محمد عبده، العروة الوثقى، ط 2، 980 بيروت، ص 107.-113

17-حسن، جاسم محمد، العراق في العهد الحميدي، ص 63.-75

18-ينظر: ص 146.

19-جليلي، رابةرين، ص 45.-46

20-م. ن، ص 46.

21-خالفين، الصراع، ص 147.

22-Edgar Oballance. O.p.cit. p. 18.
M.M. vanbrainessen. O.p.cit. p. 234

مينورسكي، الاكراد، ص 29.

23-لازاريف، كيشه، ص 85.

24-جليلي و اخرون، الحركة الكردية، ص 43.

25-ادم شمس، رحلة الى بلاد الشجعان، ص 79.

26-لازاريف، كيشه، ص 86، 88، 89/ احمد، كمال، كردستان: 86.-88

27-جليلي جليلي، نهضة الاكراد، ص 18.

28-احمد، كمال، كردستان: 90.-91

29-لازاريف، كيشه، ص 92/ جليلي و اخرون، الحركة الكردية، ص 44.

30-احمد، كمال: كردستان: 9.-8

31-م.ن. ص.92

32-صحيفة كردستان، العدد 28، 1 جمادي الاخرة 1319 هـ – 1901م، جليلي، نهضة الاكراد، ص 54.

33-جليلي و اخرون، الحركة الكردية، ص 44/ علي، حامد محمود، المشكلة الكردية، ص 25.
David Medowall. O.p. cit. P. 31.

34-M.M. vanbruinessen. O.p.cit. p.235.
Edgar o. balance o.p.cit. p.17.

و للمزيد، ينظر: يحيي، عبدالفتاح علي، مجلة كاروان، العدد 65، 1988.

35-زكي، خلاصة، ص 253/ لازاريف، كيشه، ص 87.
M.M. vanbruinessen. O.p.cit. p.235.

36-M.M. vanbruinessen. O.p.cit. p.235.

37-لازاريف، كيشه، ص 88.

38-علي، حامد محمود، المشكلة الكردية، ص 25.

39-حسن، جاسم محمد، العراق في العهد الحميدي، ص 227-230، و للمزيد، ينظر: د. كمال، كردستان، ص 85.

40-M.M. vanbruinessen. O.p.cit. p. 234.

41-ابوبكر، احمد عثمان، اكراد الملي، ص 38.

42-لازاريف، كيشة، ص 233-234.

43-ابوبكر، احمد عثمان، اكراد الملي، ص 38/ لازاريف، كيشة، ص 186.

44-لازاريف، المصدر السابق، ص 154.

45-لازاريف، المصدر السابق، ص 127، 136، 137.

46-احمد، كمال، كردستان، ص 92.

47-لازاريف، المصدر السابق، ص 362.

48-زكي، خلاصة، ص 29/ جليلي و اخرون، تاريخ الحركة الكردية، ص 70.

49-M.M. vanbruinessen. O.p.cit. p. 239.

50-احمد، كمال، كردستان، ص 194.

51-خالفين، الصراع، ص 6.

52-osman ergin, Turkiye muarif, tarihi –3 cilt. Istambul 1. 1944. P. 1184.

53-نيكتين، الاكراد، ص 173/ مينورسكي، الاكراد، ص 29.

54-سالنامه دولت عليه عثمانية 1326 هـ، التمش دورد انجي سنة در سعادت، مطبعة احمد احسان، 1326 هـ – 1908م، ص 10.

55-احمد، كمال، كردستان، ص 86/ قاسملو، الاكراد، ص 11.

56-جريدة الزوراء، العدد 1533، جمادي الأولى 1710 هـ.

57-جليلي، نهضة الاكراد، ص 21.

58-علي، حامد محمود، المشكلة الكردية، ص 27.

59-جليلي، نهضة الاكراد: 22.

60-لازاريف، كيشه، ص 87/ جليلي، نهضة الاكراد، ص 23.

61-جليلي، المصدر السابق، ص 23.

62-جليلي، نهضة الاكراد، ص 23.

63-جريدة الزوراء، العدد 1516، سنة 1310 هـ.

64-الحسني، عبد الرزاق، تأريخ الوزارات العراقية، ج 1، ط 7، بغداد، 1988، ص 153.

65-جريدة زوراء، العدد 1516، سنة 1310 هـ.

66-حسن، جاسم مسد، العراق في العهد الحميدي، ص 160.

67-turk, tarih dergisi, citll sayi 63. 1997. Asiret mektebi. P. 78.

68-جريدة الزوراء، العدد 1533، جمادي الاول، 1310 هـ.

69-جريدة كردستان، العدد 1، 1898 م.

70-سالنامه، نظرات معارف، 1316 هـ، استانبول، ص 320.

هوامش المبحث الثاني:

1-الموصلي، عرب و اكراد، ص 195.

2-لقد سبقه كاظم نامي في عام 1887م، بمحاولة اخرى لتشكيل تنظيم سري لكن محاولته لم تلق التأييد من قبل طلبة كلية الطب العسكري.

Shaw. O.p.cit. p.250.

3-رامزو، ارنست، تركيا الفتاة و ثورة 1908، ترجمة: د. صالح احمد العلى، بيروت، 1906، ص 50.

علي، اورخان، السلطان عبد الحميد، ص 217.

4-Fisher. W. b. change and development in the middle east, newyork. 1981, p. 338.

5-Encyclopediade/ islame, nouvelle edition, t.g livr – 61-62, paris. 1973.

6-يكن، ولي الدين، المعلوم و المجهول، ج، 1، مصر، 1909، ص 47.

7-شريف، عبد الستار، الجمعيات و المنظمات: 14.

8-سلوبي، في سبيل كردستان، ص 23.

9-يكن، المعلوم و المجهول، جـ 1، ص 69/ رامزو، تركيا الفتاة، ص 51.

10-رامزور، المصدر السابق، ص 56/ نديم، حول العراق، ص 41.

11-علي، اورخان السلطان عبد الحميد، ص 275.

12-mehmed uzun: Dr. Ibdulla. Ceviet, heri, hej 7 paris. 1990. P. 35.

13-G. Gvoc, Gaglar: la franeaise en turgnie, ed, is is, istambul, 1985. P. 196.

جليلي، جليلي و اخرون، الحركة الكردية، ص 116/ و للمزيد ينظر: بيربال، فرهاد عمر، اسحاق سكوتي، جريدة ريكاي كوردستان، العدد، 297، في 22/4/1998.

14-يكن، المعلوم و المجهول، ص 69/ رامز و، تركيا الفتاة، ص 82-83، للمزيد، ينظر: احمد، كمال، كردستان، ص 116-117.

15-صحيفة كردستان، العدد 30، سنة 1902.
16-زكي، مشاهير، جـ 2، هامش ص 46.
17-جليلي، نهضة الاكراد، ص 112-113.
18-قادر، جبار، المفكر الكردي عبدالله جودت، ترجمة: يحيى، عبد الفتاح علي يحيى، مجلة كاروان، العدد 46، السنة 1986، ص 150/ د. بيربال، فرهاد عمر، الكردي الذي انقذ الاتراك من دكتاتورية السلطان عبد الحميد، د. عبدالله جودت، مجلة كولان، العدد 165، 1998/1/14، ص 43-44/ علي، اورخان، السلطان عبد الحميد، هامش ص 279.
19-للمزيد، ينظر: قادر جبار، مجلة كاروان، العدد 46، ص 151-152/ و كذلك، ينظر: بيربال، فرهاد عمر، مجلة كولان، العدد 165، ص 43-44.
20-د. وليد حمدي، الكرد في الوثائق البريطانية، لندن، 1191، ص 20، 21.
21-christin mere. O.p.cit. p. 57
د. شريف، عبد الستار، طاهر، الجمعيات، ص 13/ كريس كوجرا، كورد له سهد. ص 269 ص 53/ و للمزيد، ينظر: بيربال، فرهاد عمر، مساهمة الكرد في المؤتمر الاول لحزب الاتحاد و الترقي باريس، 1902، صحيفة برايهتي، العدد 2552 في 1998./3/25
22-الحبوبي، انور، دور المثقفين في ثورة العشرين، ر.م.غ.م، كلية الاداب – جامعة بغداد، 1989، ص 14.
23-جليلي، نهضة الاكراد، ص 58، 60/ كما اشترك في المؤتمر اسماعيل حقي بابان، قادر جبار، المفكر الكردي عبدالاله جودت، مجلة كاروان، العدد 37، السنة 1985، ص 6-11.
24-محمد قاسم و حسين حسين، تاريخ القرن التاسع عشر، ص 192.
25-ستيورد، د. زموند، تاريخ الشرق الاوسط، ص 183-184/ و للمزيد، ينظر: الربيعي، صادق علي، الاستيطان الصهيوني في فلسطين ابان حكم الدولة العثمانية 1822-1917، معهد البحوث و الدراسات ر. م. غ، 1978، 159/ هـ، س، ار مسترونج، مصطفى كمال الذئب الاغبر، دار الهلال، 1952، ص 29.
26-الخالدي، ضياء الدين، الباشا، الهدية الحميدية في اللغة الكردية، تحقيق و تقديم: محمد شدري، بيروت، 1975، ص 28.
27-جليل، نهضة الاكراد الثقافية، ص 25.
28-ينظر: الصفحة 163.
29-الارحيم، تطور العراق، ص 141.
30-صحيفة كردستان، العدد الاول، 30 ذي القعدة 1315 هـ، الموافق 1898/4/22م/ بله ج شيركو، القضية الكردية، ص 62.
31-منسي، محمود، حركة اليقظة العربية، ص 105.
32-لاقي، بالكراد في تركيا، ص 66/ الطالباني، كردستان،: 90.
33-صحيفة كردستان، الاعداد الخمسة الاولى 1898م/ جليلي، نهضة الاكراد، ص 32.
34-صحيفة كردستان، العدد 6، 25 جمادي الاولى 1316 هـ، 1899 م، بـه ج، القضية، ص 63/ احمد، احمد، عبد الباقي، الدور السياسي للقوميات في تركيا (الاكراد). ر.م.غ، معهد الدراسات القومية، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1989، ص 90.
35-صحيفة كردستان، الاعداد 20، 21، 22، 23، 24، مصر، 1317 هـ.
36-صحيفة كردستان، العددان 30-31، سنة 1320 هـ، 1902م.
37-لمزيد من التفاصيل، ينظر: صحيفة كردستان، 1898-1902م.
38-جليلي، نهضة الاكراد، ص 38.
39-جليلي، المصدر السابق، ص 38.
40-صحيفة كردستان، العدد 30، 4 ذي الحجة 1319 هـ 1902م.
41-احمد، كمال مظهر، (تيكهيشتنى راستى) وموقعها في الصحافة الكردية، بغداد، 1978، ص 65.
42-صحيفة كردستان، العدد 27، 22 ذي القعدة، 1318 هـ.

43-جليلي، المصدر السابق، ص 84-86/ كوني رةش، الامير جلات، ص 26.

44-علي، اورخان السلطان عبد الحميد، ص 274.

45-احمد، كمال، تيَكةيشتني راستي، ص 63.

46-ادموندز، كرد و ترك و عرب، ص 15.

47-صحيفة كردستان، العدد 31، 6 محرم سنة 1321 هـ، 1902 م.

48-لازاريف، كيشة، ص 164.

49-لونكريك، اربعة قرون،

50-لازاريف، كيشه، ص 126.

51-لازاريف، م. ن. ص 280.

52-لازاريف، كيشه، ص 180-182/ جليلي و اخرون، الحركة الكردية، ص 55.

53-لازاريف، المصدر السابق، ص 189.

54-سجادي، الثورات الكردية، ص 22/ سمح له بالعودة بعد الانقلاب عام 1909 الى استانبول، ثم طارده الاتحاديون و حكموا عليه بالاعدام و توفي في مصر عام 1926 م، كوني رش، الامير جلادت، ص 29.

55-لازاريف، المصدر السابق، ص 188-189.

56-(371) (6114) (9928) (12142) South Eastern Europe (confidntial) (sir n.o con or to sir Edward Grey) (no 212) (con st) March 31, 1906.

نقلاً: ابوبكر، احمد عثمان، كردستان في عهد السلام، مجلة الثقافة، العدد 25، السنة 13، مايس 1983.

57-جليلي، نهضة الاكراد، ص 58.

58-م. ن، و الصفحة.

59-راجع: ص 166-167

60-شريف، عبد الستار، الجمعيات و المنظمات، ص 11/ و للمزيد، ينظر: يحيى، عبد الفتاح، مجلة كاروان، العدد 65 لسنة 88، ص 125-27.

61-سلوبي، في سبيل كردستان، ص 62.

Farhud pirbal omar:
La. Genese de la Nouvelle Kurde, These pour lobtent de decterat de 3me cycleen litterature kurd paris 111. 1990

62-ماليسا نيذ، نمونەی ئەدەبیاتی دیمیلیکیا کلاسیك و دینی مولودنامە، المجلة الثقافية، المعهد الكردي في باريس، العدد 4، ايلول 1985، ص 75-77.

63-في سبيل كردستان، ص 22.

64-زنكنه، جمال، اول جمعية ثقافية كردية جمعية عزمي قوى كردستان، جريدة خبات، العدد 682، تموز 1993.

65-زكي، خلاصة، هامش ص 331/ احمد، كمال مظهر، ميَذوو، بغداد، 1983، ص 353.

66-سلوبي، في سبيل كردستان، ص 22.

67-بله ج، القضية الكردية، ص 63.

68-شريف، عبد الستار، الجمعيات و المنظمات، ص 23-29.

69-christian more. O. p. cit. Pp. 73-74.

70-وهو من عشيرة مود ان ناحية موتكي، تلقى تعليمه على يد ملا سعيد نورسي، و جاء الى الاستانة عام 1900م، و اصبح امينا للصندوق في المعهد الزراعي في العاصمة، و كان يعرف اللغات العربية و الفرنسية اضافة الى لغته الام، و وطد صداقته مع ضياء افندي ديار بكري، و بث فيه روح الكردايتي و آلفا قاموسا كرديا، لكن بعد طرد ضياء من المعهد اخذ معه و ريقات او مسودات القاموس. و بعد الانقلاب العثماني عام 1908م، اصبح ضياء نائبا في البرلمان العثماني ليمثل ديار بكر، ثم تحولت افكاره الى الطورانية، و اصبح فيلسوف القومية التركية، و لم يعد المسودات الى خليل خيالي، و بذلك قد خسر الكرد كثيرا من الناحية الثقافية.

سلوبي، في سبيل كردستان، ص 21.

Gerad chaliand: hes kurdes et kurdistan ed. Mu. Spero paris: 1981. Pp. 25-26.

71-جليلي، نهضة الاكراد، ص 63.

72-م.ن، ص 63-64.

73-م.ن، ص 73.

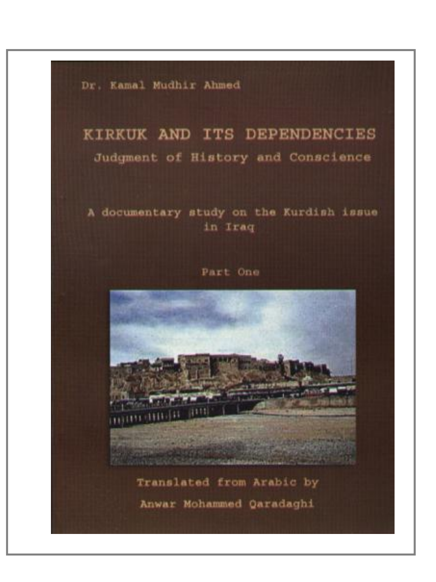
74-تقويم وقائع، العدد 23، السنة الأولى، 23 كانون الأول سنة 1908.

75-كريس كوجرا، كورد لة سةدةي ، ص 53/ بيَي رةش، بارزان، ص 87، و للمزيد، ينظر: قادر، جبار، اضواء جديدة على جريدة الكرد، مجلة كاروان، العدد 72، سنة 1989.

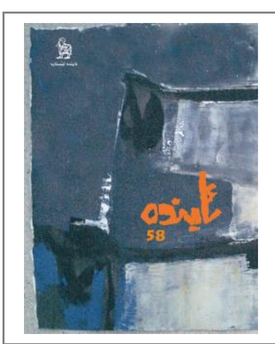
76-جليلي، نهضة الاكراد، ص 66.
fArhad pirbal omar. O.p.cit. p. 30.
77-جليلي، المصدر السابق، ص 68/ كريس كوجرا، المصدر السابق، ص 54، و للمزيد، ينظر: قادر، جبار، المصدر السابق.
78-جليلي، المصدر السابق، ص 54/ للمزيد، ينظر: قادر، جبار. المصدر السابق.
79-قادر، جبار، المصدر السابق.
80-محمد، كمال رؤوف، بيرەميرد فكر الصحفيين، جريدة كوردستاني نوي، العدد 1282، 1996./5/12
81-davide medowall. O.p.cit. p.30.
82-لازاريف، كيشة، ص 227.
Derk kinnane. O.p. cit. P. 25.
83-جليلي، نهضة الاكراد، ص 70.
84-للمزيد، ينظر: جليلي، المصدر السابق، ص 71-.73
85-لازاريف، كيشة، ص 227/ بيي رةش، بارزان، ص 87.
86-بيي رەش، بارزان، ص 87،
David medowall. O.p. cit. P. 30.
87-Shaw. O. p. cit. P. 16.
88-عبد العزيز ياملكي، كرد اختلا للرى، ترجمة: شيرزاد زەنكنـه، جريـدة (كوردسـتانى نـوى)، العـدد 1405، 1997./4/22
89-عبد القادر، عصمت دور النواب: 111.
90-بله ج، القضية الكردية، ص 63.
91-بله ج، المصدر السابق، ص 63.
92-جليلي، نهضة الاكراد، ص 78 الشريف عبد الستار، الجمعيات و المنظمات، ص 35/ قادر، جبار، صحيفة كورد، مجلة كاروان العدد 32، ايار 1985، ص 11.
93-سلوبي، في سبيل كردستان، ص 20.
94-بله ج، القضية الكردية، ص 63/ قزاز، الحركة الكردية، ص 70/ فوزي، احمد، قاسم و الاكراد، ص 76.
95-جليلي، نهضة الاكراد، ص 79، 80/ قادر، جبار، مجلة كاروان، العدد 32، ص 11.
96-Farhad pirbal omar: o.p.cit. p. 31.
97-قزاز، الحركة الكردية، ص70.
98-للمزيد حول ذلك، ينظر شريف، عبد الستار، الجمعيات و المنظمات، ص 35، 36، 37.
99-بله ج، المصدر السابق، ص 63/ الغمراوي، قصة الاكراد، ص 151، الوائلي، اكراد العراق، ص 229.
100-سلوبي، في سبيل كردستان، ص 26.
101-بله ج، القضية الكردية، ص 64/ شريف، عبد الستار طاهر، الجمعيات و المنظمات، ص 38.
102-سلوبى، المصدر السابق، ص 26 بيربال، فرهاد عمر، بلاوكراوەيەكى تازە دوزراوەى ريكخراوى هيفى، روزنامەى بارزان، ژ 15، 16، ئەمريكا 1994.
103-سلوبي، المصدر السابق، ص 16.
Christian more, o.p.cit. p.p. 76-78
104-لكن الاتحاديون نفوه الى بغداد، و هناك بدأ بالكتابة ضد جمعية هيفي باعتبار انها لا تمثل الطموحات القومية الكردية، و كان يأمل في كتابته هذه، اصدار العفو عنه و السماح له بالعودة الى العاصمة، سلوبي، المصدر السابق، ص 26-.27
105-Christian More. O.p.cit. p.78.
106-سلوبي، في سبيل كردستان، ص 27.
107-م.ن و الصفحة.
108-م.ن. ص 28/ احمد، كمال، كردستان، ص 100/ الغمراوي، قصة الاكراد، ص 152.
109-جليلي و الاخرون، الحركة الكردية، ص 79.
110-روزي كورد، الاعداد 1، 2، 3، السنة 1913، مجلة، جمال خزندار، بغداد 1981.
111-ينظر: مجلة روزي كورد، الاعداد 1، 2، 3. جمال خزندار، ريزي كورد 1913، بغداد 1981.
112-م.ن/ سلوبي، في سبيل كردستان، ص 37.
Christian more. O.p.cit. p.77.
113-لازاريف، كيشه، ص 225.
114-افندى، عبد الكريم، مندال بۆ ج زوو فير خيوندن نابى، مجله روزى كورد، العدد 1، سنه 1913، ص 21-.22
115-جليلي، نهضة الاكراد، ص 99-.100
116-م.ن، ص 100/ شريف، عبد الستار طاهر، الجمعيات و المنظمات، ص 38.
*الفصل الرابع من اطروحة دكتوراه في التاريخ (1998) من جامعة صلاح الدين في اربيل. عنوان الرسالة: (كوردستان في عهد الدولة العثمانية من منتصف القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الاولى – دراسة في التأريخ السياسي).

Kirkuk and its dependencies

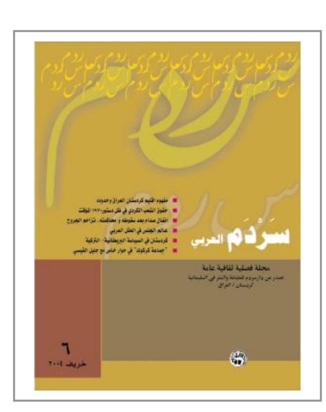
ترجمة كتاب "كركوك وتوابعها، حكم التأريخ والضمير" لمؤلفه الدكتور كمال مظهر احمد، وقد ترجمه الاستاذ انور محمد قرداغي من اللغة العربية الى اللغة الانكليزية، طبعته وزارة الثقافة لحكومة اقليم كردستان في السليمانية.



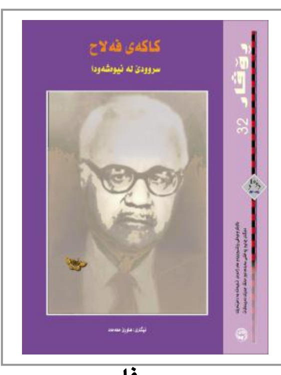
خمس مجلات تصدرها دار سردم للطباعة والنشر


آينده

سردم


سردم العربي


علوم العصر


روفار

معاهدة سيفر
في السياسة و القانون الدولي
3ـ3

بقلم: د. معروف عمر كول
جامعة السليمانية/ كلية القانون
ترجمة: د. عادل كرمياني
جامعة بغداد/ كلية اللغات

قوة معاهدة سيفر في القانون الدولي

تخلق المعاهدة او الاتفاقية حقوقاً و واجبات جديدة لأطرافها لكونها جاءت كمحصلة لقبول و رغبة المشاركين فيها، و المعاهدة الدولية هي كمصدر رئيس للقانون الدولي، و هي لا تعني انها ستصبح نافذة المفعول وقت التوقيع عليها او تصبح ملزمة لأطرافها، بل يجب ان يصدر بحقها قرار (أي يتم تصديقها – Ratification) ماعدا في حالة ان يرد في المعاهدة عدم الحاجة لاصدار قرار بحقها و انها ملزمة لأطرافها حال التوقيع عليها (و التوقيع على المعاهدة الدولية يعني اقرارها من قبل اعلى سلطة في الدولة)، و لذا فالاقرار دلالة على اصرار قبول الدولة للواجب الذي يتم تكليفها بها من قبل المعاهدة الدولية و تلتزم بتنفيذها[1].

اذن، ان حددت المعاهدة وجوب اصدار قرار بها بعد التوقيع عليها (أي مداولتها)، و عندها تكون مهمة تنفيذها في ذمة المشاركين فيها، فانها بدون ذلك القرار بحقها تصبح المعاهدة حبراً على ورق و لا يكون لها حكم قانوني.

يقول المقطع الأخير من معاهدة سيفر: "هذه المعاهدة المكتوبة باللغات الفرنسية و الانكليزية و الايطالية يجب ان تصدق – Ratification"(2). و هنا يبدو واضحاً و معلوماً ان شرط التصديق موجود في معاهدة سيفر. و من ثم في ذات المقطع يقول: "حالما يتم تصديق المعاهدة من قبل تركيا من جهة و دول التحالف الثلاث الرئيسة من جهة اخرى عندها يشرع اول بروتوكول و يرفق مع الوثائق المصدقة لحفظه، و منذ اليوم الأول لذلك البروتوكول تصبح المعاهدة بين الاطراف المصادقة عليها سارية المفعول"(3).

و حسب تلك الفقرة يجب على تركيا و دول التحالف الثلاث الرئيسة بعد توقيعها المصادقة عليها. و يقصد بدول التحالف الثلاث الرئيسة ثلاثة اطراف هي كل الدول الاربع الرئيسة للتحالف في سيفر (فرنسا، بريطانيا، ايطاليا و اليابان). و بعد التصديق يشرع اول بروتوكول و تصبح لمعاهدة سيفر حكماً ساري المفعول و تلتزم به اطرافها. اذن من دون مصادقة تركيا و دول التحالف الثلاث الكبرى للمشاركة في سيفر لا يكون لتلك المعاهدة حكماً ساري المفعول، و لذا لا تكون لها اية عواقب قانونية. و هنا نستند الى كلتا اتفاقيتي فينا:

1-اتفاقية فينا حول قانون المعاهدة الدولية في 1969/5/23 (اتفاقية قانون المعاهدات الدولية).

2-اتفاقية فينا حول توارث الدولة تجاه الاتفاقيات في 1978/8/23 (توارث الدولة في المعاهدات الدولية).

هنا يجب توضيح ما يلي:

رغم ان هاتين الاتفاقيتين شرعتا في العصر الجديد، و انبثقتا في القانون الدولي الجديد الذي يبدأ بعد الحرب العالمية الثانية، و يعتمد عليهما، و لكن تلك الصيغ و العادات و التقاليد القانونية في القانون الدولي التي كانت متبعة و سائدة في ما مضى من التأريخ قد اقرتا فيهما، و لذا فان لم تحكما على ما مضى فانهما كما قلنا قد احتضنتا تلك العادات و التقاليد السائدة. و من الواضح ان العادات و التقاليد في القانون الدولي تعدان مثل المصادر و تكونان الاساس القانوني، و كما يقول الخبير القانوني الروسي (تونكين): "العادات و التقاليد و المعاهدات هي كالمصادر للقانون الدولي لاتضاد فيما بينها و يؤثر كل منهما في الاخر و يكملان الآخر"(4).

اذن للعادات و التقاليد و القانون الشائع لهما باستمرار دور في تكوين الاساس وفي تقدم القانون الدولي، و يوضح لنا تاريخ القانون الدولي تلك الحقيقة بأنها كانت ايضاً سائدة حتى في الماضي. و هكذا بعد الحرب العالمية الثانية تم في القانون الدولي الجديد و بشكل واسع تقنين اسس القانون الدولي في المعاهدات، و اصبحت الأسس السائدة في القانون الدولي متلائمة مع العصر الجديد، و اقرار تلك الأسس السائدة في الاتفاقيات هو عملية متطورة لنمو القانون الدولي مثلما اظهرته تجربة لجنة القانون الدولي في منظمة الأمم المتحدة (UN)(5).

و لأجل توضيح اعتمادنا على مضمون كلتا اتفاقيتي فينا، اللتين هما من العادات و التقاليد القديمة للقانون الدولي و اللتين خلقتا اسساً جديدة في القانون الجديد، نلاحظ بأن المادة (38) من الدستور الأساس لمحكمة العدل الدولية في فض المنازعات ضمن تلك المشاكل التي تعرض عليها تعتمد على العادات و التقاليد السائدة بين الدول بحكم كثرة استعمالها جعل منها قانوناً[6].

تقول المادة (14) من اتفاقية فينا حول قانون المعاهدات الدولية لعام 1969: "المصادقة هي رضا الدولة على التزامها بالمعاهدة اذا:

1-راعت الاتفاقية التعبير عن الرضا يتم بالتصديق (Ratification) او بعد التعديل.

2-اتفق المشاركون على ان تكون مصادقتهم عليها بنوع آخر.

3-اشترط ممثل الدولة توقيعه على الاتفاقية بالتصديق عليها (بعد التعديل)[7].

لقد وجدت في تركيا حكومتان خلال اعداد و تنظيم معاهدة سيفر، و هما:

1-حكومة السلطان العثماني في القسطنطينية (اسطنبول).

2-حكومة مصطفى كمال في انقرة.

لقد شكلت حكومة انقرة في نيسان 1920 المجلس الوطني التركي الاعلى و اعلنت عدم اعترافها، بأي شكل من الاشكال، بتلك المعاهدة (يقصد بها سيفر)[8]. و قد تم توقيع معاهدة سيفر مع حكومة السلطان العثماني في 1920/8/10، و التي هي الأخرى لم تصدقها و هذا ما هو مهم فيها، أي لم تقرها[9]، و وقعتها فقط[10]. عدا ايطاليا الوحيدة التي صدقتها فان الاطراف الاخرى لم تصدقها[11]. و حين كانت معاهدة سيفر مشروعاً اعلى رئيس وزراء ايطاليا في مؤتمر سان ريمو في نيسان 1920 بأنه للمحافظة على هكذا اتفاقية لن يرسل جندياً واحداً[12]. ادى عدم الرضا هذا الى ان تكون ايطاليا دولة مصدقة وحيدة على معاهدة سيفر وقد طالبت على لسان وزير خارجيتها يوم 1921/2/21 في لندن حل معاهدة سيفر وقد ايده ممثل فرنسا[13] و حين ازداد نفوذ الكماليين و تغير مسار الاحداث لمصلحتهم.

قامت حكومة انقرة لأجل زيادة تثبيت نفسها و خلق الشرعية لها بتوقيع معاهدة ثنائية مع روسيا في موسكو يوم 1921/3/16. و كانت المادة الاولى من تلك المعاهدة رفضت كل الاعمال و الاتفاقيات الموجودة سابقاً، و يقصد بشكل رئيسي فيها معاهدة سيفر[14]. و كما يشير اليها بشكل غير مباشر نص تلك المادة: "لا يعترف الطرفان المتفقان بأي عمل او معاهدة صلح تستوجب طرف اخر عدا هذين الطرفين لتنفيذ قوة تلك المعاهدة. و لا تود حكومة روسيا السوفياتية الاعتراف بأية وثيقة دولية لها علاقة بتركيا لا تعترف بها الحكومة الوطنية لتركيا التي يمثلها المجلس الوطني التركي الأعلى. و يقصد بتركيا في هذه الاتفاقية تلك الحدود الموضحة في المعاهدة الوطنية التركية في 1920/1/28"[15]. و حسب ذلك التحديد فان ولاية الموصل تعتبر جزءاً من اراضي تركيا[16].

و المادة (3) من تلك المعاهدة هي موافقة كلا الطرفين على تكوين الحكم الذاتي لمنطقة (نخجوان) تحت رعاية اذربايجان من دون وضعها تحت سلطة دولة ثالثة.

و المادة (8) من المعاهدة بين تركيا و روسيا السوفياتية تركز على عدم سماح أي طرف منهما لأي من المجاميع و الهيئات و المنظمات بالتكون او دخول اراضي الطرف الآخر للعمل ضد احد الطرفين[17]. و هذا ضد الوطنيين الكرد الذين كانوا في تلك الفترة في نضال ضد تركيا لتحقيق الحرية. هذا من جهة و من جهة اخرى لكي لا تسمح تركيا لحركة معاداة دولة روسيا السوفياتية التي كانت الدول تبذل المساعي لأجلها.

تمت في مؤتمر لندن المنعقد في 1921/3/2 مناقشة المسألة الكردية و الأرمنية التي تمت مناقشتها في 1921/2/25 من قبل ممثلي الدول المتحالفة، و في البداية تمت دراستها بين وفود بريطانيا و فرنسا و ايطاليا و اليابان و بعدها اعلم الدبلوماسي البريطاني لويد جورج باسمهم وفد تركيا بأن احداث ما بعد سيفر اثرت على المسألة الكردية و الأرمنية، و لذا يجب في ذلك المؤتمر اصدار القرار النهائي حولها، و كذلك اصر لويد جورج على ضرورة الاسراع بإعادة النظر في تلك المسألتين.

و في اليوم التالي، أي يوم 1921/2/26 تم وضع المسأله الكردية و بشكل منفرد قيد الدراسة، و اعلن لورد كيرزن وزير خارجية بريطانيا باسم دول التحالف بأنهم يريدون اعادة النظر من جديد بفقرة الكرد و الأرمن في معاهدة سيفر[18]. و هكذا اعلن بوضوح بأن دول التحالف تريد تغييراً مطلوباً في تلك المواد من معاهدة سيفر المخصصة للكرد (و بشكل يتلاءم مع الاوضاع و الأحداث)[19]. و هذا دلالة واضحة يقصد بها حل معاهدة سيفر بتلك النوعية التي كانت عليه.

و في يوم 1921/10/20 انجزت في انقرة اتفاقية ما بين تركيا و فرنسا[20]، و هذا العمل هو اعتراف بحكومة انقرة وهي عكس ذلك الاعتراف بحكومة السلطان (العثماني.. المترجم) التي تم توقيع معاهدة سيفر معها. اذن هنا ترفض فرنسا كلاً من حكومة السلطان و معاهدة سيفر، حيث لا يمكن الاعتراف في آن واحد بحكومتين في بلد واحد، و هذه الاتفاقية بين تركيا و فرنسا تلغي شرعية العمل و الاعتراف السابق لفرنسا بحكومة السلطان و تعطي الشرعية لحكومة انقرة. و حسب الاتفاقية ذاتها تم تحديد الحدود بين الطرفين و من ثم تم التأكيد على هذه الاتفاقية في معاهدة لوزان في 1923/7/24 و تم اعتمادها ورسم الحدود بينهما حسب تلك الاتفاقية في النقطة الاولى من المادة الثالثة من معاهدة لوزان[21].

لأجل تحديد هذا الانسحاب النهائي من معاهدة سيفر اعلنت فرنسا في شهر كانون الثاني من عام 1921 و بشكل رسمي بأنها تعيد النظر بمعاهدة سيفر[22]، و في مذكرتها المقدمة يوم 1921/11/17 الى انكلترا تقول: ان حكومة فرنسا تعتبر سيفر معاهدة غير ذات حكم، لأنها لم تصدق من قبل تركيا[23].

ان الاتفاقية بين فرنسا و تركيا، اضافة الى سحبها فرنسا من معاهدة سيفر، فانها تقوي من نفوذها على الجنوب الغربي لكردستان، و تعزز من الموقع السياسي و العسكري لتركيا الكمالية في مناطق جنوب كردستان الشمالية[24].

طالبت ايران في نهاية شهر كانون الاول من عام 1922 من بريطانيا و فرنسا و ايطاليا ان تراعي في مؤتمر لوزان مصلحة ايران في مسألة حدود المناطق الكردية بين ايران و تركيا، و قد اعلن وزير خارجية بريطانيا حول هذا الموضوع: "لم يعد قائماً مسألة تكوين دولة كردية او منطقة حكم ذاتي كردية في تركيا مثلما تم تحديدها في سيفر"[25].

اعلمت وزارة المستعمرات في لندن يوم 1921/3/8 وكيل وزارة الخارجية البريطانية بأن تركيا تطالبه بتغيير المادة (64) من سيفر التي تشير الى تكوين دولة كردية و من بعدها اتحاد جنوب كردستان مع تلك الدولة[26].

في الوثيقة (Fo 371/6467 Colonial office 12 April 1921) من ارشيف وزارة خارجية بريطانيا نجد تلك التغييرات محفوظة والتي طالبت دول التحالف في 1921/3/12 و اعطتها لوفدي اليونان و تركيا[27]. و توضح تلك الوثيقة ماله علاقة بالكرد بأن: "دول التحالف مستعدة لتغيير معاهدة سيفر بتلك الصيغة التي تلائم مع وضعية تلك الأحداث الموجودة بشرط ان يمهد الطريق لتكوين الحكم الذاتي الداخلي و المحافظة الفعلية لمصالح الكرد و الآشوريين – الكلدانيين"[28].

كان هذا حال شمال كردستان في تركيا، و حول جنوب كردستان فقد تم توضيحه نفس الطريق بأن سياسة بريطانية تريد ابقاء الكرد في كردستان العراق ضمن اطار ادارة بريطانيا و يكون لهم حكم ذاتي[29].

اذن استجابة لطلب تركيا الكمالية و بسبب مصلحة دول التحالف و حسب احداث تلك الفترة فقد اوضحت تلك الدول سياستها بتلك الطريقة، و حلوا سيفر بتلك الصيغة بأن يكون هناك نظام الحكم الذاتي للكرد في تركيا و العراق. و يبدو ان هذا المشروع ينبثق من تقسيم كردستان و يؤدي الى تثبيت ذلك التقسيم بأن يلصق كل قسم منه بدولة، و لا يتم التعامل مع الكرد كشعب مستقل في تلك الدول، و يغتصب منه ذلك الحق الذي يكون لها حق الاستقلال القومي.

كان نظام الحكم الذاتي مشروع الدول الاستعمارية[30] لتأمين الوضع الداخلي، ووضعت المسألة الكردية ضمن اطار الدول المحتلة لكردستان حتى يتم التعامل معها حسب الدستور و القوانين الداخلية لتلك الدول، و يبدو ان ذلك كان ضمن اطار سياسة تلك الدول التي لاتراعي مصالح الكرد. ان تنفيذ الحكم الذاتي مرتبط بوجود الديمقراطية، و الديمقراطية هي محصلة عملية تطور حضاري متعدد الجوانب، و لذا "جعلت الدول الاستعمارية من الحكم الذاتي طريقاً مصيرياً لتحديد علاقتهم مع الدول المستعمرة، و مفهوم الحكم الذاتي ان كان في عهد عصبة الامم او في عهد

منظمة الامم المتحدة غير منقطعة عن السياسة الاستعمارية"[31].

و من هذا المنطلق نكرر ان بيان المملكة العراقية و بريطانيا في نهاية عام 1922 لخلق حكومة كردية ضمن العراق جاءت نتيجة لتقسيم كردستان و تثبيت وجود ذلك القسم بالعراق حتى يتم التعامل معه كقضية عراقية داخلية عند النظر لذلك القسم من كردستان، و هي من جهة اخرى رفض للمادة (64) من سيفر و انسحاب كامل لبريطانيا من سيفر.

طالبت فرنسا و ايطاليا في مؤتمر لندن (2/21 – 1921/3/14) ايقاف الحرب بين اليونان و تركيا و تعديل معاهدة سيفر[32]، و لذا تحدث وفد فرنسا ووفد ايطاليا في ذلك المؤتمر ضد سيفر[33].

ادى انتصار تركيا الكمالية في ذلك الحرب الى الرفض الكامل لمعاهدة سيفر، و انتهى ذلك النصر بتثبيت موقعها في وقف اطلاق النار الموقع في (مودانيا) في 1922/10/11 التي تم عقدها بين تركيا من جهة و بريطانيا و فرنسا و ايطاليا من جهة اخرى، و من ثم في 1922/10/13 انضمت اليونان لهم[34].و كان وقف اطلاق النار في (مودانيا) اعتراف مشترك للدول المتحالفة بحكومة انقرة، وكان ايضاً رفضاً مشتركاً و كاملاً لسيفر و تهيئة الارضية لمؤتمر لوزان.

من الواضح في القانون الدولي بأن مضمون قانون الاتفاقية او المعاهدة الدولية عبارة عن الاتفاق و المصادقة حسب مطالب اطراف القانون الدولي[35]، و لذا يعد انسحاب أي طرف من اية اتفاقية دلالة موقف مضاد لموقف سابق، و هذا يؤدي الى محو قوة و مصداقية الاتفاقية. و اذا قام نفس الطرف فيما بعد بالمشاركة في اتفاقية اخرى، فانه حسب الاتفاقية الجديدة، تأتي بواجبات و حقوق و مبادئ و اسس قانون جديد مختلف، و هذا يؤدي الى تعطل الاتفاقية السابقة.الاتفاقية الجديدة المخالفة للاتفاقية السابقة تفرض نفسها و تعطل السابق و تكون غير ذات حكم. و يقصد هنا معاهدة لوزان التي كان قصدها و مضمونها مختلفين عن سيفر من عدة نواحٍ، و كانت تلك الحقوق و الواجبات التي اوجدتها تختلف عن حقوق و واجبات نواحي سيفر، و لذا ترفض لوزان سيفر و تلغي شرعيتها، كل هذا اضافة الى ان سيفر لم تدخل حيز التنفيذ، بالاضافة الى ان جهة رئيسة في سيفر وهي حكومة السلطان لم تصدقها اولاً، و سقطت و اصبحت حكومة انقرة صاحبة السلطة في تركيا ثانياً، و هذه الحكومة يمثلها المجلس الوطني التركي (البرلمان).

اعلن وفد حكومة انقرة في مؤتمر لوزان في 1923 بأن المجلس الوطني التركي اصدر في 1920/7/17 قراراً، و استناداً الى ذلك القرار لا يعترف منذ 1920/3/16 بأي عمل لحكومة السلطان و ليس لها حكم[36]. و لكون معاهدة سيفر موقعة في 1920/8/20 فانها تقع ضمن حكم ذلك القانون لحكومة انقرة، لأن تلك الحكومة اكتسبت الشرعية القانونية، وتم الاعتراف بها من قبل

المشاركين فيما بعد في مؤتمر لوزان، و يجب القول ايضاً بأن حكومة انقرة اعلنت في 1922/11/1 بأن سلطة حكومة السلطان منعت و ليست لها اية نفوذ[37].

تم توقيع معاهدة لوزان في 1923/7/24 بين تركيا (حكومة انقرة) من جهة و بريطانيا و فرنسا و ايطاليا و اليابان و اليونان و رومانيا و دولة السلاف الصربية و الكرواتية من جهة اخرى. و صادقت دول اخرى على المعاهدة من المشاركين في مؤتمر لوزان منها الولايات المتحدة الامريكية و روسيا و بلجيكا وعدة دول اخرى[38].

المادة الاولى من معاهدة لوزان هي اعتراف رسمي و قانوني بحكومة انقرة، و ذلك الاعتراف هو رفض لحكومة السلطان و زوالها. و كما قلنا سابقاً منع المجلس الوطني التركي اعمال الحكومة السلطانية و عرفت نفسها كممثل للأمة التركية، و لذا فمعاهدة لوزان هي في حد ذاتها حل لحكومة السلطان و حل لسيفر. و تثبت المادة الاولى من معاهدة لوزان الموقف الجديد للمشاركين، بأن السلام سيحل منذ اول يوم لنفاذ المعاهدة بشكل تام بين تركيا من جهة و بريطانيا و فرنسا و ايطاليا و اليابان و اليونان و رمانيا و الصرب و الكروات من جهة اخرى، و تبدأ العلاقات الرسمية بين تلك الدول و تبدأ العلاقات الدبلوماسية بينها و تفتح السفارات[39]. و هذا النوع من العلاقات في القانون الدولي يسمى بالاعتراف العالي وهو اعتراف تام و متكامل[40].

و هكذا هذه المادة هي اعتراف رسمي – قانوني من جانب الدول الكبيرة و الدول الاخرى المشاركة في معاهدة لوزان بحكومة انقرة، و كانت غالبية تلك الاطراف مشاركة في سيفر. و في اللغة القانونية لا يشترط قول كل شيء بشكل مباشر و صريح، بل تجب رؤية معنى و مقصد موضوع النصوص القانونية. اذن انهيار حكومة السلطان و ثبات حكومة انقرة خلقا وضعاً سياسياً – قانونياً جديداً في العلاقة بين الدول، و هذه العلاقة الجديدة اوضحت صيغاً و اسساً مختلفتين في القانون الدولي خلال تلك الفترة، لأن جهة جديدة ضمن اطار مختلف و سياسة مختلفة خلقت نظاماً قانونياً آخر، من هذه الناحية يجب ان نعرف هل تركيا الجديدة تصبح وريثة تجاه اعمال و اتفاقيات و معاهدات حكومة السلطان؟.

ان التفاتة تاريخية نحو القانون الدولي توضح لنا العديد من هكذا موضوع، فالحكومة الجديدة عند ظهورها لا تصبح وريثة لتلك الاعمال و الاتفاقيات التي اشتركت فيها الدولة السابقة الا في حال اعلان الدولة الجديدة لرضاها تجاه اية اتفاقية تقصدها.

بعد الثورة الفرنسية اعلنت الحكومة الفرنسية بأن "سيادة الشعب لا ترتبط باتفاقيات الطغاة"، و هكذا انسحبت فرنسا من التزامها بأعمال النظام الاقطاعي[41]. و مثال اخر هو رفض الحكومة السوفياتية بعد ثورة اكتوبر استناداً الى تقرير لينين حول السلام في 1917 كل المعاهدات و الاتفاقيات السرية التي وصفها بغير الجائز و التي عقدتها حكومة القيصر[42].

لأجل زيادة تعزيز ذلك الرأي نعود للمادة (16) من اتفاقية فينا حول توارث الدولة تجاه المعاهدات الدولية لعام 1978، فالمادة (16) تحرر الدول الجديدة من الواجبات و المحافظة على الاتفاقيات السابقة، حيث يقول نص المادة: "الدولة الجديدة الحرة غير ملزمة بالمحافظة على قوة اية اتفاقية، او تشترك فيها استناداً الى كون تلك المعاهدة سارية المفعول في زمن توارث تلك الدولة حول تلك الحدود التي هي موضوع توارث الدولة"[43].

كما قلنا سابقاً تعد معاهدة فينا معاهدة جديدة، و لكنها احتوت تلك الصيغ و العادات و التقاليد السابقة للقانون الدولي، و التي تم العمل بها في العهود السابقة. و نحن نصل الى تلك النتيجة بأن معاهدة سيفر لم تكن لها قوة قانونية في حينها و ليس لها الان اي حكم، لأنه:

1-المعاهدة تم التوقيع عليها فقط، و لم يصدقها أي طرف من المشاركين فيها، ماعدا ايطاليا التي هي الأخرى انسحبت منها، و لكون شرط التصديق كان وارداً في ذات سيفر فانها لا تصبح سارية المفعول من دون ذلك الشرط. و توضح محكمة العدل الدولية في قرار لها في 1929/10/10 بأن هناك اساساً في القانون الدولي هو التصديق الذي يكون الالتزام[44].

2-اثبتت الاتفاقيات بين حكومة انقرة مع روسيا السوفياتية و بريطانيا و فرنسا و ايطاليا الوجود القانوني للحكومة الجديدة، و بذلك فقدت حكومة السلطان شرعيتها.

3-وقفت بريطانيا و فرنسا و ايطاليا ضد سيفر سواء بالاعلان او بالافعال.

4-اعطت المادة الأولى من معاهدة لوزان الشرعية لحكومة تركيا الكمالية و عقدت الدول المشاركة في المعاهدة علاقات دبلوماسية و قانونية معها. و هذه العلاقة في القانون الدولي تعرف بالاعتراف الرسمي – القانوني.

5-زوال طرف مهم في سيفر الا و هو حكومة السلطان، و هذا يعني زوال ذلك الطرف الذي يتم تطبيق المعاهدة معه.

6-تحديد الحدود بين تركيا و العراق عن طريق تقسيم كردستان افقد اية قوة لمعاهدة ليست بذات حكم مثل سيفر في تكوين دولة كردية.

7-البيان الرسمي لبريطانيا و العراق في 1922 استقطع جنوب كردستان من شماله، و هذا رفض للمادة (64) من سيفر و فكرة الدولة الكردية، و من هنا اغتصب الصفة الدولية عن حق تقرير المصير للكرد و اصبحت مسألة داخلية، رغم ان الصفة الدولية للقضية الكردية ستبقى، و التي لا تجب ملاحظتها بعيداً عن السياسة و احداث العالم و بعيداً عن القانون الدولي (كما سنوضحها في الاقسام الاخرى من الكتاب)*.

اذن، خلال الحديث عن المسألة الكردية، نستطيع القول بأن موضوع العلاقة بين الدول و موضوع الاتفاقية و المعاهدة الدولية و كل اسس و مبادئ القانون الدولي ايضاً توضح تلك الجوانب بأن قضية الانسان كموضوع تتم مراعاتها.

الهوامش:

1-أ.ن. طلالايف – قانون المعاهدات الدولية، موسكو، 1989، ص 117 (باللغة الروسية).
2 و3-معاهدة سيفر: سيفر و لوزان، ص 136 (باللغة الروسية)
4-القانون الدولي – بإشراف: ك. ي. تونكين، موسكو، 1994، ص 62 (باللغة الروسية).
5-سلسلة القانون الدولي (سبعة مجلدات)، المجلد الأول: باشراف: ر.أ.ميولبرسوف و ك.ي. تونكين، موسكو، 1989، ص 199 (باللغة الروسية).
6-دستور UN (باللغة الروسية).
7-القانون الدولي في الوثائق، موسكو، 1982، ص 74 (باللغة الروسية).
8-القاموس الدبلوماسي (ثلاثة مجلدات)، المجلد الثالث، موسكو، 1973، ص 135 (باللغة الروسية).
9-نفس المصدر، ص 136.
10-رفيق حلمي – المذكرات (باللغة الكردية)، القسم الأول، سقز، ص 185.
11-م.س. لازاريف –المصدر نفسه، ص 192.
12-سيفر و لوزان، ص 711 (باللغة الروسية).
13-م. ر. هاوار – الشيخ محمود البطل، (باللغة الكردية)، المجلد الثاني، ص 66، و كذلك رفيق حلمي – المذكرات، القسم الاول، ص 188.
14-القاموس الدبلوماسي، المجلد الثالث، ص 343 (باللغة الروسية).
15-السياسة الدولية في احدث عصر في الاتفاقيات و المذكرات و البيانات، القسم الثالث، ص 49 (باللغة الروسية).
16-م.ر. هاوار – الشيخ محمود البطل (باللغة الكردية)، المجلد الثاني، ص 179.
17-السياسة الدولية في احدث عصر، ص 94.
18-م.س. لازاريف –المصدر نفسه، ص 244-245.
19-د. كمال مظهر احمد – رؤية جديدة تجاه معاهدة سيفر و المسألة الكردية (باللغة الكردية)، مجلة برايةتي، العدد 7، 1970، ص 18.
20-م.س. لازاريف –المصدر نفسه، ص 251.
21-معاهدة سيفر: سيفر و لوزان، ص 145.
22-القاموس الدبلوماسي، المجلد الثالث، ص 489.
23-المصدر نفسه، ص 490.
24-م.س. لازاريف –المصدر نفسه، ص 251.
25-المصدر نفسه، ص 267.
26 و 27 و 28-د. وليد حمدي – الكرد و كردستان، ص 117-118.
29-المصدر نفسه، ص 119.
30-جمال نبز – قضية الكرد القومية، ص 14.
31-محمد الهماوندي – قراءة قانونية لفكرة الحكم الذاتي و تطبيقها في كردستان العراق، مجلة (دراسات كردية)، باريس، 1992، ع/2-3، ص 20-22.
32-القاموس الدبلوماسي، المجلد الثاني، موسكو، 1971، ص 211.
33-المصدر نفسه، ص 212.
34-المصدر نفسه، ص 339.
35-القانون الدولي – باشراف: ك.ي. تونكين، ص 144.
36-سيفر و لوزان، ص XXX11

37-سيفر و لوزان، ص xxx11

38-القاموس الدبلوماسي، الطبعة الرابعة، المجلد الثاني، موسكو 1986، ص 152 (باللغة الروسية).

39-معاهدة سيفر: سيفر و لوزان، ص .144

40-تونكين – القانون الدولي، ص 97 (باللغة الروسية).

41 و 42-المصدر نفسه، ص .99

43-القانون الدولي في الوثائق، ص 31 (باللغة الروسية).

44-د. صادق ابو هيف – القانون الدولي العام، الاسكندرية، ص 1975، ص 544.

(*)يقصد بها الأقسام الأخرى من كتابه الموسوم (علاقة المسألة الكردية بالقانون الدولي) (باللغة الكردية) الصادر عام 2002 عن مؤسسة سردم للطباعة و النشر.

ملاحظتان:

1-اشكر كثيراً الاساتذة د. نوري الطالباني و د. جمال نبز اللذين عبرا عن رأيهما حول هذا القسم من هذا الكتاب، و استفدت من ملاحظاتهما.

2-بعد اعداد هذا الكتاب صدر كتاب للدكتور فؤاد حمه خورشيد (القضية الكردية في المؤتمرات الدولية) و مع الأسف الشديد لم استطع الاستفادة منه لهذا القسم من كتابي حول معاهدة سيفر، لأن ذلك الكتاب فيه العديد من المعلومات القيمة. (د. معروف عمر كول).

المجتمع المدني العربي عاجز عن اتخاذ موقف تجاه قضية الشعب الكردي، لانه ممنوع من اتخاذ موقف تجاه اية قضية، وهذا لايبرر تقصيرا موجودا في الاوساط الثقافية العربية، في انها لم تول القضية الكردية اهتماما كافيا، على الرغم من وجود مثقفين عرب كبار من الكرد، مثل بلند الحيدري وغيره وغيره. ارى انه من الواجب والضروري ان يولي المثقفون العرب الاهتمام بالثقافة الكردية وقضية الشعب الكردي.

الياس خوري
كاتب وروائي عربي من لبنان

كوردستان في السياسة البريطانية — التركية

3ـ2

بيار مصطفى سيف الدين

جامعة دهوك — كلية الاداب

تسوية مشكلة الموصل في عصبة الامم

قبيل توجه لجنة تقصي الحقائق الى ولاية الموصل في شباط 1925، اتخذت الادارة البريطانية في العراق، و الحكومة التركية، مجموعة تدابير لغرض تعزيز موقفيهما و تقويته بين اوساط ساكني الولاية، و تحديداً بين اوساط الاكثرية الكوردية[1]. ففي كانون الثاني 1925، قام عبد المحسن السعدون — وزير الداخلية العراقي — بجولة في اقليم جنوب كوردستان و تحديدا الى اربيل، وعد الكورد خلالها، بأن الحقوق الوطنية الكوردية ستصان، و سوف يتم الاعتراف بها، اذا هم قرروا الاندماج بالعراق[2]. و ضمن الاطار نفسه تشكلت في الموصل مجموعة من الأحزاب و التنظيمات العربية ذوات الميول القومية، كجزء من الحملة المرسومة للاحتفاظ بالولاية المتنازع عليها[3]. و قد صاحبت تلك النشاطات حملة اعلامية نظمتها اهم الصحف الصادرة في العراق عموما و الموصل تحديداً[4].

اما حكومة انقرة فإن موقفها، عموماً كان اقل عقلانية و واقعية من موقف الادارة البريطانية في العراق، و لم تعدل بعد عن اسلوبها القديم بإثارة القلاقل على الحدود، و ترهيب الأهالي، و تحديداً من غير المؤيدين لها، و استمرت وحداتها العسكرية المتواجدة على مقربة من حدود الولاية في تشديد الخناق على سكان القرى الواقعة على خطوط التماس معها، و قد دأب الجنود الأتراك على اخذ الأرزاق و الحيوانات عنوة من سكان تلك القرى، وبالأخص من عشيرة الكويان — العشيرة الكوردية الكبيرة و الموزعة بين كوردستان تركيا و كوردستان

العراق – و قد زادت تلك الاجراءات و التصرفات من نفرة السكان من الأتراك[5].

كما اتخذت خطط الأتراك اشكالاً اخرى في التعامل مع المستجدات الجديدة المتمثلة بقرب وصول اللجنة. اذ اعترضت السلطات الادارية البريطانية في الموصل برقيات عدة تضمنت مكاتيب تركية الى ولاية الموصل، و على دفعات متعددة، بعضها مؤرخة بتأريخ كانون الثاني 1925، والأخرى بتواريخ ما بعد وصول لجنة تقصي الحقائق. و كانت المكاتيب معنونة للحزب التركي في الموصل، و معها كتب مرمزة فيها بعض التعليمات الى احزاب اخرى موجودة في اربيل و كركوك والسليمانية[6].

لقد بدأ واضحاً ان بريطانيا ضمنت لنفسها الأفضلية، و بالأخص في العلاقة مع سكان الولاية – من الأكثرية الكوردية – كونها قطعت شوطاً بعيدا من عملية دمجهم بالعراق[7]. على العكس من تركيا، التي كانت مخاوفها تزداد من بقاء الكورد خارج نطاق السيطرة، و الذين بأمكانهم التأثير في اخوانهم الباقين بتركيا[8]. لقد كان توينبي A. J. Toynbee موفقاً عندما عبر عن هواجس الأتراك بقوله: "ان الدافع الأكبر خلف مطالب الأتراك في عودة هذا الإقليم (ولاية الموصل) لم يكن اقتصاديا او استراتيجياً، بل كان سياسياً وهو مرتبط كلياً بالكورد.. و بأن الكماليين يطمحون الى توحيد كودردستان كلها تحت الأشراف التركي ذلك انهم يجدون في اقتسام كوردستان مصدر خطر دائم على تركيا"[9]. و يبدو ان تلك المخاوف كانت وراء ارباك و تخبط خطط الأتراك تجاه الولاية.

و قابلت هواجس تركيا من فقدان ولاية الموصل، زيادة اقتناع بريطانيا بضرورة ابقاء الولاية ضمن العراق، و بأي ثمن، لان السيطرة على حقولها النفطية ستكون اسهل مما لو ضمت الى تركيا[10]. دون ان يعني ذلك التقليل من الأهمية الاستراتيجية التي يحتلها موقع الولاية بالنسبة لحماية مصالح الامبراطورية البريطانية.

اجتمعت لجنة تقصي الحقائق، بأعضائها الثلاثة، بجنيف في 13 تشرين الثاني 1924، بعد ان سهلت مهمتها برسم خط بروكسل[11]. و بعد ان انتخب أ.ف. فرسن، من زملائه ليرأس بعثتهم، قامت اللجنة بدراسة محاضر جلسات مؤتمر لوزان و مجلس العصبة و مذكرات الحكومتين البريطانية و التركية. و رأت اللجنة انه من الضروري ان تذهب الى منطقة النزاع نفسها لانجاز تحقيقاتها و جمع المعلومات التي تحتاجها محلياً[12]. و ادركت ضرورة حصولها على معلومات مستمدة من الوثائق تطلبها من الحكومتين البريطانية و التركية، فأرسلت اللجنة قائمة تضم اسئلة حول الموضوع الى كلتا الحكومتين[13]. ثم ذهبت الى لندن و انقرة، قبل ان تتوجه الى بغداد، للوقوف على تفاصيل اضافية حول المشكلة[14].

اجرت اللجنة في لندن، محادثات منفردة مع كل من اوستن جمبرلن Austen Chamberlain (1863-1937) وزير الخارجية، و ايمري Amery، وزير

المستعمرات، اللذين حاولا في جلسة يوم 25 تشرين الثاني 1925، اقناع اعضاء اللجنة بتبني وجهة النظر البريطانية في اسلوب حل المشكلة، و التي تتلخص بتفضيل طريقة تقصي الحقائق على طريقة اجراء استفتاء موقعي[15].

كانت لقاءات اللجنة مع المسؤولين البريطانيين ومناقشتهم لأسلوب عمل اللجنة، كافية بأن تدفع اعضاء اللجنة الى التصريح بأن "البعثة لا تقبل بأن يحدد شكل معين لعملها، و ان لها القدرة على اختيار أي سبيل للعمل تراه مناسباً سواء أكان استفتاء ام غيره"[16]. و لكنها دعت الحكومة البريطانية الى ايفاد مساعد ليصحب اللجنة الى المنطقة المتنازع عليها[17]. لم تعترض حكومة لندن على توضيح اللجنة، لأنها لم ترغب في تعكير الأمور من جديد وخلق عقبات امام اللجنة التي هي نفسها خططت لتعيينها لحسم الخلاف حول عائدية الولاية المتنازع عليها.

غادر اعضاء البعثة لندن الى استانبول، التي صادف وصولهم اليها عيد رأس السنة، حيث شارك اعضاء اللجنة الدبلوماسيين الأمريكيين الاحتفال بالمناسبة، بعد ان حلوا ضيوفاً في سفارة واشنطن[18]. و بحلول 3 كانون الثاني 1925 استقل اعضاء البعثة القطار السريع المتوجه الى انقرة و منها بدأت مداولاتهم مع المسؤولين الأتراك، و وصفت بأنها كانت شبيهة بما حصل مع الحكومة البريطانية[19]. اذ اصرت الحكومة التركية على ان يكون قرار اللجنة النهائي مبنياً على الاستفتاء الشعبي العام، و هذا ما رفضت اللجنة التقيد به، مهددة في الوقت نفسه، بمغادرة الأراضي التركية الى المكان الذي جاءوا منه، في حال اصرار الأتراك على مطلبهم، و لكن الأتراك قبلوا في النهاية، و اقتنعوا بعدم جدوى التدخل في عمل اللجنة، و استجابة لطلب اللجنة، قررت تعيين الجنرال جواد باشا. مفتش الجيش العام في دياربكر. ممثلاً لتركيا ومساعداً ملحقاً بالبعثة يرافقه عدد من الخبراء لتسهيل مهمته[20]. و ختمت اللجنة زيارتها لتركيا بلقاء مصطفى كمال في مدينة قونيا، التي غادروها الى دمشق و منها الى بغداد، حيث وصلوها يوم 16 كانون الثاني 1925[21].

وقد نزل ستة من اعضائها في دار المندوب السامي – هنري دوبس-، فيما نزل الباقون في فنادق العاصمة، و في 17 كانون الثاني زارت اللجنة الملك فيصل الأول، فأقام على شرفها حفل ترحيب. وكانت البعثة موضع رعاية العراقيين حكومة وشعباً[22].

مكثت اللجنة في بغداد عدة ايام، درست خلالها العلاقات الاقتصادية بين ولايتي بغداد و الموصل، واساليب الادارة، و تسلمت مذكرة من الملك فيصل، يوضح فيها اهمية ولاية الموصل بالنسبة للعراق، مؤكدا فيها بأن مشكلة الموصل هي مشكلة العراق اجمعه، و انها – الموصل- بالنسبة للعراق بمثابة "الرأس للبدن"[23].

غادرت البعثة بغداد باتجاه الموصل يوم 26 كانون الثاني 1925، و قد رافقها المستر جاردين

Jardin، و صبيح نشأت ممثلين و ملحقين عن الحكومة العراقية، في اللجنة[24]. ثم التحق بهما ادموندز كضابط ارتباط[25].

زارت اللجنة في الموصل بعض الاشخاص من ذوي الخبرة و المعرفة لتكوين فكرة عامة عن الوضع. كما قابلت السلطات المحلية، و اجرت تحقيقات في ضواحي الولاية[26]. ثم قامت بزيارة مدينة اربيل، و قابلت السكان في كوي سنجق و رواندوز، و واصلت اعمالها في السليمانية و كركوك و دهوك و زاخو والشيخان[27]. حيث اطلعت هناك على احوال الناس و مشاكلهم الاقتصادية و التجارية، و القضايا العنصرية و الجيولوجية، و جمعت معلومات عن وسائل الزراعة و المواصلات[28]. ثم درست اللجنة اقتراح الحكومة التركية بضرورة استفتاء السكان، و حجج الحكومة البريطانية باستحالة اجراء الاستفتاء المطلوب. و قد حاولت البعثة القيام بتجربة استفتاء و لكن التجربة فشلت لكون ثقافة الأكثرية من سكان ولاية الموصل "بدائية"[29].

اختتمت البعثة اعمالها في نهاية اذار، و قضت بضعة ايام في تنسيق المعلومات التي جمعتها ثم غادرت الى جنيف[30].

درست اللجنة بدقة المعلومات و الاحصائيات التي عرضتها الحكومتان البريطانية و التركية في مذكراتهما، و بعد مقارنتها مع معلوماتها واحصائياتها، تبين لها ان كل حكومة حاولت ان تثبت انها صاحبة الحق و تبرهن عدم دقة احصاءات الحكومة الأخرى. ثم خلصت اللجنة في نهاية دراستها، الى ان الاحصاءات و الخرائط التي امدتها بها الحكومتان ليست دقيقة، و فيها مبالغات من الجانبين بأساليب مختلفة[31].

انشغلت البعثة بكتابة تقريرها، ابتداء من 20 نيسان، و رفعته الى مجلس عصبة الامم في 16 تموز 1925، و قد تألف من 113 صفحة من القطع الكبيرة مع خارطة[32]. و قد اوصى ذلك التقرير بألحاق المنطقة المتنازع عليها بالعراق[33]، بناء على استنتاجات ستراتيجية و جغرافية و عرقية وسياسية و عسكرية و اقتصادية.

فستراتيجياً، رأت بأن خط بروكسل صالح بأن يتخذ خطاً للحدود بين العراق و تركيا[34]، و عرقياً، وجدت اللجنة ان اكثرية سكان الولاية من الكورد الذين هم ليسوا بأتراك و لا بعرب و يتكلمون "لغة ارية". و لكنهم يشكلون مع العرب، الجماعات الوحيدة المتماسكة و تسكن مناطق واسعة[35]. واوضحت بأن الشعور بالولاء للعراق لا وجود له الا عند بعض العرب. و شعور الكورد هو كوردي لا عراقي[36]. فالكورد الذين يفوقون عدديا بقية سكان الولاية مجتمعين، يفضلون الاستقلال عن الطرفين[37] و قالت انه اذا عدت الحجة العنصرية عاملاً حاسماً، فيتحتم تشكيل دولة كوردية مستقلة، لان الكورد يبلغون خمسة اثمان السكان، و اذا وضع هذا الحل في الحسبان فإن اليزيديين وهم يشبهون الكورد عرقيا، و الاتراك الذين يمكن استيعابهم ببساطة مع الكورد، سوف يشكلون سبعة اثمان السكان[38]، على الرغم من انهم

مـن نفـس جنسـية الأتـراك الـذين في الجمهوريـة التركية[39]. الى جانب ذلك و من بين جميع الاعراق المسلمة في الولاية، فإن الكورد هم الاكثر صداقة مـع المسيحيين (النساطرة و الكلدان)[40]. ثـم اسـتنتجت اللجنة انه في تحديـد الحـدود لا يمكـن اخـذ القضـايا العنصرية المحضة بنظر الاعتبار[41].

و ذكـرت اللجنـة في خلاصـة بحثهـا التـاريخي ان الولايـة، كانـت تحـت السيطرة التركيـة منـذ قـرون، ولكنهـا كانـت تـدار منـذ امـد بعيـد مـن (باشـوات بغداد). كما لفتـت الانتبـاه الى ان مـاردين و جزيـرة ابن عمر و ديـاربكر كانـت هـي الاخـرى تحت حكـم ولاة بغداد في الفترة العثمانية، و لكن الحقت جميعـا بالدولة التركية الجديدة[42].

اما بخصوص الحجج السياسية فقـد رأت اللجنـة، ان الكثير من الشهود ذكروا اسباب تفضـيلهم العـراق، بقولهم ان النظـام و الامـن في العـراق في عـام 1925 اعظم مما كـان عليـه تحـت الحكـم التركـي، و كـذلك التربية و التعليم اكثـر تقـدما. و ذكـرت بـان العـرب القـاطنين في كوردسـتان العـراق يرغبـون في ضـمهم للحكومة العراقية، و ان اليزيديين و اليهود يرغبون الرغبـة نفسـها، و اكـدت ان الكـورد لا يرغبـون في العيش مع الأتراك، كما ثبـت ذلـك بثـوراتهم، و كمـا اثبتـوا في اسـتفتاءات عـام 1919 و 1921 الـتي اجريت في العراق[43].

كـان العامـل الحاسـم، بحسب اسـتنتاج اللجنـة، في حسـم الخـلاف و الحـاق الولايـة بـالعراق، هـو الحجـة الاقتصـادية[44]، فقـد رأت اللجنـة ان افضـل تسـوية لولايـة الموصـل هـي الحاقهـا بـالعراق، و مـن الخطـأ فصل الولاية عن الاراضي المرتبطة بها اقتصادياً[45].

ان مـا لا يمكـن اغفالـه هنـا، هـو سـعي بريطانيـا الحثيث الى ابراز العامل الاقتصادي، باعتبـاره افضـل و اقـوى الحجـج للاحتفـاظ بالموصـل. و قـد اعـترف ادمونـدز بـذلك قـائلاً: "انـه كانـت مـن السـخف و العبـث محاولـة دعـم قضـيتنا بمحاولـة استشـارة للسـكان.. حيـث لم يمـر علـيهم وقـت طويـل مـن حملهم على رفع علم الملكة و اقناعهم بالمساهمة في الانتخابـات بعـد رفـض بـات للانضـمام الى الدولـة الجديــدة. لــذلك قررنــا ان يكــون ابــراز العامــل الاقتصادي خير حججنا"[46].

و علـى الـرغم مـن انكـار الساسـة البريطـانيين لوجود اية علاقة بين النفط و بـين قضـية الموصـل، الا ان المــذكرات المتبادلــة بــين هــؤلاء تنــاقض ادعاءاتهم، و تبين بأن النفط لعب دوراً غير قليـل في تمسكهم بالولاية و بالتالي حسمها لصالحهم بـدمجها بالعراق[47]. و توضح البرقيات المرفوعة من المندوب السامي البريطاني الى وزارة المستعمرات العلاقـة بـين منح امتياز الشمال الى شركة النفط التركية و مصير الولايـة مـن جهـة، و علاقتهـا باللجنـة[48] الـتي كـان موقفها و تدخلها للتوسط في منح الامتياز الى شركة النفط التركية، مثار دهشة و تعجب حتى من بعض المسؤولين البريطانيين انفسهم[49].

و من جهة اخـرى و في غضـون وجـود اللجنـة في بغـداد، و تحديـدا 21 كـانون الثـاني 1925، اجـرى ذكـائي بـك، السـفير التركـي في لنـدن، محادثـات مـع

جمبرلن، وزير الخارجية البريطاني عارضا بعض الامتيازات الاقتصادية للمصالح البريطانية، مقابل اعطاء الموصل الى تركيا. و يبدو ان الجانب البريطاني المتمثل بجمبرلن اراد استثمار الفرصة في الوقت المناسب لدعم مزاعم الحكومة البريطانية بان سعيها للاحتفاظ بالموصل ليس لضمان مصالح بريطانيا و وجود النفط فحسب بل للحفاظ والدفاع عن حقوق العراق، فطلب من ذكائي بك تقديم ضمانات بشأن موافقة حكومته على مقترحه، وبالفعل اعدت حكومة انقرة في اذار 1925 مشروع اتفاق يتضمن منح اية شركة ترضى عنها بريطانيا امتيازاً للنفط في منطقة الموصل التي ستدخل ضمن تركيا، مع حق انشاء و ادارة الموانئ وسكك الحديد اللازمة لذلك[50]. و اعلنت موافقتها على جعل الزاب الصغير حداً فاصلاً بين تركيا و العراق كحد ادنى للمطالب التركية[51]. و بموازاة ذلك اخذت الصحف البريطانية تتحدث عن تحسين العلاقات البريطانية التركية، و اشاعت الصحف نفسها اخباراً عن عرض الأتراك لامتيازات اقتصادية ضخمة. من ضمنها امتيازات النفط[52].

ان عدم قبول او رفض المقترحات التركية من جانب الحكومة البريطانية، ثم اشاعتها و اعلانها في الصحف، كان يهدف الى تحقيق غرضين اساسين: الأول هو اضعاف موقف تركيا امام عصبة الأمم وسحب البساط من تحت قدميها في الوقت المناسب. و ثانياً: الضغط على العراقيين من المتشددين والمعارضين لمنح الامتياز، و بالفعل حققت بريطانيا الغرضين معاً الى حد كبير.

لقد وضعت الحكومة البريطانية جميع امكاناتها، للاحتفاظ بحدود الولاية الطبيعية الكاملة، و لجأ ساستها الى جميع السبل لمنع تقسيم الولاية، و لا سيما بعد ما ترددت تقارير عن وجود مقترحات ومشاريع تصب في اتجاه تقسيم الولاية، و اهمها ذلك المقترح الذي تمنح بموجبه الضفة اليسرى لنهر دجلة الى تركيا[53].

ان ربط بريطانيا مسألة الموصل باتفاقية منح الامتياز لشركة النفط التركية[54]. يندرج تحت المحاولات البريطانية الرادعة لاي مشروع يقضي بتجزئة الولاية بين العراق و تركيا. و كان استخدام عامل النفط اسلوباً اضافياً يقف بوجه اية محاولة او مشروع للتنازل او لتقسيم الولاية[55].

لقد اوضح اسلوب تعامل المسؤولين البريطانيين مع مسألة منح الامتياز و مسألة النفط، ان النفط لم يكن وحده وراء اصرار بريطانيا على ادماج الولاية في العراق، و يظهر ذلك جليا في تصريحات دوبس الذي تحدث قائلاً "ان تسليم اجزاء كبيرة من الاراضي الكوردية الى تركيا كفيل باغضاب الطبقة الحاكمة العربية في العراق التي هي سنية و اثارة اشمئزازها. لان ذلك سيخل بميزان القوى في البرلمان لغير صالح السنة و يضع الشيعة "المتزمتين" المحافظين في السلطة. و ان المعتدلين من العرب السنة، كرئيس الوزراء الحالي عبد المحسن السعدون، يفضلون العودة الى تركيا كليا لو تحقق ذلك عملياً"، و اضاف بان "الكورد في الأراضي التي ترغب فيها تركيا سند رصين للنفوذ البريطاني في العراق.

فالفضل في قبول المجلس التأسيسي العراقي المعاهدة الانكلو – عراقية في حزيران 1924 يعود الى الدعم الثابت من جانب الكتلة الكوردية الموالية لبريطانيا. و منذ ذلك الحين يدعمون بثبات السياسة البريطانية بتصويتهم و نفوذهم. و اقتطاع اراضٍ كوردية خالصة و اعطاؤها لتركيا يعرضنا لخطر فقدان الثقة و الارتياب بالعراق باكمله، لا بين الكورد وحدهم بل بين العرب ايضا. ان هذا كفيل بجعل مركزنا صعباً وهو يضعف العراق بأشد من تعرضه لضغط تركيا غير الراضية بالحدود التي رسمت لها"[56].

ان تصريحات دوبس، الذي كان شديد التأثير في رسم السياسة البريطانية تجاه العراق، تبين حرص حكومته على تأمين سيطرة النخب السنية المختارة على البرلمان تحت الرعاية البريطانية. و كانت من الضروري المحافظة على هذا التوازن، و ان كان ذلك يعني التقاطع مع التقرب الى تركيا في المدى القصير[57]. او يكون على حساب استغلال تطلعات الكورد المشروعة.

مهما يكن فقد خلص تقرير البعثة الموفدة من عصبة الأمم لتقصي الحقائق الى انه "اذا ما اخذت مصالح السكان بنظر الاعتبار فانها تعتقد انه من المفيد عدم تقسيم المنطقة المتنازع عليها.." و اضاف التقرير بأن الحجج السياسية – مع كل التحفظات المذكورة – تميل لتأييد ضم جميع الأراضي الواقعة جنوبي خط بروكسل الى العراق، شرط مراعاة الشرطين الاتيين[58]:

1-وجوب ابقاء المنطقة تحت انتداب عصبة الأمم لمدة 25 سنة.

2-وجوب مراعاة رغبات الكورد فيما يخص تعيين موظفين كورد لادارة مملكتهم و ترتيب الأمور و التعليم في المدارس و ان تكون اللغة الكوردية اللغة الرسمية في هذه الأمور و ترى اللجنة انه في حالة ما اذا انتهت مراقبة العصبة بعد انقضاء الأربع سنوات التي ابرمت عليها المعاهدة البريطانية العراقية و لم يخط الكورد تعهداً بجعل ادارة محلية لهم فإن معظم الأهالي يفضلون الأتراك على حكم العرب[59].

ان قراءة عميقة لتوصيات اللجنة تبين دقة التقدير البريطاني للمشكلة و نجاح تخطيطها، وتبين احراز دبلوماسييها وساستها نجاحا فائقا – سواء في عصبة الأمم او في الولاية نفسها – فيما خططوا له من قبل. و دلت نتائج اجراءات السياسة البريطانية و اساليبها الأخيرة قبيل قدوم اللجنة بقليل، و التي نفذها الاداريون البريطانيون بكل دقة في الولاية بين الأهالي، و خصوصاً الأكثرية الكوردية منهم، على ان بريطانيا نالت و الى حد ما ثقة اغلبهم وضمنت ولاء رؤسائهم. بعكس حكومة انقرة، التي افتقر دبلوماسيوها الى الخبرة الدولية التي تمتع بها خصومهم البريطانيون، من جهة، و من جهة ثانية فإنها اخفقت في اتباع سياسة هادفة تجاه اهالي الولاية، كما ان تدخلاتها العسكرية و تحرشاتها بالمنطقة المتنازع عليها لم تؤت ثمارها.

و يبقى العامل الأهم الذي يرجحه بعض الباحثين و الذي اثر بشكل سلبي و الى حد كبير في الموقف التركي و اضر بموقفهم امام اللجنة الدولية، هو اقدام ساسة انقرة العلمانيين على الغاء الخلافة، ففي 3 اذار 1924 اعلن المجلس الوطني الكبير الغاء الخلافة، بايعاز من مصطفى كمال، في جلسة مخصصة للبت في قضية الخلافة و المؤسسات الدينية في تركيا[60]. و كان ذلك القرار يعني عمليا الغاء "الرابطة الجماعية"[61] التي نادى بها مصطفى كمال طوال فترة حرب التحرير.

و بالنسبة لموقف بريطانيا من ذلك التطور[62]، فإنها كانت و لا تزال على خلاف مع حكومة مصطفى كمال، و تحكم مسلمي الهند و بعض الاقطار العربية، و قد حاولت استغلال الحدث لكسب ود رعاياها، الذين تخلى عنهم الأتراك بإجرائهم الأخير، اذ حملت صحيفة الديلي تلغراف في عددها الصادر في 8 اذار 1924 على حكومة مصطفى كمال لإلغائها الخلافة، و قالت "ان مصطفى كمال وحده مسؤول عن طرد الخليفة طرداً منطوياً على الاهانة و القسوة.. و قد ظهرت تركيا الآن بمظهرها الحقيقي فانها امة تسيطر عليها عصابة مخادعين"[63]. كما انبرى احد اللوردات الانكليز امام مجلس العموم البريطاني يوم 12 اذار 1924 يطالب حكومته بأن تجد للخليفة المخلوع عبد المجيد مكاناً يلتجأ اليه.. و ذلك اكراماً للرعايا المسلمين". على الرغم من رد الفعل السريع من بعض الاوساط البريطانية على الاجراء الكمالي الأخير، الا انه يبدو أن الحكومة البريطانية لم تبد حماسة في تأييد رد الفعل ذاك، بدليل عدم قيامها بإجراء رسمي او دبلوماسي ضد الحكومة التركية، بل اقتصرت ردود الفعل تلك على مستوى الرأي العام الشعبي و لأغراض وقتية. فقد كانت الامبراطورية مستفيدة من الغاء تأثير تلك المؤسسة – الخلافة – التي لا تزال قابعة في دولة ما تزال على عداء معها. و تهدد مصالحها الحيوية و طرق مواصلاتها في العراق بشكل خاص و الشرق الاوسط بصورة عامة. اذ ان الغاء الخلافة يعني الغاء تأثير الخليفة المعنوي في اجزاء كبيرة من ممتلكات الامبراطورية التي يقطنها الأكثرية المسلمة، خصوصاً في الهند و مصر. و التي كانت "انظار شعوبها مشدودة الى الأستانة حيث مقر الخلافة فيها"[64].

وقد ادعى بعض الباحثين وجود تفاهم مسبق بين الوفد التركي في لوزان برئاسة عصمت باشا و بين الوفد البريطاني برئاسة كرزن بصدد مؤسسة الخلافة، و تناول احدهم اربعة شروط تقدم بها كرزن الى عصمت باشا، في حال تنفيذ تركيا لها فانها ستحظى دعم بريطانيا، و هي:

1-الغاء الخلافة الغاءاً تاما.
2-طرد الخليفة خارج الحدود.
3-مصادرة اموال الخليفة.
4-اعلان علمانية الدولة[65].

بل ذهب احدهم الى ان مفاوضات تركية – بريطانية طويلة دخل خلالها (حاييم ناحوم) حاخام اليهود الاكبر في تركيا وسيطاً حتى تم التوصل الى هذه الشروط[66].

الهوامش

1-اندره نوسشي، الصراعات البترولية في الشرق الأوسط، دار الحقيقة، بيروت، 1971، ص 143.

2-عقد خلال تلك الجولة مؤتمر في اربيل باشارة من المسؤولين البريطانيين في العراق، و قد منح الكورد خلاله وعوداً كثيرة و مختلفة: تراوحت بين تقديم تعويضات الى الكورد المتضررين من جراء حملات بريطانيا العسكرية ضد انصار الشيخ محمود و تطمينهم بأنه سيجري تعيين حكام المدن في كوردستان من الكورد، كما تم التأكيد فيه على ضرورة اتخاذ تدابير عاجلة للتصدي لأية جهود تركية هادفة لخلق حالة من عدم الاستقرار في كوردستان في اثناء تواجد اللجنة الدولية فيها. ينظر: عثمان علي، العامل..، ص 32.

3-للمزيد عن الأحزاب التي تأسست للدفاع عن الموصل، ينظر: فاروق صالح العمر، الأحزاب السياسية في العراق في عهد الانتداب، 1921-1932، في المفصل في تاريخ العراق، بغداد، 2002، صص 307-312. و في الحقيقة لم يقتصر نشاط الأحزاب على مدينة الموصل، حيث تأسست جمعية الدفاع الوطني في السليمانية، في 19 شباط 1925، برئاسة احمد توفيق، و كان مغزى تأسيسها، هو دحض ادعاءات الأتراك و مطالبهم في ولاية الموصل، و بدا واضحاً من نشاطاتها و ارائها السياسية، ان الحكومة العراقية و الادارة البريطانية كانتا وراء تأسيسها. ينظر: زيانەوه، جريدة، السليمانية، العدد (16)، 19 شباط 1925. في: زيانەوه و شوينى لە روزنامەنووسى كورديدا 1924-1926، عبدالله زنكنه، مقدمة ومراجعة د. كمال مظهر احمد- هولير، 2000.

4-لقد ركزت تلك الصحف على نشر مقالات و مواضيع، تذكر اهالي الولاية من مختلف القوميات و الاديان بالفضائع التي ارتكبها الأتراك بحقهم و مساوئ حكمهم و سوء تصرفات موظفيهم و ولاتهم، اثناء الحكم العثماني للولاية. ينظر: عبد الأمير هادي العكام، الحركة الوطنية في العراق، 1921-1932، بغداد، 1975، صص 177-181؛ زيانەوه، جريدة، العدد 16 السليمانية 19 شباط 1925. و العدد 17 في 23 شباط 1925 في: زيانەوه و شوينى..

5-مذكرة من متصرف لواء الموصل الى وزير الداخلية، نموذج عام (12)، 1924/12/30، سري، المركز الوطني لحفظ الوثائق، ملفات البلاط الملكي – الديوان، ملف الاخبار الخارجية عن الحدود، ش – بغداد، 9 كانون الاول 1923-30 كانون الاول 1924، ص 10.

6-تضمن محتوى تلك المكاتيب، اعلام الاحزاب بقرب قدوم الاتراك و بإيفاد ناظم بك نائب كركوك و فتاح بك نائب السليمانية برفقة وفد عصبة الامم، و بلزوم حث السكان من الموالين لتركيا على رفع اعلام تركية كبيرة و صغيرة، لافهام اللجنة رغبات الاهالي، و كذلك القيام بالمظاهرات ضد العراق و البريطانيين، كما تضمنت تلك المكاتيب وعوداً بتقديم المكافاءات للشيوخ و الوجهاء من الموالين لتركيا، و حثت المكاتيب ايضاً انصار تركيا، بتقديم مضابط عديدة تطالب بالالتحاق بتركيا، و كانت فيها وعود بارسال نشرات باللغة التركية و الكوردية لتوزيعها على اهالي الموصل و كركوك و اربيل و السليمانية. كما تحدثت عن اقامة علاقات و تعاون مع الثائر الكوردي الشيخ محمود. للأطلاع على محتوى تلك المكاتيب بالتفصيل، ينظر: عبد العزيز القصاب، من ذكرياتي، بيروت، 1962، ص ص 253-256؛ سي. جي. ادموندز، المصدر السابق، ص 360.

7-بحلول عام 1925 كانت الادارة البريطانية في العراق قد تمكنت من اقناع الكورد بانتخاب ممثلين عنهم في كوردستان الجنوبية، ليمثلوهم في مجلس النواب العراقي، لاول مرة، بعد ان سبق لهم ان رفض سكان السليمانية المشاركة في الاستفتاء بانتخاب الملك فيصل، و تصويت اهالي كركوك ضده في 1922، و قد نتج عن ذلك ارتباط مصالح بعض زعماء العشائر الكوردية الكبيرة بمصالح العراق و الادارة البريطانية، و بالمقابل شهدت تركيا انحسار دور الكورد، بعد قيام مصطفى كمال بتشديد نظامه القائم على القومية التركية و العلمانية، فضلاً عن ابعاده الكورد عن المناصب الحكومية، فالغاؤه

الخلافة كان يعني القضاء على الرابطة الوحيدة للاتراك بالكورد. ينظر:
-Colonial Office, Special Report… 1921-1931, P. 58; Report by His Majestys Goverment on the Administration of Iraq for the period April 1923- December 1925, issued by Colonial Office, London, 1925, P. 33.

8-سر ريد بولارد، المصدر السابق، ص 144؛ فيليب روبنس، تركيا و الشرق الاوسط، ترجمة ميخائيل نجم خوري، قبرص 1993، ص 30.

9-مقتبس من: لازاريف، المسألة الكوردية 1917-1923، ص 248.

10-نوري عبد الحميد خليل، التاريخ السياسي لامتيازات النفط في العراق 1925-1952، بغداد، 1980، ص 59. و على الرغم من انكار الساسة و المسؤولين البريطانيين على الدوام لأية علاقة بين النفط و مشكلة الموصل، الا ان وثائق وزارة المستعمرات تفند مزاعم هولاء، و تقدم دلائل كثيرة عن العلاقة المتشابكة، و المحكمة بين المسألتين، للتفاصيل حول علاقة النفط بمشكلة الموصل، ينظر: سي. جي. ادموندز، المصدر السابق، ص 357؛ جرجيس فتح الله، النفط قرر مصير..، ص 24.

11-Peter J. Beck, Op. P. 263.

12-League of Nations, Questions…, P. 1.

13-عبد الأمير هادي العكام، المصدر السابق، ص 169.

14-League of Nations, Questions…, P. 1.

15-جرجيس فتح الله، يقظة..، ص 329.

16-المصدر نفسه، ص 329؛
-League of Nations, Questions…, P. 1.

17-League of Nations, Question…, P. 1.

18-جرجيس فتح الله، يقظة..، ص 330.

19-المصدر نفسه، ص 330.

20-League of Nations, Questions…, P. 1.

21-جرجيس فتح الله، يقظة..، ص ص 331-332.

22-عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ط 7، بغداد، 1988، ج 1، ص 265؛ عبدالرزاق محمد اسود، موسوعة العراق السياسية، بيروت، 1986، ج2، ص 603.

23-للاطلاع على نص المذكرة ينظر: عبد الفتاح علي البوتاني، مذكرة الملك فيصل الى لجنة التحقيق الدولية حول مشكلة الموصل (رأي و تعقيب، كولان العربي)، مجلة، اربيل العدد 49، 30 حزيران، 2000، ص ص 36-41.

24-عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات..، ج1، ص 226.

25-سي. جي. ادموندز، المصدر السابق، ص 356.

26-للتفاصيل ينظر:
-League of Nations, Questions…, P. 3f.

27-في زيارتها الى السليمانية، تبين للجنة انها مسكونة من الكورد فقط، و قد ورد في تقريرها، انهم – أي الكورد من سكانها – بالرغم من تفضيلهم العراق على تركيا، الا انهم ناشدوا حكما ذاتيا واسعا و بدعم انكليزي اقوى، و قد حاز موقفهم الموحد على ثناء و احترام المسؤولين البريطانيين و اعضاء اللجنة على حد سواء. سي. جي. ادموندز، المصدر السابق، ص 386. و قد علق فرسن على ذلك قائلا: "في تلك المنطقة – و يقصد السليمانية – كنا شهودا لحركة قومية كوردية شابة، لكنها معقولة تطمح الى استقلال تام لكن برعاية و اشراف ثقافي و حضاري اوربي". ينظر: جرجيس فتح الله، يقظة..، ص 377.

اما بالنسبة لكركوك، كونها غير متجانسة، فقد كانت الاراء فيها اقل تجانساً و اصعب تحليلاً للجنة، ففضلاً عن (35650) عربي وجد (47500) كوردي و (26100) تركي و (2400) مسيحي، الاتراك معظمهم فضل تركيا، اما الكورد و العرب فآراؤهم كانت متضاربة و متباينة. ينظر:
-League of Nations, Questions…, P. 77.

و بصدد اربيل، ذات الأغلبية الكوردية المطلقة، كان الميل الى الاتراك هو الغالب. ينظر: -Ibid, P. 77.

اما الموصل – المدينة و اقضيتها، و بفضل نشاط الاحزاب القومية العربية، فان العرب فيها فضلوا العراق، اما كورد المدينة، الذين كانت تطلعاتهم القومية و شعورهم القومي اقل

تطوراً من اخوانهم في السليمانية، فلم تتمكن البعثة من التثبت من ارائهم. اما التركمان – و خصوصاً في تلعفر، ففضلوا و بحماس الاتراك. ينظر:

-League of Nations, Questions…, P. 77;

-ينظر الملحق رقم (11)، و الملحق رقم (12).

28-محمد عبدالحسن المياح، مشكلة الموصل و ترسيم الحدود العراقية – التركية، في: مجموعة من المؤلفين العراقيين في: المفضل في تاريخ العراق، بغداد، 2002، ص 629.

29-فاضل حسين، مؤتمر لوزان..، ص 47، عبد الرزاق محمد اسود، المصدر السابق، ص 604.

30-جرجيس فتح الله، يقظة..، ص 368، عبد الرزاق محمد اسود، المصدر السابق، ص 609.

31-محمد عبدالحسن المياح، المصدر السابق، ص 628.

32-عبدالرزاق محمد اسود، المصدر السابق، ص 609.

33-League of Nations, Questions…, P. 86.

34-Ibid, P. 86.

35-League of Nations, Questions, P. 86-87.

36-جرجيس فتح الله، يقظة.. ص 380.

37-ف.ب.والترز، تاريخ عصبة الامم، في: جرجيس فتح الله، يقظة.. ص 321.

38-League of Nations, Questions…, P. 57.

39-Ibid, P. 86.

40-A. J. Toynbee, Op. Cit., P. 479.

41-League of Nations, Questions…, P. 57.

42-Ibid, P. 87.

43-Ibid, P. 75.

44-جرجيس فتح الله، يقظة..، ص ص 376-377.

45-League of Nations, Questions…, P. 87.

64-ينظر مؤلفه: كرد..، ص 366.

74-للتفاصيل عن علاقة النفط بمصير ولاية الموصل، ينظر: جرجيس فتح الله، النفط قرر.. ص ص 4-42؛ اندرة نوسشي، المصدر السابق، ص ص 142-143.

84-يذكر المندوب السامي البريطاني في العراق في برقية مرفوعة الى وزارة المستعمرات مؤرخة في بغداد 17 شباط 1925، ان باولس – احد اعضاء لجنة تقصي الحقائق – اعلن قبل مغادرته بغداد لوزير المالية العراقي. ساسون حسقيل – ان اياً من طرفي النزاع على الحدود يكون الاول في منح الامتياز لشركة النفط التركية سينال ولاية الموصل. كما اشار دوبس الى ان تيلكي – العضو هو الاخر في اللجنة الدولية – قد حث الوزراء العراقيين بالتوقيع على منح الامتياز لشركة النفط التركية.. وقد فسر دوبس الأمر بأنه اذا توصل الأتراك و العراقيون الى اتفاق قبل ان تضع اللجنة توصياتها بشأن الحدود – يقضي بمنح الامتياز الى شركة النفط التركية في ولايتي بغداد و الموصل بقدر ما يتعلق الامر بالعراق في ولاية الموصل، و في نفس الولاية بقدر ما يتعلق الامر بتركيا فإن اللجنة ستكون قادرة على المحاججة بإنه عندما يتم تحديد الحدود فإن مصالح النفط القوية لن تتأثر. ينظر: نوري عبد الحميد خليل، المصدر السابق، ص ص 110-112؛ حسين جميل، العراق، شهادة سياسية، لندن، 1987، ص ص 161-166؛ جرجيس فتح الله، النفط قرر مصير..، ص ص 21-22.

49-جرجيس فتح الله، النفط قرر مصير…، ص ص 22-23.

50-نوري عبد الحميد خليل، المصدر السابق، ص 112.

51-خسرو كوران، ستة و سبعون عاماً على تقرير مصير ولاية الموصل، كولان العربي، مجلة، اربيل، العدد 68، 31 كانون الثاني 2002، ص 42.

52-ابراهيم شريف، الشرق الاوسط، بغداد، 1965، ص 163.

53-اقترح لندساي، السفير البريطاني في تركيا و كبير مفاوضيها في المحادثات البريطانية التركية، في منتصف شهر اذار 1925؛ على دوبس – المندوب السامي البريطاني في العراق – منح تركيا قطعة ارض كبيرة بغية اختتام المفاوضات. و كانت للندساي رغبة في التوصل الى قرار نهائي بشأن مسألة الموصل و متلهفاً لاعطاء تركيا جزءا من الاراضي التي تطالب بها معتقدا ان ذلك يؤدي الى ابرام معاهدة معها.

و لكن بعد يوم واحد فقط من تقديمه لمقترحه، تلقى رد دوبس الذي عبر فيه عن معارضة شديدة لمثل هذا الاقتراح، و ذكر اسبابا استراتيجية و تكتيكية و سياسة تستوجب عدم اعطاء تركيا مزيداً من الاراضي في كوردستان العراق. ينظر: روبرت اولسن، المصدر السابق، ص ص 18.-19

54-وقعت تلك الاتفاقية بين الحكومة العراقية و شركة النفط التركية في 14 اذار 1925. ينظر: عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات.. ج1، ص 386.

55-اقترح دوبس اضافة فقرة على مشروع اتفاقية منح الامتياز تشترط الغاء الامتيازات في حالة عدم اعطاء كل الولاية الى العراق، و بذلك فإن اقتراحه – في حالة قبوله – سيجعل مصالح النفط تتعارض مع هذه التجزئة، و هذه ما لا تقبل به شركات النفط. ينظر: نوري عبد الحميد خليل، المصدر السابق، ص 118.

56-روبرت اولسن، المسألة الكردية في العلاقات..، ص 19.

57-المصدر نفسه، ص ص 19.-20

58-League of Nations, Question…, P. 88.

59-Ibid, PP. 88-89.

60-ترتب على الغاء الخلافة، الغاء وزارة الشرعية و الاوقاف و المؤسسات التابعة لها، و عهد بعملها الى وزارة المعارف. للتفاصيل ينظر:

-Stanford. J. and Ezel K. Shqw, Op. Cit., PP. 368-369; Sydney Nettleton Fisher, The Middle East A History, London, 1960, P. 394;

-مصطفى حلمي، الاسرار الخفية وراء الغاء الخلافة الاسلامية (دراسة حول كتاب: النكير على منكري النعمة من الدين و الخلافة و النعمة لشيخ الاسلام مصطفى صبري)، مصر، 1985، ص ص 177.-192

61-رضا هلال، السيف و الهلال تركيا من اتاتورك الى اربكان الصراع بين المؤسسة العسكرية و الاسلام السياسي، القاهرة، 1999، ص 85.

62-اثار الاجراء التركي ردود فعل متباينة في الدول الاسلامية، و خصوصاً في الهند و مصر، و كذلك العراق، اذ عبر الرأي العام فيها عن استيائها من القرار، و عكست صحافة تلك البلدان استنكار ذلك القرار و التنديد به. للتفاصيل عن ردود الفعل تلك ينظر: كارل بروكلمان، المصدر السابق، ص 496؛ قاسم خلف الجميلي، تطورات و اتجاهات..، ص ص 97.-100

63-قاسم خلف الجميلي، تطورات و اتجاهات..، ص 100.

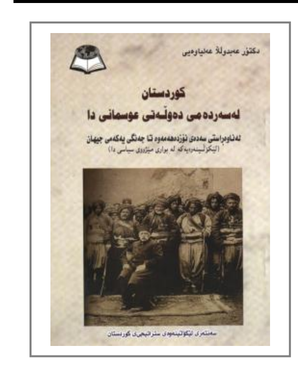
64-سي. جي. ادمونندز، المصدر السابق، ص 342.

65-احمد نوري النعيمي، المصدر السابق، ص ص 71-72؛ محمد طه الجاسر، تركية ميدان الصراع بين الشرق و الغرب، دمشق، 2002، ص 238.

66-ينظر: مصطفى حلمي، المصدر السابق، ص ص 265-.266



قراءة البعث للفاشية التأريخية
تأليف: د. البيرت عيسى
منشورات الفكر والتوعية
السليمانية – 2004



كوردستان في عهد الدولة العثمانية
تأليف: د. عبدالله محمد علياويي
مركز كردستان للدراسات الإستراتيجية
السليمانية – 2004

مأساة الانفال

في رواية [بەهاري رەش ـ الربيع الاسود]

د. عادل كرمياني

دلالة الانفال

هناك في التاريخ الاسلامي القديم عدة معارك خاضها المسلمون بقيادة الرسول الكريم محمد (ص) خلال سنوات هجرته الى مدينة (يثرب) التي سميت فيما بعد بالمدينة المنورة، و بعد وفاة النبي الكريم كانت فتوحات اسلامية عديدة بقيادة ابطال وقادة مسلمين استطاعوا ان ينشروا راية الاسلام الحنيف بين العديد من بلدان و ربوع الارض، و كان لتلك المعارك و الفتوحات اسرى و غنائم مادية و عسكرية. و يبدو ان كلمة (انفال) هي المصطلح العربي القديم الذي يطلق على الغنائم، وقد ورد اسمها في تسمية سورة (الانفال) و ضمن الاية الاولى منها. و من طبيعة استخدام هذه المفردة في القرآن الكريم يبدو ان المقصود بالانفال هو الغنائم التي يحصل عليها المحاربون المسلمون في فتوحاتهم الاسلامية انذاك. و لكن يبدو ان لمفهوم الانفال و معناه اشكالية قديمة من حيث دلالاته، و خاصة دلالته الدينية، فقد ورد مثل هذا التساؤل في القران الكريم ضمن بداية سورة الانفال(1): "يسألونك عن الانفال قل الانفال لله و الرسول فاتقوا الله و اصلحوا ذات بينكم و اطيعوا الله و رسوله ان كنتم مؤمنين". و قد جاء تفسير كلمة الانفال بمعنى الغنائم التي يحصل عليها الغانمون، و لذا كان معنى هذه الاية الكريمة الاولى من هذه السورة بصيغة النهي و التوضيح بأن الغنائم لله و ان توزيعها يجب ان يتم من قبل الرسول الكريم محمد (ص) حفاظاً على عدالة التوزيع بين المقاتلين من مجاهدي الاسلام في فتوحاتهم لديار الكفار و المشركين الذين لم يرفعوا راية الانضواء تحت راية الاسلام الذي احل مقاتلتهم و القضاء عليهم و توزيع ممتلكاتهم على مجاهدي تلك الغزوات و الفتوحات الاسلامية.

الكرد بين الاسلام و الانفال الصدامي

تتضح لنا من خلال هذه المقدمة التوضيحية جسامة الخطأ الديني الذي وقع فيه كل من شارك في تلك الجريمة البشرية النكراء بحق الشعب الكردي خلال عمليات الانفال[2] المشؤومة التي قام بها النظام الصدامي المقبور في ربيع عام 1988 ضد كرد العراق لا لشيء الا لأنهم لم يكونوا اداة طيعة بيده في حربه الشعواء ضد الشعوب الايرانية في معركة القادسية المشؤومة التي جلبت الويلات على الشعبين خلال اعوامها الثمانية، و التي خرج منها الطرفان العراقي و الايراني خاسرين بشرياً و معنوياً و هما يلعقان دماء ذلك الجرح المؤلم في حياة الشعوب العراقية و الايرانية من ملايين القتلى و الجرحى و المفقودين و المعوقين و اليتامى. و كانت هذه الحرب وصمة عار في جبين من ادعوا الاسلام زوراً و بهتاناً حين ازهقوا دماء المسلمين و غير المسلمين الابرياء. يا ترى ماذا كانت جريرة الكرد في العراق حتى يعتبروا من الكفار، و يحق عليه الانفال و هم منذ الف و مئتي عام متمسكون بالدين الاسلامي الحنيف الذي يدعو الى الاخوة و المحبة و التسامح بين المسلمين على اختلاف قومياتهم و الوانهم و اجناسهم، فهل يا ترى كان الكرد كفارا حتى ينتهك النظام الصدامي المقبور باسم الانفال حرماتهم و اعراضهم، و تستباح ديارهم و تهدم خمسة الاف من قراهم، و يقتل اكثر من مئة و ثمانين الفا من رجالهم و نسائهم بأبشع وجه من وجوه الابادة البشرية حين يدفنون وهم احياء في مقابر جماعية لم يكشف النقاب عنها الا مؤخراً، و بشكل لا تكون للميت حرمته من حيث الدفن في مقبرة تليق به كإنسان يحق له ما يحق لبني البشر في عالمنا المعاصر من حقوق في الحياة كما تنص عليه بنود حقوق الانسان في ميثاق الامم المتحدة، بل الانكى من ذلك تضييع اثاره الجسدية بعد قتله عن طرق دفنه في الرمال التي لا تستقر على حال، و جعله فريسة للكلاب المفترسة الجائعة في الصحراء الرملية المحيطة بمعتقل السلمان السيء الصيت في محافظة السماوة الجنوبية. و هذا هو السبب الذي حدا بالروائي الكردي حسن الجاف لكي يسمي روايته القصيرة "كورستاني لم – مقبرة الرمال" – الصادرة عام 2000 في السليمانية كتعبير عن فقدان الكرد المؤنفلين حتى لمقابر تحوي جثثهم او لشواخص تدل على اسماء المدفونين فيها.

انعكاس الحدث الانفالي في هذه الرواية

يظل للنزف الانفالي الم المبرح في وجدان الانسان الكردي المعاصر، و لذا نجد لهذه الفاجعة حضورها البارز في العديد من النتاجات الادبية الكردية المعاصرة، و خصوصاً في ميدان الرواية الكردية، فقد تناول القاص احمد محمد اسماعيل في باكورة نتاجه الروائي الموسوم بـ" بەهاری رەش – الربيع الاسود" – الصادرة عام 2003 في اربيل – مأساة المواطن الكردي البطل صابر الحاج جمعة من اهالي قرى قضاء خورماتو حين يقع في كمين الجحافل الكردية المرتزقة وهم يتقدمون الافواج العسكرية للنظام السابق المقبور في عمليات الانفال المشؤومة من دون

ان يـردعهم الهـاجس القـومي حـين يسـاهمون في تهديم القرى التي بلغت ما يقارب خمس الاف قرية كانت تشكل جوانب مشرقة من الواقع الديموغرافي و الجمـالي لريـف منطقـة "كرميـان" في كردسـتان العـراق الـتي يطلـق عليهـا في الجغرافيـة الكرديـة بـ"كردستان الجنوبية". و هكذا يصبح هذا البطل و الـرواي المشارك الـذي يحمل الـرقم 18988 ضـمن قـوائم المعتقلين في القضاء شاهد حـال تلك المأساة الـتي عاناهـا اهـالي القـرى المؤنفلـة مـن منطقـة "كرميـان" حـين يؤخـذون عنـوة نحـو معـتقلات النظـام في المنطقـة ليسـاقوا فيمـا بعـد الى معتقـل السلمان الصحراوي المشهور في عهود الانظمة السابقة الـتي حكمـت العـراق خـلال العقـود الماضـية و الـتي جعلت منه سجناً لأحرار العراق ومناضليه الشرفاء، و الذي تحول في العهد الصدامي الى المنفى و المعتقـل المميت لغالبية الكرد المؤنفلين الذين فاقت اعـدادهم المئة و الثمانين الف مواطن بين طفل رضيع و شـاب يـافع و كهـل طـاعن في السـن. لقـد اجـاد الروائـي في صنع نوع من الايحاء الاسطوري لمنطقة كرميان التي يعـد مـن كتابهـا، حيـث قـدم عـدة صـور ادبيـة عـن جوانبها الزاهيـة مـن حيـث اخلاقيـات اهلها و كـرم ضـيافتهم و طيبـة قلـوبهم، و مثـل هـذه الجوانـب تجلت في صفات شخصية البطل صابر الحـاج جمعـة الذي يساهم في لحظات ما قبل نهاية الرواية في انقاذ الطفل اليافع "كرميان" و تدوين اسمه ضمن قائمـة الاشخاص الطاعنين في السن و الاشخاص الـذين تقـل اعمارهم عن الخامسة عشـر، و بهـذا تقصـد الروائـي في مثل هذا الجانب حتى يعطي صفة ديمومة الحياة في تلك المنطقة "كرميان" التي دفعت ضـريبة اكثـر و اكـبر مـن بقيـة منـاطق كردسـتان العـراق اثنـاء حملات الانفال المشؤومة.

بناء الزمن الروائي الانفالي

تنـاول الروائـي احمـد محمـد اسماعيـل تصـوير الحدث الانفـالي المفجـع في روايتـه (بـههـارى رەش – الربيع الاسود) الصادرة عام 2003 في مدينـة اربيـل رغـم ان الروائـي دون في نهايـة نـص الروايـة اعـوام (1989-1992) كزمن لكتابـة الروايـة، و انـا اشـهد له بسبق الكتابة عن فاجعـة الانفـال حـين سمـح لـي انذاك بقراءة القسم المنجز منها انذاك. و هكذا نجد لهذا النص الروائـي الكـردي ثلاثـة ازمنـة هـي: زمـن داخلي هو زمن الحدث الذي يعود الى ايام ربيـع عـام 1988 الذي يصفه الروائـي بـالربيع الاسـود – وهـو حقاً كذلك بـل هـو الربيـع الاسـود الـدامي – و الـذي يختاره الروائي كعنوان لروايته، و زمن خـارجي هـو زمـن الكتابـة الـذي يحصـره الروائـي بـين اعـوام (1989-1992)، وزمـن الطبـع الـذي يعـود الى عـام 2003، و بالامكـان اعتبـار زمـن الكتابـة و زمـن الطبع هما الزمن الخارجي الذي يـؤطر زمـن الحدث كزمن داخلي.

لقـد اجـاد الروائـي احمـد محمـد اسماعيـل في روايته (بـههـارى رەش – الربيـع الاسـود) في اختيـار بطلـه الـرواي مـن ضـمن اهـالي قـرى منطقـة طوزخورمـاتو الـتي عانـت و دفعـت ضـريبة الانفـال اكثر من بقية مناطق كرميـان في كردسـتان العـراق.

و كان اختيار الراوي للطفل اليافع كرميان البالغ من العمر اثني عشر عاماً كرمز له دلالته الخاصة عندما يمنحه الروائي فرصة جديدة للحياة حين يتم ضمه الى بعض الاطفال و الشيوخ الباقين على قيد الحياة من بين ضحايا المؤنفلين في معتقل (نقرة السلمان) السيء الصيت في التأريخ السياسي لمناضلي الأحزاب الوطنية العراقية بعد الحرب العالمية الثانية.

لقد اختار الروائي راوي نصه الروائي كبطل مشارك له دراية و معرفة بأمور الحياة و السياسة حتى يمنح للبناء السردي في هذه الرواية سمة صدق، و يمنحها نوعاً من التأثير الوجداني في نفسية قراء هذا النص الذي صاغه الروائي بأسلوب مثير يصلح ان يكون نصاً مختاراً لفيلم سينمائي عن فاجعة الانفال في التأريخ المعاصر للشعب الكردي.

لقد اجاد الرواية كراوٍ مشارك في سرد الحدث الرئيس و الحديث عن معاناة الاشخاص الآخرين المؤنفلين كضحايا ذاقوا مرارة الأيام الصعبة لمأساة الانفال، و الذين يبقى الأمل يراودهم في الحياة و الخروج من ذلك المنفى الإجباري كمعتقل صحراوي و كمكان مغلق في بناء هذه الرواية القصيرة، و بذلك ينطبق عليهم قول ديموسية: "اثنان لا يموتان: الله في السماء و الأمل على الأرض"، فأشخاص هذه الرواية لا يفارقهم الأمل في الفوز بفرصة الحياة مرة أخرى رغم اقترابهم من حافات الموت في نهر الانفال الدامي بأمواجه العاتية التي استطاعت ان توقف لحظة الأزدهار و التطور في ريف كردستان العراق لفترة من الزمن.

ان زمن الحدث الانفالي في هذه الرواية الكردية له سمته الواقعية الحقيقية، الذي يساهم بطل الرواية (صابر الحاج جمعة) في تجسيده كراوٍ مشارك، و كصوت للروائي في تصوير الجانب المأساوي لفاجعة الانفال في وجدان المواطن الكردي. و كذلك لمكان الحدث الانفالي في هذه الرواية الكردية سمته الواقعية الحقيقية، لكون الروائي قد اختار بقعة جغرافية من كردستان العراق له دراية جيدة بشعابها و تفاصيل ديموغرافية ارضها التي شهدت فاجعة الانفال خلال ربيع عام 1988. و قد فعل الروائي الشيء الحسن حين جعل شخوص هذه الرواية من اهالي القرى التابعة لقضاء طوزخورماتو في منطقة كرميان حتى يكونوا لسان حال ما عاناه اهالي تلك المنطقة في ايام الحدث التراجيدي لمأساة الانفال السيئة الصيت. يبدأ بناء الزمن في رواية (الربيع الأسود) بالشكل التقليدي من لحظة بداية الأعتقال، و مروراً بلحظات العيش الذي لا يطاق في معتقلات النظام وصولاً الى ذروة حبكة الحدث الأنفالي في معتقل السلمان الصحراوي، وتجرع عذابات لفظ الأنفاس الأخيرة قبل الموت الذي يتمنونه عن طيب خاطر تخلصاً من تلك الحياة التي اصبحت غير ذات فائدة او مجدية في ذلك المكان الذي لا يصل لضفاف الحياة كل من فر من اسوارها العالية لما يحيط به من صحراء و كثبان رملية و كلاب تعودت على التهام اللحوم البشرية للأموات الذين يدفنون في الرمال و من ثم ترك عظامها في العراء.

البناء السردي للحدث الأنفالي الروائي

يتناول القاص احمد محمد اسماعيل في باكورة نتاجه الروائي الموسوم بـ" بەهارى رەش – الربيع الاسود" مأساة البطل صابر الحاج جمعة كشخصية له مستوى معين من الوعي و الثقافة و المكانة الاجتماعية تؤهله لدوره الريادي بين اهالي قرى منطقته قبل وبعد وقوعه في كمين الجحافل الكردية المرتزقة حين كانوا يتقدمون الأفواج العسكرية الغازية للنظام السابق المقبور في عمليات الأنفال المشؤومة من دون ان يردعهم الهاجس القومي. و هكذا يصبح هذا البطل و الراوي المشارك الذي يحمل الرقم (18988) ضمن قوائم المعتقلين في قضاء طوزخورماتو – و الذي هو مسقط رأس و سكن الروائي نفسه – شاهد حال تلك المأساة التي عاناها اهالي القرى المؤنفلة من منطقة "كرميان" – التي يصف جوانب من واقعها الجغرافي و طبيعتها الريفية في بعض اماكن نصه الروائي – حين يؤخذون عنوة نحو معتقلات النظام في المنطقة ليساقوا فيما بعد الى معتقل السلمان الصحراوي المشهور في عهود الانظمة السابقة التي حكمت العراق خلال عقود القرن العشرين المنصرم، و التي جعلت منه سجناً لأحرار العراق و مناضليه الشرفاء، و الذي تحول في العهد الصدامي الى المنفى و المعتقل المميت لغالبية الكرد المؤنفلين الذين فاقت اعدادهم المئة و الثمانين الف مواطن بين طفل رضيع و شاب يافع و كهل طاعن في السن.

لقد اجاد الروائي في صنع نوع من الايحاء الأسطوري لمنطقة كرميان التي يعد من كتابها، حيث قدم عدة صور ادبية عن جوانبها الزاهية من حيث اخلاقيات اهلها و كرم ضيافتهم و طيبة قلوبهم، و مثل هذه الجوانب تجلت في صفات شخصية البطل صابر الحاج جمعة الذي يساهم في لحظات ما قبل نهاية الرواية في انقاذ الطفل اليافع "كرميان" – الذي يرى بأم عينيه مقتل ابيه على ايدي جلاوزة النظام المقبور اثناء محاولتهم الهرب من قريتهم خلال عمليات الانفال المشؤومة. و كان انقاذه من معتقل السلمان الصحراوي نتيجة لقيام بطل الرواية صابر الحاج جمعة برشوة احد حراس المعتقل لتدوين اسمه ضمن قائمة الاشخاص الطاعنين في السن و الاشخاص الذين تقل اعمارهم عن الخامسة عشر، و بهذا تقصد الروائي في مثل هذا الجانب حتى يعطي صفة ديمومة الحياة لمنطقة "كرميان" التي دفعت ضريبة اكثر و اكبر من بقية مناطق كردستان العراق اثناء حملات الانفال المشؤومة.

و رغم الطابع المأساوي لتراجيدية الحدث الأنفالي في هذه الرواية الكردية، الا ان الروائي من خلال تأطير ذروة الحبكة في هذه الرواية بنوع من الوهم الرومانتيكي حين يرسم صورة الحب العذري للعلاقة العاطفية بين بطل الرواية (صابر الحاج جمعة) و ملهمته (جنار) التي يرفض ذووها تزويجه اياها، و التي نالت نصيبها مثله من مآسي الأنفال حين تدفن وهي حي ترزق مع من معها من النساء

و الاطفال في احدى المقابر الجماعية، و التي يزوره شبحها في لحظات ما بعد قيامه بدفن جثث من تزهق ارواحهم من الاشخاص المؤنفلين خارج اسوار سجن السلمان الرهيب. و ما يثير الانتباه في مثل هذا التوظيف لحكاية الحب العذري بين بطل الرواية و تلك الفتاة هو جانب الوفاء و الاخلاص للآخر حين يظل كل منهما بلا زواج حتى لحظات التواصل الروحي في نهاية تلك الفاجعة التي حلت بهما في ايام عمليات الأنفال المشؤومة. و قد فعل الروائي الشيء الحسن حين وظف شخصية المطرب الشعبي المعروف (لفتة) في منطقة كرميان، حين يسهم في تسريح خيالات معتقلي سجن السلمان نحو ربى و سهول كرميان من خلال صوته الشجي العذب في اغنياته المثيرة لشجون هؤلاء المعتقلين بلا ذنب وهم يعيشون ايامهم الأخيرة كضحايا لتراجيدية الحدث الأنفالي في وجدان الانسان الكردي الذي سيظل لعقود عديدة لاحقة يتذكر مآسي المؤنفلين في تلك الفاجعة المحزنة، و التي هي وصمة عار في جبين ازلام النظام الصدامي المقبور.

بناء المكان الأنفالي الروائي

امتاز البناء المكاني في رواية " بەهارى رەش - الربيع الأسود" ببنائه الدائري حين ينتقل الروائي بالحدث التراجيدي لنص روايته من المكان العام المفتوح الذي يمثله فضاء قرى منطقة الحدث، و من ثم العيش عنوةً في المكان العام المغلق الذي يمثله سجن السلمان الصحراوي، و انتهاءً بالعودة الى قراهم في منطقة الحدث كمكان عام مفتوح بعد شمول عددٍ من الباقين منهم بأمر اطلاق سراح الطاعنين في السن و الاشخاص الذين تقل اعمارهم عن الخامسة عشر.

المصادر

1-القرآن الكريم – سورة الأنفال، و هي سورة مكية، و هي السورة الثامنة في القرآن الكريم، و يبلغ عدد اياتها (75) آية كريمة، و الآية التي تتحدث عن دلالة الأنفال هي الآية الأولى في هذه السورة المباركة.

2-احمد محمد اسماعيل – (بەهارى رەش – الربيع الأسود)، اربيل، 2003.

القصة في شعر الرصافي

د. فائق مصطفى

جامعة السليمانية

في بحث سابق* درست القصة في شعر الزهاوي، و عددته رائد القصة الشعرية في الادب العراقي الحديث. و في هذا البحث ارمي الى اتمام هذا الموضوع فادرس القصة في شعر معروف الرصافي الذي بدأ ينظم القصة الشعرية في المدة نفسها التي ظهرت فيها قصص الزهاوي الشعرية، فديوان الزهاوي الذي ضم قصصه طبع في عام 1908، على حين طبع ديوان الرصافي الذي ضم قصصه في عام 1910. و في الوقت نفسه يلوح شبه واضح بين موضوعات قصص الشاعرين وسماتهما الفنية، و هو ما يحدوني الى القول بان الرصافي ربما تأثر بقصص الزهاوي، الى جانب تأثره بقصص المنفلوطي النثرية، و تاثره ببعض الشعراء الاتراك مثل نامق كمال، و قد ترجم له الرصافي رواية "الرؤيا" و طبعها في عام 1909[1]. أي ان من بين العوامل التي دفعت الرصافي الى نظم القصة الشعرية اطلاعه على قصص الزهاوي و المنفلوطي و القصص التي كان يقرؤها في التركية التي كان يجيدها و القصص الاوربية المترجمة. زد على ذلك حب الشاعر للاصلاح، فالمعروف عن الرصافي انه "لم يهدف الى ان يكون شاعرا و انما كان قد هيأ نفسه ليكون مصلحاً اجتماعياً، و اتخذ من الشعر اداة لذلك الاصلاح و نشره بين الناس"[2]. و القصة – بلا شك- خير اداة لتحقيق هذه الغاية.

و على الرغم من وضوح هذا الموضوع في شعر الرصافي و اهميته، لم يعن به الباحثون في عشرات الكتب و المقالات التي كتبوها عن الرصافي، فبعض الباحثين فطن الى هذه القصص و اشار اليها اشارات سريعة، و بعضهم لخص مضامينها، و آخرون لم يتطرقوا اليها قط.

يعد عبد القادر المغربي اول من تنبه على قصص الرصافي فقال في المقدمة التي كتبها للديوان (و للرصافي طائفة من القصائد ضمنها قصصا، يخيل الى سامعها انها واقعية لا خيالية كقصيدة "الفقر و

السـقام" و "المطلقـة" و "اليتـيم في العيـد" و غيرها)[3]. لكن المغربي من جانب اخر لم يعد هذه القصائد مـن الشـعر القصصـي و ذلـك لان الشـعر القصصي عنـده هـو الشـعر الملحمـي فحسب، فقـال (علـى ان قصص الرصافي هـذه ليست ممـا ينطبـق، عليه اسـم "الشعر القصصي" كأليـاذة هـوميروس و شاهنامة الفردوسي، اذ انهـم اشـترطوا فيـه ان يكون قصيدة مقصدة لا تقل ابياتها عن بضعة الاف بيت، و ان يتغنى فيها بسرد اساطير الامة في فجر حياتها و وصف حروبها و بطولة ابطالها ممزوجاً كل ذلك بأخبار الهتها)[4].

ومـن البـاحثين الـذين اشـاروا الى القصـص و لخصـوا مضـامينها الـدكتور داود سـلوم الـذي عـد "القصة في شعر الرصافي اهـم بـاب مـن ابـواب شعره فقـد تـرك لنـا اوصـافاً مختلفـة لجوانـب عديـدة في المجتمع العراقي.. ان اول قصة له (ام اليتيم) عـن ام ارمنية مسيحية قتـل زوجها في عصيان المسيحيين ضـد الـترك"[5]. وعـد مـن القصـص قصـائد ليست قصصية مثل "السجن في بغداد"[6].

ومن الباحثين من افـرد مبحثـاً للقصـة الشعرية عند الرصافي، لكنه لم يثبت فيه الا ما قالـه المغربـي و داود سلوم[7]. اما الدكتور صالح جواد طعمـة فقـد لخص قصـتين للرصـافي همـا (المطلقـة) و (اليتـيم في العيـد)[8]. و ذهـب بـاحثون الى ان القصـة الشـعرية تمثل احد مجالات التجديد عند الرصافي[9].

نصل من كل ذلك الى ان قصص الرصافي لم تنـل حظهـا مـن الدراسـة و التقـويم. مـن هنـا كـان هـذا البحـث الـذي عـني بتحليـل هـذه القصـص و تبيـان خصائصها الفنية، و تقويمها تقويماً موضوعياً. وقـد بدأته بتحليل اتجاهـات القصص فدراسـة عقـدتها و بنائهـا، و كيـف رسـم الشـاعر شـخوص قصصـه، بعـد ذلك تناولت بالدرس لغـة القصص و طبيعـة الشعر الذي نظمت به، و اخيراً حللت احدى هذه القصص.

اما القصص فهي (ام اليتيم ص 39) و (المطلقـة ص 54) و (اليتـيم في العيـد ص 58) و (الفقـر و السـقام ص 94) و (الارملـة المرضـعة ص 206) و (هولاكـو و المستعصـم ص 370) و (ابـو دلامـة و المستقبل ص 376).

و هنـاك قصـائد تمتلـك ملامـح قصصـية هـي (الصـديق المضـاع ص 122) و (اليتـيم المخـدوع ص 158) و (مـن ويـلات الحـرب ص 213) و (ابـن جبران ص 336) و (المهجورة ص 353).

اتجاهات القصص

يغلـب علـى قصـص الرصـافي الاتجـاه الاجتمـاعي فهـي تجسـيد لمشـكلات اجتماعيـة كمشـكلة الفقـر و المـرض و الطـلاق و الفـتن و الحـروب. ان مـا يلفـت نظرنـا في هـذه القصـص عنايتهـا بكـل مـا يتصـل بالبؤس و الحرمان. لقد دفـع حـب الشـاعر النـاس و تعشـقه للخـير الى ذكـر مظـاهر البـؤس و الفاقـة و الاكثـار مـن وصـفها في شـعره وحـث النـاس علـى محاربتها[10].

فموضـوع قصـة (المطلقـة) هـو الطـلاق التعسـفي القائم علـى اسـباب و اعتبـارات تافهـة غـير معقولـة، فنجيب يطلق زوجته الجميلة و العفيفة على الرغم

من الحب القوي الذي يربط بينهما تنفيذاً لقسم أقسم به لبعض اصدقائه الذين اثاروا غضبه بمسألة عليها خلاف و يفتي بالطلاق و بعده طلاقاً بائناً بعض المتشددين، و يظل الزوجان في حسرة والم دون ان يستطيعا فعل شيء.

اما موضوع (اليتيم في العيد) فيتمثل في البؤس و الحرمان اللذين يسببهما الجور و الطغيان فالشاعر يلقى في صبيحة عيد صبيا تلوح عليه امارات البؤس فيتبعه الى حيث يسكن و هناك يعرف قصته فهو يتيم يتولى امره خاله، لكن الخال سرعان ما يزج به في السجن بسبب حقد رئيس الشرطة عليه، و هو بريء لان العدل مفقود.

و اما موضوع قصة (ام اليتيم) فهو المآسي و الويلات التي تخلفها الفتن في المجتمع، ففي ليلة يسمع الشاعر انات امرأة فيصل في الصباح الى بيتها ليرى امرأة و ابنها يتبادلان البكاء بسبب الجوع و الحرمان، و يسألها الشاعر عن مصابها فيعرف ان زوجها قضى نحبه في فتنة طائفية، الامر الذي جعلها و ابنها ينتهيان الى هذا المصير.

و بين قصص الرصافي قصتان تاريخيتان هما (هولاكو و المستعصم) و (ابو دلامة و المستقبل) تقومان على احداث تاريخية تدور على شخصيات معروفة، من اجل الدعوة الى افكار معينة. فالقصة الاولى تسجل مصرع الخليفة العباسي المستعصم بالله على يد التتر بسبب ضعف الخليفة و سوء تدبيره و خيانة وزيره ابن العلقمي الذي يعين هولاكو على دخول بغداد و اصابتها بويلات و جروح لا تزال بغداد كما يقول الرصافي – تعانيها، و كان الشاعر بربطه بين الماضي و الحاضر يحذر من المصير نفسه لبغداد، لوجود العوامل نفسها التي ادت الى وقوع الكارثة في الماضي:

وقد اثخنت بغداد من بعد قتله
جروح بوار جاء بالحجج الشهب
وما اندملت تلك الجروح و انما
ببغداد منها اليوم ندب على ندب[11]

اما القصة الثانية (ابو دلامة و المستقبل) فتصور الشاعر ابا دلامة و هو يدعو الى السلم و يستهجن الحرب، و غاية الشاعر فيها ادانة الحروب.

و القصص على نحو عام قصص واقعية و هادفة تحمل افكاراً اصلاحية تتعلق بقضايا و مشكلات اجتماعية و سياسية. و هي تعزو اسباب هذه المشكلات الى قوى دنيوية معلومة كالمجتمع و النظام السياسي، على نقيض الاتجاه الرومانسي الذي يعزو اسباب المشكلات الى قوى غيبية كالدهر و القدر و الزمان. لكن عيب هذه الافكار هو ورودها في اغلب القصص في اسلوب تقريري مباشر يسيء الى جماليات القصة. مثال ذلك مانراه في خاتمة قصة (المطلقة):

الا قل في الطلاق لموقعيه   بما في الشرع ليس له وجوب
غلوتم في ديانتكم غلوا   يضيق ببعضه الشرع الرحيب
اراد الله تيسيراً و انتم   من التعسير عندكم ضروب[12].

و مثل ذلك ما نقرؤه في خاتمة قصة (اليتيم في العيد):

نهوضاً الى العز الصراح بعزمةٍ   تخر لمرماها الطغاة و تركع
الا فاكتبوا صك النهوض الى العلى   فاني على موتي به لموقع

عقدة القصص و بناؤها

تغيب العقدة في بعض قصص الرصافي حيث لا يكون ثمة حدث نام، فالقصة لاتعدو ان تكون لقاء بين الشاعر و شخصية تعاني مشكلة، يتبادل معها الشاعر الحوار، و تنتهي القصة دون ان يحدث شيء ذو بال، كما هو شأن قصص (الصديق المضاع) و (ابن جبران) و (المهجورة)، او تكون القصة خلاصة لحادثة شهدها الشاعر او خبر سمع به، كما هو شأن قصة (اليتيم المخدوع).

على ان هناك قصصا تقوم على عقدة، فتبدأ بحدث ينمو و يتطور حتى يصل النهاية، مثل قصص (الفقر و السقام) و (اليتيم في العيد) و (ابو دلامة و المستقبل) لكن سير الحدث و تطوره لا يتم على نحو طبيعي سليم، و ذلك لكثرة ما يرد في القصة من حشو و استطراد و تفاصيل و مواعظ يقدمها الشاعر بنفسه، و هو ما يجعل بناء القصص ضعيفاً يفتقر الى التماسك و الاحكام. فقصة (اليتيم في العيد) تبدأ بمقدمة طويلة يتحدث فيها الشاعر عن صباح العيد و التناقضات التي ترى فيه من مظاهر الفرح عند الاغنياء و مظاهر الحزن و البؤس عند الفقراء:

اطل صباح العيد في الشرق يسمع ضجيجاً به الافراح تمضي وترجع
صباح به تبدى المسرة شمسها وليس لها الا التوهم مطلع
صباح به يختال بالوشي ذو الغنى ويعوز ذا الاعدام طمر ومرقع
صباح به يكسو الغني و ليده ثيابا لها يبكي اليتيم المضيع
صياح به تغدو الحلائل بالحلي وترفض من عين الارامل ادمع
الا ليت يوم العيد لا كان انه يجدد للمحزون حزناً فيجزع
يرينا سرورا بين حزن و انما به الحزن جد و السرور تصنع
فمن بؤساء الناس في يوم عيدهم نحوس بها وجه المسرة اسفع
قد ابيض وجه العيد لكن بؤسهم رمى نكتاً سوداً به فهو ابقع(14)

ثم يسترسل الشاعر في وصف الشمس في خمسة ابيات على نحو لا مبرر له، بعدها يصف المكان الذي يقع فيه الحدث حيث يلفت نظر الشاعر، بين الجمع، صبي بائس يثير عطفه، و هو يدفع به الى ترك صحبه و تتبع الصبي حتى يعرف قصته، فيصل الى الحي الذي يسكن فيه حيث يلقى عجوزاً يسألها عن الصبي فتطلعه على امره كيف مات ابوه و تكفله خاله، غير ان رئيس الشرطة يعتقل خال الصبي و هو بريء، فيترك الصبي و امه وحيدين لا معيل لهما، و يخيل الى القاريء هنا – بعد ان تجلى امر الصبي – ان القصة قد انتهت لان العقدة حلت لكن القاريء يفاجأ بمقطع جديد يتكون من احد عشر بيتاً يتحدث فيه الشاعر عن عودته الى ميعاد عند صحبه الذين تركهم، و نقاشه معهم فيما رأى و الدروس و العبر التي خرج بها من ذلك(15).

ان هذه الابيات "لا تصلح ان تكون خاتمة لهذه القصة، و كان حريا ان تنسلغ منها لتكون قصيدة ذات عنوان مستقل"(16).

لعل اهم ما يسيء الى بناء القصص تدخل الشاعر الذي غالبا ما يقطع سياق القصص ساردا حكما و مواعظ تجمد حدث القصة و تجعل الشعر اقرب الى الشعر الغنائي و التعليمي منه الى الشعر القصصي. في قصة (من ويلات الحرب) يلقى الشاعر في الطريق امرأة من ضحايا الحرب، فيصفها و يحاورها و فجأة يقف الحدث، لان الشاعر راح يسرد المواعظ و الحكم التي تذكرنا بمواعظ المنفلوطي في (نظراته) و (عبراته):

فرحت من عجبي منها و من جزعي ابكي لها بين ترجيع و تسبيح
من ليس يبكيه من ابناء جلدته بكاؤهم فهو من جنس التماسيح
و لا يقوم بعبء المجد مضطلعا من لا يقوم الى انهاض مفدوح
وما السعادة في الدنيا حاصلة الا باسعاد اطلاح مرازيع[17]

الشخصيات:

يلحظ على شخصيات قصص الرصافي ان عددها لا يتجاوز في الغالب اثنتين او ثلاثاً، و الشاعر نفسه يكون في معظمها احدى شخصياتها. و الشخصيات يختارها الرصافي عادة في القصص الاجتماعية من الفقراء والمحرومين كالعمال و النساء الارامل و المطلقات و الاطفال اليتامى. اما في القصص التاريخية فيختارها من الملوك و الامراء و الشعراء.

لكن الرصافي لا يعنى – شأنه شأن اغلب شعراء القصة الشعرية – يرسم شخصياته اذ لا يعطينا الا نتقاً و اوصافاً مثالية عامة لا تبدو الشخصية من خلالها شخصية حية متميزة لها خصوصيتها، و انما تبدو مسطحة او انموذجاً بشريا عاماً. و هذه الاوصاف اغلبها يتعلق بالبعد الشكلي للشخصية و ليس البعد النفسي في قصة (المطلقة) نجد الشاعر يصف بطلة القصة في تسعة ابيات، لكننا من خلالها لا نعرف شيئاً ذا بال عن هذه المرأة:

بدت كالشمس يحضنها الغروب فتاة راع نضرتها الشحوب
منزهة من الفحشاء خود من الخفرات انسة عروب
نوار تستجد بها المعالي وتبلى دون عفتها العيوب
صفا ماء الشباب بوجنتيها فحامت حول رونقه القلوب
و لكن الشوائب ادركته فعاد وصفوه كدر مشوب
ذوي منها الجمال الفض وجدا وكاد يجف ناعمه الرطيب[18]

على ان الرصافي في بعض قصصه يسعى الى رسم سلوك الشخصية بوضوح ملقياً الضوء على الدافع الذي يقف وراء سلوكها، كما فعل في قصة (هولاكو و المستعصم) حيث عزا خيانة ابن العلقمي الى فتنة حدثت في الكرخ سببت قتلاً و نهباً للطائفة التي ينتمي اليها[19].

و الشاعر في رسمه لشخصياته يستخدم الطريقة التحليلية اذ يتولى بنفسه تحديد ملامح الشخصية و صفاتها. لكن الشاعر يدع الشخصية احيانا لتعبر عن نفسها بسلوكها و حوارها غير ان هذا الحوار قد يأتي متكلفاً ثقيلاً ينم على ان الشاعر هو الذي ينطق بالحوار و ليس الشخصية. ففي قصة (المطلقة) نلقى البطلة بعد انفصالها عن زوجها الذي كانت تحبه و يحبها تتحدث مخاطبة زوجها بهذا الحوار المصطنع:

لئن فارقتني و صددت عني فقلبي لا يفارقه الوجيب
وما ادماء ترتع حول روض و يرتع خلفها رشأ ربيب
فما لفتت اليه الجيد حتى تخطفه بآزمتيه ذيب
فراحت من تحرقها عليه بداء مالها فيه طبيب
تشم الارض تطلب منه ريحاً وتنحب والبغام هو النخيب
و تمرغ في الفلاة لغير وجه واونة لمصرعه تثوب
بأجزع من فؤادي يوم قالوا برغم منك فارقك الحبيب[20]

و يجيبها الزوج بحوار اكثر ثقلاً و تصنعاً:

خذي من نور رنتجن شعاعا به للعين تنكشف الغيوب
والقيه بصدري و انظريني ترى قلبي الجريح به ندوب[21].

اللغة و الشعر

من شروط القصة الشعرية ان تتوازن فيها العناصر الشعرية و القصصية بحيث نحس في كل كلمة بالشعر و في الوقت نفسه نحس بالقصة، و ان تستفيد فيها القصة من الشعر التعبير الموحي

المؤثر، و يستفيد الشعر من القصة التفصيلات المثيرة الحية[22].

صحيح ان مثل هذا التوازن و تبادل الفائدة بين الشعر و القصة ليس يسيراً على الشاعر تحقيقه في القصة الشعرية، لكن يظل الشاعر مطالبا بتحقيق قدر من ذلك حتى تكون القصة الشعرية متقنة و محققة الغاية التي تكتب من اجلها.

و الرصافي على نحو عام لا يوفق الى تحقيق ذلك في قصصه الشعرية حيث يختل التوازن بين الشعر و القصة، و في الوقت نفسه يغيب هنا التعبير الموحي و التفصيلات المثيرة الحية. ان الرصافي يعنى باحداث التأثير في النفوس عن طريق موسيقى الشعر و التكرار و بعض الصور الحية، لكن هذا التأثير سرعان ما يضيع وسط التفاصيل غير الضرورية التي تزخر بها القصص، و مواعظة التي يقدمها هنا و هناك، و القوافي المصطنعة و الثقيلة التي يلتزم بها. فمما يشترطه النقاد هنا ان يقص الشاعر القصة "دون ان يجعلها واضحة مفصلة كالقصة النثرية، بل يعتمد فيها على قوة الايماء و التلميح حتى يرتفع العمل الى المستوى الشعري"[23]. فالشاعر على سبيل المثال يستهل قصة (الارملة المرضعة) ببيتين يصف فيهما البطلة وصفاً مؤثراً نتعرف برساطته طبيعة الشخصية ووضعها:

لقيتها ليتني ما كنت القاها   تمشي و قد اثقل الاملاق ممشاها
اثوابها رثة و الرجل حافية   و الدمع تذرفه في الخد عيناها[24]

و لكن الشاعر بعد ذلك يخوض لي سرد تفاصيل لا تفيد القصة، وفي الوقت نفسه تقضي على ايحاء الشعر و جماله:

كر الجديدين قد ابلى عباءتها   فانشق اسفلها و انشق اعلاها
و مزق الدهر ويل الدهر مئزرها   حتى بدا من شقوق الثوب جنباها
تمشي باطمارها و البرد يلسعها   كأنه عقرب شالت زباناها
حتى غدا جسمها بالبرد مرتجفا   كالغصن في الريح اصطكت ثناياها[25]

و لا يكتفي الشاعر بذلك، و انما يمضي شارحاً مغزى القصة للقاريء، و لو ان هذا المغزى كما يقول الشاعر نفسه – مفهوم:

هذي حكاية حال جئت اذكرها   وليس يخفى على الاحرار مغزاها
اولى الانام بعطف الناس ارملة   و اشرف الناس من في المال واساها[26]

و الحق ان قصص الرصافي تزخر في بعض مواقفها بصور متنوعة تجعل لغة القصة لغة تصويرية موحية، لكن شغف الشاعر بالتفصيلات و التزامه بقيود القافية، وجريه وراء الالفاظ الغريبة غير المألوفة يسيء، الى هذه الطاقة التصويرية و يضعف من جعالها.

مثال على ذلك ما نقرؤه في قصة (من ويلات الحرب):

تلفعت بدريس من تخرقه   تخال طرته بعض التقازيح
فكم ترى العين خرقاً غير مرتفع   في جانبيه وفتقاً غير منضوح
تمشي انخزالا بعبء الفقر مثقلة   كظالع في الطريق الوعر مكسوح(27).

وفي الوقت نفسه يتوسل الرصافي باسلوب التكرار لتوفير الايقاع و استثارة الحزن، كما نجد في قصة (اليتيم المخدوع):

قضي و الليل معتكر، بهيم   ولا اهل لديه ولا حميم
قضى في غير موطنه قتيلاً   تمج دم الحياة به الكلوم
قضى من غير باكية و باك   و من يبكي اذا قتل اليتيم
قضى غض الشبية وهو عف   مطهرة مآزره كريم[28].

قصة (الفقر و انسقام):

اخترنا هذه القصة لتحليلها هنا لأنها اطول قصص الرصافي و اكملها سرداً و عقدة و حوارا و شخوصا.

تدور القصة على بشير العامل و اخته العانس التي يعيلها. يصاب بشير بداء المفاصل ثم داء القلب، الأمر الذي يعطله عن العمل، فيعيش و اخته في عذاب وفقر حتى يقضي نحبه و بعد سنتين تلحق به اخته.

القصة رومانسية يغلب عليها جو قاتم حزين، و شخصياتها اثنان من الفقراء الطيبين يقع عليهما جور المجتمع فيسقطان صريعي الفقر و المرض. و هي تتوسل بوسائل مختلفة لاستثارة الحزن لدى القارىء و دفعه الى التعاطف مع البطلين و ذرف الدموع عليهما. من هنا تبدو شديدة الشبه بالقصص الرومانسية المعروفة، و لا سيما قصص مصطفى لطفي المنفلوطي.

اما ما يخص جانب السرد في القصة. فالرصالي ينوع في اسلوب السرد حتى يبعد الرتابة عنه و يضفي عليه شيئاً من الحيوية، فالقصة تبدأ بموقف يبدو فيه البطل وهو يئن و يشكو بسبب المرض الذي ابتلي به، و يدعو ربه بالرحمة و الفرج. و لي اثناء ذلك يتكلم على مصيبته، وقد نحى الشاعر نفسه عن السرد على نحو يبدو و كأن القصة لجأت الى اسلوب الترجمة الذاتية في السرد:

وجع في مفاصلي دق عظمي ودهاني و لم يرق لعدمي
عاقني عن تكسبي قوت يومي رب فارحم فقري بصحة جسمي
ان فقري اشد من اوصا بي[29]

لكن الشاعر بعد ذلك يستخدم اسلوب (الفلاش باك) حيث يرجع الى ماضي بشير قبل ان يداهمه المرض، ملقياً الضوء على مهنته، التي جرت عليه الارهاق و المرض:

رجل معسر يسمى بشيرا كان يسعى طول النهار جيرا
كاسياً قوته زهيرا يسيرا مالكافي المعاش قلبا شكورا
راجيا في المعاد حسن المآب
عال اختاً حكته خلقاً نزيهاً عانساً جاوز الزواج سينها
لزمت بيت امها و ابيها مع اخيها تعيش عند اخيها
مثله في طعامه و الشراب[30]

و تتضمن القصة في الوقت نفسه احداثا نامية و متطورة، وهي في نموها و تطورها تخضع لاسباب منطقية واضحة تجعل القارئ يقتنع بها و يحس فيها بعنصر "الممكن". كما نلقى في القصة عناية بالجو الذي تجري فيه الاحداث. و القصة باحداثها و شخوصها وجوها تهدف الى تجسيد قضية اجتماعية تتعلق بالتفاوت الطبقي اذ يدعو الشاعر الموسريين الى الانتباه على المعرمين و انصافهم. الفكرة هذه يقولها الشاعر بنفسه في ختام القصة كما يفعل في سائر القصص:

ايها الاغنياء كم قد ظلمة نعم الله حيث ما ان رحمته
سهر البائسون جوعا و نمتم بربناء من بعدما قد طعمتم
من طعام متنوع و شراب[31]

و ما يسيء الى القصص شأنها — شأن القصص الاخرى ورود تفصيلات لا مبرر لها، مما يصيبها بالترهل، و يجعلها تبدو كأنها قصة نثرية.

الخاتمة

على الرغم من الضعف البادي على عناصر خذا القصص، و هذا شيء طبيعي فيها اذا اخذنا بنظر الاعتبار الزمن الذي ظهرت فيه، وفق الرصافي و لتصوير جوانب مهمة من المجتمع العراقي في الربع الاول من هذا القرن. و في الوقت نفسه استطاعت هذه القصص ان تحقق تواصلا بينها و بين القراء

الذين اقبلوا على قراءتها و حفظها، و احدثت فيهم تأثيرا عميقاً.

و لعل ذلك عائد الى رومانسية القصص من جهة و واقعيتها من جهة اخرى، فهي رومانسية بابرازها و تأكيدها جوانب وزوايا قاتمة من المجتمع، يخيم عليها البؤس و المرض و الموت، و اسلوبها العاطفي الذي يستثير الحزن. و واقعية لانها تعزو – في بعضها- اسباب الجور و البؤس الى قوى دينوية كالنظام السياسي الظالم، و تدفع القارئ الى المخط على هذه الاوضاع الاجتماعية الشاذة، و من ثم تغييرها حتى تكون طبيعية.

لكن التفصيلات غير الضرورية و المواعظ التي يأتي بها الشاعر هنا و هناك تشكل ملمحاً سلبياً يسيء الى جماليات القصص، و يضعف من التاثير الذي يهدف اليه الأثر الادبي و الفني. و مهما يكن من امر، فإن قصص الرصافي الشعرية تظل محتفظة بمكانة متميزة في تأريخ الشعر العراقي الحديث.

الهوامش

*القصة في شعر الزهاوي: مجلة اداب اليرموك، العدد الاول – 1990، ص 81-.95

1-محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الادب العربي الحديث و مدارسه، 112-.113

2-جلال الخياط: الشعر العراقي الحديث، ص.59

3-مقدمة ديوان الرصافي، ع.

4-نفسه، ع-ف.

5-تطور الفكرة و الاسلوب في الادب العراقي في القرنين التاسع عشر و العشرين، .92

6-نفسه، .92

7-ينظر محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الادب العربي الحديث و مدارسه، 138-.139

8-القصة عند الرصافي، مجلة الجزيرة الموصلية، ع 3-1948./3/1

9-قاسم الخطاط و آخرون: معروف الرصافي شاعر العرب الكبير، .343

10-جلال الخياط: الشعر العراقي الحديث، .58

11-ديوان الرصافي، .375

12-ديوان الرصافي، .57

13-ديوان الرصافي، .63

14-ديوان الرصافي، .58

15-ديوان الرصافي، .63

16-جلال الحنفي: الرصافي في اوجه و حضيضه، 91./1

17-ديوان الرصافي، .214

18-ديوان الرصافي، .54

19-ديوان الرصافي، .372

20-ديوان الرصافي، .56

21-ديوان الرصافي، .57

22-عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر، .301

23-احمد امين: النقد الادبي، .97

24-ديوان الرصافي، .206

25-ديوان الرصافي، .206

26-ديوان الرصافي، .208

27-ديوان الرصافي، 213-.214

28-ديوان الرصافي، .158

29-ديوان الرصافي، 94-.102

30-ديوان الرصافي، .95

31-ديوان الرصافي، .95

32-ديوان الرصافي، .102

المصادر و المراجع

1-احمد امين: النقد الادبي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967.

2-جلال الحنفي: الرصافي في اوجه و حضيضه، ج 1، مطبعة العاني، بغداد، 1962.

3-جلال الخياط: الشعر العراقي الحديث، دار صادر، بيروت، 1970م.

4-داود سلوم: تطور الفكرة و الاسلوب في الادب العراقي في القرنين التاسع عشر و العشرين، مطبعة المعارف، بغداد، 1959.

5-صالح جواد الطعمة: القصة عند الرصافي، مجلة الجزيرة الموصلية، العدد الثالث في 1/3/1948.

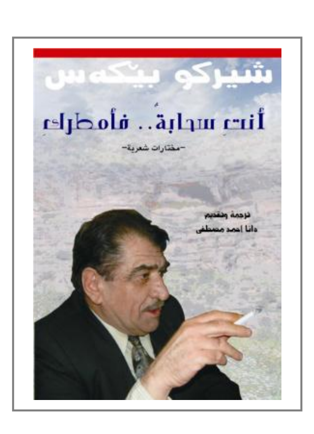
6-عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر، دار العودة – دار الثقافة، بيروت، ط 3، 1972.

7-فائق مصطفى: القصة في شعر الزهاوي: مجلة اداب اليرموك الاردنية، العدد الاول – 1990.

8-قاسم الخطاط و اخرون: معروف الرصافي شاعر العرب الكبير، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر، 1971.

9-محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الادب العربي الحديث و مدارسه، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، د. ت.

10-معروف الرصافي: ديوان الرصافي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط 6، 1959.

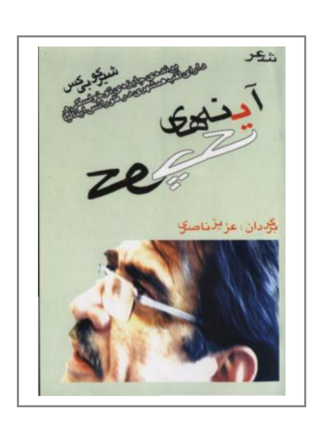


"انت سحابة.. فأمطرك"

مختارات شعرية للشاعر الكردي شيركو بيكس

ترجمة وتقديم: دانا احمد مصطفى

السليمانية - 20004



"المرايا الصغيرة - آينه هاي كوچك"

قصائد للشاعر شيركو بيكس باللغة الفارسية

ترجمها من اللغة الكردية: عزيز ناصري

قصائد ايروتيكية

للشاعر الكردي شيركو بيكه س*

ترجمة: صلاح بررواري

الانزلاق

عارية تقفين
امام مرآة الغرفة،
شعرك يتهادى على جيدك و كتفيك
كشلالين من ماء اسود!
او جزيرة بلورية
تلاطم امواجها جسدك.
يا له من ربيع ابيض
يشع ببريقه في عيني!.
يا له من ماء برونزي
يتقاطر علي!.
تكويرة النهدين
استدارة الردفين
دورانات قوسية
تنساب من الوسط
صوب الفخذ الصقيلة الملساء.
و بسرعة.. بسرعة
تصيبني بالدوار،
فأنزلق فجأة
على زجاج جلد الهلبة[1].
اندلق صوب دنيا معشوشبة،
وسط مرج مندى
ذي حشائش ساحرة.
عيناي تجنان،
اصابعي تتمرد و
تغادر كفي.
الآن..
كلانا
مرآة الاخر!.

البركة

بلباسك الازرق الشفاف
تتمددين في السرير
لتصيريه بحيرة،
اجلس على ضفتك
نصف عار،
احملق فيك
كأني اراك اول مرة!.
المخدة مبللة
و شعرك لم يجف بعد.
شعاع خافت
ينساب متسللاً
الى الداخل،
ليحيل جل البركة
الى لجين،
فتأتلق الأقراط.
جعلت احدى ساقيك هرماً،
حيث الحجلان الابيضان
يستظلان!.
و تحت السرة
بقعة مرج رطيبة
تشع ضياء.
اجلس ازاءك
نصف عار،
و قد اضطرم في
لهيب الجسد!.
و الان..
انا عار تماماً
و اكاد انقلب
صوب هذه اللجة الزرقاء،
التي لن ابرحها
حتى اخر ازة[2]
في سفود الحسرة
داخل جسدي!.

الحمام

من طرف الحاجز الزجاجي ذاك
تبدين تحت رذاذ الدوش الهادر.
ظلك اكبر من جسدك،
ظلك يقطر ماء،
ظلك قد علته الرغوة.
تنادينني بصوت عالٍ،
صوت مبتل.
ثمة بخار
يتصاعد من الظل.
من طرف الزجاج المحزز ذاك،
يتراءى جسدك مقطعاً،
يبدو عكراً.
احس، من هنا، انني
مرآة مضببة.
تحت رذاذ الدوش الهادر
تقفين،

و ظلك ينحني
و لا صوت للماء.
ظلك يهرب الان،
و انت تخرجين
في ازارك الاحمر.
كنت لا تزالين في الرغوة،
بينما انا غاص في القطن،
انتظرك في الفراش!.

الهوامش

*شيركو بيكس: يعتبر اشهر شاعر كردي حالياً. من مواليد 1940، مدينة السليمانية - كردستان العراق. صدرت له اول مجموعة شعرية عام 1968، كما صدر له حتى الان اكثر من 18 مجموعة شعرية، ما بين قصائد قصيرة "بوستر" و قصائد ملحمية طويلة. كذلك كتب مسرحيتين، و ترجم رواية "الشيخ و البحر" لأرنست همنغواي من العربية الى الكردية.

ترجمت منتخبات من قصائده، على شكل دواوين، الى اللغات: الانكليزية، الفرنسية، الايطالية، الالمانية، السويدية، الدانمركية، المجرية، الفارسية، التركية، العربية. و ترجمت له سبع مجاميع شعرية الى اللغة العربية، و ثمة اخرى ايضاً قيد الترجمة. و هو اول شاعر كردي ينال جائزة ادبية عالمية (جائزة توخولسكي السويدية العالمية - 1988).

يعمل مترجم هذه القصائد على ترجمة مجموعتين شعريتين للشاعر، الى اللغة العربية، و هما: (كازيوه: غرة الفجر) و (نسي: المفيأة، أي المكان الذي لا تطلع عليه الشمس). و القصائد اعلاه مستلة من الديوان الاخير.

1-الهلبة: ما فوق العانة الى السرة.

2-الازة: الصوت. و الأزة هنا بمعنى صوت السيخ (السفود، المفأد) الحامي، اثناء غمسه في الماء. و يقال ايضاً الأزيز و النشيش و القشقشة و النضيضة (أي صوت شواء اللحم او قلي الألية).

اغنية فراتية الى كوردستان

عبدالإله الصائغ / الولايات المتحدة

الطيور

الطيور في كوردستان تعمل اعشاشها من
اغصان الزيتون والغار وحين
تنسى الشمس ان تشرق ذات فجر ثلجي
توقظها الطيور بالهديل
والخيول بالصهيل
والصبايا العذراواتُ بدبكات العشق
الحمامات في كوردستان تضع بيوضَها
في فوهات مدافع البيشمركة وتحلق
عاليا عاليا في سماء زرقاء صافية
مثل عيني حبيتي سنابل البابلية
وتشق الغيوم البيض بأجنحتها الخضر
لتندى بماء السماء
وحين تعود الى اعشاشها تمنح دفئا
لكتاكيت الزغب الأصفر وهي
تكتكت مناقيرها البنفسجية
وترفُ بأجنحتها القرمزية
ياكوردستان ياحلمَ العرسان

□

فتلتهم نيرانُ الجيران
ياحلمَ صبايا
عُدْنَ من الحقل الزاهي
يحملن سنابل من ذهب
قففاً من عنب
ختلتهن شظايا الذؤبان
ياحلمَ عجوزٍ تغفو فوق صدر
رفيق طفولتها
يبتل خداها برذاذ شلال بيتواته
ماتت برصاصة قناص بعثي
ياكوردستان ياوطني الأبهى
ياوطن الأحرار
تشتاق رئتاي لنسيم صباحات سرارش
وتحن عيناي لوجوه الطيبة في رانيا
من لي بأغاني البيشمركة حين تغيب الشمس
بأغانٍ تطلع شمسا حين يجن الليل
فيدخل روعي وهج الأوطان
ياكوردستان
لن تشهد حلبجة وجوها سودا ثانية

تطفيء بريقَ العشقِ بعيون الرحمن
لن تقصف كرة اخرى صواريخ العمى القومي
اشجارَ اللوز في جبلي
زوزك وهندرين
ياكوردستان انت زمان
احلى من كل الأزمان
ومكان
كفراديس تبدعها ريشة فنان
آتٍ آتٍ فرحُ الكورد، الكلدان
التركمان ...
الأهلِ جميعا
آتٍ حلمُك في ان يحيا الإنسان
بأمان
ان يغتبق الجيران بحنان
ان تطلع حبةُ قمحٍ سبعَ سنابل من فضة
بنقاء ألوان الطيف الشمسي
ياكوردستان
يا كوردستان

تعالوا نسأل الله

فينوس فايق- هولندا

نرسيس..دعك من السؤال
فأنت مازلت صغير
مازلت صغيراً على الرحيل
مازلت صغيراً على هذا الشكل من الموت
على هذا القدر من الموت

نرسيس تعال معي
نصطاد العودة من شعاع الشمس

نصطاد الخلود من عيون الذين رحلو قبلنا
تعال فمنذ سنين طوال و أنا أجلس مقابل هذا الباب

أوَتدري هذه سجادة أمي
التراب وحده يقف عليها دون أن يتوضأ
يقف و هو يجهل وجهة القِبلة
يصلي و يردد آية لا يدري سيدفن بإسمها

نرسيس
هل تفهم لمَ أنا أقف هنا...؟؟
على هذا الطريق كُتِبَ أخرُ سطر
من آية الأنفال
برؤوس الأحذية العفنة

دعك الآن من السؤال نرسيس
و تعال نستفيق معاً من هذا الكابوس
تعال نستفيق معاً
من حلم أصابه الصدأ
داخل عيون وطن حزين
و نشرب كأسا نخب هذه الصحوة
و لنقف معاً على سجادة أمي الرثة
و لنقيم معا
صلاةً للكفر الطهور
فلا إله إلا السلاح و لا حول و لا قوة إلا بالسلاح
و أعوذ بالأرض من الغول اللعين

ردد معي نرسيس
آية من صراخ عربة مليئة بالأطفال
آية من دموع الصبايا ذوات الشعر الغجري
و سورة من الموت الجماعي
و سورة من دماء تفوح منها رائحة الربيع
مدفونة تحت تراب بلون الجحيم
قف بجانبي على سجادة أمي و لنصلي
182 ألف ركعة و ركعة
و لنردد 182 ألف مرة و مرة أية الأنفال
و أبحث معي بين حروفها
إن كان الله أجاز موت أمي وهي تصلي له
تعال نلقي القبض على الله بدلاً الغول
ونسأله 182 ألف سؤال
عن وطن كان شمسا
وصار دمعة
فتسلل إلى أعماقي كروح طفلة مؤنفلة
و نحاكمه 182 ألف مرة
و نغرمه 182 ألف روح
و لنجعل التراب شاهداً بيننا
ألا يقول أننا من التراب و إلى التراب؟؟؟

الطبائع القوية

قصة: جليل القيسي

هتفت لي و للمرة العاشرة هذا اليوم فتاة ساحرة الصوت رجتني بحرارة ان احضر حفلة عيد ميلادها، و اصرت بلجاجة رقيقة جداً ان استجيب لدعوتها، سيما و ان هذه الفتاة التي لم التق بها و ان كان جرس صوتها الملائكي ليس غريباً على سمعي اطلاقاً. و هي كلما هتفت تؤكد بوضوح صارم هوسها بقصصي و مسرحياتي. انها تتكلم بثقة عميقة بالنفس. اعرف بالتجربة ان بعضهم حين يكونون في قمة تصميمهم، يبدون و كأنهم في ورطة، و مستثارون، يتكلمون باصرار.. قالت من خلال تنهيدة حارة: ان قدومك يجعلني اشعر باحساس غريب و عميق بالكمال.. يا الهي، ان هذا الصوت ليس غريباً على مخيلتي السمعية.. و لأنني بطبعي نفور من اجواء الحفلات، و المجاملات، و الاحاديث الدبلوماسية، و الثرثرات، و الاستعراضات المظهرية المضحكة، وافقت مرغماً لسببين، الأول الصوت المضيئ للفتاة الذي كلما سمعته كان يثير في لاوعيي، و مخيلتي السمعية شظايا حارقة تعمل في جسدي منبجة، و اصبح رغماً عني في حالة من الاحساس الطاغي بالنشوة، و السبب الثاني، و هو المهم لغتها العميقة، و الرصينة التي تجبر الواحد على الانتباه اللاهب و الاستماع باستغراق الى حديثها.

حضرت في الوقت الذي حددته لي. كان الجو جميلاً، و الصالة الواسعة تفوح بضروب العطور المهيجة، و الثراء الباذخ واضح حتى في الاشياء الصغيرة، و موسيقى ناعمة تتموج تؤجج المشاعر.. عندما دخلت، جاءت تخب مثل مهرة. اخذت يدي ورحبت بي بحرارة، وهي تردد: انت بالضبط كما انت في صورك التي اراها في المجلات و الصحف.. لم تتغير البتة.. كانت الاصوات ترتطم ببعضها، و تتفرقع ضحكات هنا و همسات هناك، و هسهسات، و اصوات مثل الفحيح. تأملتني ويدي في يدها وراحت تكرر: و اخيرا.. و اخيرا يلتقي تموز بعشتار.. تأبطت ذراعي بثقة غريبة في النفس كما لو انني صديق قديم و عزيز او حبيب. قالت: انا سعيدة بمجيئك.. سعيدة جداً.. اتعرف ان ثمة فرقاً كبيراً بين مذاق النصر، و بين مذاق الكفاح من اجل النصر؟؟ ان مذاق الثاني اروع بكثير.. آه.. ان محاولاتي، و نداءاتي لم تذهب عبثاً.. دعنا يا عزيزي

نتجول و نتكلم.. لدي اشياء كثيرة اريد ان ابوح بها لك.. هنا لا احد يعرفك. انت كاتب فقير معدم، لكنك اعظمهم جميعاً.. اتعرف عما يبحث هؤلاء البؤساء كل يوم؟؟ صدقني يبحثون عن سواحل تفاهاتهم.. رجالاً، و نساء لديهم احلام خانعة، و اجساد متهورة لا اكثر.. اتعرف لماذا احب قصصك و مسرحياتك؟؟ لأنني بصراحة احب الطبائع القوية لأبطالك.. اطلقت ضحكة ساحرة و خافتة و اضافت: الاقوياء يبحثون عن اندادهم.. ركزت بصرها في و قالت: ارى نظراتك الذكية تقول لي بسخرية ناعمة: لكنك جزء من هذه الشريحة الثرية..! نعم.. هذا صحيح.. ولدت و شببت رغماً عني في هذا المحيط.. لكنني فكريا بعيد عنهم.. كان ماركس على صواب عندما قال (ان الوعي لا يصنع الحياة، بل الحياة هي التي تصنع الوعي).. تراجعت خطوة واسعة الى الخلف، دققت بدوري بصري عليها طويلاً في فستانها الحريري الجميل، و نحرها الشبيه بلون الخوخ الناضج، و بعينيها الواسعتين، وغمازتها المثيرة، وشعرها الاصهب الوهاج، و رشاقتها. قلت مع نفسي: الحب رب رحيم.. قبل عشر سنوات احببت شابة شديدة الشبه بها.. عادت و تأبطت ذراعي و كأنها كتلة من الفسفور تشع بجميع الاتجاهات.

قربت رأسها من كتفي. استاف انفي شذا طيب الرائحة عبهري الاثارة.. كان شعرها الاصهب يتوامض مثلما تتوامض الاحجار الكريمة.. يا الهي، هذه المخلوقات الجميلة اهرب منهن لكنهن مثل الجنيات تلاحقنني في خيالي، و احلامي، ويقظتي.

قالت: هل بعد تلك النداءات الحارة فكرت ذات يوم ان تطلني لأجئ لزيارتك؟ كنت اجيئك حتماً ممتطية ظهر الفرس (بجاس Pegaso) الاسطوري المجنح، الذي صعد الى السماء و تحول الى مجموعة كواكب.. هل يمكنك ان تتصورني و انا كوكب في السماء اللامتناهية؟؟ كان الشباب و حتى الشيوخ ينظرون اليها و يطلقون اهات حارة.. كانت تلهب شواظ الاعجاب في عيون و قلوب الجميع.. قلت لها: تقولين انك قوية جدا؟ حسناً! قوية في أي شيئ؟..

-اوه، ليس في عضلاتي طبعاً.. لالا.. قوية في ارادتي. تماما مثل ابطال قصصك..

فجأة جاء شاب وسيم، رشيق بيده كأس، انحنى لي و لها بأدب جم عدة مرات، لكنها لدهشتي الشديدة زجرته بطريقة ساخرة، بينما ظل الشاب يرسل اليها نظرات ضارعة جدا.. سحبتني من ذراعي و اعطته ظهرها بحركة مسرحية جميلة.. سألتها: من هو؟.. قالت: شاب تافه.. اهمله. دعنا في عالمنا.. آه، يا عزيزي احب ان اقوم بغزوات كبرى.. هنا اخبرتها بأنني بحاجة لكأس ويسكي. قالت. حالاً.. حالاً.. في دقائق قليلة كانت الكأس في يدي.. اخذت حسوة من السائل الذهبي، قلت: حسناً.. كلميني عن حبك لغزوات كبرى.. اردت ان استفزها بطريقة ناعمة، قلت: هذا الثراء، اهو ضرب من الغزوات و الشعور بالقوة؟؟ اجابتني من خلال ضحكة حلوة: صدقني انا احتقر نصراً لم اشارك في معاركه.. هذا الثراء، هو، من صنع والدي وحده.. صحيح ان المال نوع من القوة، لكنه قوة بليدة.. أي انسان اذا اراد يستطيع ان يصنع المال، حتى المضطرب في تركيبته الروحية.. اللعنة على المال، دعني اتكلم عن قصصك و ابطالك الحلوين.. ان قواهم رائعة.. مرهفة.. متوهجة بحكمة غريبة و موجهة الى غاياتها. قواهم كرة تندفع بشجاعة لتحقيق اهدافها.. اجل كل شيئ عندها يخضع

لقوة ارادتها.. آه، من هنا انها صادقة، صريحة، واضحة.. شخصيات لا تعرف المساومة، او تقديم تنازلات.. توقفت عن الكلام، و التفتت الي لترى وقع كلماتها في نفسي. ظلت ترسل الي نظرات مستقيمة، جريئة، و اضافت: هم اقوياء جدا، و لديهم ايضاً قدرة هائلة على مقاومة الاغراء، مثلك تماماً.. اطلقت لا ارادياً ضحكة خافتة و انا اردد: مثلي.. مثلي تماماً..

اجابت: بالضبط.. من مدة و انا اهتف لك، و اتابعك و انت لا تعير لي ذرة اهتمام.. لو كنت مثلا ضعيفاً لحولك جمالي الى انسان مرتبك.. اسمع انا اعرف انني جميلة جدا. لقد عرفت الكثير من الرجال الضعفاء كيف يصبحون صغاراً، بل احياناً حقراء امامي لأن حياتهم فقيرة، جوفاء مثل العديد من شخصيات دستويفسكي.. اما ابطالك.. يا الهي، ان حيواتهم خصبة فلها فيض و ثراء. وهم، و هذا مهم لا يريدون الهواء و السلام، و المساواة.. تماماً مثل دون كيخوته يبحثون عن المخاطر.. فجأة ظهر الشاب الوسيم مرة اخرى. وقف امامها. دفعت عيناه، و تمتم عدة كلمات غير مفهومة، و قام بحركات صامتة، ضارعة. قالت: هذا الغرنوق يحبني بجنون.. سأدعه يقترب و يردد تضرعاته التي يتلوها كصلاة.. اشارت اليه ان يتقدم. خطا باتجاهنا برفق.. قالت له: ماذا تريد.. صديقي هذا يريد ان يسمعك.. كان يترنح من السكر. قال بالقاء مسرحي: يا سعد سعودي/ ايتها الراجحة الحصاة و الذكية بالوراثة/ يا قبلة امالي/ يا مستودع كل مصائبي/ دعيني ولو مرة واحدة اهدهد نفسي لا بآمال و انما بأمل واحد.. قالت: هل استمعت الى كلماته.. ثم التفتت الى الشاب و طلبت منه ان يغادر المكان. نكس الشاب رأسه و غادر المكان بخطوات مهزوزة. تأبطت ذراعي وهي تقول: هذا الهزأة يحبني.. لنرجع الى عالمنا.. اتعرف بأية حماسة احببت بطلة قصتك (مسرطنة بالوهم)؟؟ و كذلك بطلة قصتك (متعة غامضة) و سحرت ببطلة (الآلهة عناة) انهن شبيهاتي.. مرة اخرى تأملتها ملياً. قالت: ارجوك لا تنظر الى فستاني الحريري، و الى اساوري. انك بدقة مفتش شرطة تدفق بصرك في تقاطيع وجهي.. لن تجد شيئا في وجهي.. حياتي الحقيقية تتجه الى اعماق ذاتي، الى قواي الثرية التي تفيض بها.. اعرف انك تفهمني. انني بورجوازية الانتماء حسب، و ستعرف ذات يوم انني انسانية ولدي غنى روحي، و اعرف كيف امنح ذات يوم هذا الغنى للآخرين.. تأملتها من جديد، و لفت نظري لأول مرة قرطاناً من لآلئ وردية يتومضان تحت الاضواء، و شعرها الأصهب الوهاج، و وجهها الجميل، و غمازتها اللعينة التي تستفز حتى الراهب العنيد.. لا اعرف اين و متى رأيت هذين القرطين.. فجأة اطلق احدهم ضحكا مخصياً شتت انتباهي. قالت بغضب: حتى ضحكاتهم ذيلية.. دهشت لقوة مخليتها السمعية. انا استعملت كلمة مخصي، و استعملت هي ذيلية.. كقاص اعرف ان اللغة ليست مجرد اداة توصيلية، بل الفكر الذي يراد ايصاله بطريقة مكثفة في رموز لتسميها الفلسفة الحديثة (اركيولوجية اللغة).. منذ وصولي فهي تتكلم كما لو تكتب قصة فكرية في فلسفة القوة و الارادة و الثراء الروحي.

سألتها: قلت قبل قليل (اعرف كيف امنح هذا الغنى للاخرين؟ كيفـا؟ عبر أي واسطة؟؟

-عبر كتاباتي.. انا الآخرى قاصة؟

-هل نشرت قصصاً؟

-لا لا لا.. لم انشر اية قصة.. لكنك ستكتشف ذات يوم ان شخصياتي هي الآخرى تصطدم بمحيط فيه الانسان حياته متجهة الى الاعماق.. بعد صمت قصير راحت بهوسها المقدس نفسه قائلة: انني امقت الانسان المتخاذل، الخائف، المضطرب الذي يطلب الحماية، و يهرب من ذاته.. فجأة و للمرة الثالثة ظهر الشاب الوسيم وهو يترنح من السكر و يحمل بيده المرتجفة كأساً.. قام مثل ممثل ماهر بعدة حركات صامتة فهمت انه يقول لها: ان قلاع المرأة تتهدم اذا استطاع الرجل بكياسة ان يطري و بشيئ من المبالغة جمالها، و يستعمل الملق.. آه يا لمتانة قلاعك.. اما هي فقالت بصوت تعمدت ان يسمعه الشاب: هذا الغرنوق الثري، الوسيم التافه الوعي يحبني بجنون، و انا احتقره بجنون.. انه مضطرب بأستمرار و يطلب الحماية مني.. انه لا يعرف ما معنى واجب الحياة الثقيل، لايعرف المصاعب، و الالام، لا يعرف غير التفاهات.. انه مثل والده يرى في الافكار القديمة و البالية صواباً، و يعيش في اوهام ميتافيزيقية.. هذا البائس يمتلك عقلاً ذليلاً و يريد من متمردة مثلي ان تحبه و تتزوجه.. ظل الشاب واقفاً يرتجف، و يؤدي حركات بنتومايمية حزينة، ضارعة.

اطلقت ضحكة ساخرة و صرخت في وجهه قائلة: اذهب من هنا. هيا تحرك.. تحرك الشاب بخطوات وئيدة مشلولة.. التفتت الي و قالت: اخبرني ايها المبدع الذي يعرف كيف يجسد الشخصيات الصلبة، و المنهارة ايضاً، ماذا تفعل مع شخصية تافهة كهذه، و عقل ذليل عاشق للضعة و الاستخذاء؟ ماذا تفعل لو كنت مكاني..؟

-انا لا احيد التعامل مع مخلوقات تعاني من الانهيار و ضمور في عضلة الروح و العقل..

اخذت يدي و بجرأة قبلتها عدة مرات.. التفت الشاب الى الخلف و رأها تقبل يدي.. اضطرب و ترنح و بعد لحظات سقط على الارض.. نهض بصعوبة و سار بخطوات مشلولة و اختفى. قالت: الآن سيرتفع بارومبتر مشاعره و عواطفه التافهة، يذهب و يرتكب واحدة من حماقاته الصعلوكية بعد ان يروح طويلا في منلوجات – مارملادوفيه[1].. و انا هذا المساء في ذروة سعادتي بمجيئك الى هنا.. انه لا يستطيع ان يواجهني الا وهو في حميا السكر.. الآن اخبرني هل جربت الحب؟؟

-آ.. كلا.. عفو مرة واحدة..

-لماذا؟

-لأنني بصراحة لم اجد من يعرف كيف يوجه اللكمات الحقيقية الى قلبي.

-ما اهم صفة يجب ان تتوفر عند التي تعرف كيف توجه اللكمات الى قلبك.

-ان تكون جريئة، حرة، غير مستعبدة عقلياً، خصبة، تتقبل الألم عند الضرورة.

-تماما مثل بطلات قصصك.

ساد صمت. غنى شاب بصوت بغوم سلسال و هو بين حين و آخر يطلق زفرات حارة و يردد (حرام انا ما سويت لك شيئ.) فجأة دوى طلق ناري. قالت بسخرية: هكذا بسذاجة البدو يعبرون عن فرحهم.. بعد قليل دوت صرخات نساء، و وقع اقدام سريعة، و في لحظات انتشر خبر انتحار الشاب الغرنوق.. قالت الفتاة: هذه المرة لم يذهب في منولوجاته المارملادوفية، بل راح ابعد من ذلك وضع حدا لأنويته الذاتية كما وضع شقيقه حدا لحياتي منتقماً للغرنوق التافه.. قلت:

-ماذا؟؟ حياتك..

-اتعرف من انا؟..

-لا.. طبعاً لا..

-انا هنادي.. بطلة قصتك (الصحو الحقيقي احيانا يكون عديم الشفقة)(2).. شقيقه هو الذي طعنني عشرة طعنات في ظاهر المدينة. قالت هذه الكلمات ثم مثل شبح والدها ملت و اختفت. ناديت بصوت عال: هنادي. هنادي.. غادرت الصالة التي خلت بسرعة مذهلة.

نظرت الى الساعة التي اهدتها لي هنادي قبل سنوات فوجدتها نائمة على الثالثة تماماً. في الشارع الخالي من المارة رحت و كأنني في غيبوبة، او حلم يقظة اردد كلمات الساحر رامبو (ثمة خراب.. ضروري) مشيت بخطوات وئيدة اردد اغنية (حرام انا ما سويت لك شيئ..)

فجأة سمعت صوت هنادي تردد بالقاء مسرحي كما كانت تفعل في الليل، قصيدة الشاعر الزنجي:

ايتها المرأة العارية، المرأة السوداء

يا ثمرة ناضجة من لحم و روح

يا نشوة الخمر الاسود الداكنة..

كانت المدينة مهجورة، خالية تشبه لوحة حلمية لسلفادور دالي.. بل، كانت كل شيئ مثل حلم.

الهوامش:

1-مارملادوفية: شبه ال مارملادوف الشخصية السكيرة في رائعة دستويفسكي (الجريمة و العقاب).

2-(الصحو الحقيقي احيانا يكون عديم الشفقة) نشرت هذه القصة في مجلة سردم العربي الغراء، العدد السادس سنة 2004، و لكي يستمتع القارئ الكريم بهذه القصة افضل ان يقرأ القصة المنشورة في سردم العربي اولاً.

المرايا المرعبة

قصة: كوران بابا علي

ترجمة: ازاد برزنجي

بعد ان اجروا لي عملية جراحية في غرفة العمليات؛ و ضمدوا جراحاتي و تشققات ذراعي و رجلي و بطني و امعائي؛ نقلوني الى غرفة اخرى في نفس المستشفى و مددوني فوق سرير ناعم عريض الى ان التئمت جروحي التي اصابتني بسبب شظايا المرايا. بعدئذ نقلوني مرة اخرى الى غرفة كبيرة عديمة الشبابيك؛ فيها سرير عال ذو سلم و منضدة و كرسي و مغسل.. لم اعرف؛ هل هو نفس المستشفى ام غيره، لانهم قبل ان يأخذوني خدروني بحقنة و لما استفقت من غيبوبتي وجدت نفسي جالساً فوق الكرسي و امامي المنضدة و طبيب جالساً على كرسي اخر وراء المنضدة؛ يلبس نظارة في عينيه و لما رأيته عرفت انه طبيب نفساني، و حين بدأ يسألني عن الدوافع التي كانت وراء حالتي النفسية، لذت بالصمت و لم اجب، بعدها بساعات ثنى ارجل الكرسي و تأبطه و خرج يائساً من غرفتي.. بعد لحظات دلف طبيب اكبر عمراً من الاول و اتى بكرسي هو الاخر؛ كان شارباه ابيضين، جلس امامي و بدأ بدوره يوجه اسئلة تخص مرضي راجياً ان اجيبه ولكنه خاب امله حينما تأكد بأنه لا يحصل مني على كلمة؛ فتركوني لوحدي و صعدت السلم و نمت فوق السرير الناعم. فجأة استيقظت على اصوات الاطباء النفسيين و حين فتحت ممرضة نفسية جميلة باب غرفتي رأيت صفاً من الاطباء النفسيين، رجالاً و نساءاً، كل منهم يتأبط كرسياً مطوي الارجل ينتظرون مقابلتي.

ولكم حاولت معي تلك المرضة و بدأت تطنب في وصفي و بهاء وجهي و قامتي و تعانقني و تقبل ناصيتي و خدودي؛ ثم اطبقت شفاهها على شفاهي و ترجت مني الاجابة عن اسئلتها او حتى التفوه بكلمة ما، و لكنها لم تستطع ان تستنطقني، و كذلك الآخرون. كنت اسمع بعضهم يتحدثون مع افراد عائلتي و

اصدقائي في الغرفة المجاورة لغرفتي التي وضعوني فيها تحت اشراف الاطباء النفسانيين، و يستفسرونهم عن الحادثة و ما قبل حصولها و عن طفولتي و مراهقتي.. و تصرفاتي و سلوكي عندما و بعد ان هربت من المرايا و انزويت في غرفتي.. كانوا يسألون والدي و اخوتي و اخواتي و اصدقائي حول تفاصيل حياتي و ما جرت لي من الاحداث في صغري و كبري، و هم بدورهم كانوا تارة يجيبون بهمس و تارة اخرى ينشجون بالبكاء.

آه.. هذه المرة جاء جميع اطباء المدينة و آخرون كانوا قد جاؤوا من بلدان العالم المختلفة.. يقابلونني واحداً واحداً و ينصحونني و يصفون وسامتي و جمال وجهي و قامتي، و بدأوا يلتقطون لي صوراً فوتوغرافية و ينشرونها في المجلات و الجرائد و يحثون الفتيات كي يأتين و يهنئن الفتى الاوسم في البلد و يعشقنه؛ و قاموا بتكبير احدى صوري الملونة و وضعوها في سيارة تصحبها فرقة موسيقية و بدأوا يطوفون في شوارع المدينة وهم يصفقون و يطبلون و يمدحون جمالي في اشعارهم و اغانيهم، و لكنهم طالما طلبوا مني ان اشاركهم كرنفالهم هذا الذي اقيم من اجل جمالي. لكني لم البي دعوتهم و لم ارض. و حينما ارادوا ان يخرجوني من غرفتي قسراً؛ تشبث بالسرير من رجله اليسرى بقوة، كان يسحبني عدة اشخاص.. و استعملوا في محاولتهم هذه كلابات و عتلات؛ لكنهم لم يستطيعوا فصل يدي عن رجل السرير، فاضطروا الى حمل السرير معي و عند باب الغرفة تمسكت و بيدي الاخرى باطار الباب؛ فاضطروا مرة اخرى ان يقلعوا الباب. ثم اخذوني الى صالة المستشفى؛ و لكم حاولوا معي و انا متمسك بالسرير و الباب ان يخرجوني من باب المستشفى و الى الشارع، ولكنهم لم يستطيعوا.

جاءوا بعدة عمال يحملون معهم معاولاً و مجارفاً و هدموا الجدار الامامي للمستشفى، و بعد ان نظف الكناسون الشارع اوقفوني على الرصيف، و مرت مواكب عيدي الخاص امام ناظري؛ و الفتيات الجميلات المأجورات لتلك المناسبة، تلك الفتيات اللواتي في حينها كنت التمس منهن بنظراتي ان يشفقن علي او تقول لي احداهن ولو لمرة واحدة (احبك).. كن ينثرن الزهور من فوق المواكب على رأسي و كن يرسلن لي بايديهن قبلات من شفاههن الرقيقة و يرسمن الابتسامات فوق وجوههن و يتأملن وجهي البشع و يمطرن قبلاتهن علي و يهتفن و يهلهلن.. و لما اقبل المساء عادوا بي الى غرفتي و اوثقوا اعضاء جسمي كلها بالحبال؛ حتى اصابعي و شفاهي و جفوني، و مرروا الحبال من سقف غرفتي الخشبي حيث كان هناك اشخاص فوق سقف الغرفة يمسكون برؤوس الحبال و ينظرون لي من ثقب كبير في السقف و يحركون اعضاء جسمي حسب توجيهات الاطباء.. في الليل كانوا يحركون يدي و رجلي و يصعدونني على السلم ثم يمددونني فوق السرير و يغمضون جفوني؛ و بعدئذ ينومونني بترانيم من امي او امهات اخريات مأجورات.. و في الصباح يفتحون عيني و ينزلونني من فوق السرير، كان المرحاض هو المكان الوحيد الذي كنت اشعر فيه بأناي و ذاتيتي؛ لذا

كنت ابقى فيه اكثر من نصف ساعة دون ان اشفق على المحصورين او المصابين بالاسهال الحاد الذين ينتظرون خروجي وراء الباب، كانوا بين الفينة و الاخرى يدقون الباب و انا غارق في تأملاتي و خيالاتي. بعدها كانوا.. يحركون يدي بواسطة الحبال و يلبسونني السروال و يقودونني صوب المغسل كي اغسل يدي و وجهي و انشفها بالفوطة. انئذ كانوا يجلسونني فوق الكرسي و يرغمونني على تناول الطعام، ثم يحركون اصابعي و يجعلونني امسك بالقلم لكي يجيبوا حسب هواهم على رسائل فتياتي العاشقات ثم يرفعوا الصور باصابعي الى مستوى فمي و يحركوا شفاهي و يرغموني ان اطبع قبلة على كل صورة كي يوهموني بأنهم يبعثون بالاجوبة مع القبلات المطبوعة عليها الى الفتيات اللائي كتبنها لي.. آه.. تلك الرسائل التي يظهر ان الاطباء السذج عديمي الخبرة في الحب قد كتبوها، و الصور.. كانوا قد اشتروها من بائعات الهوى، و الذين كانوا ينوون معالجتي و اخراجي من عزلة هذه الغرفة هم بانفسهم سجنوني فيها و لم يسمحوا لي ان اخرج منها ولو للحظة.. و الادهى من ذلك انهم علقوا اربع مرايا كبيرة على جدران غرفتي الاربعة لكي ارى فيها هيئتي و لا اغض الطرف عن (جمالي و وسامتي!!) أي جمال.. آه.. انا وحدي فقط اعرف مدى بشاعة وجهي الذي يجعل ممن يراني ان يحتقرني او على الاقل ان لا يشعر بعاطفة حب نحوي.

كنت قد اكتشفت تلك الحقائق من خلال المحادثات التي دارت بيني و بين المرايا طيلة حياتي الماضية الى درجة ان المرايا قد جعلتني انا بدوري ايضاً اشمئز من وجهي البشع الغريب حتى وصلت الى حالة بصقت فيها على صورتي في المرآة و انسال البصاق على سطحها الاملس، فأخذت بيدي حديدة و كسرت جميع مرايا بيتنا و هرعت صاعداً من السلم الى الغرفة العلوية.. أي غرفتي.. و رميت المرآة من فوق سطح دارنا، ثم اغلقت باب غرفتي على نفسي و ربطت احدى قدمي باحدى ارجل السرير بحبل يساوي طوله طول المسافة بين السرير و باب الغرفة و ابقيت الباب مغلقاً لمدة ليست بالقصيرة، و عندما كانوا يجلبون لي الطعام؛ كان عليهم ان يضعوه امام الباب و لم اكن افتحه الا حينما يصل الى اسماعي وقع اقدامهم عند نزولهم من السلم، بل و في اغلب الاحيان لم اكن افتحه، في احدى المرات، لما فتحت الباب رأيت امي مختبئة بجانب الحائط، و حينما أبصرتني علت منها صرخة وخرَت فاقدة الوعي و لم اعرف لماذا؟ و في الوجبة القادمة و عندما سحبت الصينية الى داخل غرفتي؟ رايت عليها شيئاً كروياً غريباً تنعكس عليه صور الصحون.. و.. اه.. لا لا.. في البداية خفت، و لكنني تضاحكت و تأملت الصور المعكوسة عليها بدقة.. آه.. يا للهول.. انها لكارثة.. كان هدية هذا العصر.. كان شيئاً مخيفاً.. و بحركة خفيفة كانت الصور تتمسخ و تأخذ اشكالاً اخرى، كانت صوراً لمحتويات غرفتي و اعضاء جسمي النحيل.. بدءاً من صدري و حتى يدي و قدمي.. آه.. و عندما تجرأت و قربتها من وجهي، شاهدت صوراً غريبة لوجه مخيف، من بين جميعها كانت تلك الصورة تبدو لي غريبة و غير عادية، آه.. كلما كنت أتأمل تلك العيون الجاحظة و ذلك الانف الافطس و لحيتي و شاربي و

شعري الطويل و المجعد.. كنت اشعر و كأن شخصاً اخر في الغرفة يشاركني وحدتي.. يا لهذا الوجه الشيطاني الشرس.. تلك الصورة التي كانت تتحول الى عشرات من الاشكال الغريبة و باقل حركة من يدي، كان ذلك الشيء يعرّفني و بشكل مخيف بكل جزء من اجزاء غرفتي و اعضاء جسمي بصورة لم اعتد عليها من قبل، و لكن من بين جميع الصور كانت تلك — وحدها تفزعني و تزرع الرعب في داخلي، رعباً لم اعرفه من قبل. و منذ تلك المرة و مع كل وجبة طعام جديدة تبدأ صور وجهي المختلفة تتقاطر علي و تأخذ اشكالاً هندسية متباينة كالمربعات و المستطيلات و الدوائر و المثلثات، الكبيرة منها و الصغيرة حتى باتت غرفتي مليئة بتلك الاشكال و لعدم وجود المكان الكافي اضطررت الى ان اعلق بعضاً منها بسقف الغرفة، و لكني بدل ان اعتاد عليها يوماً اثر يوم، بدأت اشعر بالخوف اكثر و اكثر من ذلك الوجه البشع الذي كان يحدق في وجهي.. لا.. لم اعد اتحمل تلك الحالة.. كنت ارى وجهي في كل الاشكال. و ذات يوم سمعت همساً و جدلاً بين اشخاص يبدو انهم كانوا افراد عائلتي، كانوا يخططون لمؤامرة القبض علي كي يحلقوا شعري و لحيتي و شواربي الطويلة، فانتابني احساس بالخوف مما دفعني ذلك الى ان آخذ الشرشف من على السرير و اعمل في وسطه ثقباً بحيث يدخل فيه رأسي و علقته فوق باب غرفتي ثم فتحت الباب و صحت بهم صارخاً؛ فاندفعوا نحوي صاعدين على السلّم حاملين معهم المقص و ماكنة الحلاقة و الموسى و بدأوا بقص شعري و حلق لحيتي و شواربي الطويلة.. آه.. و عندما انتهوا من عملهم وعدت برأسي الى داخل الغرفة و اغلقت الباب، تأملت الصور.. لا.. انها ليست صوراً.. انهم خدعوني.. انها مرآيا و قد اخذت اشكالاً مختلفة و انتشرت في جميع ارجاء غرفتي.. آااه.. أية صرخة مثيرة للشفقة علت مني، كنت ارى وجهي في المرايا بعد أن حلقوا شعري و لحيتي و شاربي.. كان رأسي يدور.. كنت اركن إلى زوايا غرفتي و أتقرفص و أحتضن ركبتي، اختبيء رأسي في حضني، لكن صورة وجهي البشع لم تكن تبارح عيني، حتى اعضاء جسدي و ظلمة عيني المغمضتين غدتا مرايا تعكس سيمائي. شعرت بجسمي يتصبب عرقاً و يرتعش.. صرخت و بدأت اهجم على المرايا وأهشمها بقبضتي و مرفقي و رأسي.. فسقطت آلاف القطع الصغيرة على أرض غرفتي لتشكل ركاماً هائلاً، كنت أضرب الأرض بقدمي جاهداً بذلك إنقاذ نفسي من آلاف القطع من المرايا التي كانت تعكس وجهي الملطخ بالدماء فانغرز الكثير منها في جلد رأسي المحلوق و خدودي و ذقني و وجنتي.. آه.. لم أعد أرى شيئاً عدا آلاف الوجوه الملطخة بالدماء في تلك القطع الصغيرة من المرايا، و بعد فشل محاولتي لانقاذ نفسي، بدأت أعضاء جسمي ترتخي و تكف عن الحركة.

اقاصيص من زمن النار

للقاص: جليل محمد شريف

ترجمة: محمد صابر محمود

الدروب

ايها الصغار.. ايا ملائكة الطهر و البراءة.. يا من تشاطرونني جانباً من مسافات طريقي، صباح كل يوم.. حقائب اكتافكم.. حمولات الكتب على كواهلكم، تهب لي فرحاً رومانسياً.. وشوشاتكم كمثل الفراشات، تداعب طبلتي اذني.. تتنسمون مثل النسائم الرخية حول بعضكم.. و مثل النحل تتقطرون من فتحات الابواب على الدروب امام عيني، قطرة اثر قطرة، كمثل قطرات امطار الرحمة. اكياسكم المحمولة على ظهوركم تنسج خارطة الغد، و ترصعها.. افئدة امهاتكم ترفرف وراءكم، لتودعكم من خلال فتحات الابواب. كل واحدة منهن تطرز صدوركم بباقة من ايات (بسم الله) و (اية الكرسي)، كي تكون حرزاً حريزاً، يعصمكم من عيون الحساد و من شرور الاشرار. ها هو ذا الرجل الذي يتكلم من تلقاء نفسه.. يا ذوي العيون السود.. ايها الصغار.. نفسي فداء لأياديكم الماسكة بالأقلام.. انكم اليوم، قلوبكم شبيهة بالورود المتفتحة من اكمامها تواً.. ساذجة، ناصعة البياض، لاشائبة فيها .. تنز و تتقطر حباً.. شمس النهار اليوم متلهفة الفؤاد، توزع قبلاتها على وجناتكم.. تحيل خصلات شعرها خيوطاً من حرير، لتتسلقوها و ترتقوا الى تطلعات المستقبل.

ايها الصغار، هل تسمعونني؟ الا تعلمون ان كلمة المستقبل كانت دوماً موضوعاً اثيراً، لاصقاً بصفحات ادمغتنا، حينما كنا شباباً. اساتذتنا كانوا.. يجعلون منها عناوين نكتب عنها في دفاتر الانشاء. و نحن بدورنا كنا نحيل ذلك الغد بأقلامنا، و في اطار تخيلاتنا الساذجة، الى سماء مليئة بالكواكب و الانجم، او نحيلها بساتين كروم مليئة بالفواكه و الاعناب.

كنا بين اوراق دفاترنا، نجعل من انفسنا شموعاً، ننير ليالي ابائنا و امهاتنا، او نجعل من انفسنا حوريات تسبح عبر فضاءات من السعادة النفسية.

يا حملاني الصغار.. ما اجملكم هذا النهار، و انتم تتمخطرون بأقدامكم الصغيرة مثل الحمائم الاليفة تحت اشعة الشمس، مثنى و ثلاث، او مجتمعين، صوب بوابة تصقيل مدركاتكم.. اصواتكم شبيهة باغاريد طيور المائي، و زقزقة العصافير..

-يا عمنا، لماذا تبكي؟!

-ياعمنا ما هذا الذي تقوله من تلقاء نفسك، كل يوم؟

+يا ابا العم.. انني لست ابكي.. و انما عيناي قد اصيبتا بالرمد.. روحي مجروحة.. ايها الصغار ان الخوف على مستقبلكم قد استحال مدية تحفر في قلبي.. انني ابكي على غدكم.. لانه كما يقال: ان علائم الليالي المقمرة تبدو لعين الناظر عند حلول الظلام.. انني ابكي على ذلك اليوم الذي تجتازون فيه بوابة اخر مرحلة من مراحل الدراسة.. يوم تحطون فيه لآخر مرة حقائبكم عن كواهلكم، و من ثم تقفون حائرين على مفترق الطرق وجهاً لوجه امام مصائركم المجهولة، حيث يستحيل الحزن غذاءاً و كلمة المستقبل تكتوي بنيران جوانحكم و تتفحم بين خفايا ضلوعكم و افئدتكم.

-انت.. يا ولدي ما اسمك؟

+اسمي (آواره)

-حبيب قلبي يا آواره، عندما اغمض عيني، تتراءى امامي، لوحة ما.. و انت بدورك هيا اغمض عينيك.. هل ترى شيئاً؟

+لا.. لا ارى ثمة من شيء..

و الان دعني، اتحدث عنه انا.. يتراءى داخل اللوحة طريق رئيسي تتفرع عنه من الطرف الاخر ثلاثة نياسم.. على النيسم الاول يغيرون هيموغلوبينيات المسافرين قطرة قطرة.. و على الاخر، تنبت للمسافرين اجنحة، و يتحولون الى فراشات تطير اسرابا على جميع الجهات، مستاءة من حدائقها: اما من هذا الطرف، و على النيسم الثالث فتشاهد فيه المسافرين، وقد اغمضوا عيونهم، و جلسوا على حافات الشوارع و هم يتضرعون الى المارة، منتظرين شخصاً مبصراً يأخذهم من ايديهم.

الخنازير

مهما كانت تبذل من مجهود و من محاولات الا انها لم تكن لتصل الى فهم حالة زوجها "سلام" و تصرفاته، و توتره اثناء سياقته لسيارتهم، و لماذا كان يصاب بالارتباك و ترتجف يداه في بعض الاحيان و ينظر بسرعة الى ما حوله و الى السيارات التي تتقدم سيارته و تنبجس قطرات العرق من مسامات ناصيته،

لدرجة يكاد معها ان يتوقف تماماً. كان طفلهما البالغ ستة او سبعة اعوام واقفاً وراء مقعدهما. في هذه المرة نفذ صبرها، فوجهت اليه بالسؤال: ماذا بك، الا تخبرني بحقيقة ما تعاني؟.. اراك في اكثر الاحيان تنتابك هذه الحالة.. هل تخفي سراً ما، يوصل بك الى قمة الحزن و الاسى و هذا القلق؟

اوقف السيارة على ناصية الشارع، و بعد ان زفر زفرة قال:

ماذا اروي لك يا امرأة.. دعيني اغص بهذه الالام و الاوجاع لوحدي. و اذ وصلوا الى البيت، و اثناء وجودهما في الفراش تذكر استفسار زوجته (شرمين): (بالله عليك دعيني اشارك في معاناة روح ابي و فجيعته التي كان يتلوى تحت وطأتها يوماً ما)

ثمة مطرة خفيفة كانت قد بللت الارض.. كنت واقفاً خلف مقعد ابي اوزع نظراتي على الطرقات التي امامنا.. على حين غرة توقفت السيارة التي كانت تسير امامنا.. و ابي بدوره ضغط على الكابح بسرعة، لكنه نظراً لضيق المسافة بين السيارتين، و لكون الشارع زلقاً من جراء تلك المطرة انزلقت سيارتنا، فاصطدمت بالسيارة الامامية بشكل خفيف.

ابي لم يكن يتوقع ان تكون الصدمة قوية لدرجة تنجم عنها اضرار بالغة غير انه نزل رجلان عظيما الجثة من السيارة الامامية رأساً، كانا ذوي شاربين متهدلين منفوشين، يرتديان ملابس خضراء.. و كل واحد منهما كان يحمل مسدساً على خاصرته. اشارا الى ابي كي يترجل من سيارته.. و اذ نزل محاولاً ابداء اعتذاره، و تبرير ما حصل. هجما عليه كمثل الخنازير الوحشية، و انهالا عليه بالضرب و الركل طرحوه مراراً عديدة على الارض و من ثم كانوا يوقفونه على قدميه و يبدأون مجدداً بضربه و ركله.. ضربوا جمجمته بمقابض مسدساتهم حتى تفجرت الدماء من رأسه فسالت على جسده. و اذ حاول بعض الناس التدخل و انقاذه من براثنهما. صوب احدهما فوهة مسدسه اليهم مهدداً: (من يتقدم الى الامام سوف افرغ صلية في رأسه). انسحب الناس و لم يستطيعوا ان يعملوا شيئاً. و على مرأى مني فتح الاثنان الصندوق الخلفي للسيارة، فطرحاه فيه و من ثم اغلقاه عليه.. و انا من بداية الحادثة كانت الدنيا تظلم في عيني من وقت لآخر.. و في احيان اخرى كنت احس و كأنني يغمى علي. لم اكن استطيع البكاء.. حنجرتي كانت يابسة.. و على ما يظهر انني وقتها قد فقدت الاحساس بما حولي تماماً. و اذا فتحت عيني شاهدت نفسي ممددا على ظهري على السرير في البيت.

والدتي كانت تنتف شعرها. بعد ثلاثة اشهر عثرنا على ابي مرمياً على قارعة احدى الطرق، و هو بين الموت و الحياة. ليست لدي الجرأة على روايتها لها، صراحة لئلا يؤثر الخوف من حوادث السيارات على نفسية (شرمين).. عندئذ نلجأ كلانا الى السير مرتبكين اثناء عبورنا الشوارع.

ان الامر الذي كان يهز كياني بعنف اكثر هو انني كنت اخاف على ابني (ديلان) ان يشاهدني اثناء كارثة مماثلة لهذه، ليظل مدى الحياة يعاني من مرارتها و تظل مسماراً مغروزاً في جمجمته، يسبب له الالام و الاوجاع بين حين و اخر.

البندقية

كان الرجال محشورين على شكل صف في ظل الجدار الخارجي لمضيف القرية. معظمهم كانوا مقيدين من اياديهم بلفات رؤوسهم. رائحة الدماء كانت تنبعث من خلال ذلك المشهد. و على الجانب الاخر كانت هناك مجموعة من البنادق مركونة على جانب الجدار.. كانت معظم تلك الاسلحة، بمختلف مسمياتها من الطراز القديم الذي يعود تأريخ استعمالها الى ازمان الجدود.

كان الجنود يحاصرون القرية من جميع جوانبها.. الصمت و الرعب المهيمن على اهل القرية، كان يجمد اوصالهم، فيماعدا بعض الاطفال العجولين الذين كانوا يشرئبون بأعناقهم بين الفينة و الفينة، و يراقبون المشهد بفضول كي يعرفوا ماذا يفعلون بآبائهم.

بصوت اجش امر، نهر احد الضباط عمدة القرية (علي) الذي كان مركوناً بعيداً عن الاخرين. و كان يبدو من هيئته انه قد ضرب ضرباً مبرحاً.

-لقد اخبر عنك على لسان شهود، بأنك، وحدك، تملك بندقية من نوع (برنو) في هذه القرية.. عدم الاعتراف لن يجديك نفعاً.. والان سوف اصدر امرا، لكي يعاودوا ضربك مرة اخرى الى ان تعترف بمكان وجود بندقيتك.

احد الصبيان صاح: (يا بابا لاتدعهم يؤذونك).

استغل الضابط هذه العبارة، فأردف: (قسماً بشرف الرئيس، اذا اخبرتنا بالمكان، فسوف لن نفعل بك شيئاً.. و نطلق سراحك ايضاً).

لكون تدهور العلاقات بين الحكومة و الناس كان في بداياته، فأن تجارب المواطنين في هذا المجال كانت قليلة و محدودة، و لم تكن قد تعمقت. حيث كانوا ينخدعون سريعاً بوعود، و عهود رجال السلطة الكاذبة. لهذا السبب، و تحت تأثير صياح ابنه و القسم بشرف الرئيس، اضطر العمدة (علي) لكي يرضخ للامر و يرفع يده موافقاً: (لنذهب حتى اريكم مكان بندقيتي (البرنو)).

اصدر الضابط اوامره لبعض الاشخاص كي يحفروا الموضع، و العمدة (علي) كان واقفاً بأزائهم. و بعد ان استخرجوا (البرنو)، امر الضابط بتعميق الحفرة و توسيعها عرضاً و طولاً. و قيدوا العمدة (علي) من يديه و رجليه مجدداً، و مددوه بثيابه داخل الحفرة، و من ثم اهالوا عليه التراب.. انخرط الناس في العويل و البكاء، فاستحال شرف الرئيس ريشة في مهب الريح!!. و في نفس اليوم بالذات و بعد غروب الشمس، خرج ستة مسلحين ببنادقهم من القرية، و انطلقوا صوب الجبال.

الجثة

مسرحية من فصل واحد

تأليف و ترجمة: فهمي كاكه يي*

الترجمة العربية مهداة إلى الدكتور تيسير عبدالجبار الآلوسي
بدون مناسبة و إلى كل السومريين بمناسبة تيسير.

حقيقة: (توفي اليوم عجوز في حارتنا، إشترك في دفن جثته سبعة اشخاص، أنا و زوج بنت حفيدته و صبييان إثنان و مجنون حارتنا و رجل دين و مجنون إلتقيناه في المقبرة. خلاصة مراسيم دفن الجثة أفرزت هذه المسرحية).

الشخصييات:

- **المرأة**
- **الرجل**
- **العجوز**
- **الشاب**
- **الطفل**
- **رضيع في قماط**

(إضاءة خافتة. يقف رجل في وسط المسرح. على الجانب الأيمن من المسرح تنحني إمرأة و هي تنظر من ثقب باب مغلق إلى داخل غرفة).

المرأة: (وهي تنظر) عيناه بدأتا تخفتان رويدا رويدا، لكنه ما زال يأن و هو يصارع الموت مطلقا العنان لأطرافه الأربعة لتضرب في كل الإتجاهات. تختنق الكلمات بين شفتيه و أسنانه، مغتصبا منه فرصة التكلم. يدق الأرض بعقبيه غيضا فيتذبذب المصباح مشعًا مع حركاته و خافتا مع سكناته.

الرجل: يا لذلك اليوم الذي ينطفئ فيه هذا المصباح اللعين فيتخلص كلا الطرفين، هو و نحن و بالأخص هو.

المرأة: (متجهة صوب الرجل) كلا، بالأخص نحن، هو الذي إحتل غرفة كبيرة مع إن مكانا ضيقا يتسعه، متر مربع واحد يتسعه. (تقترب و تهمس للرجل) حسننا! لم لا نفعل شيئا من أجل خلاصنا؟

الرجل: مثلا؟

المرأة: (خائفة وهي تصَر بأسنانها) مثلا.. مثلا.. مثلا..

الرجل: (مقاطعا و قد فهم قصدها) كلا.. كلما أتتني فكرة كهذه إقشعر لها بدني و بدأت أرتجف..

المرأة: أخائف أنت؟

الرجل: بلا شك.

المرأة: ألا تريد خلاصنا، خلاص الطرفين؟

الرجل: بلا شك، لكن ليس بهذه الطريقة، لأننا لا نستطيع إطفاء المصباح و المصباح هو القصد.. عندما ينطفئ المصباح، يخيَم السكون و تتوقف الحركة، يضع الظلام أوزاره على كل شئ بما فيه فكره و حركته، عندها يفقد فاعليته فيهلك. (فجأة) أنظري مرة اخرى!

المرأة: (تنظر من ثقب الباب) خفَ أنينه كثيرا.. أما عيناه فقد ضعفتا جدا.. بدأ يفقد الحركة شيئا فشيئا.. و ضوء الغرفة يسايره فيخفت.. إنه يضع يديه تحت حزامه محاولا رفع رجليه لكي يدق الأرض بعقبيه، لكن ركبتاه لا تقويان فيتحسَر خائبا.. يا لهول المشهد.. إنه يتلفظ أنفاسه الأخيرة.. يفتح فمه و يغلقه، كأنما يطلب الماء. (تنسحب)

الرجل: أي ماء؟ ما أتذكره أنا و حسب رواية والدي و حتى جدَي.. ما من أحد رآه و هو يشرب أو يأكل. يقول البعض إنه ترك الأكل و الشرب لسنين طويلة.. و البعض يقول كلا.. إنه لا يأكل بسبب عدم بقاء أحد من معاصريه.

المرأة: إذن لم لا يموت؟

الرجل: و أنا أسأل كذلك، لم لا يموت؟ لكن مهما حصل يجب أن نتخلص منه قريبا.. مع إنه يلفظ أنفاسه الأخيرة إلا أنه يضايقنا و يعكر صفو راحتنا.. لا أستطيع أن أنتظر موته أكثر من هذا.

المرأة: و كيف يكون الحال لو كنت تنتظر موتك؟

الرجل: ما فكرت في موتي قط.. لكي أكون في إنتظاره.

المرأة: لو إفترضنا جدلا بأنك في إنتظار الموت.. ماذا كنت ستفعل؟

الرجل: و لأنني لا أستطيع إنتظار الموت.. كنت أموت..(نسمع صوت خبطات داخل الغرفة.. الرجل و المرأة يخافان فيتراجعان) أخاف أن يخرج.. هل أقفلتي الباب؟

المرأة: نعم أقفلت الباب.. لا تخف!

الرجل: حسننا فعلتي.. انظري من ثقب الباب ثانية!

(تتقدم المرأة لتنظر بينما يتراجع الرجل)

المرأة: (و هي تنظر) كل شئ ساكن.. لا أنين و لا نظر و لا حركة.. هيا أسرع.. خابر البلدية!

الرجل: لا تستعجلي.. قد يكون نائما..

المرأة: أي نوم؟ ألم تقل مرارا بأن لا أحد رآه نائما؟

الرجل: صحيح..(يرفع سماعة الهاتف و يطلب رقما) الو.. البلدية؟ إسمع يا أخي..لقد مات عجوز كبير.. طاعن في السن جدا.. يرجى مجيئكم لإستلام جثته.. الميّت؟ كلاّ.. هو ليس بوالدي.. نعم؟ لا و الله ليس بجدي أيضا.. في الحقيقة لقد مات الجميع بدأ من جد جدي و وصولا إلى والدي.. يجوز.. ماذا أقول لك؟ يجوز.. يجوز.. كل شيئ جائز في عصرنا هذا.. نعم؟ نعم .. عندما كان ما يزال يقوى على الكلام قد إدّعى بأننا جميعا من أحفاده.. نعم.. نعم حتى أنتم.. هذه الحكاية؟ كان قد رواه لجد والدي.. أخي ما لكم بهذه الإستفسارات؟ يكفي أرجوك.. ما كل هذه الأسئلة؟ إذن إنتهى.. لا داعي لإطالة الحديث.. هيا بكم إسرعوا..

(يضع السماعة في مكانها) عجيب أمر هذا الرجل.. و كأننا بصدد إخراج شهادة للميت..

المرأة: حسننا.. و من أين سيُخرجون الجثة؟ إلا إذا كسروا الباب..

الرجل: لماذا يكسرونه؟ و المفتاح؟

المرأة: لقد فقدته، فقدته عمدا..

الرجل: لم يستوجب أن تفقديه.. لقد قلت لك مرارا بأننا سوف نحتاجه.

المرأة: كنت خائفة.. خائفة من خروجه.

الرجل: حسننا فعلتي.. جيد جدا.. ليس هناك من حل.. إلا كسر الباب..

المرأة: حسننا.. ألا تخاف البلدية من جثته؟ كيف سيغسلونه؟ كيف سيدفنوه؟

الرجل: بما يتعلق و الغسل فهي سهلة.. هناك حمام خاص للموتى.. سيغسلوه هناك و يكفنوه.. و توجد قبور مُعَدة مسبقا فهناك سوف يدفنوه..

المرأة: يظهر بأنه عندما يتعلق الأمر بالموت تجري الأمور بسهولة و إنتظام.. حسننا و في أية مقبرة سيدفنوه؟

الرجل: في مقبرة الموتى..

المرأة: مقبرة الموتى؟! أليست المقابر كلها للموتى؟

الرجل: كلا.. ما عدا مقبرة الموتى.. هناك مقبرة للمدفونين أحياءً.. حتى إن هناك مقبرة للأحياء أيضا..

المرأة: ماذا يعني هذا؟

الرجل: تلك مسألة عويصة.. لا تتدخلي فيها.. (صمت قصير)

المرأة: يقال بأن القبر يضيق بالميّت و يهشّم كافة أضلاعه.

الرجل: تلك في المقابر الإنفرادية.. الأمر ليس كذلك في المقابر الجماعية..

المرأة: حسنا.. في أي قبر يدفن هذا؟

الرجل: بالطبع إن من يموت لوحده يدفن في مقبرة فردية و الذين يموتون سوية يدفنون في مقابر جماعية.

المرأة: هنيئا للذين يَموتون سوية أو يُمَوّ تون..(صمت قصير) لا شك بأن الميت يشعر بالوحدة في القبر الإنفرادي و عندما يحل الظلام ينتابه الخوف.. أرجو أن تضع فانوسا خلف رأسي إن دُفنتُ في قبر إنفرادي..

(فجأة نسمع صوت رعد شديد، ينفتح الباب المغلق على مصراعيه، يمطر في الخارج، ضوء قوي يكتسح المسرح مسيطرا على الإنارة، يدخل رجل عجوز من الباب و بيده عكازة. عندما يتحرك فإنه لا يخرج من المثلث المضئ الذي رسمه الضوء الخارج من الباب، يشكل الباب إحدى زواياه و نهايتي المسرح من الجهة المقابلة الزاويتان الأخريتان)

العجوز: (متجهاً صوب الرجل و المرأة) و ما فائدة الفانوس.. إنها ليلة أو ليلتان ثم ينطفئ.. من الأفضل أن يكون هناك نور خالد في أعماقكم، نور لا ينطفئ أبدا.

(كلمّا تحرك العجوز إلى الأمام كلمّا تراجع الرجل و المرأة.. المطر مستمر في السقوط.. الرجل و المرأة لا يدخلان المثلث المضئ التابع للعجوز مطلقا)

العجوز: لا تتراجعا يا أحفادي فلا داعي للخوف، لأنني ميت.. أنا لم أمت الأن.. لقد متُّ يوم ولدت.. كلاّ.. إنني لم أولد بعدُ.. ليس أنا فقط.. فلا أحد على وجه المعمورة.. يرى نفسه مولودا.. كلّ ما زال في بطن أمه و امهاتنا في بطون امهاتهن.. هذه قساوة، إنها خطيئة.. بل إن الإنسان في حد ذاته هو الخطيئة الكبرى.. (صمت قصير) لقد توالت عصور عديدة و أنا أحسب نفسي ميتا.. و عصرا بعد عصر ضعفت عيناي.. صوتي..حركاتي.. و كضرورة من ضرورات طبيعة هذه الأرض سكنت كل الأشياء.. و الان و كما أنتما في إنتظار رجل البلدية.. كذلك أنا.. آه من قسوة الإنسان.. الذي يتبرأ من دفن جثة إنسان.

(شيئا فشيئا ينسحب إلى غرفته بينما يتلفظ الكلمات الأخيرة.. ينغلق الباب.. يتوقف المطر عن التساقط.. و يزول المثلث المضئ بالطبع)

الرجل: يبدو أن الباب لم يكن مغلقا..

المرأة: بل كان مغلقا.. لكن ربما كان معه مفتاح..

الرجل: كلاّ.. لم يكن معه مفتاح.. لكن يقال بأن لا شيئ يعيق الأموات.. حتى انهم يولجون من الجدار (صمت قصير)

المرأة: حبذا لو كنت أعرف من أين يأتي الموت!

الرجل: كل إنسان يحمل موته معه، لذا و في وقت الحاجة.. يقوم الموت بعمله حالا..

المرأة: حسننا، و لكن كيف يعيش الإنسان و هو يحمل موته معه..؟

الرجل: العجيب في الأمر هو أن الحياة و الموت.. هذان المتضادان يتصارعان في أعماق الإنسان جنبا إلى جنب و بصمت.

المرأة: (تسري في جسمها قشعريرة و تصرخ فجأة) قشعريرة..

الرجل: (متعجبا) قشعريرة!

المرأة: (مُرعبة) تسري قشعريرة في جسمي.. إستعجل! خابرهم مرة اخرى.. لقد تأخروا.. تأخروا كثيرا.. هل أبلغتهم بالعنوان؟

الرجل: لا حاجة إلى ذلك.. سوف يدليهم سلك الهاتف بالعنوان. (يرفع سماعة الهاتف كالمرة السابقة) الو.. البلدية؟ نرجوكم يا أخي أن ترسلوا أحدا بسرعة قبل أن تفسد جثته.. ماذا!؟ إسمه..؟ والله لا نعرف إسمه.. ما العمل.. لقد إهترأ.. أقارب؟ نعم.. له أقارب كثيرين جدا.. حتى انه من كثرتهم يحس الميت بأن لا أقارب له.. أخي نرجوكم أن لا تورطوننا.. نحن بإنتظاركم.. (يضع السماعة في مكانها)

المرأة: تكلم.. ماذا يقولون؟

الرجل: يطلبون إسمه.. يدّعون بأن إسمه يجب أن يمحى من السجلات.. و لكن في أي سجل ينبغي أن يوجد إسمه؟ (صمت قصير بعدها يشمّ) ألا تشمين شيئا؟

المرأة: (و هي تشَم) كلا..

الرجل: إذن فإنه ما زال على قيد الحياة..

المرأة: لماذا..؟ كيف..؟

الرجل: لو كان ميتا لكان قد فسد الآن..

المرأة: هكذا و بهذه السرعة؟

الرجل: نعم.. من بين جميع الأحياء.. فإن الإنسان يفسد قبل الكل..

المرأة: لأن..

الرجل: لأن الإنسان بحد ذاته.. (مغيرا كلامه) انظري مرة اخرى..

المرأة: (تنظر مرة اخرى) تضئ الغرفة شيئا فشيئا.. و هو جالس و قد وضع كفه تحت حنكه تماما كتمثال

(روودان)** بينما يفكر. (تركض نحو الرجل و تمسكه من تلابيبه و هي تصرخ) قل لي أهذا حلم أم حقيقة..؟

الرجل: حقيقة.. لاشك انها حقيقة.. حقيقة مرة جدا.. و امرَ ما في الأمر هو إن لم نعرف إسمه و سجله فسوف لن يدفنوه و ربما يعرضوننا إلى آلاف المتاعب.. لنجد له إسما..

المرأة: يجب أن يكون له سجل أيضا..

الرجل: نعم، يجب أن يكون له سجل.. هذا ما يعقد علينا الأمور..

المرأة: إن قيامه قد عقد علينا الأمور أكثر.. حسننا ماذا نقول للبلدية فيما إذا حضروا الآن؟ هل نقول لهم بأننا نريد دفن هذا الرجل حياً؟

(نسمع صوت الرعد و هطول الأمطار من جديد.. ينفتح الباب على مصراعيه.. يظهر المثلث المضئ على المسرح ثانية.. الضوء و صوت الرعد و هطول الأمطار أقوى من المرة السابقة.. حركة الممثلين كالسابق.. حركة الميت ـ الذي يظهر على صورة شاب ـ تكون أقوى و أسرع من المرة السابقة)

الشاب: كلا.. إنكما لن تدفناني حيا.. إنني ميت..لا تشكّا في ذلك.. و إنني أنتظر مجئ رجل البلدية بشوق لا يوصف.. إلى حد إن الحياة بعث في من جديد.. كي أتلذذ بالموت أيضا.. ما طعم الموت إن لم ير الإنسان موته بعينيه؟ إن لم يحمل الإنسان جثته حلى كتفه؟ (صمت قصير) يا لحلاوة قبر إنفرادي.. عندما أتمدد في قبري للراحة الأبدية.. عندها لن أتوق للرجوع إلى هذه الدنيا قط.. كطفل لا يتوق للرجوع إلى بطن امه بعد الولادة.. (صمت قصير) هذه المرة ترونني في عمر الشباب، و قد أريتكم نفسي في هذا العمر لأعلمكم بأنني أيضا كنت يوما ما شابا و كنت أستهزأ بالطبيعة و كل القوى الأخرى و لم أكن أثق بأية قوة أخرى غير قوتي.. و ها إنكم ترونني الآن و لا داعي للتوضيح.. في هذا العمر بالذات كنت راعيا.. كل يوم كانت أغنامي تحلب، لقد كان الحليب يكفي لإطعام قرية بكاملها.. كنت أصب الحليب في أفواهكم العطشة.. آه من قسوة الإنسان.. الذي يتبرأ من دفن جثة إنسان.

(شيئا فشيئا ينسحب إلى غرفته بينما يتلفظ الكلمات الأخيرة.. ينغلق الباب.. يتوقف المطر عن التساقط.. و يزول المثلث المضئ)

المرأة: (تصرخ متجهة نحو الرجل) إلى متى.. كم سننتظر.. لم لا يأتون.. لم؟ هل يريدوننا أن نموت نحن أيضا؟ هل يريدون أن نموت رعبا؟ هل يريدوننا أن ننصهر؟ قل لي لم لا يأتون؟ إنني خائفة.. خائفة.. خائفة..

الرجل: من أي شيئ تخافين؟

المرأة: (تؤشر صوب الباب) أخاف من الذي في الداخل.. أخاف منك.. أخاف من نفسي..

الرجل: لماذا تخافين مني؟

المرأة: لأنك خائف بدورك.. أنظر ما حدث لك من الخوف؟ أنت لا تحس بنفسك.. خابرهم مرة أخرى..

فليستعجلوا.. ويلاه إن استمر الحال هكذا سوف أفنى.. سوف أموت..

الرجل: (يرفع سماعة الهاتف) أين أنتم يا أخي؟ لِمَ تأخرتم؟ حسننا.. حسننا.. نعلم إن الأموات كثيرون.. لكن حسب الأولوية.. نعم؟ ألم يأت دورنا بعد؟ لكن متى؟ هل لنا أن ننتظر طويلا..؟ حسننا.. كلا.. ليس لنا علاقة بالأمر.. إغسلوه أنتم.. كل شيئ في عهدتكم.. إن كان الأمر كذلك لوجب علينا إحضار إمام أيضا ليقرأ عليه الياسين.. نعم؟ إسمه؟ إسمه.. إسمه.. إسمه.. إسمه مجهول.. نعم مجهول.. هذا هو إسمه.. مجهول.. لمَ لا؟ أليس معلوم إسم..؟ أذن فهذا مجهول..سجله؟ (يصمت قليلا) سجل من لا سجل لهم.. نعم.. نعم.. نحن في إنتظاركم (يضع السماعة في مكانها) يريدوننا أن نغسله بأنفسنا.. لقد تعلموا الكسل بدورهم.. أنهم يضعون عبء واجباتهم على الأخرين.. إن علينا فقط إخبارهم ليس إلاّ..(فجأة) انظري مرة اخرى..

المرأة: لا أجرؤ.. أخاف.. أخاف.. هل أنت جاد؟ لم لا تنظر بنفسك؟

الرجل: (ينظر من ثقب الباب و يتعجب) تعالي.. تعالي إلى هنا.. لعلَ عيناي تخدعانني.. ماذا أرى يا إلهي.. إنه يصغر بإستمرار.. و الغرفة.. الغرفة تضئ أكثر فأكثر.. حتى أن أشعة النور تدمع عيناي.. تعالي هنا.. تعالي و انظري..

المرأة: (تأتي و تنظر) كلا إن عيناك تريان جيدا و لم تخطئا.. إن إستمر الحال هكذا سوف يتحول إلى طفل رضيع.. ماذا سنفعل آنذاك؟

(نسمع صوت الرعد و هطول الأمطار من جديد.. ينفتح الباب على مصراعيه.. يظهر المثلث المضئ على المسرح .. الضوء و صوت الرعد و هطول الأمطار أقوى من المرات السابقة.. حركة الممثلين كالسابق.. حركة الميت ـ الذي يظهر على صورة طفل ـ تكون أقوى و أسرع من المرات السابقة)

الطفل: نذاك يكون الأمر سهلا.. اخنقوني و قولوا لقد اجهض..

المرأة: (و هي خائفة) اجهض؟ (للرجل) من اجهضته؟

الطفل: قولوا لقد اجهضته الأرض.. قولوا لقد اجهض يوم تمدد على فراشه منتظرا الموت، كل ما بقي له من هذه الدنيا كانت نظرات الناس من ثقب باب مغلق.. قولوها للذين يحبذون حياة الطفولة لكي يعلموا كم هو ثقيل عبء الطفولة و كفاهم تمنيًا.. آه لو علمتم إنه و في هذه الدنيا الصغيرة التي لا تسع لدفن جثة واحدة كم بليونا من الأطفال يجهضون يوميا.. قد تتعجبون لطفل يتكلم بهذه اللغة.. لكن الأطفال كبار.. الأطفال يشبهون الماء.. الطفل و الماء يختلفان بالإسم فقط.. و ليس بالمسمى (صمت قصير) .. آه من قسوة الإنسان.. الذي يتبرأ من دفن جثة إنسان.

(شيئا فشيئا ينسحب إلى غرفته بينما يتلفظ الكلمات الأخيرة.. ينغلق الباب.. يتوقف المطر عن التساقط.. و يزول المثلث المضئ)

الرجل: (يـركض نحـو الهاتف، يرفـع السماعة و يصـرخ) أنـتم مهمِلـون.. لا تقومـون بواجـابتكم.. مـرة.. مرتين.. عشرة مرات.. كم مرة خابرنا.. أنتم كذابون.. تكذبون علينا.. الميت على وشك أن يرجع إلى بطن امه.. (بعد قليل) ماذا؟!! أتعتذرون من دفنه؟ لم؟ لا مجهول هو إسم و لا سجل مـن لا سجل لهـم هـو سـجل؟ حسننا إن لم تدفنوه أنتم فمن الذي سوف يدفنـه؟ لاشـك ان لا بلديـة اخـرى تقبـل بإسـتلام جثته..(يقهقـه ضاحكا) جميل.. جميل.. عمارات مقابر.. حسننا هل علينا أن ننتظر إلى أن يتم بناء هذه العمـارات؟ لا شـك حتى انذاك تطلبون منا إسمه و سجله.. صراع أبدي.. (يضع السماعة) تماما كالصراع بين الحياة و الموت..

المرأة: تكلم..!

الرجل: الأراضي التي تملكها البلدية تكفي فقط لموتاهم.. و بما أن هذا الشخص لايملك إسما و لا سجلا.. فإنه لا يحسب من أهل هذه المدينة.. لذا فإنهم يعتذرون عن دفن جثته.. من ناحية اخرى فإن لهم نية بنـاء عمارات مقابر.. لكن على الرغم من انهم لم يشرعوا ببناء هذه العمارات.. فليس له فرصة الحصول على قبر فيها.. لأن أصحابها قد حددوا من الآن.. (صمت قصير) هنيئا للذين يموتون و هم أصحاب إسم و سجل.

المرأة و الرجل: (ينظر أحدهما إلى الأخر في آن واحد و يسألان) أنت.. ما إسمك؟

المـرأة و الرجـل: (يـرد أحـدهما علـى الأخـر) مجهـول.. سـجل مـن لا سـجل لهـم.. نمـوت و لا مـن أرض تحتضننا.. (صمت قصير)

الرجل: (رويدا رويدا يخطو نحو الباب بحذر و خـوف. ينظـر إلى الـداخل مـن ثقـب البـاب. يضـرب كفيـه ببعضهما و كأنما الأوان قد فات) ها قد لف نفسه و غدا رضيعا في قماط.. عجيب جدا.. بحجم الصعوبة الـتي يكبر بها الإنسان، فإنه يصغر بـنفس الحجـم سـهولة.. بحجـم الصـعوبة الـتي يرقـى بهـا الإنسـان، فإنـه يسـقط بنفس الحجم سهولة.. (فجأة) أقول؟ لم لا نخرجه و نعتني به.

المرأة: نعتني به؟ هل نعتني بمصيبة؟ أنه يصغر بشكل مستمر.

الرجل: لكنه من المحتمل أن يكبر شيئا فشيئا فيما لو أخرجناه من الغرفة.. ها انني اشرع بفتح البـاب و اخرجه .. عسى أن يساعدنا الله لكي نربيه..

(يفتـح الباب، الإضاءة و هطول المطر أشد كثيرا من المرات السابقة، يدخل الرجل إلى داخل الغرفـة، يخـرج برضيع في قماط، الباب يبقى مفتوحا، يتجاوز الرجل و المرأة حدود المثلث المضئ، لكنهمـا إن دخـلا في المثلث جرت رعشة كهربائية في جسمهما و إن خرجا منهـا و الرضـيع معهمـا بـدأ الأخـير بالصـراخ و البكـاء، عنـدما يبكي الرضيع يخاف منه الرجل و يقذف به للمرأة، تخاف منه المـرأة بـدورها و تقذفـه للرجـل، تتكـرر هـذه العمليـة ثـلاث أو أربـع مـرات، يـركض الإثنـان علـى خشـبة المسـرح في كـل الإتجاهـات إلا أن يتعبـان، فـلا همـا يستطيعان التوقف داخل المثلث لأنهما يصابان برعشة كهربائية و لا هما يستطيعان التوقف خارج المثلث لأن

الرضيع يبكي و يصاحب بكائه رعد مرعب و المطر ما زال يهطل بغزارة و بسرعة يدخل الرجل بالرضيع إلى الغرفة مرغما، يخرج و ينغلق الباب.. يتوقف الرعد و المطر و البكاء.)

الرجل: (قد ضاق نَفَسُه) صحيح ما تقولينه.. إنه مصيبة.. لا نستطيع الإعتناء به.

المرأة: هل لاحظت؟ ما أن أرجعته إلى مكانه حتى كفَّ عن البكاء.

الرجل: (يركض الى الباب و ينظر من الثقب.. يرن جرس الهاتف لكن لا أحد يرفع السماعة)

ها قد تحول إلى حفنة من اللحم و يصغر بشكل مستمر.. لأذهب و اخرجه..

(يدخل الغرفة.. تتكرر الحالة السابقة من الرعد و المطر و الضياء لكن بأشد من سابقتها.. ما يتعلق بالرعشة الكهربائية هي نفسها بالنسبة للرجل و المرأة أما بالنسبة إلى قطعة اللحم فنسمع صوت الرعد بدلا من البكاء. قطعة اللحم بيد الرجل يخاف منها و يقذفها للمرأة) خذيها..

المرأة: (تأخذها.. تخاف منها.. تصرخ من الرعب و تقذف بها للرجل) خذها..

الرجل: (يمسك بها و يتفحصها داخل كفيه) أنظري.. كم صغرت!! إنها بحجم جوزة.. خذيها.. (يحولها إلى المرأة)

المرأة: (تمسك بها و تموع قطعة اللحم الصغيرة في يدها) إنتهى.. لقد إنصهر.. تحول إلى سائل مخاطي غليظ

(تمسح كفيها بمنديل ورقي أحمر و تقذف به في سلة المهملات، ينطفئ نور الغرفة، تتوقف هطول المطر، يتوقف رنين جرس الهاتف الذي كان يرن طول الوقت، في الخارج يُسمع صوت الإنفجارات و الإنهيارات و تختلط بصوت عواء الذئاب و أصوات الدببة و نعيق الغربان و صوت البوم و مجموعة من الحيوانات المفترسة. الرجل و المرأة يخافان من هذه الأصوات و يدوران حول نفسها و حول بعضهما.. شيئا فشيئا تعوجّ أطرافهما.. تشتد الأصوات.. فجأة يقعان على الأرض كما ينسكب الماء.. يزحفان نحو الغرفة.. بعد جهد كبير يدخلانها.. فجأة يشع نور متذبذب من داخل الغرفة و يرسل أشعته إلى خشبة المسرح.. الأصوات الخارجية تبدو متقطعة مع تذبذب النور.. تخف الذبذبات و تخف معها الأصوات.. بعدها نرى إضاءة مستمرة و تغيب الأصوات.. يضئ المسرح فنرى المثلث مرة أخرى.. يدخل الرجل و المرأة.. فتضئ جميع زوايا المسرح.. بعدها تضئ صالة المسرح و تسدل الستارة)

*فهمي كاكه يي-السويد
15/10/2004
fahmikakaee@yahoo.se
مراجعة : الدكتور فاضل الجاف.

حوار مع الباحث و المؤرخ الكردي
الدكتور كمال مظهر احمد

الباحث والمؤرخ الكوردي الشهير الدكتور كمال مظهر، استاذ مادة التأريخ في جامعة بغداد. سنحاول في هذا الحوار ان نبحث معا عدة محاور متعلقة بقضايا الشعب الكوردي المصيرية وتأسيس الدولة العراقية الحديثة وإلحاق الجزء الجنوبي من كردستان بهذه الدولة.

اجرى الحوار: ايوب رضا

★اول سؤال سأبدأ به هو اول تقسيم حقيقي و فعلي لكردستان كان بعد حادثة "جالديران" كما هو معروف، كيف كانت اوضاع الشعب الكردي في تلك الاثناء، و كيف كانت حال الامارات الكردية؟

د. كمال مظهر: اود الرجوع قليلاً الى الوراء، كانت حال الشعب الكردي تأريخياً لا تختلف عن حال اعرق شعوب المنطقة، في الواقع ان الكرد هم ضمن اقدم شعوب منطقة الشرق الاوسط، و هذا ليس كلامي بل كلام الباحثين المتخصصين في هذا المجال من امثال البروفيسور الكبير (مينورسكي) و غيره، فكانت للكرد مثل شعوب المنطقة حالهم و حضارتهم و دورهم و دولتهم، حيث يستغرب البعض عندما يعلمون بأن شعوب زاكروس الشعوب الاصلية في جبال زاكروس التي تكون الشعب الكردي مثل الكوتيين و اللولو و السوبارتيين و غيرهم. "الكوتيون" حكموا بابل لمدة ما لا تقل عن مئة سنة و لديهم اكثر من 20 سلالة حاكمة في بابل او مثلاً ان الامبراطورية الاشورية سقطت بيد الميديين الذين يدخلون ضمن الصنف الثاني للشعوب المكونة للشعب الكردي، فالكرد، حتى في ظل الدولة العربية الاسلامية و ضمن الحضارة الاسلامية، كانوا يتمتعون بنفس الظروف التي تمتعت بها الشعوب الاخرى، و الاسلام لم يتدخل في قضاياهم و شؤونهم الداخلية، لذلك كانت لهم دولهم و اماراتهم

قبل معركة "جالديران". هناك كتاب لشرف خان البدليسي "الدول و الامارات الكردية" يتحدث عن هذه الدول و الامارات و معركة "جالدران" او الصراع الصفوي العثماني حيث ترك اثراً سلبياً كبيراً على مصير الشعب الكردي الى أن ظهرت امبراطوريتان قويتان متصارعتان هما الامبراطورية العثمانية منذ القرن الثالث عشر و من ثم الامبراطورية الصفوية منذ بداية القرن السادس عشر و اواخر القرن الخامس عشر، المشكلة ان الصراع اصبح محتدماً بين هاتين الامبراطوريتين و على اساس مذهبي لأن الصفويين هم الذين اختاروا المذهب الشيعي و فرضوه فرضاً على ايران. يعني قبل ذلك ان التوجه السني في ايران كان اقوى من التوجه السني في المناطق الاخرى، اي في اصفهان قلعة من قلاع الشيعة في الوقت الحاضر، في يوم من الايام كانوا يعتبرون "معاوية" في صفوف الانبياء. فعندما اصبح الصراع قائماً على اساس طائفي انعكس ذلك على الشعب الكردي الى درجة كبيرة، مع ذلك حتى بعد معركة "جالدران" سنة 1514 بقيت الدول و الامارات الكردية تتمتع باستقلالها الذاتي دون ان يتدخل السلطان العثماني او الشاه الايراني في الشؤون الداخلية للأمارات الكردية.

حتى الشيخ رضا الطالباني يشير الى هذه الحقيقة، حيث ينشد:

"لەبیرم دێ سلیمانی کە دار الملکی بابان بوو"

أي اتذكر ان مدينة السليمانية كانت ملكاً لامارة بابان

يعني حتى ذلك الوقت في القرن التاسع عشر كانوا يتمتعون بالاستقلالية التامة، التغيير الاساسي يبدأ في اواسط القرن التاسع عشر مع الانـدماج بالاسواق الرأسمالية مع ظهور الدول المركزية و بروز القوى الاستعمارية على صعيد المنطقة، من هنا يبدأ التغيير الجوهري في الموضوع.

⭑اعود الى العهد العثماني هل كانت في هذه الاثناء أي اثناء الحكم العثماني حركات سياسية او عشائرية كردية ناهضت العثمانيين؟

د. كمال مظهر: كل افرازات الأندماج بالأسواق الرأسمالية العالمية كل هذه الافرازات طالت الشعب الكردي ايضاً فتكونت النخبة الكردية، النخبة المثقفة الكردية الموسومة "ايليتا" هذه النخبة التي تفكر بأسلوب جديد حول المشاعر القومية التي تجلو فيها بوضوح منذ القرن التاسع عشر اثناء انتفاضة البدرخانيين ثم دور العائلة البدرخانية عموماً في الحركة القومية الكردية. تصور في 1880 قام الشيخ عبيدالله النهري لأول مرة في تأريخ المنطقة ربما بعد الارمن فقط قبل الشعوب الاخرى التي ضمن الامبراطورية العثمانية، شعار الاستقلال السياسي عن الدولة العثمانية و كذلك عن الدولة الصفوية لأن حركته كانت واسعة و امتدت الى طرفي الامبراطورية و رفع شعار الاستقلال بوضوح. ان الوثائق الدبلوماسية الانكليزية و الروسية تتحدث عن هذا الموضوع، في سياق المقارنة مثلاً ان العرب هذا الشعب العظيم هو شعب كبير و له ارث حضاري مع ذلك ان شعار الاستقلال رفع من قبلهم

لأول مرة في عام 1916 بينما رفعه الشيخ عبيدالله النهري سنة 1880. عندما تقرأ جريدة كردستان 22/ نيسان 1898 تجد ان هذه الجريدة الى درجة كبيرة طافحة بالمشاعر القومية.

★كيف كانت ملامح ثورة الشيخ عبيدالله النهري او كيف اندلعت و كيف انتهت؟

د. كمال مظهر: اولأبالنسبة لملامحها فقد كانت حركة تحررية بكل ماللكلمة من معنى كانت الحركة اتخذت اتجاهاً متسامحاً مع الاقليات المسيحية و هذا شيء مهم فنحن عندما نتحدث عن حدث تأريخي علينا دائماً ان نضعه في اطار الزمان و المكان و بالنسبة لأواخر القرن التاسع عشر ان العاطفة الدينية لم تتغلب فقد اتخذت الحركة اتجاهاً ديمقراطياً كهذا، فذلك شيء ايجابي و يسجل للحركة الكردية و لانتفاضة الشيخ عبيدالله دون ريب.

★في أي زمن من الازمان كان هناك وجود لكيان كردي او دولة كردية لها سلطة و خريطة؟

د. كمال مظهر: سبقتك في ذلك، بداية حديثي قلت انه في الالفية الثانية والالفية الثالثة قبل الميلاد كانت شعوب زاكروس التي تكون اصل الكرد قبل مجيء الميديين لهم دولتهم و دولهم و قلت ان الكوتيين هم حكموا دولة بابل لمدة اكثر من قرن و اكثر من 20 سلالة، اعتقد على ما اتذكر 26 سلالة حاكمة كوتية. الدولة الميدية دولة متحضرة مع الاسف ان الميديين ما كانت لديهم كتابة فلذلك اثارهم قليلة و لكن من الثابت بأنها كانت دولة لها حضارتها و عاصمتها (اكبتانة) أي (همدان) الحالية و ان هذه الدولة بالتحالف مع البابليين في 612 ق.م قضت على الدولة الاشورية بالاضافة الى ذلك قلت ان شرف خان البدليسي له كتاب ضخم كتبه باللغة الفارسية و ترجم الى عدد من اللغات و ترجم الى اللغة الفرنسية و التركية و الروسية و ترجمت مرتين ايضاً الى اللغة العربية مرة طبع بالقاهرة و المرة الثانية طبع بالعراق من قبل المرحوم الروزبياني و الترجمة حصلت على جائزة المجمع العلمي العراقي فهذا الكتاب كتاب واسع يتحدث عن الامارات و الدول الكردية التي كانت تتمتع بقدر غير قليل بالاستقلالية، حالهم حال الشعوب الاخرى.

★قبل مجيء الاسلام من كان يحكم هذه المنطقة، اي منطقة كردستان؟

د. كمال مظهر: قبل مجيء الاسلام، ذكرت بأن اهل المنطقة كانوا يحكمون المنطقة على شكل امارات و على شكل دول الى ان اندحر الميديون في القرن السادس ق.م على يد الساسانيين، حيث بدأ التراجع السياسي في تاريخ الكرد القديم. في ظل الاسلام رجعت الحالة الى ما كانت عليها في السابق يعني مثل الشعوب الاسلامية الاخرى، الخلافة ما كان تتدخل الا اثناء الحرب. ان الامير الكردي يقدم عدداً معيناً من القوات المسلحة و مقداراً معيناً من الاموال لخزينة الدولة و انهم كانوا يتمتعون باستقلاليتهم الكاملة.

★و ماذا عن مرحلة من قبل تسلم العثمانيين السلطة او الخلافة؟

د. كمال مظهر: هذا الذي ذكرته لك يعني بأنه مع سقوط الدولة العربية الاسلامية 1258 على يد هولاكو يبدأ التراجع بالنسبة للجميع، حتى بالنسبة للعرب انفسهم اصحاب الحضارة و اصحاب الدين فالتراجع شمل الجميع و استمرت عملية التراجع حتى اواسط القرن التاسع عشر، من هنا برزت النخبة و كذلك الافكار الجديدة و الاحتكاك بالحضارة الغربية و ما سميته بافرازات الاندماج بأسواق الرأسمالية العالمية.

★متى تنامى الشعور القومي عند الكرد؟

د. كمال مظهر: من يوم الى اخر بدأ هذا الشعور بالتنامي و ليس اعتباطاً بأنه في معاهدة سيفر في 10 اب 1920 بين الحلفاء المنتصرين و بين الدولة العثمانية المندحرة هنالك فصل خاص في هذه المعاهدة يتحدث عن استقلال كردستان في مواد ثلاث (62 و 63 و 64) اذن هناك فصل كامل عنوان الفصل: كردستان، تحديد هوية الكرد، مواطنهم، تأسيس دولتهم و كيفية تأسيس هذه الدولة، مثلاً هنالك شعوب اخرى في المنطقة لا ذكر لها في معاهدة سيفر و الان هي دول فأذن كانت هنالك حالة معينة تتطلب الوجود الكردي في معاهدة دولية على هذا المستوى.

★ما الذي حصل؟ الم يستطع الكرد ان يواكبوا التطور؟ لماذا تنصلت هذه الدول، لماذا تنصلت عصبة الامم؟

د. كمال مظهر: لم يقصر الكرد لم يقصروا ابدا، خاضوا غمار نضال تحرري واسع في جميع اجزاء كردستان و دون استثناء و لكن قدر الكرد كان انه في هذه الاثناء انتصرت ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا، اقول دائماً هذا القول و انا مقتنع به و على اسس علمية و استنباط النتائج. ان ثورة اكتوبر الاشتراكية جلبت الخير لجميع شعوب المنطقة ما عدا الكرد مع الاسف الشديد و هم ما كانوا يريدون ذلك ابداً و لكن السياسة هي مصلحة، الاتحاد السوفيتي اصبحت لديه حدود مشتركة مع ايران لمسافة 2.500 كم حدود مشتركة مع الدولة العثمانية و تركيا فيما بعد لمسافة 700 كم فكان على الاتحاد السوفيتي ان يحسب هذا الحساب، ان الكرد بقوا محصورين في منطقتهم الجبلية ما كانوا بحاجة الى ان يخرجوا من هذه المنطقة الجبلية منّ الله عليهم بكل شيء طبيعة جميلة بما فيه الكفاية من الحاجات الاقتصادية الضرورية فلم يجدوا مخرجاً الى البحر، هذه الاشياء تفاعلت فيما بينها و انعكست سلباً على مصير الكرد فلذلك كان على الغرب و على الاتحاد السوفيتي كقطبين متناقضين ان يحسبوا الحساب لايران و ان يحسبا الحساب لتركيا و الحركة الكمالية اكثر مما يحسب الحساب للشعب الكردي و حتى الشيخ محمود قدر هذا الشيء فبعث برسالة خاصة الى السلطة السوفيتية عن طريق القنصلية السوفيتية في تبريز هذا كان قدر الشعب الكردي.

★كثيرا ما سمع بأن التاريخ يعيد نفسه عبر القرون و في الازمان ماذا تقول بالنسبة لهذا الوضع

الـذي نعـيش فيـه الان هـل هنـاك تشـابه هـل هناك امل؟

د. كمال مظهر: التأريخ فعلاً يعيد نفسه و لكن بشـروط، أي لا يمكـن ان يعيـد نفسـه بصـورة اليـة فمـثلاً لنفـرض عمليـة كيمياويـة او عمليـة تتعلـق بالطبيعة لا يمكن ان تعيد نفسها هكذا بصورة اليـة و لكن بصورة عامة التأريخ يعيد نفسه، نعـم بعض مظـاهر الماضـي الان ايضـاً نحـس بهـا كالخلافـات العشائرية علـى سـبيل المثـال هـذه مـن بقايـا الفكـر الاقطاعي مع ذلك أؤكـد دائمـاً بـأنني لست متشـائماً بل انني متفائل. لأن عجلة التاريخ لا يمكن ان تقـف قد تتعثر الا انها تسير دومـاً الى امـام و بالنسـبة لنـا نفس الشيء، و مبعث تفائلي، هو ان الحالـة انعكسـت بالنسبة لثورة اكتوبر انهيار النظام السوفيتي اعطـى نتائج سلبية بالنسبة للجميع ماعدا الكرد يعني جاء لصالح الكرد، انتهى القطبان، فالآن القوى الغربيـة لا تحسب ذلك الحساب لايران و تركيا كما كانت تحسب الحساب لهذين البلدين اثناء وجود الاتحاد السوفيتي فهذا عامـل مساعد و اصـبح الكـرد فعـلاً رقمـاً علـى الساحة رقماً يحسب له حساب فمـن هـذا المنطلـق انـا متفائل.

★لنعـد مـرة اخـرى الى زمـن الامـارات الكرديـة، برأيك لماذا لم تكن الامارات الكردية على وئام كامل مع بعضها؟ لماذا لم تتحد هذه الامارات مثلما حدث في الامارات العربية المتحدة و مع كل تلك التطورات الـتي حصـلت لـماذا لم يفكـر الكـرد في تلـك الاوقـات بالتوحيد؟

د. كمـال مظهـر: انـك تقـارن بـين حـالتين مختلفتين. اولاً: الامارات الكردية كانت متنـاحرة في العصـر الوسـيط قبـل العصـر الحـديث و هـذه حالـة ثابتة في كـل زمـان و مكـان كـل الامـارات الاقطاعيـة الاوروبيـة كانـت متنـاثرة اكثـر مما كانـت الامـارات الاقطاعيـة الكرديـة، يعـني في اوربـا الامـارات كانـت متنـاثرة، و هـذه هـي طبيعـة النظـام الاقطـاعي و الفكر الاقطاعي و هكذا، فالصراع كان شيئاً طبيعياً.

اما ما حدث في الامارات العربية المتحدة فالعـالم تغـير و الخلـيج اصـبح لـه وزن اخـر لحسـن الحـظ. اليوم ناقشنا رسالة ماجستير عن قطر و عن كيفيـة توحـد هـذه الامـارات، العمليـة صـعبة كانـت جـداً و اسـتغرقت مـدة طويلـة و عـالم اليـوم قـد تغـير الى درجـة كـبيرة فهـذا الشيء ايضـاً يفـرض نفسـه علـى الواقع الكردي دون ادنى ريب.

★هل للبعد الديني او الانتماء الديني وجود او حضور يحسبه الكرد في تعاملهم مع الدول الاجنبية المحتلة؟

د. كمـال مظهـر: تعلـم ان الـدين حالـة حساسـة، الـدين يـؤثر في العقـل البـاطن، اذ هـو كـامن. انـك ترضـع الـدين مـع حليـب امـك فلـذلك لا تسـتغرب بـأنني درسـت في الاتحـاد السـوفيتي و وجـدت في جمهوريات القفقاس بل حتى بين الروس ان عنصـر الدين رغم كل محاولات الدولة العلمانيـة السـوفيتية مـازال قويـاً و مـؤثراً، و رأيـت هـذه الحالـة الغريبـة مـثلاً في بـاكو حيـث شـاهدت اكثـر مـن مـرة عنـدما يشـيعون كبـار المسـؤولين كـان المـلا يتقـدم علـى

المشيعين و يقرأ الياسين او يقرأ القرآن ماكنا نتوقع ان نرى مثل هذه الحالة في الاتحاد السوفيتي فكيف بالنسبة للشعب الكردي و بالنسبة للكل، عنصر الدين عنصر قوي، و لكن عندما يصطدم هذا العنصر بالمشاعر القومية او بالاحرى يستغل الدين للنيل من القيم القومية لأي شعب كان الفعل يكون رد فعل مشروع و باتجاه يتناقض مع من يتبنى مثل هذا الاسلوب من التعامل مع القوميات الصغيرة.

★هناك رأي يقول بأن الكرد التزموا بالدين و حافظوا عليه و اخلصوا له اكثر من بعض الشعوب لربما كان هذا سبباً في عدم حصول اتفاقيات مع الاجنبي.

د. كمال مظهر: فعلاً ان الكرد دخلوا الاسلام مخلصين له الى اقصى درجة و ليس ذلك لأن الكرد يختلفون عن غيرهم لا ابداً، و لكن علينا ان نبحث عن الدوافع الحقيقية التي جعلت من الكرد ان يكونوا مخلصين للأسلام، قلت لك بإنه في ظل الساسانيين كان الكرد اصبحوا في وضع سيء للغاية فعندما جاء الاسلام لم يأخذ منهم شيئاً بل اعطاهم اشياء خلصهم من هذا الحكم الجائر و لم يتدخل في شؤونهم فلذلك اخلصوا للدين الاسلامي الى درجة كبيرة و فعلاً ادوا دوراً متميزاً في الحضارة العربية الاسلامية و العديد من الاعلام في الحضارة العربية الاسلامية هم في الاصل كرد و هذا لم ينعكس سلباً على الواقع الكردي لأن الحالة كانت هكذا يومذاك بالنسبة للكرد و غير الكرد، عندما يدب الانحلال في جسم هذه الدول و عندما نحتك في الحضارة الغربية فالحالة تنعكس، المشاعر القومية تفرض نفسها على الساحة و فرضت نفسها على الساحة و لكن مصالح الدول الغربية احياناً بل غالباً كانت تصطدم مع طموحات الشعب الكردي و الا ان الكرد لم يقصروا في نضالهم ابداً.

★نأتي الان الى الحرب العالمية الاولى، حيث اطاحت دول الحلفاء بدول الوسط و تقوضت الخلافة العثمانية، ما الذي عكسته تلك الحرب داخل كردستان و داخل المجتمع الكردي انذاك؟

د. كمال مظهر: فعلاً الحرب العالمية الاولى تركت اثاراً عميقة على الشعب الكردي و على مصيره وانك تعرف بأنني الفت كتاباً سميته (كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى). الفته في البداية باللغة الكردية ثم ترجمه اخي و زميلي الاستاذ محمد الملا عبدالكريم الى اللغة العربية طبع مرتين حتى الوقت الحاضر و ترجم الى اللغة التركية و الى اللغة الانكليزية و الى عدد من اللغات، تقرأ هذه المآسي التي عاشها الشعب الكردي في سنوات الحرب العالمية الاولى معاهدة سايكس بيكو معاهدة سرية عقدت عملياً بين فرنسا و بريطانيا و روسيا في 1916 فيها تقسيم المنطقة على الدول الكبرى و قد انعكست نتائجها تقسيم المنطقة على الدول الكبرى و قد انعكست نتائجها الى درجة كبيرة و بصورة سلبية على مصير الشعب الكردي و هذا كان يتناقض في مضمونه مع مضمون معاهدة سيفر.

★برزت في تلك الاثناء عدة عشائر كردية قاومت الاحتلال، كيف كانت حال تلك العشائر و ما هي ابرزها؟

د. كمال مظهر: ان العشائر ادت دوراً كبيراً في تلك الحركات و الانتفاضات التحررية و هذا ليس بشيء جديد بمعنى في ظروف الشعوب الاخرى التي تشبه ظروف كردستان، كانت العشائر تؤدي دوراً كبيراً، لأن: اولاً الفلاحون ابناء العشائر يؤلفون الاكثرية و من ثم ليس بالضرورة ان رئيس العشيرة ان يكون مجرداً من المشاعر القومية ابداً فان رؤساء العشائر ايضاً يظهر بينهم من يحملون افكاراً قومية متطورة فهذه العشائر و هذه الحركات كانت تمثل الوجه المشرق للحركة الجماهيرية الكردية. في العراق قاد هذه الانتفاضات بالدرجة الاساس في البداية الشيخ محمود و في ايران سمكو شكاك و في كردستان تركيا الشيخ سعيد بيران و لكن مقابل الشيخ بيران هنالك الدكتور فؤاد مثلاً طبيب معروف و صعد على المشنقة مع الشيخ سعيد بيران جنباً الى جنب معه صعد فوق المشنقة فهذه الحركات تمثل كل الشعب الكردي و الجماهير الكردية مادامت تعبر عن طموحات الشعب الكردي.

★حينما كانت الاحداث عاصفة في كردستان الجنوبية كيف كانت احوال اجزاء كردستان الاخرى؟

د. كمال مظهر: الحركة القومية التحررية في كردستان العراق اتخذت منحاً ثورياً ربما اعمق الى حد ما من الحركات الثورية في الاجزاء الاخرى من كردستان احد الاسباب الاساسية لهذا الشيء هو انك في كردستان العراق تناضل ضد محتل اجنبي فيختلف هذا عن حالة النضال ضد مثلاً السلطة الحاكمة ضد مثلاً السلطة القاجارية او السلطة البهلوية في ايران او ضد الكماليين في تركيا ثانياً انني اطلعت على وثائق سرية كثيرة، ان البريطانيين جلبوا معهم اسباب الحضارة الينا و هذا الشيء لا ينكره حتى كارل ماركس. يقول (كارل ماركس) ان الرأسمالية الغربية من شأنها ان تجر وراءها حتى اكثر الشعوب بربرية اكثر الشعوب تخلفاً، فالوجود البريطاني رغم سلبياته الكبيرة لأن المحتل الاجنبي في كل الاحوال امر مرفوض، مع ذلك ان هنالك بعض الجوانب الايجابية لأن ترتبط بقضية الحضارة الغربية مثلاً على سبيل المثال المحتل البريطاني عندما بدأ يحتل الفاو منذ تشرين الثاني 1914 بدأوا في نفس الوقت يشيدون السكك الحديدة وعند انتهاء الحرب السكك الحديدية مع الجيش البريطاني عندما يتقدم وصلت الى بغداد و من ثم من بغداد وصلت الى كردستان ايضاً و الى كركوك و خانقين. هذه السكك كانت تخدم الاهداف العسكرية البريطانية و لكن في نفس الوقت كانت وسيلة حضارية ساعدت على تفتح اذهان الناس عندما يرون هذه الاشياء، نعم الطائرات الحربية تقصف و لكن في نفس الوقت ان هذه الطائرات تجلب الانتباه الى حضارة الغرب فهذا الجانب مهم.

★استمر الاحتلال البريطاني للعراق و اعلن الانتداب ثم قامت ثورة العشرين كيف بدأت هذه الثورة وما هو مستوى مشاركة الكرد فيها؟

د. كمال مظهر: حركة التحرر في العراق بالنسبة لجميع القوميات و الأقليات بلغ شوطاً بعيداً قبل الاحتلال و بنيت جوانب من هذا الموضوع و في سنوات الاحتلال، طبعاً ان المحتلين تصرفوا تصرفات غير لائقة فأنفجرت الثورة في الفرات الاوسط و كانت ثورة تحررية و عقلانية و اسلوب التعامل مثلاً اشير الى شيء رائع في ثورة العشرين بيانات الثورة، وثائق الثورة كلها متوفرة في هذه المكتبة تستطيع ان تطلع عليها، مثلاً توصيات قادة الثورة للثوار: الرفق و الرحمة بالأسرى وان تتعاملوا معهم معاملة انسانية، هل تعلم كيف كان انعكاس هذا الشيء في مجلس العموم البريطاني و الصحافة البريطانية و كم رفع من قدر العراقيين، اننا اليوم نتعامل بأسلوب و كأننا لسنا من احفاد هؤلاء العظام فالثورة كانت ثورة مشروعة و فعلاً الثورة فرضت على البريطانيين التراجع و الثورة وضعت اللبنة الاولى للاستقلال و حتماً ان هذه الحركة الثورية مثل ثورة العشرين لا يمكن للشعب الكردي ان يبقى بعيداً عن هذه الثورة و الفت كتاباً بعنوان (دور الشعب الكردي في ثورة العشرين العراقية) ان الحركات الكردية لم تكن لها دور كبير مثل جماهير بغداد او جماهير الفرات الاوسط السبب واضح لأن الانكليز وجهوا ضربة قاصمة الى الحركة التحررية عشية ثورة العشرين و في 1919 حزيران قضوا على حركة الشيخ محمود و نفي الشيخ محمود الى الهند فكان هنالك نوع من المد و الجزر في الحركات التحررية الكردية مع ذلك هنالك اشتراك فعلي و خاصة في اربيل و في بعض مناطق كركوك اذ اشتركوا اشتراكاً فعالاً في ثورة العشرين.

★كيف كان تجاوب او حالة الجماهير عندما نفي الشيخ محمود الى الهند؟

د. كمال مظهر: هذا اثار استياء كبيرا الى درجة كبيرة و باعتراف الوثائق البريطانية ان الحركة القومية الكردية في تلك المرحلة اصبحت محتواها الاصلي التركيز على اعادة الشيخ محمود و فعلاً هذا ادى دوراً كبيراً في ارجاع الشيخ محمود من منفاه في الهند و بالمناسبة اريد ان اشير الى بعض القوميين المتطرفين مع الاسف الشديد الذين لا ينظرون الى الامور نظرة علمية موضوعية، الشيخ محمود كان من الد اعداء بريطانيا و ان الشيخ محمود قضى فترة في المنفى تفوق ضعف الفترة التي قضاها اكبر وطني عراقي من امثال (الشيخ جعفر ابو التمن) اذ هو وطني كبير و لكن الشيخ محمود قضى ضعف المدة التي قضاها جعفر ابو التمن في المنفى مع ذلك ان بعض الاوساط وصفوا حركات الشيخ محمود او الشيخ بالعمالة لبريطانيا و هذا خطأ و لا موضوعية الى حد كبير.

★لنرجع الى موضوع العمالة لماذا هذه الاتهامات دائماً؟ لماذا هذه الادعاآت؟ نحن نعيش مع هذا الشعب العربي و بين ايدينا التأريخ العربي و لنا تأريخ و جذور اجتماعية و سياسية

و تاريخية لماذا مازالت هذه الاتهامات قائمة حتى يومنا هذا؟

د. كمال مظهر: هذه وصفة جاهزة من اسهل ما يكون ان تتهم من لا يتفق معك في الرأي بالعمالة و لكن التأريخ لا يتحمل مثل هذه الاحكام و ان الوثائق السرية واضحة و ان قادة الكرد كانوا يناضلون و في اصعب الظروف لأن ما قاساه الشعب الكردي لم يقاسه أي شعب آخر.

★من هم الذين يحضرون هذه الوصفات الجاهزة؟

د. كمال مظهر: القوميون المتطرفون والا فان البسطاء من الشعب العربي لايفعلون، في 1915 اثناء معركة شعيبة في منطقة السماوة الشعار الذي رفعه البسطاء من الناس هو (ثلثي الجنة لهادينا) يقصدون هادي مكوطر احد زعماء الناصرية و (ثلث الجنة لكاك احمد و اكراده) و لكن نرى ان القومي المتطرف المتعصب المنغلق الفكر هكذا يفكر و هكذا يتصور.

★هل كانت هنالك تيارات او حركات و ثورات اخرى غير ثورة الشيخ محمود تزامنت مع ثورته؟

د. كمال مظهر: نعم هنالك حركات كثيرة جداً لم تكن هذه الحركات في مستوى حركات الشيخ محمود و لا تنس ان منطقة السليمانية وارثة للأمارة البابانية، النخبة في السليمانية تكونت بسرعة مثلاً احدى المدارس الرشدية العسكرية الاولى التي فتحت في العراق فتحت في مدينة السليمانية هذه الاشياء ادت الى ان يكون الاستعداد الثوري في هذه المنطقة اكثر من الاستعداد الثوري في المناطق الاخرى و لكن المناطق الاخرى لم تقصر ايضاً مثلاً منطقة برزان، قبل الشيخ محمود بدأت حركاتهم الثورية من قبل الشيخ عبد السلام و قد اعدم من قبل الاتحاديين.

★هل كانت هذه الحركات حركات عفوية تندلع اثر سجن او قتل رئيس عشيرة كردية او كانت مخططاً لها او كانت لها برامج خاصة ضد الاحتلال؟

د. كمال مظهر: حركات عفوية ايضا تعبر عن استياء معين لنفرض مثلاً بأنه القي القبض على الزعيم الفلاني او قتل الشخص الفلاني فحدثت انتفاضة مفاجئة.

★انتفاضة انتقامية، و بالانتقام تنتهي المسألة؟

د. كمال مظهر: لا لا لا... هنالك تراكم كمي للحقد في العقل الباطن و يأتي العامل المساعد للانفجار، فالحركة العفوية ايضاً جزء من الحركة القومية و من الحركة التحررية و الحركات العفوية لدى كل الشعوب، كم من الحركات العفوية التي وقعت و تحولت الى اساس لانتفاضة شعبية عارمة على سبيل المثال العقداء الاربعة، قضية العقداء الاربعة في البداية بعض الاشياء العفوية تحولت الى، او مهدت السبيل الى مثل هذه الحركة او الانتفاضة التحررية في عام 1941.

★هذا الحوار بالأساس هو حوار تلفزيوني اجري معه في قناة كوردسات الفضائية.

وثائق

حكومة كوردستان في السليمانية (1918-1924)

خلاصة الديباجة والتاريخ

تحقيق: صديق صالح

ترجمة: دانا احمد

الفترات الثلاث لحكومة كوردستان

-حكومة الشيخ، المصطلح والامارة:

1-1المصطلح:

تلك الحكومة الكوردية التي اسسها الشيخ محمود الحفيد، بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى، في ثلاث فترات متقطعة، في المصادر التي تناولتها والتي لم ار لزاما لذكر اسمائها، تحت اسماء متعددة كامارة كوردستان او كوردستان الجنوبية، حكومة كوردستان، او كوردستان الجنوبية، دولة كرستان الجنوبية، حكم او ادارة الشيخ، مجلس ادارة كوردستان او ليواء السليمانية.

وكانت الصحافة الكوردية التي هي لسان حال السلطة الكوردية انذاك والكتابات التي تصدر في الدوائر ورسال الشيخ نفسه تسميها بـ(حكومة كوردستان)، واسرد بعض النماذج لصحة اثبات هذا القول:

-القرار الرقم (170) في (8 من جماد الاول 1337هـ -8 من شهر شوباط 1919) لحكومة كوردستان برئاسة الشيخ محمود الى (رئيس علماء العراق الملا عبدالقادر زاده ذي الفضيلة الملا حسين ادام الله فضله العالي)، كتب نصا : (بفضل الله وهمة حضرة رسول الانام والانبياء والاولياء الكرام، تحت حماية الدولة البريطانية العليا، تشكلت حكومة كوردستان الجديدة).[1]

-صحيفة (نداء كوردستان-بانطي كوردستان)[2]:

*العدد 15،10 تشرين الاول 1922، ص1:

صورة قرار حضرة السلطان العدد 19 من صفر الخير 1341-10 من تشرين الاول 1922، الذي كتب في مملكة السليمانية.

الى مؤسسات حكومة كوردستان، تعين هذه الاشخاص الواردة اسماؤهم، في كابينة الحكومة.

*العدد نفسه، ص2:

اللواء صديق القادري باشا المفتش العمومي لحكومة كوردستان.

*العدد نفسه، ص4:

التعيين: كان السيد رسول ناجي افندي مأمورا احتياطا، فعاد الى السليمانية بقرار من حكومة كوردستان..

*العدد 12، 27 من تشرين الاول 1922، ص1:

كتب قرار السلطة الرقم 3 في 24 صفر 1341، مقابل 15 من تشرين الاول 1922، في السليمانية عاصمة حكومة كوردستان كوردستان.

*العدد نفسه، ص2:

كتبت هيكل قرار السيد سلطان كوردستان الرقم 4 في 30 صفر 1341-مقابل 21 تشرين الاول 1922، في مدينة السليمانية عاصمة حكومة كوردستان.

*العدد نفسه، ص6:

الامن الداخلي: ماثل في مركز حكومة كوردستان يعني مدينة السليمانية في ظل همة وعزم اولو الامر..

*العدد 13، 3 من تشرين الثاني 1922، ص3:

الشكر والامتنان: جدير بالشكر والامتنان ان بذل المندوب السامي البريطاني همة من بغداد من اجل اياب الشيخ (حاكم كوردستان-دامت شوكته)، والان هو مشغول بنتظيم حكومة كوردستان وبالحاق المناطق التي تضم كوردستان بالسليمانية.

مسؤول الشرع والعدل: يكون مسؤول الشرع والعدل في الهيئة الرئاسية بكابينة حكومة كوردستان وكالة..

-صحيفة "روذي كوردستان-شمس كوردستان"[3]:

*العدد1، 15 تشرين الثاني 1922، ص2:

اذا تمعنوا بانصاف يمنة ويسرة الى مستقبلهم، فيبين لهم ان تشكيل حكومة كوردستان كان ذات مصالح وخيرات وفيرة للشعب العراقي من كل جهة..

*العدد نفسه، ص:3

1-رفع منصب السيد الشيخ قادر افندي من قائد قوات كوردستان الى رئيس الرؤساء ونائب رئيس حكومة كوردستان بالانتخاب..

*العدد5، 20 كانون الاول 1338، ص3:

السياسة الحالية: الان حكومة كوردستان ذات شأن ومكانة وعلو بين العالم كله، كما اكتسبت لنفسها موقعا في كل بقاع الارض...

*العدد نفسه، ص4:

مفارز الشرطة العسكرية اعزمت الى جمجمال من مركز حكومة كوردستان...

1- كانت السكك كلها نقش عليها اسم حكومة كوردستان، مثال ذلك معاملة دائرة طابو(شكل 15) لدار في محلة كويزه

في شهر تشرين الثاني 1923 وكتب عليها اسم حكومة كوردستان.

2- قائمة رواتب شهر نيسان 1339 لمفرزة المحافظين (الراكبين)-مايس 1923/1339، فقد كتب في هامش صفحتها السابعة: (كما سجل اعلاه، تسلم مبلغ 561 روبية من خزينة حكومة كوردستان لرواتب مفارز المحافظين الراكبين) [(4)].

خطوة تلو اخرى، اضيفت اسماء اعضاء الجيش والرؤساء ونائب الحكومة والمفتش العمومي والقواد العسكرية لكوردستان، لا كوردستان الجنوبية فقط، او شيء اخر[(5)]. مثال اخر هو الكتاب الصادر عن رئاسة داخلية كوردستان بخصوص وضع الملا معروف بن الملا رسول سيري في منصب وكالة الشرع والعدل[(6)].

وقد عرّف الشيخ الحفيد نفسه منذ حكومة كوردستان الاولى الى شهر تشرين الاول في الدورة الثانية للحكومة، بـ(حاكم كوردستان)[(7)]. حتى انه ذو خاتم منقوش عليه (حاكم كوردستان محمود)[(8)]، اما في نهاية الشهر نفسه 1922 سمى نفسه (ملك كوردستان)، حيث عرف بهذا الاسم الى سقوط الحكومة الثالثة وبعدها[(10)].

2/1- الامارة:

رغم ان حكومة كوردستان كانت تعتبر نفسها حكومة جميع الاجزاء او نواة حكومة كوردستان باسرها، وهذا ما يتبين من تسميتها ومن بعض منشورات الشيخ، لكنها لم تضم كوردستان الجنوبية- كوردستان العراق الحالية- فحسب، بل لم تضم ايضا المناطق التي حددت لها، وذلك لاسباب حالت دون تحقيق ذلك الطموح.

1/2/1- الحكومة الاولى:

عندما اتى الميجر نوئيل الى السليمانية للمرة الاولى اعلن جهارا ان الشيخ محمود هو حاكم الاقليم الواقع بين نهر سيروان والزاب الكبير. لكن هذا الاجراء وحسب تصريح وكيل الحاكم السياسي البريطاني في العراق ولسن كان مؤقتا، خاضعا للمراجعة في اي وقت.

كان الاقليم يضم الوية السليمانية وكركوك واربيل بالكامل اي اقضية بشدر، شاربازار، حلبجة، مركز السليمانية، جمجال، كفري، طوز خورماتو، مركز كركوك، مخمور، كويسنجق، رانية، شقلاوة، رواندز، زيبار، مركز اربيل وناحية نيروا ريكاني التابعة لقضاء امدي من لواء الموصل.

هكذا كان حدود الاقليم تتحدد من الشرق والغرب، وكان تتحدد شمالا حتى المناطق السابقة لولاية الموصل بالطبع، اما حدوده الجنوبية فلم تتخط قضاء كفري.

وعلى هذا فان اقضية خانقين ومندلي وبدرة كانت خارجة عن الاقليم. اما اقضية زيبار وناحية نيرواريكان وناحيتي برادوست وميركة سور التابعتين لرواندوز فكانت ضمن الاقليم الذي ذكره القرار، ماعدا ذلك كانت بقية المناطق تؤلف منطقة بهدينان والتي يتحدث سكانها بالكرمانجية الشمالية كانت ضمن منطقة سوران جنوبي كوردستان.

ان التحديد الذي اجراه ويلسن كان عموميا، ولم يتضمن المناطق بشكل دقيق ومحدد، فلا يستبعد انه لم يكن مهتما بذلك الجزء الصغير من بهدينان، واتضح الامر بعد ذلك. كان ذلك التقسيم بين مناطق سوران وبهدينان محاولة اولى لتقسيم وفك مناطق الجنوب عن بعضها البعض بشكل عملي، وعدم النظر اليها كوحدة غير قابلة للتجزئة وذات مصير مشترك، بعد ذلك وعند تاسيس الحكومة الملكية العراقية تم اتباع الطريقة ذاتها وجعلت من التقسيم امرا واقعا ودائما.

انحصرت السلطة الاولى لحكومة كوردستان، وكما يتضح، في مركز السليمانية واقضية رانية وشهر بازار وجمجمال وحلبجة ومناطق قرداغ وسنكاو عموما. تم تعيين حامد بك مجيد بك الجاف قائمقاما في حلبجة وفي رانية تم تعيين الشخ امين سندولاني وهو من اقارب الشيخ قائمقاما، اما في مركز السليمانية فكان السيد عمر عم الشيخ متصرفا، واصبحت العشائر المتنفذة (شيخ بزيني همووند جباري) في قضاء جمجمال ومن ضمنه نواحي سنكاو قةلاسيوكة بازيان اغجلر من اتباع الشيخ.

وفي قلعة دزة اعلن بابكر اغا بشدري نفسه حاكما، اقره الانكليز ومن ثم الشيخ محمود، لكن المنطقة لم تصبح جزءا من حكومته.

كان (هاي) مساعد الحاكم السياسي، وبعد شباط 1919 شغل كابتن بيل حتى ايار 1919 ومن ثم راندل تلك الوظيفة، في ليلة 1918/12/16 دخل الضابط رشيد افندي ومفرزة عسكرية من حكومة كوردستان كويسنجق لتعيين الشيخ عثمان قائمقاما لقضاء كويسنجق وكان (هاي) ينظر اليه كشخص معتمد من الشيخ. في 1918/12/21 تم تعيين حمد اغا الكبير حاكما للمدينة وجميل اغا حويز نائبا له. وتزامن مع ذلك تم الحاق رانية وكويسنجق من الناحية الادارية بكويسنجق. كان قضاء كويسنجق حتى ذلك الحين مرتبطا بلواء السليمانية من قبل الحاكم السياسي.

في اواخر كانون الاول عام 1918 تم تنصيب اول مساعد للحاكم السياسي الانكليزي في رواندز وفي تموز عام 1919 تم تنصيب كابتن كيرك في ذلك المنصب باعتباره الشخص الرابع الذي يشغل ذلك المنصب، اما اربيل فلم تلحق بحكمدارية الشيخ وحتى تشرين الاول من عام 1919 كانت تابعة للواء الموصل وفي 1919/11/1 اصبحت لواءا مستقلا والحقت بها اقضية كويه ورواندز.

لكن الشيخ، وكما يتبين من التقرير السنوي ليجر سون سنة 1919 كان يهدف بان تضم منطقة حكمه من خانقين حتى منقطة شمزينان ومن جبل حمرين حتى الحدود الايرانية. وفي شباط 1919 شهدت حاكمية الشيخ ذروتها حيث ضمت كفري وكركوك وتخطت رواندز.

حسب اقوال نوئيل فان الشيخ كان يتحرك ضمن منطقة نفوذه التي تم اقرارها اي في المنطقة الواقعة بين الزاب الير والحدود الايرانية لكن الحكام الانكليز كانوا قلقين تجاه الطموح الوطني للشيخ بالسيطرة على جميع منطق كوردستان. في مارس

1919 اقيل نوئيل، وشغل سون منصبه حاكما سياسيا بغرض اضعاف سلطة الشيخ وتضيق م ناطق نفوذه.

في البداية تم اخراج كركوك من ذلك التكوين الاداري وجعلها لواء مستقلا وفي حزيران 1919 انتزع منه قضاء كفري، وفي نيسان 1919 اقيل الشيخ امين سندولان الذي كان قائممقاما على رانية ومنذ ذلك الحين تم تشكيل منطقة ادارية جديدة ضمت رانية وقلعة دزة وكان مركزها رانية وتم تعيين الكابتن باركر حاكما سياسيا مساعدا. وبناء على طلب اغاوات الجاف تم تعيين الكابيت ليز حاكما سياسيا مساعدا لادارة منطقة حلبجة.

كانت سلطة الشيخ، وحسب قول سون، انحصرت بالنتيجة في مساحة بلغت (6500-7000) كيلومتر مربع بين سلسلة من الجبال وسهول واقعة بين بازيان وشهرزوور ومناطق من رانية وقلعة دزة، اي من جبال قرداغ حتى منطقة اكو.

2/2/1- الحكومة الثانية:

بعد اسره، اقتيد الشيخ الى بغداد، وابلغ، كما يشير ادمونز، بحصر نشاطه السياسي في لواء السليمانية فقط، وفي الوقت ذاته استخدم لصد مخاوف الاتراك، مقابل ذلك ينفذ له جميع مطالبه التي ايدها الكورد في الالوية الثلاث[22]، لكن الشيخ وعد من قبل الانكليز ، وكما ابلغ الاوزدمير بعدها، اذا طلب من الاتراك باخلاء رواندز او اخلوها رغبة منهم، حينذاك يلحقون كركوك واربيل وصولا الى اكرى وجميع المناطق التي يقطنها الكورد بكوردستان[33]، وقد اعلنت رئاسة الامنية العمومية في بيان ان التشكيلات الرئاسية الانية وقتية وقد وعد المندوب السامي بالحاق الوية واقضية كوردستان بهذه الحكومة، وقتذاك تعلن الشكيلات الثابتة للسليمانية وكركوك واربيل وزاخو واكرى واميدي ودهوك وكفري وخانقين والمناطق الاخرى لكوردستان[34].

عندما عاد الشيخ من كفري الى السليمانية، وقع عدد من وجهاء الكورد مضبطة كحجة وذلك طلبا لتأسيس دولة كوردية برئاسته[35]، وحين اسس (حكومة كوردستان) نقّل ادارة الحكومة الى الاقضية والنواحي، وقد رفرفت راية كوردستان شهر كانون الاول عام 1923 في حلبجة، وكذلك في وسط الشهر نفسها في رانية[38].

وقد اخلت القوات الموجودة في رواندز في كانون الاول عام 1923 منطقة رانية، وعادوا بطريق بيتواتة الى رواندز[39]، لذا عين عبدالله الحاج سعيد قائممقاما هناك[40]، وكذلك عين مصطفى بك بن عبدالله باشا الجاف المدير العام لناحية بينجوين[41]، وفي حلبجة كان احمد مختار الجاف قائممقاما انذاك[43]، وكان زمام قضاءي روزاندز ورانية بيد قوات رواندز، وكان قضاء كويسنجق لم يمت بصلة الى هذه الحكومة، وكان حويز اغا قائممقاما له[42].

رغم ان حكومتي بريطانيا والعراق اعلنتا في بيان مشترك لهما يوم 21 من كانون الاول عام 1922 بانهما تقبلان بمثولة حكومة كوردية اقليمية في اطار العراق[44]، الا انهما لم تخطوا اية

خطوة فعلية لتأسيس وترسيخ دعائم تلك الحكومة.

عليه ورغم حرص الشيخ لتوسيع حجم حكومته الى مناطق كركوك، الا ان سلطته لم تجاوز حدود مناطق السليمانية وسنكاو وقرداغ واقضية حلبجة وجمجمال ورانية.

3-2/1-الحكومة الثالثة:

هذه الحكومة اقل مساحة من مثيلتيها، حيث اخلت منها عديد من الاقضية والنواحي ولم يدع تتوسع كما تريد، عندما بدأ الشيخ بتشكيلات حكومته الجديدة وذلك في تموز عام 1923 ، شرع الانكليز في رسم خطة لفصل اقضية رانية وقلعة دزة وجمجمال وحلبجة وقرداغ وسنكاو وناحية ماوت وقرى تابعة لسركلو، من حكومته، وفعلا فعلوا ما ارادوا[45].

ولكن الشيخ بذل جهيدا لكي لا يخضع لهذا القرار، فقد اعلن في 1923/8/15 تعيين توفيق جلال مديرا لناحية وارماوا، وكذلك عين حسن بك ابن علي بك ابن عثمان باشا رئيسا لعشيرة الجاف[46]. حتى ان نائبه الشيخ محمد غريب، ولج حلبجة لليوم التالي بغرض تأسيس ادارة الحكومة فيها، وقد آب. لكن انكليز الحق وارما بناحية كفري[47]، وقد ارسل موفده في مارس 1924 الى حلبجة ولكنه لم يكن موفقا، لأن الشيخ سيطر على وارماوا وخورمال. وهكذا، فإن قضاء حلبجة وسنكاو طوال هذه الفترة كانا مذبذبين، اي لم يكونا تحت سيطرة اي من الشيخ والحكومة.

ما هو معلوم، ان عبدالرحمن اغا ابن احمد باشا منذ بداية هذه الحكومة كان قائممقائما لمنطقة شارباذير حتى ايلول 1923، وكان السيد محمد ابن الشيخ مصطفى المفتي حاكما لناحية بينجوين[49]، وكانت سلطة هذه الحكومة لم تجاوز مركز السليمانية وقرداغ وقضاء شارباذير حتى ان ناحية ماوت لم تكن في دائرتها.

-ديباجتها وتأريخها:

1/2-الحكومة الاولى لكوردستان (1919/6/18-1919/11/17):

1/1/2-الفضاء السلطوي لما بعد الحرب:

بعدما سيطرت قوات الانكليز يوم 1918/5/7 على مدينة كركوك، آبت القوات العثمانية من المدينة نفسها. فقد تبلورت مجموعة من الوجهاء الكورد وقرروا ان تؤسسوا حكومة كوردية مؤقتة منتمية لبريطانيا برئاسة الشيخ محمود الحفيد. وقد بعث الشيخ باسم هذه الحكومة، رسالتين الى حكام الانكليز: اولاهما بواسطة محسن اغا (من اهالي كفري)، الى (ولسن) وكيل حاكم عام بغداد، وثانيتهما بواسطة عبدالله الساقي اليعقوبي الى الجنرال ماشالي قائد قوات الانكليز في كركوك. فقد عرَف الشيخ نفسه في هاتين الرسالتين كممثل لكرستان الجنوبية وكذلك كوردستان الشرقية الى ان يصل الى مدينة (سنة)، وطلب منهم اما ان يسلموه المنطقة باكملها، واما ان يحكمه نفسه كممثل لهم، حيث كتب: (ان جماهير كوردستان مجذلون بانتصار الانكليز، لأنهم وبواسطة قوات الانكليز تحرروا من

بطش وجور الاتراك، آملين ان يدعهم كي يتطوروا ويزدهروا في ظل سلطة الانكليز). واقرّ في حديثه على ان يمنع، في كل الظروف، إياب القوات التركية الى كوردستان. وبالمقابل بعث وجهاء عشيرة هماوند رسائل ترحيبية الى هؤلاء الحكام، ونبهوهم بانهم مسرورون بمجيئهم، ومستعدون لمؤازرة قواتهم بالبهائم والبرّ[50].

ولكن بضغط من القوات التركية وكذلك بعض اسباب عسكرية اخرى، فقد اخلت تلك القوات يوم 5/24 مدينة كركوك[51]، فعاد الاتراك الى السليمانية. بلغ السيد عبدالله صافي رسالة الشيخ الى حكام الاتراك، لذلك وكما أبلغ مصطفى بك القائممقام العسكري لفوج قوات الاتراك في السليمانية، اعتقل الشيخ خدعةً ونقله الى كركوك. وقد قرر بخنقه على فعلته هذه. لكن علي احسان باشا القائد الجديد للفيلق السادس دعاه الى الموصل، كانت ظروف الاتراك غير آمنة، ولم يكن باستطاعة الشيخ ان ينقذهم عند حل النكبات، فقد عفاه وجعله قائدا لجيش شعبي ومنحه 500 ليرة ذهبية، واعاده الى السليمانية لتنظيم قوات العشائر ويتسلم التعداد من المعسكر الموجود في السليمانية[52].

استطاعت قوات الانكليز ان تسيطر على مدينة كركوك يوم 1918/10/25[53]. وفي 31 من الشهر نفسه وقع على وقفة اطلاق النار، وانتهت الحرب العالمية. وقد ابلغ علي احسان باشا السيد علي رضا بك متصرف لواء السليمانية، ان يسلم ادارة مدينة السليمانية للشيخ محمود ولقبه الـ(النقيب)، وبقي فوج العسكري التركي بقيادة صالح بك تابور آغاسي[54]. وبعد احتلال مدينة الموصل في 1918/11/10، وقعت كوردستان الجنوبية فعلا تحت سيطرة قوات الانكليز[55].

وقد اعلنت كل من بريطانيا وفرنسا في بيان يوم 1918/11/8، "ان هدف خوض بريطانيا وفرنسا حربا في الشرق انما يتبلور في تحرير الشعوب المضطهدة تحت جور الاتراك، وخلق كيان مستقل لها، بحيث ينبع من الرغبة الحرة لتلك الشعوب"[56].

وقد انتهز الشيخ هذه الفرصة مرة اخرى، اذ بعث برسالة عن طريق ممثليه كل من عزالدين توبجي وفائق الطابو، الى حكام الانكليز في كفري، مؤكدا على رأيه السابق، وطلب فيها ان لا يوردوا اسم الكورد في عداد الشعوب التحررية[57].

بعدها زار نوئيل الذي هو حاكم سياسي للواء كركوك يشمل المنطقة الواقعة بين الزاب الكبير ونهر سيروان، وبصحبة ممثلي الشيخ، قرية (داريكةلي) عن طريق كفري، واستقبلوا من قبل عدد من وجهاء المنطقة[58]، وقد وصل الى السليمانية يوم 1918/11/16 بارشاد وكيل الحاكم العام، كما اشار الى ذلك في برقية له في اليوم نفسه الى مدينة بغداد قائلا: "استقبل كما ملك، وقد وقف ممثلو القرى اجلالا على طول الطريق، وكانوا جذلين بقدومه". كما كتب هذه البرقية: "انا لا ارى اي عائق تجاه تأسيس دولة كوردية تحت مظلتنا وباشراف ضباطنا السياسيين، بشرط ان يعد

لهـا ارضـية سـريعة، فـان الحركـة كانـت قويـة في السليمانية على الاقـل". وقـد اوصـى نوئيـل بخلـق حركـة مـن مثيلتهـا في منـاطق جنـوب الموصـل الـتي يسكنها الكورد[59].

الهوامش

1-اخذت تلك القرارات عند السيد شهاب رمزي الملا معروف، مع الامتنان.

2-جمال خزندار – (بانكى كوردستان) نداء كردستان، بغداد – 1974.

3-جمال خزندار، (روزى كوردستان) شمس كردستان، 1922-1943، بغداد، 1973.

4-صديق صالح، (مفرزة الخيالة المحافظة – مايسي 1923) في وثيقة لمجلة (هزار ميرد) السليمانية، العدد 18، كانون الاول 2001، ص 50-73.

5-(روزى كوردستان) (شمس كردستان)، ص 15، 28، 63.

6-صديق صالح، وثيقة لحكومة كوردستان الجنوبية للفترة الثانية، "هزار ميَرد"، العدد 6، كانون الاول، 1998، ص 120-125.

7-(بانكى كوردستان) نداء كردستان، ص 91-92، 104، 108، 109، (روزي كوردستان) شمس كردستان، ص 14. من الوثائق المائلة لهذه الفترة المتأخرة، (نسخة قرار المعالي حضرة حاكم كوردستان العدد 304 صفر 1314، 21 تشرين الاول 1922) التي نشرت في صحيفة (نداء كردستان) ص 104.

8-انظر صورته في: عبد الرقيب يوسف، من التراث الوثائقي الكوردي، مجلة (الثقافة الجديدة) بغداد، العدد 110، حوزيران 1986، ص 48-77، نفس القرار الرقم (170) (8 جماد الاول 1337) لحاكم كوردستان.

9-الوثيقة المائلة هي (اعلان رسمي) الذي كتبه الملك محمود يوم 1922/10/29 "شمس كوردستان"، ص111.

*كذلك انظر شمس كردستان، ص 28، 41، 48، 60، 63، صحيفة (اميد استقلال – امل الاستقلال)، العدد 1، 20 ايلول 339، ص 3، و العدد 2، 27 ايلول 339، ص 1، و العدد 4، 11 تشرين الاول 339، ص 4، مستقى من: رفيق صالح، ثلاث صحف ايام الشيخ الحفيد، بحثها د. كما فؤاد و صديق صالح، السليمانية، 2001"

10-احمد خواجة، ماذا ساهدت، ج 2، السليمانية 1969، ص 111، 129، 136، 146.

11-ارنلدتي ويلسون، بلاد ما بين النهرين بين ولاءين، ترجمة فؤاد جميل، ط 1، ج 3، بغداد 1992، ص 14-15.

12-سي. جي. ادمنز، الكرد و الترك و العرب، ترجمة، جرجيس فتح الله، بغداد 1971، ص 97.

13-بلاد ما بين النهرين بين ولاءين، ج 3، ص 37، م.ر.هاوار، الشيخ محمود البطل و دولة كردستان الجنوبية، ج 1، لندن، 1990، ص 470.

14-رفيق حلمي السيرة الذاتية، ج 2، الجزء الاول، الفصل الاول، اربيل، 1988، ص 95-100، دبليو. ار. هي. سنتان في كوردستان، ترجمة فؤاد جميل، ج1، بغداد 1973، ص 173، 177.

15-السيرة الذاتية، الفصل 1، ص 62.

16-الكرد و الترك و العرب، ص 41، 42، 43.

17-سنتان في كوردستان، ج 1، ص 173، 177.

18-المصدر نفسه، ص 226.

19-المصدر نفسه، ص 167.

20-المصدر نفسه، ص 171.

21-المصدر نفسه، ص 173، 219.

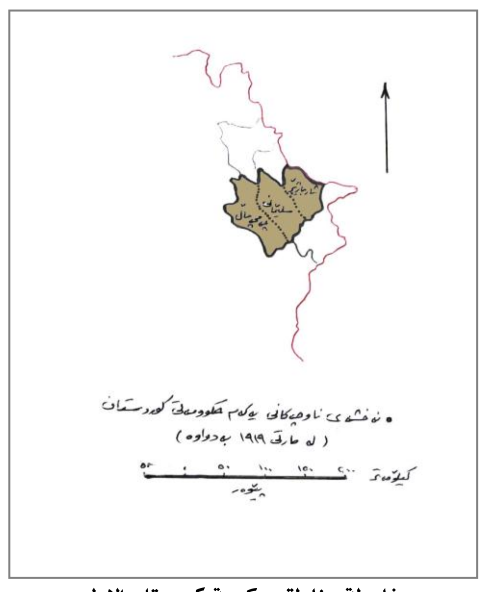
22-سنتان في كردستان، ج1، ص 235-.236
23-المصدر نفسه، ص 219، .223
24-م.ر. هاوار، المصدر نفسه، الفصل 1، ص 446، 448، .450
25-المصدر نفسه، ص 459، 461، .463
26-الكرد و الترك و العرب، ص .33
27-م.ر. هاوار. المصدر السابق، الفصل 1، ص 450، .463
28-السيرة الذاتية، الفصل الاول، ب2، ص .105
29-سنتان في كوردستان، ج1، ص .226
30-م. ر. هاوار. المصدر نفسه، ب1، ص 444، بلاد ما بين النهرين بين ولاءين، ج 3، ص .24
31-م.ر. هاوار، المصدر نفسه، ب1، ص .450
32-الكرد و الترك و العرب، ص 272، .274
33-السيرة الذاتية، ج، الفصل الثاني/ ب6، اربيل، 1988، ص .71
34-نداء كوردستان، ص 110-.111
35-الكرد و الترك و العرب، ص .372
36-نداء كردستان، ص 114، شمس كوردستان، ص .31
37-شمس كوردستان، ص .36
38-المصدر نفسه، ص 44، الكرد و الترك و العرب، ص 283، د. وليد حمدي، الكرد و كردستان في الوثائق البريطانية، لندن، 1991، ص .161
39-الكردو الترك و العرب، ص .279
40-جلال تقي، مذكرات احمد تقي حول ثورات الشيخ محمود و سمكو، ج2 السليمانية، 1998، ص .67
41-نداء كوردستان، ص .104
42-شمس كوردستان، ص .71
43-الكرد و الترك و العرب، ص .279
44-المصدر نفسه، ص .281
45-د. وليد حمدي، الكرد و كوردستان في الوثائق البريطانية، ص .176
46-المصدر نفسه، ص 178-.179
47-الكرد و الترك و العرب، ص .313
48-اميد استقلال، العدد 2، 27 ايلول، 339، و الصفحة الثانية من ثلاث صحف ايام الشيخ الحفيد.
49-اثبت هذا الاسم في سجل الوردات الثاني للبلدية السليمانية في الفترة الثالثة لحكومة كوردستان.
50-احمد خواجة، ماذا شاهدت، ب1، بغداد، 1968، ص 18، رفيق حلمي، السيرة الذاتية، الجزء الاول ب1، ص 54، وليد حمدي، الكرد و كردستان في الوثائق البريطانية ص 44-45، س ارنلدتي و مليسون، بلاد ما بين النهرين بين ولاءين، ترجمة فؤاد جميل، ط 1، ج 2، بغداد، 1992، ص 177، 319، 320، المص بيل، فصول من تأريخ العراق القريب. نقطة الى العربية و كتب حواسية جعفر الخياط، ط 2، بغداد، 1971، ص .152
51-س ارنلدتي. ويلسون، المصدر نفسه، ص 178، المس بيل، المصدر نفسه، ص 152، دافيد كورف- رجلان اقحما الاكراد بالعراق: مناورات كوكس – ويلسون/1، ترجمة: د. حميد عبد الملك، "الاتحاد" (جريدة)، السليمانية، العدد 323، 18/6/.1999
52-ماذا شاهدت، ب1، ص 19، المذكرات/ ب 1، ص 53، .54
53-وليد حمدي، المصدر نفسه، ص 46، المس بيل، المصدر نفسه، ص .152
54-المذكرات، ب 1، ص 56-.57
55-وليد حمدي، المصدر نفسه، ص 46، المس بيل، المصدر نفسه، ص .153
56-دافيد كورف، المصدر نفسه/ 2، "الاتحاد"، العدد 324، 25/6/.1999

57-المذكرات، ب 1، ص 57؛ المس بيل، المصدر نفسه، ص 187.

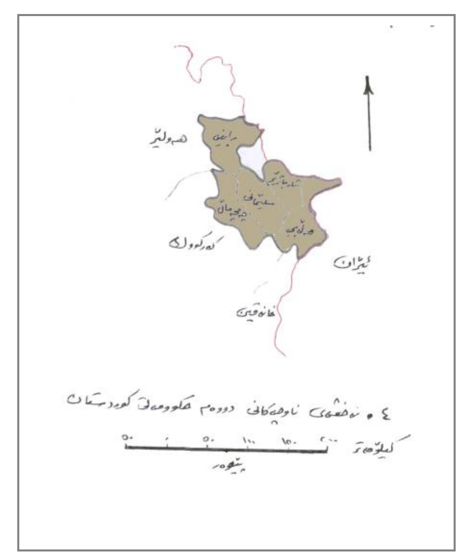
58-المذكرات، ب1، ص 57-58، الدكتور احمد عثمان ابو بكر، كردستان في عهد السلام، القسم الثامن عشر، "الثقافة" (مجلة)، بغداد، العددان 10-11، تشرين الاول – تشرين الثاني 1918، ص 70-78.



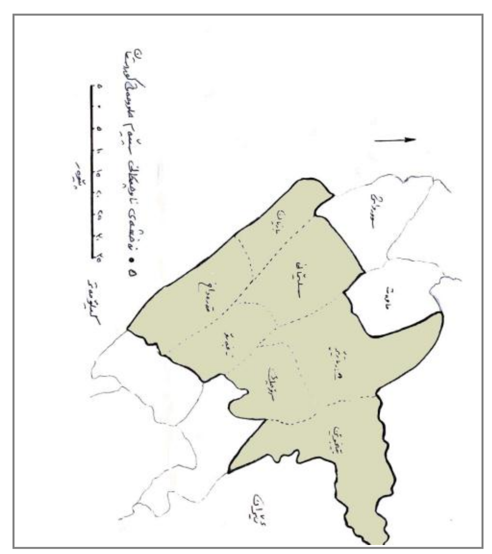
الخريطة التي حددها ويلسن لحكومة الشيخ محمود



خارطة مناطق حكومة كردستان الاولى



خارطة مناطق حكومة كردستان الثانية



خارطة مناطق حكومة كردستان الثالثة

شخصيات كردية



الجنرال شريف باشا

1865 ـ 1951

في فترة تسنمه منصبَ سفير الدولة العثمانية، لدى السويد 1898 ـ 1908، كان "شريف باشا" محطَ اهتمام الصحافة السويدية، سواء بمتابعة أخباره، ونشاطاته، أو باجراء المقابلات معه. فقد كان الرجل واحداً من تلك الكوكبة، المحدودة، ذات الشهرة، ضمن أوساط السلك الدبلوماسي في ستوكهولم، بما عُرف عنه من أناقة، ومن شخصية جذّابة، بشواربه الكثة، وطربوشه القاني اللون، وزيّه المرصّع بالنياشين والأوسمة.

شريف باشا، المولود في الأستانة، عام 1865، هو سليل رجالات الأسرة البابانية الشهيرة، الذين حكموا جنوب كردستان، انطلاقاً من مدينة السليمانية/عاصمتهم. كان والده سعيد باشا 1834 ـ 1907 من كبار شخصيات الدولة العلّية، حيث تقلّد مناصبَ رفيعة، تارة كوزير للخارجية، وأخرى كمستشار للسلطان عبدالحميد الثاني.

دَرَس شريف باشا، في مدرسة "غلطة سراي" المخصصة لأولاد الذوات، ثم تابع تحصيله العلمي والعسكري في أكاديمية "سان سير" الفرنسية، وعلى إثر انهائه للدراسة العليا، يعود شريف باشا إلى مسقط رأسه، فلم يلبث السلطان أن يعهدَ إليه بوظيفة استشارية في البلاط. ثم صدر الأمر باعادته إلى فرنسا، كملحق عسكري في سفارة بلاده. انتقل شريف باشا بعدئذ إلى بروكسل للعمل في السفارة العثمانية هناك، قبل أن يحلَّ في العاصمة السويدية، كسفير للدولة العثمانية لمدة عشر سنوات متتالية.

ما عتم سفيرنا الكردي، أن أفصح عن شخصيته الراديكالية، المعادية للاستبداد، فما كان أحد يجهل آنذاك حال السلطنة العثمانية في ظل سلطة عبدالحميد المطلقة، وأجهزته السرية المخيفة، وفي المقابل ماكان بوسع

المعارضة مواصلة نشاطاتها ضمن أسوار الإمبراطورية، بسبب جو الارهاب الحميدي؛ مما أجبر رموزها على الالتجاء إلى أوربا، وتأسيس الجمعيات والصحف المناوئة للدولة، وكانت من أبرز تلك التنظيمات، جمعية "الاتحاد والترقي"، التي تأسست في الأستانة عام 1889، ثم نقلت فعالياتها إلى العواصم الغربية، خاصة لندن وبرلين وباريس، وفي هذه الأخيرة، كانت للجمعية جرائدها ومجلاتها التي لاتلبث نسخ منها أن تتسللَ إلى أراضي السلطنة، فتوزع سراً. لقد دأبت الصحافة الفرنسية على اطلاق تسمية "جون ترك/الشبيبة التركية" على نشطاء هذه الجمعية، بالرغم من أن الكثير منهم، كانوا ينتمون إلى قوميات أخرى، غير التركية، مثل الكرديين "عبدالله جودت" و"إسحق سكوتي".

هكذا انخرط شريف باشا، خلال تواجده الرسمي في ستوكهولم، في النشاط المعادي للسلطان، مؤيداً الجمعية الاتحادية، وقد بعثت هذه بأحد أعضائها، المدعو "أحمد رضا"، في مهمة سرية، تهدف إلى تنسيق التعاون مع شريف باشا، حتى إذا كشف جواسيس السلطان أمر تلك الاتصالات السرية، فأوعزت الأستانة إلى الحكومة السويدية، باعتبار سفيرها لديها شخصاً غير مرغوب به، مما أجبره على ترك منصبه، والمغادرة إلى باريس.

حدث ذلك في نفس العام 1908، الذي شهد فيه حركة عسكرية بقيادة حزب تركيا الفتاة "الاتحاديين"، فأجبرت السلطان على إقرار الدستور، مع وصول أقطاب هذا الحزب إلى الوزارة، وتحكمهم بمجلس "المبعوثان" التمثيلي، لكن سرعان ماكشف هؤلاء عن وجههم الحقيقي العنصري، بتخليهم عن وعود الحرية والمساواة والإخاء لكافة الشعوب العثمانية. لاغرو، إذاً، أن يعود رجلٌ حرٌ من طراز شريف باشا إلى المعارضة، رافضاً التعاون مع هؤلاء المتسلطين الجدد، وأن يؤثر العيش في المنفى، حتى أواخر عمره المديد.

مع بقاء شريف باشا في أوربا، واصل النضال ضد حكومة بلاده، جنباً إلى جنب مع كافة القوى الديمقراطية، ثم مالبث أن أسهمَ في تأسيس الحزب الراديكالي العثماني، جاعلاً من صحيفته "المشروطية"، صوتاً عالياً، يفضح سياسة الاتحاديين القمعية الشوفينية. وإزاء الخطر الذي شكّله شخصُ شريف باشا على حكّام الأستانة الجدد، فانهم لم يتورعوا في عام 1914 عن الايعاز لمجموعة من القَتَلة المحترفين بالتخلص منه؛ جرت محاولة الاغتيال في منزل شريف باشا الباريسي، حيث قادها شخصياً قائد شرطة العاصمة العثمانية، وفي فشل تلك المحاولة، افتضحت على النطاق الدولي، لاأخلاقية السياسة الاتحادية المعتمدة على الارهاب والقمع. هذا الأمر زاد في حنق الأستانة على عدوّها الكردي، فأصدرت بحقه غيابياً حكمين متتاليين بالإعدام، مضيفة حكماً آخر جائراً، وذلك بالنفي لمدة خمس سنوات على شريكة حياته الأميرة "أمينة"، وهي حفيدة محمد علي باشا، مؤسس السلالة الملكية المصرية، كذلك أوعزت السلطة إلى وسائل الإعلام بشنّ حملة عاتية خلل الصحف، تستهدف تشويه سمعة شريف باشا، خاصة مايتعلق بموقفه من القضية الأرمنية. فقد عرى من على منبر جريدته خطط إبادة الجنس الأرمني التي ينفذها الأتراك، تحت جنح ظلام الحرب العظمى، بحق هذا الشعب الجار العريق.

مع الانهيار المتواتر للإمبراطورية العثمانية، اثر انتهاء الحرب، صار ممكناً الاستهلال في المناقشات الجدية حول مصير أملاكها الأوربية والآسيوية على حد سواء. هكذا بدأت مباحثات باريس الدولية، التي شهدت الحضور القوي للجنرال شريف باشا، كممثل لشعبه الكردي، وحائز على دعم حركتها الأبرز آنذاك "جمعية إحياء كردستان"، كما أنه ظهر في تلك المباحثات، كمدافع مستميت عن الحقوق المشروعة للشعب الكردي في تقرير مصيره بنفسه، وفي المفاوضات اللاحقة، الجارية في "سيفر" الفرنسية، صاغ الممثل الكردي الشرعي المطالبَ الكردية في بنود محددة، مرفقاً إياها بخريطة لكردستان العثمانية، مع مستندات تاريخية وجغرافية. كذلك خاض شريف باشا مجادلات عديدة مع ممثلي الدولة التركية على صفحات الجرائد الفرنسية، فضلاً عن اسهامه فيها بالمقالات واللقاءات، وتوجيه الرسائل إلى بعض المقامات الأوربية المتنفذة.

لقد تكللت جهود الممثل الكردي بالنجاح، فكانت الثمرة: "معاهدة سيفر" التاريخية، في 10 آب 1920، التي اعترفت بالحقوق القومية للكرد، وهي المرة الأولى التي تثبَت فيها وثيقة دولية المطالب الكردية المشروعة. لقد منحت بنود المعاهدة، المرقمة 64،63،62 لهذا الشعب حقه في تأسيس كيان قومي مستقل عن الدولة التركية الحديثة، مشترطة استفتاءً للسكان بهذا الشأن. وكان من الطبيعي أن ترفضَ تركيا الكمالية هذه المعاهدة، وأن تجندَ وسائلها الإعلامية، في حملة هستيرية على الجنرال شريف باشا، متهمة إياه بالخيانة الوطنية. وفي هذا الخصوص، أغرقت السفارات والممثليات الأوربية في استانبول، بسيل من البرقيات المفبركة من قبل الحكومة، على أساس أنها مرسلة من الوجاهات الكردية ـ التركية، مستنكرة ذلك التفاهمَ الكردي ـ الأرمني، الرائع، والذي تجلّى في اتفاق "سيفر".

على أن تغيّر موازين القوى في المنطقة لغير صالح الشعب الكردي، جعل الدول الحليفة، تتخلى عن الكرد، وتدعهم لمصيرهم المجهول القاتم، وبالتالي، تمَ وأد تلك المعاهدة التاريخية في رمال المصالح الدولية، ولاننسى أيضاً الخلافات الكردية الأزلية، بين مختلف الأجنحة والوجاهات السياسية والعائلية، والتي جعلت موقف مندوبهم الدولي حرجاً أثناء المفاوضات، ومابعدها.

هكذا، انسحب جنرالنا الكردي إلى دياجير وحدته، بعد رحلة مثيرة في دروب الحياة المغامرة. لنراه بعدئذ متنقلاً بين روما، وموناكو، وفي هذه الأخيرة، تزوّج للمرة الثانية من امرأة فرنسية.

وفي ليلة باردة، من ليالي كانون الأول 1951، أغمض الجنرال شريف باشا عينيه أبداً، تحت سماءٍ إيطاليةٍ، ثم نُقل جثمانه إلى القاهرة، ليُدفنَ، حسب وصيته، في مقبرة "الروضة"، بجانب زوجته الأولى، الأميرة "أمينة".

الترجمة عن السويدية: كاميران حرسان

عن كتاب: العلاقات السويدية ـ الكردية، خلال ألف عام، روهات آلاكوم، الطبعة السويدية، ستوكهولم.

SVENSKA - KURDISKA KONTAKTER UNDER TUSEN ÅR.2000

محطات ثقافية

صعوداً الى حاج عمران..

نعيم عبد مهلهل

"اوصدوا علينا السماء،
واغلقوا علينا الارض
واجلبوا القمر
على رأس الرمح
عند ذاك ازف حفل
ولادتنا الاخرى!"
شيركو بيكه‌س

(لست اقل من حزنك حبيبي
من سيسند نزيفك
اذا ملت عن فرسك الكميت
في امان الله ايها المغادرون
تقول "ياشار خانم" للراحلين
عن تشظي "اغري"
الى صباح هولير
و هي تعد القرابين
عيد سيتفجر
و انا طوال السواد
الوك شفتي و اتفجر..) —
الشاعرة الكردية خلات احمد

"الى الشاعر بدل رفو.. مرة اخرى.. و الى المعلم ايليا ابن شقلاوة.. مسؤول القلم في وحدتي العسكرية.. و الى من ماتوا بطعنة الحب النجلاء فوق قمم كوردستان من عرب و كرد.. و خاتمة الحب و الاهداء تصل الى السيد مسعود البرزاني و الشاعر العذب شيركو بيكس"

الشمال.. مفردة لا تبارح ذاكرة الجنوب، و كأن جدلية الوجود قائمة على مشادة بين شمال و جنوب.

فوكنر صاحب الرواية المهمة "الصخب و العنف" يقول: للشمال حظوة عند ولاة الارض، اما الجنوب، فله الحلم و ابواق النفير. انك حين تحصي بلاد الله، و في ذلك ظاهرة عجيبة ترى: ان الاستلاب اكثره جنوبي المكان، و سخونة الحدث جنوبية دائماً. مع الاشارة الى قول لأحد اساتذة الجامعات الامريكية نسيت اسمه يقول: حين ترى جنوباً يرتعد من غضب او حزن ما.. فتش عن اصابع الشمال.

و الجنوب في الأرض يكاد يكون واحداً في مثل هذه التقابلات "الجنوب العراقي و تأريخه المليئ بأستلاب الولاة و الممالك و الجمهوريات، الجنوب اللبناني، جنوب السودان، جنوب

السعودية، اليمن الجنوبي، قبرص: الاتراك الشرقيين في الجنوب، والقبارصة اليونانيون في الشمال، الجنوب الايطالي حيث صقلية وروحها الشرقية، اوروبا الجنوبية، البلغار و السلاف والهنغار والصرب و البوسنيون، تختلف عن اوروبا الشمالية، حيث الالمان و الفرنسيون و الفايكنغ؟؟ الخ.. الجنوب الاسباني وبقايا العروق العربية، امريكا الجنوبية متأخرة عن امريكا الشمالية الف قرن.

و لهذاثمة خشية ترهب ذاكرة الجنوبي كلما قالوا له: ثمة حساب علينا ان نصفيه مع الشمال. و العجيب ان كل تلك الاوامر كانت تأتي من الوسط هذا الحد العازل بين بيئتين، و النتيجة: ان صراع الشمال و الجنوب يظل يغذي حلم ديمومته على مكائد جهات اخرى.

وضعت هذه الخاطرة عن جهتين وانا اتحدى خطورة الطريق و اقرر استعادة ازمنة الحرب في بلاد ما شبع الجمال من خضرة اشجارها حتى صنعت غيرته مرآة نيرسس التي هي عبارة عن راجمات و مدافع تدك روابي الجبل و السفوح المتوردة بشهوة الجوز و ليستمر هذا الدك منذ انتفاضة البرزاني الاولى ابان الحكم الملكي و مروراً بكل الجمهوريات و حتى اخر صراع للأخوة في منتصف التسعينيات، ثم ركن الفصيلان الى الحكمة، ليبدأ و بمساعدة الأمم المتحدة والغرب عهد رخاء لم تشهد له كردستان مثيلاً، و هو ما قد يتحول نقمة عليها، حين يغذي هذا الرخاء و الهدوء جذوة التعامل بالمثل عند كرد ايران و سورية و تركيا و لازالت صورة جمهورية ماهاباد الكردية في اذربيجان الايرانية ماثلة امام العيون، و لازال عبدالله اوجلان من وراء قفصه الزجاجي و الذي لا يخترقه الرصاص "يزأر كأسد" و مقاتليه يتحصنون و يمارسون تجارتهم المفتوحة بأي شئ على قمم جبال منطقة دهوك و ما تاخمها من الجبال التركية، حتى سمعت من احدهم: ان نصف كرد العراق الذين لجأوا الى الغرب، تم تهريبهم بثمن من قبل مقاتلي اوجلان.

الطريق من هولير الى حاج عمران، طريق ذكريات سني العاصفة، نهارات كانت ترتدي المعاطف الثقيلة و ترسم كآبة الموت المجاني لأولئك الذين ختموا معي سورة الحب من كتاب الحياة الهائل، فتية غمرتهم مياه الاحلام الهادرة و هم ينسجون ببراءة انتماءهم الى المدن و القرى التي جف ضرع الارض فيها كما تجف الدمعة في العين القاسية امالاً من خيوط ضوء القمر الشمالي و هو يرسل سحابات الذهب على جدار الجبل الصخري، و ليملأوا منه محابر الوجد التي ستحولها شهواتهم واحزانهم و امالهم الى رسائل بريئة الى ذويهم و حبيباتهم، او تصير قصائد تنشد بحسها العالي توقيتاً مستعجلاً لنهاية هذه الحرب الضروس.

كانت الحافلة الصغيرة توسع لي افاق التذكر وهي تقترب من حواف نقطة الصعود الى مدن دشت حرير و ما يتلوها: "صلاح

الدين، شقلاوة، خليفان، سرسنك، ديانا، رواندوز، جومان، كلاله، حاج عمران" مدن و قصبات، لم تكن تعني لنا شيئاً سوى انها محطات حرب، و مواقف لسيارات الاجازات الدورية او سوقاً نوفر منها اكياس الحناء لأمهاتنا المرصعات بجواهر الانتظار ولهفة العودة السالمة، ومن لا يحالفه الحظ و يأتي من دون حناء، هذا يعني ان ذهب الى دلمون الخالدة و لسوف لا يطرق الباب على كاهنة البيت مرة اخرى.

مر على اخر رؤية لي لهذه المدن المولودة على حواف الرواقم العالية او في دشت منبسط زهاء ستة عشر عام، لكنها تقف امامي الان بذات الشواهد و كأن الأزمنة لا تغير في روح المدن، بل في معالمها و عمرانها فقط.. لأجل هذا كانت رؤاي هي ذاتها تشتغل على المكان بذات الحميمية التي كنت اعالج فيها حزني و انا ارى القرى المهدمة او المهجرة تعلن عن نفير موتها وسطبقايا النغم المتساقط مثل مطر حزين من نايات الاطفال الرعاة الذي كانت طفولتهم ترمينا بسهام و غضب عما يفعله الجنوب بين خرائب قراهم المهدمة.

لحظة انطلاق الحافلة من اربيل الى الصعود المستعاد بشمع الخواطر تنطوي بذاكرتي مسافات الرجوع الى الوراء، لم تكن اربيل مدينة تشتعل الحضارة في فؤادها بنار التمدن الطاغي، ظلت و عمرانها محافظة على نوع من حدس متصوفي تكيات جوامعها، فيما نسجت الشمس على جدران قلعتها الشهيرة غطاءاً من حلم الابد البعيد لواحدة من اقدم مدن الدنيا "اربيلا، اربيلون، اربيل، فسحة الخيل، نقطة الصعود، مدينة القمر، الحسناء الريفية، هولير، حبيبة الملا، المكان الخفي للآلهة".

هذه بعض صفات و اسماء اربيل، انتزعها من قاموس ذاكرتي و ذهبت لها الى كتاب التأمل الذي فتحته في طريق الذهاب اليها و انا ارتعب من وجوه القساوة التي حملتها سيطرات البيشمركة، فلقد وصلت الى المدينة في ذات الصبيحة التي فجر فيها رجال غلاظ القلوب اجسادهم المجانية داخل سيارات مفخخة.

كانت المدينة حزينة. ولي مع حزن المدينة تأريخ طويل ايام كانت ترقب بحسرة و فضيحة النحيب كلما مر بشوارعها نعش شهيد هبطت به شظايا مدافع الحرب من روابيا كردمند و بشتكه و اوراس و كردكو و سكران و قنديل و سيدكان وكلاو حسن و رأس العبد، و رغم ان النعوش كانت تذهب محملة بقصائد عشق اصحابها الى الجنوب و الوسط، لكن المدينة كانت تتلوا لأجلهم الشهادة بخشوع و كانت تلوح لهم بظفائرها مودعة كما تودع العاشقة عشيقها.

ولكي اتآلف مع حزن المدينة، ظللت ادور في شوارعها كمن يبحث عن ظل لأمرأة تاهت في زقاق الذكريات كما يتيه العصفور في احضان العاصفة. و لأكتشف: ان مدينة مثل اربيلا تثير الشهوات بريفيتها الموغلة

ببساطة التأريخ الذي زاول عليها قسوة السيف منذ ايام اسرحدون و حتى مدافع صدام. ظلت المدينة كما قال عنها رحالة روسي زارها في القرن التاسع عشر ترتجل المحنة و تدفع ثمن تلك الرغبات الريفية التي احتضنتها احلام عشيرة برزان وكأنهم رسموا التاريخ اربيل ودوامتها الابدية مع الموت حلماً اسطورياً كلفهم مالم يكلف أي عشيرة فوق بقاع كردستان منذ انتفاضة الشيخ عبد السلام البرزاني في مطلع القرن العشرين و حتى نيل الحرية الكاملة بعد حرب الخليج الأولى. و نعود الى الرحالة الذي يصف المدينة "بانها غارقة في كآبة يومها. مدينة تسرق الحجر من الجبل القريب لتحصن نفسها من مأساة اخرى قد يتعرض اليها ابناؤها و لكنها تفتخر عبر تأريخها الطويل انها لا تنحني الى عاصفة و كل وال ترسله الاستانة اليها يقول: بعثتموني الى وجع الرأس."

ابحث في نهار المدينة المترب عن زمن يتعاطف مع رغبتي بأستعادة ذكريات ما كان يحصل لي فوق الرواقم المحيطة بالمدينة التي لم تتزين بشكل يليق بحريتها المفضوحة على اكياس الرمل لمتاريس حرب الربايا، ظلت المدينة تحيط نفسها بنمطاً ريفياً مكتسب من طبع عصامي لرجل قاد هذه البلاد الى احلامها الشهيدة، و اقصد البرزاني الخالد "الملا مصطفى". فأربيل محاطة بنمط تفكير الملا و معاناته، و حين اراد صدام ان يجعلها عاصمته صيفية. كان الرأي في مجلس الوزراء ان يبني مدينة اخرى بمحاذاتها تقترب من الحافة الاولى لسفين. و كاد يعلن عن ذلك. و لكن احدهم نصحه، بانه في فعلته هذه يزاحم وجود التأريخ و كان يقصد اربيل، بل ان صدام فهم من النصيحة: انه يزاحم وجود الملا. و لأنه يعرف عناد الملا منذ مفاوضات كلاله. قال دعونا من هذا و ابحثوا عن ارض واسعة وسط المدينة لنبني عليها مؤسسات الحكم الذاتي.

و الى اليوم يكاد مقر الحكومة الحالي الذي بني في زمن السابق يمثل معماراً متميزاً رغم ان المدينة خلال خمسة عشر عام من توديع رؤاي لها، زحفت الى الحضارة بشكل كبير، لكن بناءها المعماري من الداخل ظل يمثل طرازا لزمن بدت فيه قساوة نظرات الملا حافلة بكل طقوس الحياة و وجدانها. و على حد قول احد دارسي القضية الكردية: فالبرزاني الخالد نال من المنافي و المسيرات العسيرة و الوعرة اكثر مناله أي ثوري في العالم ويمكن ان نقارن مسيرة الخبز او ماتسمى تأريخاً مسيرة "عبور نهر اراس" بمسيرة الالف ميل لماو ومسيرة كاسترو في غابات كوبا في نضاله ضد الديكتاتور باتيستا، ومسيرة الملح للمهاتما غاندي. والفرق بين الملا مصطفى واولئك و منهم كيم ايل سونك و تيتو وكانت لهم مسيرات ايضاً، انهم يحاربون نظام و متسلط و عدو واحد. البرزاني حارب اكثر من نظام و اكثر من عدو، مسيرته امتدت من العهد الملكي وحتى العهد الصدامي، و يوم اغمض ازلية الحلم في عينيه و توفى في

عام 1979 و دفن في قرية "شنو" الايرانية الكردستانية في ايران، كان مراسل الواشنطن بوست حاضرا في مراسيم الدفن و كتب في تغطية لمراسيم الوداع المهيبة:

"كان تراب الزمن يهال على قبر الملا. ابناؤه و مستشاروه يلفهم الصمت بحرية و خشوع وكان الصدى القادم من وديان كردستان العراق يتحدث عن سيرة قاسية و عصامية لرجل لم يبتسم في حياته الا عندما يبتسم شعبه."

هذه الكلمات التي دونت لحظة التوديع الابدي لقائد الكردي ذكرتني بقصيدة لشاعر كردي يدعى "كاكى شوان" قالها عام 1958:

قلبي كان يجهش بالبكاء
لأني كنت ارى كردستان
لاتحقق امانيها..

هذه الصورة اعكسها على المدينة و هي ترتدي حريتها البهيجة الألوان كما بدلات راقصات الدبكات الكردية التي ملئت ناظري بأبتسامة شبقة و انا اراهن يهتزن كما شجرة البلوط في سفح بشتكه في ازمنة قديمة وقد صنعن دائرة من ايقاعات مبتهجة على عشب الحافة الضيقة قرب شلال كلي علي بيلك، هذا الشلال المرسوم في طفولة العراق كله لأن صورته مطبوعة في كتب جغرافيا الصف الخامس الابتدائي، وحتى في الاطلس العراقي القديم كان الشلال مرسوماً بألوان جميلة تشعل الرغبة في احلامنا البريئة ان نراه ذات يوم ولكننا و الغريب اننا لم نشاهده في سفرة سياحية كما تمنينا بل شاهدناه و نحن جنوداً في الحرب.

اودع اربيل بنظرات تتسع برغبة ان ارى المدينة تغادر محنتها التاريخية.

يقول الحموي: انها مدينة حمراء من طوبها القاتم من ابديتها الطاعنة في السن.

اني اراها مدينة لا تنعزل عن محنتها القديمة و صمتها يرتكن الى حماقات مورست ضدها لهذا فأربيل تمتلك تقاطيع حادة دائماً، و هي واحدة من المدن التي لا تشغلك ببهاء روحها، بل بالخفي الذي يكونها. و دائما كان هذا الخفي هو السعي الى الحرية.

صعودا الى سفين. كانت الخضرة معلقة على افق لا ينتهي من جبال غلفت اساطيرها بين النغم السمفوني لرعاة الزمن المنسي، اولئك الذين يرتدون احذية جلود ما عزهم كي يصبح سيرهم موسيقياً.

كانت الجبال تعكس في رؤاها شكل الهيمنة على الكون من خلال تداخلاتها و اتفاعاتها الهائلة و كأنك ترى العالم من خلال نافذة العلو و انت تصعد سلم الذهاب الى اللامنتهي. فالجبال التي تستقبل ناظرك و انت تهم بالذهاب الى المدن التي صنعتها ارية هذا الشعب بدءاً من "اللوفة الاولى – الى اللوفة الرابعة عشر" قبل الوصول الى مصيف صلاح الدين.

ومع اول نسمة تدخل فضاءات روحي من هذه البلدة التي تحتفي بليل الحلم عند مشارف البدء الى العمق الشاهق لكردستان، تطل امنياتي على

خدر متشعب لألوي عنقي بحنان غريب و انا اتمنى ان ارى الجهة التي يقع فيها مصيف "سره رشت" فلي مع هذا المكان ذكريات لا تحصى وقد خلدت شيئاً منها في مقالة لي عن شاعر العراق الكبير محمد مهدي الجواهري، عنما دفع القدر الجميل ناظري لأرى العظيم الجواهري لأول مرة في حياتي وهو يتأمل العمق الأخضر لأزلية الجمال على حافة منحدر بسرة رشت و كنت قد اسميت المكان "كبرة الجواهري": هذه ورقة من صباي، اعيد كتابتها لفطرية خواطر الأمس و كثرة اخطاءها النحوية و الاملائية و البلاغية، و لكنها أي هذه الورقة تملك روحاً مشتعلة بالحماس و الفجائية المبهورة من ان واحداً من الرموز سيأتي هذا المساء يشرب "شاي و القهوة و اللبن" و يظل لساعة يتأمل الوادي الممتد بأزلية العشب و الصخر و خيوط الماء النحيلة التي تبدو للناظر مثل حيات صغيرة تلتوي على بعضها من فرط الجوع. المكان يدعي "سره رشت" و القادم الذي ستقدم له كل تلك المشروبات و يمارس طقس التأمل المسائي هو الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري.

للبلاد الموسومة كردستان، سحر مختلط بخضرة القلب، و اريتها موشومة بقهر تأريخي عجيب، و هنا في هذا المكان يداعبني ميل لتفقد ازلية الصمت التي تنتمي الى حداثة النايات و شرود نظرة المساء الذي يمتلك هاجس الجمال من تناوب الفصول، هنا في سره رشت تحس ان ذاكرة المكان هي كون هائل من الاشياء الواقفة، الجبل، الشجر، الصخر، الغيوم، و القرى التي تسعى الى تدبير يومها دون ان تلتفت الى شجن حضارة ما او الالتحاق بها، فالروح التي رأيتها في الذت الريفية لقرى "سره رشت" انها تحب النأي بأحلامها البسيطة دون ان تلتفت لتأثير المحيط. قال كاكا عمران و نحن نمد اقدامنا في حليب الماعز، و تتدفئ في الليل، غيرها بطر.

وقتها ايقنت الى ان الطبيعة في صيرورتها البدائية الساحرة يمكنها ان تخلق قناعة بالحياة السرمدية دون الحاجة الى تعلم القراءة و الكتابة و العلوم الاخرى. لهذا اخذت قناعة كاكه عمران بجدية و ركنت الى زاوية انتظار من يحب كل عراقي ان يراه بطاقيته المبتهجة بعرس القصائد و هي ترسم بهجتها في مساء اري لا يمل من مشاهدته.

ومن سره رشت عودة الى صلاح الدين ثم هبوطاً نحو شقلاوه.. المدينة التي قرات الشعر قبل غيرها من مدن كردستان، و كانت اديرتها تحتضن قلب يسوع و قلب الطبيعة:

اليها تلك التي تذكرني بأيليا و كنائس سقوف البلوط..

ارتديها كمن يرتدي دعاء الام في سفره الابدي الى القمم التي تعزلنا عن صراع الملذات..

انت يا مدينة روحي

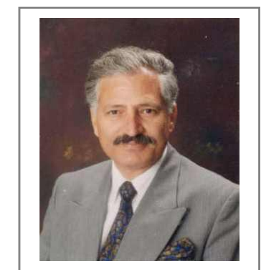
يامن سكنها الرب، بعاطفة العشب و حنان سورك و سفين ومشكور

يا شقلاباذ الكلدانية..

ترحمك الاديرة و القلوب التي تحبك

سلاما لك شقلاوه
انت تعبدين بهجتي بحس نسائمك الدافئة
قصيدة دونها قس على جدران دير الربان بيا
النزول من مصيف صلاح الدين الى شقلاوة هو نزول للنسخة فضيرة من دلمون كردستان، بعد ان نفترض ان جنة السومريين هو دلمون و التي هي اليوم جزر مملكة البحرين.
تنشط ذاكرتي و انا اتجول في شقلاوة، هي مدينة الرهبان و القيلولات التي تنعم بصحبة الملائكة، و اديرتها صلوات توازي قامة الجبل حين تتعدى احلام المصلين. و كانت حين تزف ابناؤها الى حروب اجبرت عليها تتحصن بجمالها و تعيد تمشيط ظفائرها و هي تستعيد ازلية وجودها يوم قدم اليها و اعظها الاول و انعشه الربيع و قال بعد ان فتح كتابه المقدس: لقد اختارني الله و المسيح لأوسس مجداً لسلام هذه الجبال و لتكن هذه الارض مدعاة للسكنية و لتسمى "شهقاباد".
ولدت المدينة مطمئنة الى سحر ليالي و ديناها عامرة بكل فواكه الله، و يوم زارها ياقوت الحموي، قال: وجدت نفسي في جنة الكرد، انها واحة في قلب واحة، و الجبل يعطيها لونه الترابي فيسكن الى خضرة المكان فيسر الناظر من اول نظرة الجفن.
لا ارعف احداً سوى ايليا الذي شاركني ربيئة الحلم ايام حرب السنوات الثمان، ايليا معلم من اهل شقلاوة طيبته تقف جنباً الى جنب مع طيبة القديسين، عشت معه عهداً من الفة الجهات لكنه تسرح يوم قال صدام و حرب اشد اوارها: لا اريد كردياً في جيشي!

الدولة الكوردية وثقافة الاختلاف



بقلم: الدكتور منذر الفضل

هل هناك أساس قانوني لتكوين الدولة الكوردية في كوردستان؟ وهل ان حركة الاستفتاء الشعبي للكورد خيانة للوطن أم هي تعبير سلمي مشروع عن حق الشعب الكوردي في تقريرالمصير؟ و هل يحترم العقل العربي ثقافة الاختلاف اذا لم يحترم حقوق الاخر؟ ولماذا تروج الافكار الاحادية التفكير دون اي اعتبار لحقوق الاخر حتى وان كان شريكا في وطن وتاريخ ومصير مشترك؟ هذه الاسئلة تدور في ذهني دائما للوصول الى أفضل صيغة للتعايش بسلام بين

القوميات واتباع الديانات بعيدا عن التكفير وسياسة الالغاء والتخوين في ظل عراق جديد فيدرالي تعددي وديمقراطي! nbsp؛ قائم على اسس الحوار السلمي المتحضر واحترام حقوق الانسان وحكم القانون وترسيخ ثقافة الاختلاف.

لقد خرجت مئات الالاف من جموع الشعب الكوردي في كوردستان ودول العالم وبصورة سلمية للتعبير عن رغبتهم في اجراء الاستفتاء تحت اشراف الامم المتحدة والتثبت من بيان رغبتهم الحقيقة بشأن مستقبلهم ووجودهم وحياتهم على ارضهم وهو حق طبيعي وقانوني تكفله قواعد القانون الدولي والاعلان العالمي لحقوق الانسان والعهود الدولية الملحقة به باعتباره جزءا من الحق في تقرير المصير. الا ان الملفت للانتباه صدور تصريحات من بعض المسؤولين العراقيين ونشرت مقالات متعددة في الصحف ومواقع الانترنيت تستكثر على الكورد القيام بالتعبير السلمي عن ممارسة هذا الحق وكانت بعضا من هذه الكتابات والتصريحات جارحة لمشاعر الملايين من الشعب الكوردي بسبب قسوتها ومن ذلك اتهام الكورد في العراق الذين شاركوا في الاستفتاء الشعبي ووصفهم بالخونه وهي عبارة قاسية جدا فوجيء بها الكثير من العرب و الكورد والقوميات الاخرى ايضا، ولغرض القاء الضوء على الموضوع سنحاول التعرف على أصل الكورد ومدى شرعية ممارسة التعبير السلمي عن الرأي ومواضيع اخرى لها صلة بهذا المحور منطلقين من اسس الحوار الحضاري الذي يجب ان يسود في احترام الاخر ونشر ثقافة تعددية الاراء وعدم التخوين عند تباين الافكار او عدم انسجامها تبعا لتباين المنطلقات واختلاف الاراء.

وهذا الموضوع تظهر اهميته من خلال ضرورة احترام الرأي والرأي الاخر ونبذ التعصب والتطرف والغلو اذ مايزال هناك من يتمسك ببقايا الفكر القومي العربي القائم على شعارات وهمية لم تجلب لنا الا الكوارث والانتصارات الورقية مثل شعارات تحرير القدس عبر بغداد..! ولعل أخطر ما تتعرض له القوى الديمقراطية المحبة للسلام والاعتدال حين تواجه فكرا قوميا متطرفا و استبدادا دينيا من قوى الاسلام السياسي لانهما يشتركان في نمط التفكير الاحادي المنغلق وعبادة الشخصية وبرفض الاخر وعدم القبول به.

من هم الكورد؟

الشعب الكوردي جزء من الآمة الكردية العريقة المجزأه بين دول متعددة حيث يعود تاريخ الكورد الى أكثر من 5 الاف عام وجدوا على أرضهم التي تسمى ب (أرض الكورد أو كوردستان) التي هي وطن الكورد.وقد ورد اسم الكورد القديم (الميديين) في الكتب القديمة ومنها التوراه او الوصايا القديمة Old testament (العهد القديم)، ولهذا فان وجود الكورد على ارضهم في غرب ايران وجنوب تركيا حتى سنجار وجبال حمرين هو ثابت

تاريخيا مما يعد وجودهم في أرض الجبال او اقليم الجبال (ميديا) هو اسبق من الشعوب الاخرى، وقد انقسمت هذه المنطقة فيما بعد و لاسيما بعد الحرب العالمية الاولى وتجزأت الامة الكردية الى شعوب تسكن في كوردستان العراق، (كوردستان الجنوبية) وفي غرب ايران وفي كوردستان الشمالية في تركيا وكذلك في سوريا، هذا بالاضافة الى وجود اعداد غفيرة هاجرت بحثا عن الامان الى الاردن ولبنان وغيرها من بقاع الارض بحثا عن الامان.

ونشير الى ان الكورد الفيليين، وهم جزء من هذه الامة الكوردية، حيث يذكر العديد من المؤرخين الى انهم من بقايا العلاميين او الكوتيين في وسط وجنوب العراق (مندلي، بدره، جصان، خانقين، زرباطية، كركوك، بغداد وغيرها من المدن العراقية الى جانب المدن الايرانية الاخرى). والكورد الفيليون ينحدرون من عشائر كوردية معروفة عاشت في منطقة خوزستان وشرق العراق وبخاصة في شرق دجلة وهي من اقدم المناطق التاريخية في العراق والتي نشأت عليها اقدم الشرائع.

ونضيف الى كل ما تقدم للدلالة على ان الكورد من الشعوب القديمة التي استوطنت المناطق المشار اليها هو ان بعضهم من اتباع الديانة الايزيدية وبعضهم من اتباع الديانة اليهودية وقله منهم من اتباع الديانة المسيحية والغالبية من الكورد من اتباع الدين الاسلامي. وهذا التنوع الديني دليل ساطع على قدم الوجود التاريخي للكورد في المنطقة.!

واذا كان الكورد من الشعوب القديمة المسالمة فهم يسعون مثل باقي الشعوب الى العيش بحرية وسلام وممارسة حقوقهم الانسانية التي تقرها الديانات والاعراف والقوانين الوطنية والقانون الدولي والاعلان العالمي لحقوق الانسان والمواثيق الملحقة به، وهي حقوق ثابتة سلبت منهم دون مبرر وحجبت عنهم دون سبب مما اضطروا الى الدفاع عن وجودهم وعن حقوقهم بالقوة وهو طريق مشروع للاحرار فالشعوب لا تموت.

أن حق تقرير المصير للشعوب بوجه عام ينطوي على جانبين هما:

أولا - حق الاتحاد الاختياري الأخوي في كيان واحد ودولة واحدة أي حق العيش المشترك باتفاق رضائي تتحدد الحقوق و الواجبات في الدستور و القانون وهو ما اختاره الشعب الكوردي في كردستان العراق مثلا في قرار المجلس الوطني لكردستان العراق في 4-10-92 حين اختار الفيدرالية نمطا لتنظيم العلاقة بين الكرد والدولة العراقية المركزيةوقد تأكد هذه المبدأ في قانون ادارة الدولة للمرحلة الانتقاليةحيث جاء في المادة الرابعة ما يلي:

((نظام الحكم في العراق جمهوري, اتحادي (فدرالي)، ديمقراطي, تعددي, ويجري تقاسم السلطات فيه بين الحكومة الاتحادية والحكومات الإقليمية والمحافظات والبلديات والإدارات

المحلية. ويقوم النظام الاتحادي على أساس الحقائق الجغرافية والتاريخية والفصل بين السلطات وليس على أساس الأصل أو العرق أو الإثنية أو القومية أو المذهب.)). كما تأكد هذا المبدأ في قرار مجلس الامن الدولي رقم 1546 لسنة 2004.

ثانيا - الانفصال و تأسيس كيان مستقل أي دولة مستقلة مثل تيمور الشرقية وحق الشعب الفلسطيني في تأسيس دولته المستقلةوهذا الكيان المستقل يقرره الشعب المعني بتأسيس الكيان المستقل وفقا للاستفتاء وتحت رقابة واشراف الامم المتحدة كما حصل في مناطق عديدة من العالم كجانب من حق الشعوب في تقرير مصيرها وفقا لقواعد القانون الدولي والاتفاقيات الدولية التي سنشير اليها وبالتالي فان ممارسة هذا الحق ليست خيانة وانما ممارسة لحق قانوني ثابت دوليا وانسانيا من الشعوب التي عانت من الظلم والاضطهاد على مر السنين ولاسيما اذا جاء من شعب له حركة تحررية ذات تاريخ طويل أطول من عمر الدولة العراقية ونقصد بذلك الشعب الكوردي وثورته القومية التحررية التي قدم من التضحيات مئات الالاف من الضحايا على طريق الحرية والدفاع عن الحق في الحياة و الوجود.

والسؤال المطروح الان هل من اساس قانوني للكورد في اختيار الحل الثاني وهو تأسيس الدولة الكوردية اذا استحال العيش المشترك القائم على اساس الاتحاد الاختياري؟ وهل ان خياره في تكوين دولته المستقلة خيانة وطنية ام ممارسة لحق؟

الكورد شعب بلا دولة أم امة بلا دولة؟

لاشك ان اركان أي دولة هي الشعب والاقليم والنظام السياسي او الحكومة الشرعية، وان لكل شعب حقا في تقرير مصيره وفقا لقواعد القانون الدولي واستنادا الى المادة 7 / 1 من العهد الدولي للحقوق الثقافية والسياسية الملحق بالاعلان العالمي لحقوق الانسان لعام 1948. ولاشك ان الاساس القانوني لتكوين الدولة الكوردية تتمثل في نقطتين وهما:

اولا- اركان الدولة الكوردية

1. الشعب: وجد الشعب الكوردي في وطنه كوردستان منذ الاف السنين وقد جاء اسمه في الوصايا القديمة او العهد القديم (التوراة) تحت تسمية الميديون فالكورد هم الميديون الذين توزعوا بين دول متعددة (تركيا، العراق، ايران، سوريا، لبنان، الاردن وغيرها). والكورد أمه كبيرة مشتته ومجزأة بين هذه الدول وكان سبب التجزئة يعود الى اتفاقية سايكس بيكو 1916 وقد ظل مقسما الى الان دون رضاه وخلافا لرغبته, والشعب الكوردي في العراق ظل (شعب بلا دوله) رغم ان معاهدة سيفر لعام 1920 نصت على حق الشعب الكوردي في دولته المستقلة التي عطلتها معاهدة لوزان لعام 1932 دون وجه حق و تعرض الكورد الى جرائم دولية خطيرة من انظمة الحكم المختلقة وبخاصة من حكم البعث / صدام

بلغت حدا من البشاعة لاتقل عن بشاعة الاساليب التي استعملت من النازية وكان منها ضرب مدينة حلبجة بالسلاح الكيماوي ودفن مئات الالاف وهم احياء في قبور جماعية ومنها هدم القرى وزرع ملايين الالغام واعتماد سياسة التطهير العرقي لغرض ابادة الجنس البشري وهي جريمة دولية عمدية خطيرة تحرمها كل الاتفاقيات الدولية وقواعد القانون الدولي كما جرت اكبر هجرة للشعب الكوردي عام 1991 خوفا من بطش النظام السابق فاصدر مجلس الامن الدولي قراره المرقم 688 في ابريل 5 / 1991 لحماية الكورد واحترام حقوق الانسان.وقد ناضل الشعب الكوردي في العراق نضالا سلميا ثم نضالا مسلحا دفاعا عن حقه في الحياة والوجود وطبقا لقرارات الجمعية العامة للامم المتحدة التي اعترفت صراحة بشرعية النضال المسلح للشعوب المستعمرة والاجنبية بقرارها المرقم 2955 في 12 كانون الاول لعام 1972 وفي 17 كانون الاول عام 1976.

والشعب الكوردي في كوردستان العراق تتوافر فيه مقومات وعناصر الشعب في سكان كوردستان العراق وهي ضرورية لغرض انطباق مبدأ حق تقرير المصير وهي (اللغة الكوردية والثقافة الكوردية والاحساس بالتاريخ المشترك والهوية المتميزة وارتباطه باقليم محدد المعالم له حدوده الجغرافية والتاريخية والقانونية) وقد تم الحاق هذا الشعب بالدولة العراقية بعد الحرب العالمية الاولى دون رغبته ومن غير رضاه حيث لم يستفت الشعب الكوردي على هذا الاجراء وكانت عملية دون الرغبة الحقيقة مما يجعل من هذا الاجراء باطل والقاعدة الرومانية تنص ان ما بني على باطل هو باطل فضلا عن عدم ايفاء الحكومات العراقية المتعاقبة بالتزاماتها حيال الشعب الكوردي.

2. الاقليم: للكورد اقليم يسمى كوردستان وهي ارض الاكراد منذ الالاف من السنين رغم التقسيم والمتجزئة للامة الكوردية بين دول متعددة طبقا للاتفاقية سايكس بيكو 1916 وقد استقر الشعب الكوردي على ارضه واقعيا وفعليا دون ان ينال حقوقه القانونية والانسانية المشروعة بما فيها الحق في تقرير المصير الذي تم اقراره صراحة في القانون الدولي وفي العهد الملحق بالاعلان العالمي لحقوق الانسان. ولهذا الاقليم حدوده الجغرافية والتاريخية والقانونية معروفه وهو ما تاكد ايضا في قانون ادارة الدولة للمرحلة الانتقالية في العراق (المادة 53). وان كركوك جزء من حدود هذا الاقليم.

الوضع القانوني لمدينة كركوك

و نحن نعتقد أن وضع مدينة كركوك التاريخي والجغرافي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والاثني يشير بما لا يقبل الشك إلى أن كركوك مدينة كردستانية مهمة تقع ضمن حدود كردستان العراق تاريخيا وجغرافيا وقانونيا بل هي قلب كوردستان وان الكورد هم السكان الذين يشكلون الأغلبية في المدينة وضواحيها منذ القدم وعلى الرغم من

وجـــود القوميـــات الأخـــرى، كـالعرب والتركمـان والآشـوريين وغيرهــم، إلا أن الســكان مــن الكورد هم الذين شكلوا أغلبيـة السكان ولعل من أهم الأدلة على ذلك هـي إحصاء النفـوس عـام 1957 وكـذلك قبـور الكـورد الـتي سـعت حكومـة البعـث إلى العبـث بهـا وتغـيير ملامحهـا و بخاصة بعد مطالبة الزعيم الملا مصـطفى البـارزاني إحصـاء القبور مـن الكورد كشاهد على دخـول المدينــة ضــمن حــدود كوردسـتان في معـرض رده علـى الوفـد الحكـومي المفـاوض علـى 1970 وهـو مـا دفـع الأنظمـة المتعاقبـة ! – وبخاصـة في عهـد البعث – إلى اتباع نهـج عـدواني ضد الكـورد والقوميات الاخـرى بتطهير الأعراق والسيطرة على مقـدرات المدينــة مــن الثــروات الطبيعيـة وهـو تـدخل – كمـا بينا يتنافى وحقـوق الإنسـان – اثـر علـى النسـيج الاجتمـاعي والتركيـــب العرقـــي والبنيـــة التحتية والحدود الجغرافية. بل أن نهـج السـلطات امتـد حتـى إلى المقـابر بدرسـها تـارة وبـدفن العـرب في منـاطق كركـوك وفي تـــوطين عشـــرات الآلاف مـــن الفلسـطينيين فيهـا إلى جانـب تغـيير أسمـاء الأحيـاء والمنـاطق الكرديـــة وتســـميتها بأسمـــاء عربيـــة أو بعثيـــة عنصـــرية واسـتفزازية مثـل حـي البعـث وحــي النخــوة وحــي العمــل الشــعبي وحــي القادســية وأم المعـــارك وصـــدام والصـــمود وغيرها.

ووفقا إلى إحصاء عـام 1957 فــان نســبة الســكان الكــورد في مدينة كركوك هي 48,3٪ وهـو الإحصـاء الـذي اتفـق عليـه وفـق بيــان آذار عــام 1970 بينمــا نقصـت النسـبة لعـدد السـكان الكـورد في إحصـاء عـام 1977 وصارت 37,33 ٪ بفعـل سياسـة التعريـب والـتطهير العرقـي، أمـا التركمان فقد كانوا حوالي 21,5 ٪ ثـم أصبحت النسـبة في إحصـاء عـام 1977 16,31 ٪، وفي هـذا الصـدد يشـير الأسـتاذ الـدكتور حسـن الجلبي في معـرض حديثـه عـــن الفيدراليـــة للكـــورد في كوردسـتان عـن مدينـه كركـوك قائلا مايلي:

((وحيـــث يتعلـــق الأمـــر بالمنطقة الكردية يـبرز مـا يسمى بعقـدة كركـوك، حسـنا يتعلـق الســؤال بمــا إذا كانــت كركــوك تدخل ضمن منطقة كردستان أم لا؟ من ناحية المعطيات التاريخية و الواقعية والسكانية فـان المعلوم أن كركـوك كانـت تتكـون مـن الأكـــراد (وهـــم الأكثريـــة) والتركمان ومـن ثـم العـرب، ولهـذا فمـن الحتمـي أن تـدخل كركـوك ضمن إقلـيم كردسـتان في الاتحـاد الفيدرالي أو في صيغة أخرى)).

ولابـد مـن الإشارة إلى الموقـف الشـجاع للـزعيم المرحـوم المـلا مصطفى البارزاني هنا حيث قـال أثناء مفاوضات عام 1970 للوفد الحكــومي المفـــاوض بخصـــوص كركوك مايلي: ((أن كركوك هـي جـزء مـن كردسـتان وإذا ظهـر في الإحصاء أن أكثرية سكانها ليسوا من الأكراد فأنا لن اعـترف بـذلك، إنـــني لـــن أتحمـــل أمـــام الأكـــراد مسـؤولية التخلـي عـن كركـوك .)). كمـا نشـير الى ان هنـاك

العديد من فقهاء القانون العرب والكورد ذهبوا الى اعتبار مدينة كركوك جزءا من اقليم كوردستان.

3. النظام السياسي: للكورد في العراق حكومة شرعية منتخبة (المادة 53) من قانون ادارة الدولة للمرحلة الانتقالية وهذا يعني ان هناك نظاما سياسيا يدير الاقليم وفقا للقانون وفي اقليم كوردستان برلمان منتخب ومؤسسات دستورية ويدير الشعب الكوردي شؤونه باستقلالية منذ عام 1992 وحتى الان حيث قرر البرلمان المذكور عام 1992 تاسيس هذه المؤسسات واختيار الحل الفيدرالي ضمن اتحادية اختيارية.هذا فضلا عن ان هناك دولا عديدة تتعامل مع حكومة الاقليم وتستقبل الضيوف والقادة ! السياسيين من العديد من الحكومات بمعزل عن حكومة المركز في بغداد وطبقا للقانون الوطني وقانون ادارة الدولة العراقية المؤقت.

ثانيا – الاساس القانوني المستمد من مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها

ان هذا المبدأ القانوني يصلح اساسا لوضع الحلول القانونية لمشكلات الشعوب المضطهدة وهذا المبدأ له القوة الملزمة بسبب تحويله الى قاعدة قانونية دولية ملزمة وهو ما يتضح من الوثائق التالية:

1. ميثاق الامم المتحدة حيث تنص الفقرة الثانية من المادة 1 منه على ما يلي (انماء العلاقات الودية بين الامم على اساس احترام المبدأ الذي قضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب وبان يكون لكل منها تقرير مصيرها...).

2. المادة الاولى / 1 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لعام 1966 والتي تنص على ان لحميع الشعوب حق تقرير مصيرها بنفسها وهي بمقتضى هذا الحق حرة في تقرير مركزها السياسي وحرة في السعي لتحقيق انمائها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

3. الفقرة الثانية من اعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة طبقا لقرار الجمعية العامة للامم المتحدة 1514 / د 155 في 14 كانون الاول 1960 والتي تنص على ان لجميع الشعوب الحق في تقرير مصيرها ولها بمقتضى هذا الحق ان تحدد بحرية مركزها السياسي وتسعى بحرية الى لتحقيق انمائها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

4. وتم التاكيد على ذلك في اعلان مبادىء القانون الدولي لعام 1970 الصادر بموجب قرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم 2625 في دورتها 25 في تشرين الاول 1970 وكذلك المادة 8 من وثيقة هلسنكي لعام 1975 وكذلك اعلان الجزائر لعام 1976 وغيرها.

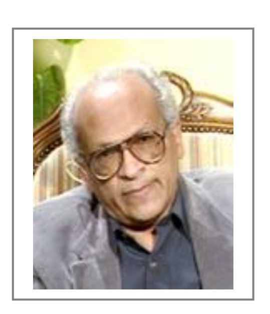
5. ولتحقيق ذلك وتاسيس دولة كوردستان يمكن ان تقوم الامم المتحدة بالاشراف على الاستفتاء Referendum بين الشعب الكوردي في كوردستان العراق للتعرف على قراره حول تقرير مصيره في البقاء ضمن

الاتحادية الاختيارية للدولة العراقية التي تفررت بموجب قانون ادارة الدولة للمرحلة الانتقالية وقرار مجلس الامن الدولي رقم 1546 ام في تاسي! س كيانه القانوني المستقل بتقرير مصيره في انشاء دولته المستقلة على ارضه وطبقا للاسس القانونية سالفة الذكر وتطبيقا لحق الشعوب في تقرير مصيرها ووفقا للسوابق الدولية في هذا الميدان. فالقانون الوطني في العراق والقانون الدولي يسمح للشعب الكوردي في كوردستان العراق بتاسيس الدولة الكوردية وهو اساس قانوني كاف لحق الكورد في دولته على ارضه.

ومن جهة اخرى ان قواعد القانون الدولي وقانون ادارة الدولة للمرحلة الانتقالية لا يمكن ان تجيز فرض العيش بالقوة فالقوة لا تصلح اساسا للتعايش و انما الرغبة والارادة الحرة للشعب هي التي تقرر نوع التعايش واشكاله فقد يقرر الكورد في العراق التعايش ضمن اتحادية اختيارية قائمة على الشراكة المتساوية والمتكافئة والعادلة او الاستقلال ضمن دولة كوردية تربطها معاهدة ضمن اطار كونفدرالي مع الدولة او الدول العربية او دون ذلك وهو حق مشروع ومقرر في قواعد القانون الدولي والذي يقرر ذلك هم الكورد دون غيرهم اذ لا يجوز قانونا ان يستفتى غيرهم على نمط العلاقة وعلى طبيعة التعايش لانه خلاف المنطق والمعقول.

Oct 17, 2004
www.alfadhal.net

في كوردستان



جمال الغيطاني

اذا ماوجه إلـيَّ سؤال عن اجمل بقاع الارض التي اتيح لي ان اراها، سأجيب على الفور، كوردستان العراق، جبالها الشاهقة المكسوة بالخضرة الخصبة، الباقية على حالها منذ ان انتظم كوكبنا في مداره، هذا الممر الطويل المتعرج، ممر (كلي علي بك)، و الذي يعتبر اعجوبة من نظم الطبيعة، البحيرات فوق الجبال، الكهوف العميقة التي تجمد فيها الماء فاتخذ اشكالا غريبة، القرى القابعة في الوديان الخضراء بعيدا عن الطرق المأهولة، او عند السفوح، هذا الجمال الطبيعي

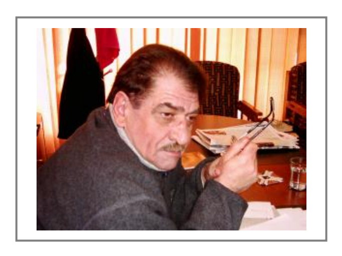
يكتمل بالجمال الانساني و الذي يتجسد في الشعب الكوردي الاصيل سيئ الحظ، فبقدر جمال المنطقة، بقدر ما عرفت حروبا شرسة و حملات ابادة، معظمها جرى في العصر الحديث، و المثير للتأمل ان من يقرأ التاريخ الوسيط لن يجد مشكلة كوردية، بالعكس. كان الكرد جزءا اصيلا من الحضارة العربية و ذادوا عن العالم العربي و الاسلامي الخطر الصليبي. و لست بحاجة لكي اذكر بصلاح الدين الايوبي الكوردي، و خلفائه. بدأت المشكلة مع دخول الاستعمار الى المنطقة، سواء كان تركيا او انجليزيا، و مع ظهور الحركات القومية في العالم العربي و التي لم تكن لديها رؤية واضحة او واسعة الافق في التعامل مع القوميات الاخرى، تلك الموجودة في قلب العالم العربي، او التي تتعايش معه، و الى جواره، هنا اشير الى سعة افق الاستاذ محمد حسنين هيكل الذي تنبه الى تلك المشكلة مبكرا، و دعا الى ضرورة تفاعل و تفهم القومية العربية للقوميات الاخرى، و في حوار خاص معه، قال لي انه كان يتطلع الى الكرد في شمال العراق، و الى جنوب السودان.

هكذا انتبه جمال عبدالناصر الى اهمية تلك النقطة، فسعى الى علاقات وثيقة بالكرد، و يرجع اول لقاء للزعيم الكوردي جلال الطالباني بالرئيس الراحل جمال عبدالناصر الى اوائل الستينيات، جاء الى القاهرة ضمن وفد عراقي و كان يرتدي الملابس الكوردية التقليدية، و يبدو ان الرئيس انتبه الى شخصه و الى تميزه فعامله معاملة خاصة، و منذ ذلك الحين بدأت صلة وثيقة بينه و بين الاستاذ هيكل ماتزال مستمرة حتى الان، و لجلال الطالباني جانب ثقافي مجهول يكشف عنه الحوار الذي اجراه معه الزميل ياسر عبد الحافظ في كوردستان العراق، و يتضمنه بستان العدد الذي يستهدف اقامة صلات ثقافية مباشرة بين الثقافتين العربية و الكوردية، و اذا كانت هذه الصلة موجودة و مستمرة عبر التاريخ بحكم الواقع، الا ان العمل على تعميقها الان بالتحديد يكتسب اهمية خاصة لجميع الاطراف، ينظم جلال الطالباني الشعر، و يتحدث في حواره عن اعجابه بالجواهري في الشعر، و عن ماوتسي تونج في السياسة، و عن هيكل في الفكر الحديث، كما يتحدث عن الصلات بين الثقافتين، و عن وضع اللغة العربية و اقرارها في التعليم العالي، في البستان ايضا حوار مطول، لعله يكون الاول في الصحافة الثقافية العربية مع الشاعر العظيم شيركو بيكس، و هذا الشاعر اول من نبهنا اليه الصديق طلعت الشايب الذي ترجم له العديد من قصائده على صفحات (اخبار الادب) عن اللغة الانجليزية، الى ان تمكنا من الحصول على ترجمات لشعره من اللغة الكوردية الى العربية مباشرة فنشرناها على الفور، لا ابالغ اذا قلت ان شيركو بيكس واحد من اعظم شعراء العالم، و اذا كان الاهتمام بالأدب العربي في كوردستان موجودا، فان اهتماماً مقابلا يجب ان يتعمق، و اذا كان الزميل ياسر يسأل عن تراجع

اللغة العربية في كوردستان، فانني اتمنى التوسع في الاهتمام باللغة الكوردية، و نشوء حركة ترجمة مباشرة عنها الى العربية، و هذا ما نحرص عليه في اخبار الادب، و ان كان المترجمون من الاصدقاء الكرد، لقد قدمنا من قبل قصائد للكرد الذين يعيشون في سوريا. و بستان هذا العدد خطوة مهمة في سبيل التواصل الثقافي بين ثقافتين عريقتين تفاعلتا على امتداد التاريخ.. باستثناء فترات عصيبة قصيرة في التاريخ الحديث. اننا نفكر في المستقبل و نتطلع اليه، و لا نبالغ اذا قلنا ان التواصل الثقافي بداية حقيقية للمعرفة، و عندما تتعمق المعرفة ينتفي سوء الفهم، و يوضع حد لأولئك الذين يصيدون في الماء العكر. لقد تكبد الزميل ياسر عبد الحافظ مشاق رحلة صعبة الى كوردستان العراق لكي يعود الينا بثمارها.

هذا البستان الذي يعد الاول من نوعه في الصحافة المصرية وربما العربية و يتضمن رؤية ثقافية عميقة هي منطلقنا للعلاقات بين الثقافات المتجاورة، المتداخلة، بعيدا عن أي رؤية قومية محدودة الافق، وجهدا صحفيا رائعا على مستوى الاداء المهني.

في حضرة الشاعر شيركو بيكەس



زهير كاظم عبود

حين اوقفت (مشحوفي) و رميت المجداف بباب شيركو كنت قد جئته بحفنة ماء من نهر الفرات، حرصت ان احملها بكلتا يدي، و قرأت عليها قصائد مظفر النواب.

حين اوقفت سفائني بباب شيركو بيكەس كنت لم ازل الصق عيني بماء الفرات الذي سيتوظأ فيه و يغسل عينيه المتعبتين من الشعر و الغزل الكردي برذاذهما الطيب، عيونه المتعبة من الألم و الحزن الكردي، من الوجع و الجرح الكردي، من الصمت و البوح الكردي.

حين اوقفت زورقي في باب شيركو لم اكن ادري انه يوزع روحه بين الكلمات فيدسها بين ثنايا الحروف و بين الفوارز، من جهة البحر او بين قمم الجبال.

شجرة مغروسة في قمة (بيرەمكرون)، او بلوطة في سفح (ازمر)، لكنه في كل الاحوال فتح القلب قبل الشعر و كان حاضراً قبل ان يفتح لنا ابوابه.

(حين يأتي الفرات
يلصق راسه برأسي الغريب
ثم يبكي و يبكي
فيسأل عن حال (سيروان)!
به ريخان! حينما يأتي الفرات
الصق عيني بنظارة جرحه
ارى مصدر المه...)

و في ذاكرة شيركو العديد من حكايات البيشمركة و الوان دمهم المصبوغة بالشعر و الثلج و بالأقحوان المتفتح في ربيع كردستان، و بين اصوات الحمام و البلابل التي اسكرها التين في قمم (احمد اوا) فلم تعد تستطيع ان تفارقها، و في ذاكرة شيركو العديد من وجع الناس و الالم المكتوم و المكابرة على الجراح، و في ذاكرة شيركو العديد من الاسماء و الاقمار و النجوم و الكهوف التي طمرت اسرارها في جبها، في ذاكرة شيركو العديد من قصص الكرد التي لم يستفزها احد بعد، ففي صمته يقول الكثير وفي صمته يبوح بالكثير، و حين يتهيا للحديث فأنه ينثر شعره مثل شعر البنات الكرديات، ينثره فوق كتل الهواء دون ظفائر، و ينشد للجبل، و ليس عند شيركو ثمة اسرار فهو يضمن كل قصائدة الكلمات الكوردية المحببة للنفس فيزيدها رونقاً و بهجة و تألقاً.

ففي قصيدة برايموك و اغنية الثلج و طفولتي يذكر خاتوو بەری، لاوك، خەرند، زەلم، خانی، حاجی كویی، حاجی قادر، كویه، اما في قصيدة الرحيل يذكر بەری خان، بيستون، سيروان، فرهاد، شيرين، بەری، و ليس تضمين هذه الكلمات دون قصد في القصائد، فشيركو متلبس بمحبة الارض و الانسان هاجسه الاساس لا يستطيع ان ينفلت من طبيعة كردستان الا قليلاً، تتحدد احلامه البسيطة في العصافير و الثلوج و المحبة و المياه المتدفقة و شقائق النعمان و عشق الكرد و سفوح الجبال و ارتعاشات الفوانيس و الضباب و الربيع و الرياح و النرجس و الاشجار الباسقة التي تشتعل مثل روحه المنغرزة في سفوح الجبال التي تطوق خاصرة السليمانية و ترسم لها لوحة ناصعة في الشتاء و خضراء ناصعة اللون في الربيع و الصيف و شامخة في كل المواسم.

ذبول الاشجار التي يعاتبها و هو يحمل بندقيته و اشعاره، قبور الشهداء المحلقين فوق روابي كردستان، اسماء الاحبة و الاصدقاء الذين غابوا او تم تغييبهم، خيوط الضوء المناسب وسط الضباب الذي يستر زوغان البيشمركة عن اعين جيش السلطان، او في مقابر حلبجة حيث يرقد الرضيع الكردي او بين دماء الضحايا في اقبية المؤسسات الامنية للدكتاتور الذي كان يلتهم الشعر و الشعراء.

و في هدأة الليل الكالح و السكون المربع يستل شيركو قلمه و يكتب دون ان يضع عينيه على الورقة، فأذنه و عيونه بأتجاه الأفق لئلا تفلت منه كلمة في قصيدة، و لئلا تنفلت من قاتله رصاصة. فيغسل وجهه في ندى الغبش و يدس ابياته الشعرية فوق القلب.

(مرة اخرى من اين آتي بك
كي تتوضحيني
على جسمك مثل

الزهرة النجمة
تعلقيني على الثلج
ضياء نهديك
من اين آتي بك
لأنام ولو للحظة في صوتك
ولو للحظة في قبلتك
انا اشتعل بجناحي
المحترق المتفحم الرمادي
عظامي
لماذا سقطت اوراق نظرتك
ووقعت في كف نفسي المرتعد
لاتجد موضع سطر
في دفاتر الخريف
لتكتب فيه السقطات الجديدة
لماذا سقطت اوراق نظراتك
ووقعت في حفرة
خزينة صدري)

في كلمات شيركو تجد نصاً شعرياً متفاعلاً مع الطبيعة مع امتدادات انسانية صعبة، و من الصعب ان تنفصل العلاقة في قصائد شيركو بيكەس بين الانسان و الطبيعة، فقد هيج الكلمات لتخدم الانسان و تقدس حركته ضمن مساحة الطبيعة الكردية، و يبدو ان هاجس النشيد الكردي و المعاناة التي طغت على عمر الشاعر بيكەس ولدت لديه نزوعاً بأتجاه التنفيس عما يجيش بداخله من كوامن انسانية اختزلها في كردستان من خلال معاناة و محنة الكرد، من خلال الكبت الذي مورس ضد الكلمات الكردية التي تريد ان تحلق فوق الجبال و تحط في اعالي السرو و اشجار الجوز او تهدأ فوق بقايا الحنطة المحصودة في سهول كويسنجق او قرەداغ.

نصوص الشاعر شيركو مكتظة تستطيع ان تفككها فتصير لك قلائد ملونة، و يستطيع شيركو بمهارة فائقة ان ينتقل بك من سطح الفرات وسط هطول الرصاص مجتازا الموت بين المقابر ليقطف لك باقة من ورد الجبل البري.

القدرة في التأثير لا تكمن في اللغة الشعرية او مقاطع النصوص التي تستطيع ان تفهم مدلولاته بيسر و سهولة، انما تكمن في بساطة اسلوبه و مخاطبته لأكبر مساحة ممكنة من الناس، بالاضافة الى الصور الشعرية الواقعية البعيدة عن التخيلات و الافراط في الاطناب، اذ ميزت اشعاره بساطتها و علاقتها الأزلية بالانسان محور القصائد الأساسي دون ان يهمل الطبيعة التي تشكل له معنى الوطن.

(من يعلم؟
ربما لن اراك ثانية؟!
وصوتي لن يدغدغ
اصغاءك بعد الان!
في هذا الموسم
حينما تتجه العشيرة
الى اعالي الجبال
في هذا الموسم)

و دون ان يتحدد في كردستان يحلق شيركو فوق هامات النخيل و المشاحيف و قصائد مظفر و الريل و حمد و هو يناجي مرور القطار في الليل البهيم عابراً الفرات مبللا بمطر الجنوب.

و دون ان يتحـــدد في لحـــاظ العيون و شفاه الحلوات القرمزية و احمرار الخدود خجلاً و القاً او في اغاني الحصاد او زهور الجبال الملونة، فأن شيركو بيكەس يغني للحلم متمدداً فوق الثلج ينزل مطراً لاينام، يهطل ثم يرش روحه رذاذاً ناعماً لكنه لاينام.

و مابين كاوه الحداد التي مسرحها شعرياً و بين "انشودتان جبليتان" او "الصليب و الثعبان" (1998) او في مطولته اللذيذة (اناء الالوان) التي كتبهما في العام 2002 يتمدد زمناً يتجاوز الربع قرن ترك خلالها الشاعر اثاره و نتاجاته المتميزة.

لشيركو بيكەس ملامح بارزة مميزة ليس فقط على الحركة الشعرية الكردية، انما يتوج نتاجه الانساني ليشمل مساحة الوطن البهيج، و تلتفت المؤسسات السويدية لعطائه المتميز ليتم نشر اعماله الكاملة و يتم تكريمه بجائزة دولية في السويد.

لم يكن الحديث بيننا طويلاً او غائراً في عمق الذكريات، فقد كان الشعر حاضراً و طافياً فوق ماء الفرات ثابتاً بالرغم من انحدار جبل كويزة.

شخصيات كوردية

عايشتها أو عرفتها عن كثب



خليل مصطفى مهدي (ابو مصطفى)

في رحلة الحياة التي دامت ثلثي القرن لحد اليوم، تعرفت على وتعايشت مع نماذج من الشخصيات الكوردية في شتى أرجاء كوردستان. ففي بعقوبة حيث ولدت حتى باكورة الشباب، تعرفت وأنا طفل على شخصيات كوردية كانت بعيدة عن اهتماماتي لصغر سني وعدم توفر أسباب التعارف والاختلاط.

وكان الشيخ مصطفى قره داغي هو الأول من تلك الشخصيات الذي كان قريباً للشيخ عبدالله قره داغي المتزوج من عمة نسيبي في بغداد في ثلاثينيات القرن الماضي. وكان الشيخ مصطفى قره داغي الاداري والمثقف المعروف يشغل حينئذ منصب رئاسة تسوية الاراضي في فترة أوائل الاربعينيات في لواء ديالى. ووظيفة رئاسة التسوية كانت تتعامل مع الخلافات والمشاكل الخاصة، المتعلقة بملكية الاراضي الاميرية من خلال توزيعها أو تفويضها للمالكين.

وأتذكر من أولاده: ابراهيم و كامران وارجمند الذين شاهدتهم في مدرسة بعقوبة الابتدائية الاولى ، وكانوا مثالاً للخلق القويم والنظافة والهندام والسلوك

المثالي. وكنتُ وأنا صغير العائلة نزورهم أوقات مجيء أقربائي من بغداد لزيارتهم واللهو في حديقة بيتهم وسط منطقة مكتظة بالاشجار. وقد نقل الشيخ مصطفى قره داغي الى لواء السليمانية ليشغل منصب متصرف اللواء بعد ذلك.

والشخصية الثانية التي تعرفت عليها من الكورد في بعقوبة هو المرحوم(معروف عبدالله دلّي) الذي كان غالباً ما يزور المدرسة اواسط الاربعينيات ومعه طفله الصغير (وريا) باعتباره مفتشاً ((المشرف التربوي حالياً)) والذي تعرفت عليه أكثر عند إدارته ثانوية بعقوبة أواسط الخمسينيات، ومازلت أتذكره عند زيارته في بيته عندما أُصيب في حادث تصادم سيارته في الطريق الى بغداد، وكنت بمعية بعض طلبة الصف الخامس الاعدادي للاطمئنان على صحته ونجاته من خطر محدق.

والشخصية الكوردية التي تأثرت بها وتركت بصماتها في ذاكرتي، الاستاذ والمربي الراحل رفيق حلمي مدير معارف ديالى في فترة أواخر الاربعينيات وبداية الخمسينيات، وعرفتُ ولده فوزي في مرحلة الثانوية وفريدون في الابتدائية. وكان احد اقربائي لي يشتغل فراشاً في المعارف انتقاه رفيق حلمي ليكون المؤتمن في الدخول الى بيته والتسوق للعائلة وشراء احتياجاتها ومرافقة الاولاد. كانت هذه المعرفة قبل ان يتاح لي الاطلاع على دور رفيق حلمي الاصلاحي وقيامه بتأسيس منظمة ((هيوا)) باكورة التنظيمات القومية للشعب الكوردي وقد التقيت في السليمانية في أواسط السبعينيات مع ولده فوزي عند زيارته لمدير المدرسة التي أداوم فيها المرحوم نهاد شيخ نوري صالح في مدرسة حمدي.

وشخصية أخرى كوردية من خانقين في لواء ديالى تعرفت عليها، هو المرحوم(عبدالقادر غالب)) مدير معارف لواء ديالى عام 1959. وهناك حكاية طريفة ادت الى تجذير شخصيتي في ذاكرته عندما زار مدرسة النفطخانة التي عينتُ فيها الى أقصى الحدود مع ايران بعد ثورة 1958 جاءنا المرحوم وكان مفتشاً لمعارف قضاء خانقين بعد استدعائه تلفونياً من قبل مدير المدرسة(محمد علي السعيد) لوقوع حادثة ادارية أثناء امتحان نصف السنة لتأخير دق الجرس إيذاناً لدخول الطلاب من قبل المعلم المراقب وحصول مشادة كلامية أدت الى تأخير توزيع الاسئلة على التلاميذ قرابة الربع ساعة. ولدى وصول المرحوم عبدالقادر بادر فوراً الى توزيع أوراق على المعلمين المتواجدين في الغرفة وطلب منهم سرد وقائع الحادثة بدقة وموضوعية. ولدى سردي للحادثة فقد عرضتها بحيادية و صدق كما وقعت، دون التحيز للادارة أو لزملائي المعلمين. وبعد تسليم الاوراق للمفتش (عبدالقادر غالب) تصفحها ثم نادنا: من منكم خليل مصطفى وكنا نجلس في حديقة المدرسة في شمس الشتاء؟ فأجبته: أنا . فسألني من أين انت؟ فأجبته من بعقوبة.

فاخرج ما دونته على ورقتي فولسكاب وقال: إفادتك تبدو لي صادقة وقد حرصت فيها على مصلحة الطلاب والمدرسة . وأشرت الى خلل في سلوك الادارة والمعلمين . ولذلك ساعتمد على ماجاء فيها واعالج المشكلة. واختلى المفتش مع مدير المدرسة واثنين من المعلمين طرفي النزاع وابلغهم بنقلهم ادارياً الى قرى تابعة لجلولاء واوصى المدير بالاتصاف بالمرونة وعدم محاسبة المعلمين على الثواني!

واللقاء الثاني بالمرحوم عبدالقادر غالب كان في بعقوبة وهو مدير معارف اللواء واثناء تدافع خريجي الدورة التربوية الصيفية للتعيين كموظفين بعد أن كنا معلمين مستخدمين في العام الفائت، وكان الازدحام على أشده اكثر من 130 متخرجاً من الدورة ينتظرون الدخول الى غرفة مدير المعارف الصغيرة في احدى غرف البيت السكنى الذي شغلته المديرية خريف عام 1959 في بعقوبة مركز اللواء.

دخلت على مدير المعارف الذي تذكرني للتو وعاتبني لعدم دخولي عليه مبكراً؟ فأجبته: سيادة المدير نحن نتأهب للتعيين بوظيفة معلم وهي وظيفة تربوية وتعليمية في نفس الوقت. وكنت آمل من المديرية أن تنظم الدخول وفق الحروف الهجائية أو درجات المعدل في الدورة. فأجابني المرحوم:أين نحنُ من هذه الافكار المثالية؟ انني أعرفك منذ حادثة النفطخانة ومازلت أذكرك باعتزاز.والآن أين تريد أن يكون تعيينك؟ فأجبته أنا من بعقوبة وعائلتي بحاجة اليّ. فقال لا توجد شواغر في مركز اللواء ! علماً ان العديد من زملائي اصحاب "الواسطات" قد تم تعيينهم في مركز بعقوبة. وحاولتُ مرة أخرى قائلاً: لدي دراجة هوائية ومستعد للدوام في القرى والأرياف المحيطة بالمركز. وهنا اقترح عليّ: لماذا لا يتم تعيينك في خانقين؟ علماً بانني قد عينت أبناء مدينتي من الخريجين في القرى والقصبات المحيطة بخانقين. وقد كان صادقاً. فوافقت وصُدر أمر تعييني خلال دقائق الوقت الذي استغرقته طباعة الأمر الاداري وتسليمه لي قائلاً لي بنبرة مزاح ومداعبة ! هناك في مدرسة المنذرية ستجد "جماعتك"عادل حقي وجاويد سعيد وغيرهما! ولدى وصولي الى مدرسة المنذرية الكائنة في الطريق الى محلة باشا كوبرى تبين ان المدرسة"أولية" لحد الصف الرابع ونصابها كامل. فسجّل المرحوم جاويد مدير المدرسة مباشرتي قبل ظهر ذلك اليوم 1959/11/26 واتصل بعد ذلك بمدير المعارف الذي نسَب تحويل تعييني تلفونياً الى مدرسة النهضة في الصوب الصغير "جلوة" التي داومتُ فيها وكان مديرها المرحوم خليل مصطفى النوري من شهربان وقد جرَ تشابه الأسمين على المدير بعض المشاكل، فقد سُحبت يده من الوظيفة، حيث بقيتُ مدة أكثر من شهرين في بغداد لحين القاء القبض عليّ في 1963/4/21 واتضاح الالتباس الذي حصل فاعيد المدير الى الوظيفة. وقد

مررتُ في مقالتي السابقة التي نشرتها "مجلة سردم" الموقرة للعدد الفائت على ذكرياتي مع الشاعر الخالد "عبدالله كوران" وبعض السجناء الكورد من السليمانية واربيل.

و مازلت اجهل لحد اليوم سرّ انجذابي الى حد الاندماج لمن زاملتهم أو ارتبطت معهم بصداقة من ابناء هذا الشعب الاخيار، وما بقائي في كوردستان منذ العودة الى الوظيفة في خريف عام 1968 في السليمانية بعد ست سنوات فترة السجن والفصل والبقاء فيها لمدة عشر سنوات والبقية الباقية من العمر المقسوم لي في الحياة في اربيل منذ خريف 1978،وارتباط مصيري بأم الاولاد من أهالي شقلاوة النجباء.. ومقاسمة هذا الشعب الطيب حلو الحياة ومرّها وايام البهجة والحزن، أقول.. مازلتُ عاجزاً عن فهم وإدراك شدة الانجذاب للكورد وتعلقي بهم وحفظ الاناشيد الوطنية الكوردية منذ فترة السجن عام 1955 الى نهاية 1957 حين كنت لا أعرف سوى كلمات كوردية معدودة واختياري لكنية "ابو نسرين" في فترة السجن الثانية أيام سيطرة العفالقة من 1963حتى أواسط 1966.

انـه ربـاط مصـيري وابـدي وانـا فخـور بـه. هكـذا نشـأتُ وهكـذا سـابقي أعشـق الكـورد وكوردسـتان، وأتلـذذُ بطيـب هوائهـا ونقـاء اهلـها ووفـرة خيراتها.وسـارددُ مـع صـديقي الراحل الشـاعر الكـوردي زاهـد محمـد زهـدي الـذي تـوفي في الغربة :

هەربژی كورد و عرب رمز النضال

لو عـزف عـالناي راعـي بالجبـال

على الربابة يجاوبه راعي الجنوب

abu mustafa@maktoob.com

أربيل 2004/11/16

واقع تدريس اللغة الكردية في اعداديات بغداد

د. عادل مجيد*

جامعة بغداد / كلية اللغات

من المعروف عن اللغة أنها وسيلة للتعبير عن خلجات النفس البشرية، وانها أداة للتفاهم بين الناس في حياتهم اليومية الاجتماعية. ونظراً لأن غالبية المجتمعات البشرية تتكون من عدة أقوام بشرية لكل منها لغتها الخاصة التي تحدد هويتها وانتماءها القومي، لذا بات من الضروري تعلم لغات الأقوام الأخرى لما فيها من فوائد اجتماعية ودلالات حضارية لا يستطيع الانسان المعاصر أينما كان الاستغناء عنها، وتزداد مثل

هذه الأهمية بالنسبة لأبناء البلد الواحد الذين حتماً سيلتقي بعضهم بالبعض الآخر في العديد من المناسبات الاجتماعية والوطنية.

من كل ما قلناه نود الاشارة الى أهمية تعلم اللغة الكردية من قبل أقوام العراق من عرب وتركمان وكلدو- آشوريين، خاصة ان الدساتير الأربعة الصادرة في العراق خلال القرن الماضي تشجع مثل هذه الظاهرة الحضارية، وكذلك الأعتراف الصريح في المادة التاسعة من قانون أدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية الذي صادق مجلس الحكم الانتقالي عليه في 8/ آذار /2004، والذي ينص على ما يأتي:

1-اصدار الجريدة الرسمية (الوقائع العراقية) باللغتين العربية و الكردية..

2-التكلم والمخاطبة والتعبير في المجالات الرسمية كالجمعية الوطنية، ومجلس الوزراء، والمحاكم، والمؤتمرات الرسمية، بكلتا اللغتين.

3-الاعتراف بالوثائق الرسمية والمراسلات باللغتين وإصدار الوثائق الرسمية بهما.

4-فتح مدارس باللغتين وفق الضوابط التربوية.

5-أية مجالات أخرى يحتمها مبدأ المساواة مثل الأوراق النقدية، وجوازات السفر، والطوابع.

6-تستخدم المؤسسات والأجهزة الاقتصادية في أقليم كردستان كلتا اللغتين.

يتضح لنا من فقرات المادة التاسعة من هذا القانون - الذي سيصبح – انشاء الله – الدستور الدائم للعراق بعد الانتخابات الشاملة في 2005/1/30 - مدى ضرورة تعلم اللغة الكردية وتعليمه في المؤسسات التربوية في بغداد كعاصمة للأخوة العربية – الكردية في العراق الفيدرالي الديمقراطي الجديد الذي سيمهد الطريق نحو بناء عراق علميّ مزدهر تكون له ريادته ومكانته في الحضارات المعاصرة.

إذا كان تدريس اللغة الفرنسية واللغة الاسبانية في بعض أعداديات مدينة بغداد له بعض المبررات الحضارية ناهيك عن دراسة اللغة الأنكليزية منذ الصف الخامس الابتدائي لغاية تخرج الطالب من الدراسة الجامعية الأولية في مدينة بغداد وجميع محافظات العراق، فان تعلم اللغة الكردية وتعليمه في أعداديات مدينة بغداد له ايضاً مبرراته الحضارية والوطنية، لكون اللغة الكردية الوجه الحضاري للشعب الكردي كثاني قومية رئيسة في هذا البلد الحضاري، وهي لغة شعب يعيش في هذا البلد منذ آلاف السنين، ولكن ما يؤسف له أن اللغة الكردية تدَرَس حالياً ضمن المدارس الاعدادية في بغداد في مرحلة الرابع الاعدادي فقط كما هو متبع – مع الأسف الشديد – في بقية المدن العراقية الأخرى خارج أقليم كردستان، وهذه من المخلفات اللاتربوية وغير الصحيحة ولا العلمية التي عانى منها كرد مدينة بغداد الذين يزيد عددهم على مليون مواطن كردي ولدوا وترعرعوا في أجواء بغداد الحبيبة، وأفتخر بأني

وأفراد اسرتي من هؤلاء الموطنين البغداديين، وحسب معلوماتنا عن واقع تدريس اللغة الكردية في اعداديات مدينة بغداد نستطيع تأشير السلبيات المدونة أدناه عن ذلك الواقع اللاتربوي المرير:

1-حصر تدريس مادة اللغة الكردية في المرحلة الرابعة من المراحل الثلاث للدراسة الاعدادية، وهذه من مخلفات النظام البعثي السابق المنهار الذي كان رئيسه المخلوع والمقبوض عليه حالياً يتبجح هو وأزلامه بأن للكردي حقين بعكس بقية المواطنين العراقيين !!، ولا ندري أين هما هذان الحقان إذا كان لا يسمح بتدريس اللغة الكردية للمراحل الدراسية الثلاث في أعداديات مدينة بغداد ومدن خارج أقليم كردستان التي كانوا يطلقون عليها منطقة الحكم الذاتي – الكارتوني – إلا بتلك الطريقة التربوية البائسة المحصورة في إطار ضيق جداً ضمن سنة دراسية واحدة في الرابع أو الخامس الاعدادي حياة الطالب قبل وصوله للدراسة الجامعية.

2-عدم الاهتمام بتوفير الكادر التدريسي الكردي الكفوء لتدريس هذه اللغة، وأناطة تدريسه ببعض خريجي قسم اللغة الكردية في كلية التربية – ابن رشد الذين غالبيتهم ليسوا من الكرد أو ليسوا من الناطقين بها، والذين يجبرهم سنوياً نظام القبول المركزي على الدراسة في هذا القسم المخصص لغير الناطقين بها، وهكذا يتخرجون وهم لا يستطيعون كتابة صفحة واحدة باللغة الكردية ولا يستطيعون قراءة صفحة واحدة باللغة الكردية بشكل سليم وصحيح من حيث التلفظ الكردي.

3-تكليف مدرسي مادة اللغة الكردية في الاعداديات بتدريس مواد أخرى خارج تخصصهم لتكملة النصاب، أو تكليفهم بمهام ادارية تعرقل تفرغهم الجدي لتدريس هذه اللغة.

4-عدم تدريس مادة اللغة الكردية في بعض الاعداديات بحجة عدم توفر الكادر التدريسي المختص باللغة الكردية، والأنكى من ذلك تكليف مدرسين آخرين من غير الاختصاص لتدريس اللغة الكردية عن طريق الحصول على ملزمات هزيلة حول مادة اللغة الكردية، أو بحجة أن مثل هؤلاء المدرسين غير الاختصاصيين قد خدموا العسكرية في المناطق الكردية أو كانت لهم خدمات في اعداديات بعض المدن الكردية.

5-عدم تعاون ادارات غالبية المدارس الاعدادية في تسهيل مهمة الطلبة المطبقين من طلبة المرحلة الرابعة في أقسام اللغة الكردية، وإذا سمحوا لهم فإن هؤلاء الطلبة لا يخرجون بتجربة تطبيقية جيدة تفيدهم فيما بعد حين يصبحون من تدريسييها.

6-عدم توفر العدد الكافي من المشرفين المختصين باللغة الكردية في مديريات التربية في بغداد، بل أن البعض منها اصلاً تفتقر اليهم، وهذا الجانب المهم يجب أن تلتفت اليه مديرية الدراسة الكردية في وزارة التربية

الموقرة لأجل متابعة واقع تدريس اللغة الكردية في اعداديات مدينة بغداد.

ولأجل تلافي السلبيات المؤشرة في أعلاه ندرج بعض المقترحات لتطوير تدريس اللغة الكردية في المدارس الاعدادية ضمن مدينة بغداد الحبيبة:

1-توسيع دائرة تدريس اللغة الكردية في المدارس الاعدادية ضمن مدينة بغداد وبقية المدن خارج أقليم كردستان العراق لتشمل المراحل الثلاث للدراسة الاعدادية، لأن الطالب عندما يدرس اللغة الكردية في ثلاث سنوات سيتعلم العديد من جوانب الصرف والنحو الكردي وسيطلع على العديد من جوانب الأدب الكردي، وعندها ستكون للغة الكردية درجة اكبر من الجدية لديه عندما يقرأها في ثلاث سنوات وعندما يجدها من ضمن مواد الامتحانات الوزارية في السادس الاعدادي. ويا حبذا لو أن تعمم هذه الحالة لتشمل كل المدارس الاعدادية الواقعة خارج أقليم كردستان، وعندها سيكون الطالب أكثر كفاءةً عندما يتم قبوله في قسمي اللغة الكردية في كليتي اللغات والتربية – ابن رشد ضمن جامعة بغداد، أو عند قبوله في احد أقسام جامعات السليمانية وكويسنجق وصلاح الدين ودهوك.

2-الزام المدارس الاعدادية بتوفير الكادر التدريسي من خريجي قسم اللغة الكردية حصراً لتدريس هذه المادة لطلبة المراحل الثلاث للدراسة الاعدادية في المدارس الاعدادية ضمن مدينة بغداد.

3-عدم تكليف خريجي قسم اللغة الكردية المعينين كمدرسين للغة الكردية بأية مهام أخرى إلا عند الحاجة القصوى.

4-ضرورة متابعة تدريس اللغة الكردية في المدارس الاعدادية ضمن مدينة بغداد من قبل مشرفين مختصين في مديريات التربية الموجودة ضمن الرقعة الجغرافية لمدينة بغداد، ومن الضروري زيادة عدد مثل هؤلاء المشرفين حتى يستطيعوا زيارة كل المدارس الاعدادية في بغداد وبواقع لا يقل عن زيارة شهرية واحدة لكل مدرسة، ولأجل تلافي الصعوبات والعراقيل التي قد تتواجد أمام تدريس اللغة الكردية في مراحل الدراسة الثلاث في المدارس الاعدادية ضمن مدينة بغداد.

5-تعاون أدارات المدارس الاعدادية ضمن مدينة بغداد مع رئاسة قسمي اللغة الكردية في كليتي اللغات والتربية – ابن رشد ضمن جامعة بغداد من خلال تكليف طلبة المرحلة الرابعة فيهما بالتطبيق والقاء المحاضرات خلال النصف الثاني من سنتهم الدراسية الرابعة والتي هي من متطلبات تخرجهم ونيلهم لشهادة البكالوريوس في اللغة الكردية وآدابها.

6-من الضروري فتح مدارس أبتدائية لتلاميذ الكرد في بعض مناطق مدينة بغداد ذات اكثرية كردية مثل المحلات السكنية في شارع الكفاح ومحلة حي الأكراد في مدينة الثورة ومحلة الأسكان.

* الأستاذ المساعد
رئيس قسم اللغة الكردية
كلية اللغات - جامعة بغداد
2004/10/21



د. رؤيا طلوعي:
معرفة الكرد قليلة بمفهوم الحركة النسوية

اجرت الحوار: دلشا يوسف

"رؤيا طلوعي" طبيبة في مجال المختبرات و تملك عيادة في مدينة (سنه)، وهي ناشطة نسوية و باحثة في شؤون النساء في الوقت ذاته و تنشر مقالاتها و ابحاثها على الاغلب في الموقع الاليكتروني (زن نامه) و تعمل عضوة في منظمة النساء الكرديات لحماية حقوق الانسان و السلام، وجهنا اليها عدة اسئلة وهكذا تحدثت لنا:

★ماهي اهداف منظمتكم (منظمة النساء الكرديات لحماية حقوق الانسان و السلام)؟

-بدأنا بتأسيس المنظمة (منظمة النساء الكرديات لحماية حقوق الانسان و السلام) قبل اربعة اشهر و الهدف منه هو التنسيق مع النساء الكرديات في بقية اجزاء كردستان. و بالتالي لتعرف النساء في البلدان الاخرى بقضايا النساء الكرديات و ذلك بالسبل السلمية، بعيداً عن يد السلطات التي طالما حاولت تعريفنا ككرد بالاخرين على اننا شعب عنيف و يمتهن القتل و الحروب. لأن الحقيقة تبين غير ذلك و تؤكد ان الشعب الكردي شعب مسالم و أن الحروب و مشاهدة القتل و المجازر قد فرضت عليه. نحن نملك علاقات جيدة مع المنظمات النسائية الفارسية و بالأخص تلك المنظمات البعيدة عن الصبغة الحكومية. و لنا علاقات قوية مع المناضلة الكردية (ليلى زانا) و نعمل على تحسين علاقاتنا اكثر مع المنظمات النسوية في جنوب كردستان و بالتالي لاقامة علاقات مع النساء في جنوب غرب كردستان.

منظمتنا غير حكومية و لهذا فالسلطات الايرانية تعمل دائماً على تضييق نشاطاتنا و تقاوم منظمتنا لتجاوز هذه المضايقات من خلال تكثيف نشاطاتها الثقافية التي تعنى بشؤون المرأة. حتى الان لم نتسلم أي دعم مادي من أي طرف و تسير امور المنظمة عن طريق اشتراكات الأعضاء.

تعاني المرأة في شرق كردستان من مشكلتين اساسيتين تثقل كاهلها: الاولى التفرقة القومية و التفرقة الجنسية كمشكلة ثانية. فهي تضطهد مرةً كونها كردية لأنها تنتمي لأقلية قومية حسب مفهوم النظام الحاكم و لذلك يتم قمع حقوقها. نحن النساء لا نستطيع الدراسة بلغتنا الام و لهذا نجد انفسنا تحت ضغوطات

مختلفة و في وقت نريد ان ندير انفسنا بأنفسنا نتعرض للاضطهاد و تصادر حقوقنا الاساسية. و لكونها امرأة فهي تضطهد تحت سلطة الايديولوجيا الحاكمة التي تنظر الى المرأة نظرة تحقير و لا تحسبها انسانة بل نصف انسان. قامت السلطات بقمع كل الحركات التحررية التي ظهرت و لهذا فقد اصيب الكثيرون بالاحباط و لكن مازال هناك الكثيرون ممن يحاولون تبادل الامال. ان اغلب النساء تعرفن حالة القمع المفروضة عليهن و لكنهن غير منظمات بما فيه الكفاية و لسن متفقات على اسلوب واحد للنضال في صف واحد.

★وماذا عن نشاطاتك الشخصية بهذا الصدد؟

-انا اقوم بطرح مسائل فكرية تشمل قضايا المرأة. سيصدر لي كتاب بهذا الشأن عما قريب. و كتابي الثاني و الذي اقوم بتأليفه حالياً يعتبر قراءة نسوية (فيمنستية) خاصة بالظروف التي تعيشها المرأة الكردية. اريد ان اكون كامرأة كردية ذات رأي و فكر فامنستي خاص بي (أي خاص بالمرأة الكردية). اريد ان اشير الى الامور التي تلزم المرأة الكردية من الفكر الفامنستي على اختلافات مذاهبه و بالتالي اقيم الامور الاخرى التي لا تمت للمرأة الكردية بصلة.

★ماذا عن خوف المجتمع الكردي و النساء الكرديات بشكل خاص من مفهوم الفامنستية؟

-الخوف بعادته يصدر عن امر مبهم و الكرد معرفتهم قليلة بالمفهوم الفامنستي و لهذا فإن الخوف من هذا المفهوم معقول لحد ما. و يبدو ان الرجال في مجتمعاتنا اكثر حساسية امام هذا المفهوم لأنهم يفسرون مباشرة ان الفامنستية تعني سلطة النساء كبديل لسلطة الذكور، و الرجال بكل الاحوال لا يريدون الإنتقاص في تسلطهم بأي شكل من الاشكال. لا يوجد فهم صحيح لهذا المفهوم لذلك يقومون بتبديل مكان السيد و العبد و هكذا يحلون المعادلة و لكن المسألة ليست بهذا الشكل. و السلطات الايرانية ايضاً كونها سلطة ايديولوجية لا تقبل بأي شكل أي نوع من النشاطات الفامنستية و الداعية للتحرر. عملت هذه السلطات بشكل دائم و عن طريق مؤسساتها الرسمية بالتشهير و النقص من قيمة هذا المفهوم. حيث يعرفون المفهوم الفامنستي على انه علاقة منحرفة أي علاقة (مثلية الجنس) و الفامنستية ليست هذا بالطبع. بعد التعمق و التمحيص حول هذا المفهوم رأيت ان القضية غير ذلك و ظهرت لدي رغبة لمعرفة المزيد حول هذا المفهوم و ليس هذا فحسب بل رأيت انه من شأني ان اعلم الاخرين ايضاً. ان المعنى العادي للفامنستية هو الوعي باضطهاد المرأة لأسباب جنسية و يعمل للقضاء على هذا الاضطهاد. و هذا ليس بأمر سيء لا بالنسبة للمرأة و لا للرجل.

★انت تربطين قضية المرأة في جميع اجزاء كردستان بالقضية القومية؟

-لابد من تحرير الكرد من الظروف المفروضة عليهم في ارجاع حقوقهم القومية المهضومة

اليهم و الى جانب ذلك توقيف عملية التفرقة الجنسية. و الطريق الصحيح لحل هذه القضايا هو تحقيق الديموقراطية و انا افضل الانظمة الديمقراطية الاجتماعية مثل النظام السويدي الذي يرنو للرفاه و يعمل من اجله / حيث اننا يلزمنا اجراء تغيير على القوانين و سنها من جديد بأخذ حقوق النساء بعين الاعتبار و بالتالي مراعاة حماية حقوق الكرد كشعب من خلال قانون مكتوب و معلن و بالتالي التركيز على عملية توعية المرأة بذاتها و هويتها الجنسية. و العمل بمفهوم الجندر (النوع الاجتماعي) في جميع مجالات الحياة فالمرأة لا تولد امراة بل المجتمع هو الذي يجعلها امراة و (سيمون دوبوفوار) محقة في قولها هذا. لأجل القضاء على عملية التفرقة كلياً لابد من العمل اولا على مؤسسة العائلة لتغيير قيمها. و كذلك لابد من اجراء تغيير للمناهج الدراسية الموجودة و القضاء على مفهوم التفرقة في هذه المناهج ايضاً. و الامر الاساسي الاخر هو اشتراك المرأة في سوق العمل. أي ان رفع مستوى الحالة الاقتصادية للمرأة و العائلة من شأنها الارتقاء بمستوى المرأة و حقوقها ككل.

★ماهي المشاكل الاساسية التي تظهر بين النساء في شرق كردستان؟

-هناك مشكلة الانتحار بحرق انفسهن و هذه الظاهرة موجودة اكثر في المناطق التي تسكنها الكرد و بالأخص في عيلام و كرمانشان و ظهرت من خلال الاحصاءات انه في منطقة عيلام وحدها تحرق امرأة واحدة نفسها على الأقل يوميا.

و في كلمتها الاخيرة كررت السيدة رؤيا طلوعي كلمة المناضلة الكردية (ليلى زانا) التي ارادت فيها ان تكون النساء الكرديات متحدات و متفقات على النجاح بل عليهن مساعدة بعضهن البعض لكسب المزيد من النجاحات معاً. الى جانب انه مطلوب من النساء الكرديات العمل على تعريف هويتهن القومية بالعالم و اعلاء الراية القومية الى جانب الهوية الجنسية.

تعالوا نرجم فينوس فايق!

احمد عبد الحسين



محزن مقال "فينوس فايق".

محزنة كل مطالب الكرد بالانفصال التي كثرت هذه الايام.

تعتريني كآبة بعد كل مقال ارى فيه مطلباً كردياً بالاستقلال عن العراق.

ليست الكآبة بسبب حرصي على ادامة ضم الكرد الى "ممتلكاتنا" و لا لأنني ارى الى هذه المطالب باعتبارها "وقاحة" من رعايانا الكرد الذين ذاقوا على ايدينا سوء العذاب: ذبحنا

ابنـاءهم و اسـتحيينا نسـاءهم، و مـازال بعـض الاعاريـب يريـدون لجحيم الكرد ان يتأبد.

على العكس مـن ذلـك، احـزن لأن هذه المطالب خجولـة الى الآن، أتألم لأن هذه البديهية التي تغنت بها احزابنا الثوريـة طويلاً (حـق تقرير المصير للكـرد) تقال اليـوم مـن لـدن الكـرد انفسـهم بحيـاء و خفر شديدين.

سـيقال سـريعاً ان كـل العـراقيين ظلمـوا و اضـطهدوا، رجـاءً لا تعيـدوا هـذه النغمـة اليعربيـة. لم تكـن مشـكلة الكـرد مـع صـدام حسـين. ان مشـكلة الكـرد كانـت دائمـاً و ابـداً مـع الدولـة العراقيـة لا الحكومـات. و اليـوم اكثـر مـن أي وقـت مضـى نتبين ان هذا البركان الوقور الذي كنـا نؤجـل هيجانـه بالانشـاء و بشعار العدو المشترك (صدام) اخذ بالتململ و سينفجر عما قريب.

محـزن ان "فينـوس فـايق" و مثلها كـثير مـن الكـرد، يقـدمون لمطـالبهم بالاسـتقلال، بهـذه المقـدمات الحيـة الـتي لا تريـد ان تجرح مشاعرنا نحن العرب، كأنها تريد ان تبعد عنا ذكرى اندلسنا المفقـودة و الـتي مازلنـا نتضـور انيناً على فقدنا اياها.

استقلال الكـرد (وهـو قـادم لا محالة) يرتكز على بديهيـة ادمنـا نحـن العـرب انكارهـا: ان هـذه الارض التي يقف عليها الكرد هـي ارضـهم، انهـم امـة لا تشـبهنا في شـيء، لغـةً و عـادات و تقاليـد و ازياء، و انهم –و هذا هو الاهم- لا يريـدون الانضـواء معنـا في هـذه الشراكة المسماة دولـةً، لا يريـدون لهـذا العقـد ان يسـتمر لـيس لأن الحكومـات اضـطهدتهم فقـط، بـل لانهـم يمتلكـون كـل مـا يؤهلـهم لتكوين دولة مستقلة اكثر رقياً و تحضـراً و "شـرعيةً ايضـاً" مـن كثير من دولنا العربية.

و الان تعـالوا نتفـاهم: لـماذا كلمـا صـار حـديث عـن اسـتقلال الكـرد، احـس العربـي ان جيـب سترته تمزق و سـقط منـه بعـض ماله الذي يحمله؟

كـم نشـبه –نحـن العـرب- الصـهاينة الـذين نشـتمهم ليـل نهـار؟ اتـذكر الان تصـريح نتنياهو: (لن نتخلى عـن الجـولان و القـدس لأنهمـا اجمـل مقتنياتنا!)، نحن بدورنا لا نـريد التخلي عن كوردستان لأنها اجمل (و اخـر) مسـتعمراتنا، بعـد ان صارت اراضينا نهباً لكل جيراننـا، انظـروا مـن حـولكم، لـيس مـن جيراننا من لا يحتل ارضاً عربيـة (ايـران تحتـل الجـزر الـثلاث و بعـض اراضـي العـراق، اسـرائيل تحتل فلسطين و الجولان و اجزاء من شعبنا، اسبانيا تحتـل اراضي مغربيـة، و لـو كانـت مورشـيوس جـارة لدولـة عربيـة لقضـمت اراضي منها)، نحن شعوب ضعيفة مغلوبـة على امرها، مجروحـة في كبريائها، لكننا نصدق احلام مجدٍ تليـد تمنحنـا دفقـاً مـن القـوة الكذوب، و كل قوة متوهمـة دأبها ان تكـون مختلطـة بالعجرفـة و القسوة على الضعيف (او على من نتوهمـه ضـعيفاً)، و مثـال هـذا القوة – الرذيلـة تجدها في العنـف الاسري، في ذكورة غير واثقـة مـن نفسها لا سـند يعضـد وهمها الا بضرب الزوجة او الاولاد.

هكذا نحن و الكرد. بسيطرتنا علـيهم نؤكـد صـمدية الحلـم

العربي عن الامة القوية التي هي (خير امة اخرجت للناس)، عل هذا الاستقواء ينسينا ما نحن فيه الان، اذ الوقائع كلها تؤكد اننا لسنا اضعف امة اخرجت للناس فحسب، بل اقلعها احتكاماً للأخلاق السوية ايضاً!

استغرب هذا التردد الذي يبديه الكرد في رفع مطالبتهم بالاستقلال، كان ينبغي لهذا التردد ان يحوره العروبيون ذوو الوجوه الوقحة الذين يتعاملون و الكرد و كأنهم من بقايا عبيد ابائهم الصحابة و التابعين و السلف الصالح.

انا ايضاً احلم بوطن يجمعني بأصدقائي: شيركو بيكس، رؤوف بيكه رد و ابنته الرسولة ميديا، شيرزاد حسن، ازاد برزنجي، دلسوز حمه، صدر الدين امين، هوشنك الوزيري، خالد سليمان، جمال غمبار، جلال زنكبادي، لطيف هلمت و كل الكرد الانبياء.

احلم بهذا الوطن المشترك لكن حلمي ليس حلم عروبيين مستذئبين يريدون لأحلامهم افتراس احلام الناس، و اذا ما ادركت (وقد ادركت هذا منذ زمن بعيد) ان حلم الكرد يسخر من حلمي فليس لي الا الاذعان لهذا المبتغى: دولة كردية تجاور العراق!

و لا تعيدوا علينا ايضاً جنجلوتية اليد الاسرائيلية التي تعبث بالخارطة المقدسة، لقد مللناها، فلنخجل قليلاً و نحن نشاهد هذه الكثبان الرملية المسماة دولاً (كالأردن و قطر)، هذه الكثبان التي نسجتها رياح الجنوب و ستذروها قريباً رياح الشمال بأذن اللهّ و لنقارنها بدولة كردية مازال دعاتها خجلين: أي دم سفكته البحرين مثلاً في تأسيسها؟ قارنوا ذلك بالدم الكردي الذي شارك في سفكه العراقيون و السوريون و الاتراك و الايرانيون. ثم أي حراك سياسي اسس لجمهورية موريتانيا العظمى مقارنة بمسيرة السياسة الكردية الملأى بالتضحيات؟

سيقال كثيراً من الكلام الرميم عن تحالفات الكرد مع اسرائيل و امريكا، هذا الكلام الذي لم يقله عروبي ابداً عن تحالف العرب مع البريطانيين لتأسيس دولهم، و لم يقله احد عن انبطاح الثائر الحاج امين الحسيني في حضرة هتلر الذي رفض ان يشرب معه القهوة او ان يصافحه باعتبار الحسيني من عرق عربي متسافل، و لم يقله احد عن ثورة الشوفيني الطائفي رشيد عالي الكيلاني المدعومة من قبل هتلر، كما لم يتكلم احد عن القطار الامريكي الذي مازال – منذ 1963 – و الى الان يوزع الحكام على المضارب العربية السعيدة. هؤلاء العروبيون هم الذين عليهم ان يتلجلج الكلام في حناجرهم قبل ان يستكثروا على الكرد دولة مستقلة.

و انت يا فينوس لا تخافي على ذواتنا من الانجراح، سنعرف كيف نمتص الصدمة بمزيد من الانشاء و الندب. لا تخافي و لا ترددي لان علاج محنتنا معنا ابداً: سنشتمكم اولاً، ثم سنكتب رثائيات اندلسية صرنا خبراء فيها و سننسى، كونوا اندلسنا الجديدة ارجوكم، و لا تستمعوا الى بكائنا

(لو ان اسبانيا اصغت الى بكاء العرب و نواحهم منذ ابي عبدالله الصغير و الى محمود درويش الكبير لماتت كمداً)، بل امضوا في طريقكم، اسسوا دولتكم التي سيأتي اليها كثير من العرب بصفتهم لاجئين سياسيين، فالعرب لا قدرة لهم على تغيير واقعهم و لا يريدون للعالم ان يغيرهم.

و يا ايها العرب ممن يقرأ مقالي هذا، ارجموا فينوس فايق فقد صبأت، لكن... ارجموني معها، فأنا ايضاً اطالب بدولة كردية مستقلة.

بيير بورديو: دور المثقف في الزمن الراهن

شوان احمد

ترجمة: جمال غمبار*

مقدمة المترجم

ان البحث في دور المثقف في سائر المجتمعات البشرية و على مر الازمنة المختلفة كان و مايزال هو الشغل الشاغل لجميع المفكرين و الكتاب، لاسيما الذين ينظرون الى المثقف ككائن يمتلك ناصية الفكر و الثقافة و يقدر على اعطاء التفسيرات للمعضلات الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و يعمل على احداث التغييرات نحو تحقيق الحرية للانسان فكرا و جسدا و اختيارا و ذلك من خلال تأسيس سلطة تسمى بسلطة الثقافة، لاسيما في زمن تحاول فيه كثير من السلطات السياسية و الاجتماعية، و الانظمة التي تحكم المجتمعات تجريد الانسان من ارادته و جعله كائنا يعاني الامرين من الازمات الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية، من جراء سباق التسلح الهستيري و اشعال الحروب الاقليمية و ايقاد جذوة الصراعات العرقية و الدينية في ظل العولمة التي تدور رحاها منذ زمن. من هنا يبرز دور المثقف في ان يطرق باب السلطة، و يثير التساؤلات العديدة بوجهها، لذلك نرى كاتب هذا المقال و من خلال قراءة سريعة و مكثفة لافكار المفكر السوسيولوجي الفرنسي (بيير بورديو) ينوي التطرق الى دور المثقف و اهميته في الزمن الراهن، و حينما اثرت ترجمة المقال الى لغة الضاد راعيت صياغة العبارات و الجمل كما يقتضيه نقل افكار الكاتب و قواعد اللغة العربية.

جمال غمبار

من الآن فصاعدا لا يمكننا ان نعزو تماما الشهرة الواسعة التي ظفر بها السوسيولوجي الفرنسي (بيير بورديو) الى اعماله النظرية فحسب و التي احدثت تغييرات كبيرة في خارطة السوسيولوجيا المعاصرة، او الى ما تضمنته صفحات كتبه او مؤلفاته مثل (الحس العملي) و (العنف الرمزي – بحث في اصول علم الاجتماع التربوي) و (تأملات باسكالية) و (بؤس العالم) و التي ترسم لنا تأثير طروحاته و افكاره على الفكر السوسيولوجي الجديد في اواخر هذا القرن، بل علاوة على ذلك و بجانب طروحاته تلك، يمكننا القول بأن تألقه كمثقف متحمس و حامل للهموم و كذلك ذو احساس بمسؤوليته ازاء المعضلات و التهديدات التي تواجهها المجتمعات في الزمن الراهن، هو الاخر اصبح عاملا من عوامل شهرته الواسعة و بروزه الأكثر حضورا على الساحة الثقافية الفرنسية في الحاضر. فعلى الرغم من ان قضية الاحساس بالمسؤولية لدى المثقفين الفرنسيين ليست بقضية جديدة، و ان بداياته لا تعود الى اللحظة التي ولدت فيها الثقافة المعاصرة على يد (اميل زولا) فحسب، بل انها كانت قد بدأت منذ زمن (فولتير)، الا ان ما يلفت النظر و يصبح موضع نقاش بصدد موقف (بيير بورديو) الجديد هذا (أي موقفه الجديد ازاء المعضلات التي واجهت المجتمعات الجديدة- المترجم) هو قيامه من جديد بطرح قضية و احياء تقليد ثقافي فرنسي غابر كان بالكاد يقترب من حافة الاضمحلال و النسيان.

فبعد ان فارق جميع مفكري و منظري (68) الحياة (يقصد هنا بأعلام الفكر و الثقافة الذين كانوا وراء الاضرابات الطلابية عام 1968 التي هزت الانظمة السياسية في اوروبا - المترجم) و بعد انهيار الايديولوجيات و انحسار العمل و النشاطات النقابية و الحزبية و من ثم هيمنة المؤسسات الاعلامية و ظهور الملامح البدائية للعولمة، اصابت الحياة الثقافية في باريس و هي المعروفة بعاصمة الثقافة بسبات و ركود غير متوقعين، حيث برزت مشاكل كثيرة و بدأت تواجه المجتمع، بدءا من البطالة و قضية اللاجئين، و انتهاء بالمظاهرات و المسيرات الجماعية التي كانت تنظمها جماعات الشاذين جنسيا، و كذلك المنظمات و الجماعات النسوية، مطالبة بحقوقها المشروعة.. الخ.

و في هذه الاثناء كانت الشريحة التي اختارت الصمت ازاء هذه القضايا هي شريحة المثقفين التي لم تكن لها المشاركة الجدية و كذلك لم تكن توجه انتقاداتها الى الممارسات السيئة و السلطوية التي كانت تصدر او بالاحرى تمارسها سلطة الحكم. اما فيما يتعلق بالأسباب التي تكمن وراء صمت هذه الشريحة، فهناك اكثر من ذريعة تساق من قبلها لتبرير بقائها صامتة دون حراك، لعل اضعفها تتضمن قلق هذه الشريحة و خوفها من اتهامها بالشريحة المؤدلجة (أي المشحونة بالايديولوجيا - المترجم) و الماركسية من جراء توريطها في

مثل تلك القضايا. و من ابرز النماذج في هذا الصدد هي مواقف (غلوكسمان و بيرنار هنري ليفي و فنكلكروت)، و هنالك اخرون كانوا يتصورون بأن تلك القضايا لا تمت بأية صلة لامن بعيد و لا من قريب بالمثقفين البتة، و انما هي تقع ضمن مهام الاحزاب و المنظمات الانسانية و النقابية.

ان موقفا كهذا قد حدا في الحقيقة بالمنظمات الانسانية من جهة و رجال الكنسية و نجوم الفن و خصوصا نجوم السينما من جهة اخرى، للانخراط في صفوف المدافعين عن القضايا الاجتماعية و القيام بتقديم العون و المساعدات للمشردين و البؤساء، في حين كان على المثقفين و قبل اية جماعة او شريحة اخرى، ان يدلوا بدلوهم و ينبغي عليهم اتخاذ مواقف ايجابية بهذا الصدد.

في خضم هذه الاوضاع و الاحداث، و من جراء بقاء المثقفين في قوقعة الصمت و العزلة و الابتعاد عن قضايا و هموم المجتمع المحمومة، خرج (بيير بورديو) من قوقعته محطما اسوار الصمت المريضة، و ذلك من خلال الكف عن الجلوس من وراء طاولة غرفته، و من ثم الانتقال الى معترك الاحداث التي تجري في شوارع و ساحات مدينتي باريس و ليون و بقية المدن الاخرى.

ان (بورديو) و من خلال خطوته الفعلية هذه لم يكن مبدعا فحسب، بل انه اقدم على احياء تقليد ثقافي فرنسي قديم كان مثله مثل اشياء اخرى اوشك ان يدخل طي النسيان، و كاد يوضع في عداد الاشياء المرصونة في رفوف المتاحف و اروقتها.

بعد حدوث الاضراب الذي قام به عمال خطوط السكك الحديدية في مدينة ليون عام 1995، اصبح (بورديو) ابرز علم او ملمح ثقافي في الشارع الفرنسي و الاماكن العامة لهذا البلد، حيث كان يدافع عن المشردين و يتقدم حشود المتظاهرين و المسيرات العمالية و كذلك المسيرات التي كان يقوم بها اللاجئون و الشاذون جنسيا و المنظمات النسوية. كان (بورديو) و حتى لحظة خروجه من قوقعة صمته، و من ثم دخوله الطوعي الى معترك الاحداث، كان خلال تلك الفترة و على مر سنوات عمره لم يعد كونه رجلا اكاديميا و باحثا علميا متحفظا فقط، حيث كانت بداياته شبيهة ببدايات الشاعر (اوكتافيو باز). ان (باز) الشاعر كان يقول: "كنت اعتقد و خلال عقود طويلة من الزمن ان كلمة (لا) كانت كلمة سيئة، الا انني فهمت بعد ذلك بأن مهمة المثقف هي التحدي و التفوه بكلمة (لا)". ان موقف (بورديو) كان ايضا و حتى لحظة انفجار احداث اواخر عام 1995، شبيها بالموقف البدائي الذي كان اتخذه من قبل (اوكتافيو باز) خصوصا في بدايات حياته الادبية، الا انه و بعد تلك الاحداث اصبح مناضلا سياسيا و دخل ساحة الاحداث متخذا قرار الوقوف بوجه جميع انواع القهر و الاستبداد، التي كانت تمارسها الانظمة التي كان يقف وراء ادارة دفتها الليبراليون الجدد من امثال (شرويدر و جوسبان و بلير) في

كـــل مـــن المانيـــا و فرنســـا و بريطانيا.

ان (بورديـو) و علـى الـرغم من انـه و منـذ بدايـة الستينيات كـــان منشـــغلا و كعـــالم سوسـيولوجي بكتابـة البحـوث و الدراسات التحليلية حول الظواهر الاجتماعيــة الســائدة، الا انــه لم يكن متـدخلا و لا متطرفـا البتـة الى القضايا و المشاكل السياسـية و الاجتماعيـة السـائدة في مجتمعـه، بـل اكثـر مـن ذلـك انـه لم يكـن مسـتعدا حينـذاك و حتـى لحظـة اتخـاذ موقـف الـدخول المباشـر او المشـــاركة الفعليـــة في معـــترك الاحداث.. لم يكـن مسـتعدا حتـى لوضع مجـرد توقيـع علـى مـذكرة احتجـــاج او ابـــداء اســـتعداده للمشاركة في المسيرات و المظاهرات الـتي كانـت تجـري في حينهـا، و الاغـرب مـن ذلـك ان حـدثا هامـا كالثورة الطلابيـة الفرنسـية الـتي حـدثت في ايـار عـام 1968 لم تخلق لديه أي رد فعل ايجابي، بل قرر في حينه و بمحض ارادتـه ان يبعد نفسـه عـن مسـرح الاحـداث لفـترة مـن الـزمن. أي انـه و بـدلا مـن المشـاركة او ابـداء المسـاندة للمطالب التي كان طلاب جامعـات بـاريس يطـالبون بهـا، كـان علـى العكس من ذلك قد اختار الصمت و العزلـة. و كـان بورديـو يقـف بوجه كل المحاولات و الجهود التي كانـت تعمـل علـى اخراجـه مـن المجـالات العلميـة و الاكاديميـة، لا سيما المحـاولات الـتي كانـت تعمـل علـى ادخالـه الى مجـالات العمـل و النشاط السياسيين، بـل انـه اكثـر من ذلك كان يوجه الانتقـادات الى المثقفين الذين كانوا ينخرطون في الحركـات السياسـية مـن امثـال (ميشـيل فوكـو) و زملائـه. في احـدى كتاباتـه الـتي كتبهـا عـام 1968 و هـــي بعنـــوان (مهنـــة السوســـيولوجي) كتـــب يقـــول: "علـى الباحـث السوسـيولوجي ان يقف بوجه ذلك الرسول او الـنبي الذي كان يعيش في داخله، و الذي تطالبـــه النـــاس ان ينـــزاح الى الشـــوارع و ينـــدمج او يمتـــزع بقضـــاياهم و يشـــاركهم في حـــل معضـــلاتهم". الا اننـــا نـــرى (بورديـو) يتراجـع عـن مقولتـه هذه و الـتي كانـت بمثابـة مقـترح كـان قـد اقترحـه في خضـم و يتلاشـى ايمانـه بهـذه المقولـة او هذا الاقتراح، كما انه يتخذ موقفا اخر و ينصرف تماما على العكس مما اقترحه في حينه.

ان (بورديو) الذي كان يقف و حتى لحظة انفجار الاحـداث الـتي جـرت في شـهر كـانون الاول عـام 1995 خـارج الـدائرة الـتي رسـم خطوطهـا (اميـل زولا منـذ قيـام هذا الاخير بطرح قضية (الفريـد درايفـوس)، هـا هـو الان يقـوم باحداث تغيير جذري علـى مسار نشـاطه و يعيـد كـرة ثانيـة مـا طرحه (زولا) قبل قرن مـن الان، و بهـذا التحـول يظهـر ثانيـة السـؤال الـذي يطـرح في الوسـط الثقافي الفرنسي و مفـاده: مـا هـو دور المثقف الذي يمكن ان يضطلع به في الزمن الراهن؟

بغية الاجابة عـن سؤال كهذا يرجع بورديو الى التعريف الواسع الانتشـار الـذي عـرف مـن خلالـه (جـان بـول سـارتر) الشـخص المثقـف قـائلا: "ان المثقـف هـو الشخص الذي يغادر او يتخلى عن موقعـه الطبيعـي او العـادي و

يتدخل في قضية لا علاقة لها بشخصه" (و يقصد هنا بأن تلك القضية هي قضية اجتماعية و ليست قضية شخصية – المترجم). ففي الزمن الراهن الذي باتت فيه اصقاع العالم محفوفة بالمخاطر و اصبح فيه واقع الحياة اكثر تعقيدا مما كان عليه في الازمنة الغابرة، لذلك و حسب ما يراه (ارثر ميلر) يكون عالم اليوم و في هذه اللحظة الراهنة، بأمس الحاجة الى المثقفين من أي وقت مضى. لكن هنالك سؤال يبرز امامنا الا و هو: الا ترون بأن عصرنا الراهن ليس بعصر (فولتير) و (اميل زولا)، كما انه ليس بعصر الثقافة الكلاسيكية؟ بل اكثر من ذلك ان عالم اليوم و هو يقضي الايام الاخيرة للقرن العشرين، ليس بعالم (اندريه مالرو) و (بريتون) و (كامو) و (سارتر) و (ريمون ارون).

مما لا ريب فيه ان سؤالا كهذا ربما يحمل في طياته شيئا من الحقيقة ليس ثمة احد لا يحس بالتغييرات السريعة و الهائلة التي تجري بشكل دائب، لاسيما في مجالي شبكات الاعلام و الاتصالات التي احدثت شرخا كبيرا في العلاقات القائمة بين المثقف و الناس، و ان هذا الشرخ قد اثر سلبيا على الجهود المضنية للمثقفين بالشكل الذي نرى ان الجهود و المساعي الثقافية لاي مثقف ايا كان موقعه في عصرنا الحاضر لا ترقى الى مستوى التأثير الذي خلقته الجمل الثمنمئة التي كتبها (اميل زولا) و التي كانت تحمل معاني عميقة، و يكمن من ورائها توجيه الانتقادات الى السلطات الفرنسية في حينها من جراء اعتقالها لضابط يهودي كان اسمه (الفريد درايفوس). الا ان ذلك الشرخ المحدث بين المثقف و الناس و الذي جاء من جراء مجموعة من العوامل التي اسلفنا ذكرها، انما هو شرخ لا يشكل ذريعة لاختيار موقف الصمت و عدم اتخاذ المواقف، بل على الرغم من قساوة الظروف و تعقيداتها ينبغي على المثقفين ان يدلوا بارائهم و يعبروا عن انتقاداتهم، و كذلك عليهم ان يتخذوا مواقف اخلاقية اكثر جدية ازاء المعضلات الاجتماعية لا لشيء بل لأنهم و كما يقول ميلر: "ان سلطتهم الثقافية – المترجم – تفوق سلطة الاخرين من حيث قوة التأثير". هذا و تزامنا مع الاحداث التي تجري في عصرنا الراهن، و على الرغم من انه و في المجتمعات الغربية الثرية (ومن بينها المجتمع الفرنسي) هنالك ممارسة ديمقراطية اتاحت فرص تلقي المعرفة بالشكل الذي اتاح لكثير من الناس تلقي التعليم على كافة المستويات، بحيث يؤدي هذا التلقي الى تمكينهم من طرح التفسيرات للقضايا المعقدة التي تسود مجتمعاتهم، كما يكون بمستطاعهم اتخاذ المواقف الجديدة حيثما اوجدتها الضرورة، الا ان اتاحة هذه الفرص امام اناس اخرين و من غير المثقفين، لا تعني بالضرورة ان دور المثقف قد انتهى او على اقلها لا يعني بأن يتموضع المثقف في وضعية لا يكون معها مضطرا ان يمارس المهام الثقافية التي

مارسها المثقف الكلاسيكي و الدور الذي لعبه هذا الاخير، لأنه نرى ان المتعلمين و اصحاب الشهادات العليا ليس شرطا ان يكونوا في عداد المثقفين او يعاملوا معاملة المثقف، لاسيما في وسط ثقافي شائع كالوسط الغربي الذي طبع و في ظل عصر العولمة بالطابع التجاري، كما ان هذا الوسط تسوده موجة سباقات هستيرية وراء الظفر او الحصول على التخصص (او لنقل الخصخصة – المترجم) و ان حماية المصالح الفردية قد بلغت ذروتها، أي بمعنى اخر يكون من النادر جدا ان ترى حاملي الكتب – ان جاز التعبير – (ان عبارة حاملي الكتب تعني الذين يسترون تحت جلابيب شهاداتهم الدراسية العريضة و الكتاب الذين ليست لديهم متابعات جديدة و يدعون الثقافة و المعرفة دون ان يكون لهم دور فعال في حل المعضلات الاجتماعية – المترجم) او علماء اليوم يتخذون مواقف جديدة حيال معضلات المجتمع و العالم كما اتخذها من قبل الكتاب و المثقفين من امثال (اميل زولا) او (جان بول سارتر) علاوة على ذلك فان الاجهزة الاعلامية تلعب ايضا دورا سلبيا في هذا المجال، أي انه و في ظل الظروف الشائكة التي خلقتها المؤسسات و الاجهزة الاعلامية، نرى انه و من الصعوبة بمكان ان يكون بمقدور الاصوات الجديدة و المؤثرة البوح بكلماتهم بحرية تامة و في ظروف متاحة جدا، و يمكننا بهذا الصدد ان نسوق مثالا حيا و الذي يكون بمثابة دليل ساطع على ذلك و الذي يتمثل في حالة (ميشيل فوكو)، الذي وجه اليه احد طلاب (كوليج دوفرانس) عن سبب عدم ظهور (فوكو) على شاشات التلفزة الفرنسية للادلاء بارائه؟ فكانت اجابة (فوكو) عن هذا السؤال تتضمن هذه العبارات: "و لماذا اظهر و انا ادلي بما يصدقونه و بالتالي لا يكون موضع رضى و استحسان لدى الذين يديرون دفة السلطة، اذ انني لا اقول ما يرضيهم".

من هنا يتضح لنا تماما مدى خطورة الدور الذي تلعبه المؤسسات الاعلامية في الدول المتقدمة جدا، اذ يتمثل ذلك في تهميش الاصوات الجدية و منع المثقفين من توجيه الانتقادات الى السلطة كما تعمل تلك المؤسسات على ترسيخ اكثر للسلطة التقنية التي تتحرك تحت شعارات السعادة الفردية و تثبيت الفردانية، كل ذلك ادى الى تجريد الانسان من قوة و ارادة المواجهة و المميزات الانسانية الخاصة به و ازاء وضعية سيئة كهذه يكون المثقف ملزما بأن يجدد اساليب عمله و من ثم يحارب او يقارع كل تلك السلبيات. هنا ينبغي مجانبة المفاهيم و القيم التي تفيد بأن المثقف يكون مضطرا ان يلعب دور المثقف الكلاسيكي فقط في تلك المجتمعات التي يشكل فيها المتعلمون نسبة قليلة او لا تسودها الديمقراطية، اما سبب مجانبة مثل هذه المفاهيم او القيم فيكمن في ان العوامل و الاسباب التي اسلفنا ذكرها و الاحداث التي تقع يوميا داخل المجتمعات المتقدمة، كلها تبرهن

بأن على المثقف ان يلعب نفس الدور الذي كان يضطلع به في الماضي، كما ينبغي على المثقف ان يشكل اعتقادا مفاده ان الخوض في عملية انتقاد الانظمة السياسية الراهنة و من ثم خوض النضال الثقافي في الحاضر، يكون اكثر تعقيدا من الذي كان يسود زمن (زولا). الا انه و من حيث الفحوى فان مهام المثقف هي نفس المهام السائدة وقتذاك.. لذلك نرى (بيير بورديو) و من خلال استقراء هذه الحقائق و الكشف عنها في الزمن الراهن، قد بدأ و في عصر العولمة و حكم اللين الجدد يلعب ذلك الدور بدأت يخوض معترك الصراعات، كما بدأ و في عين الوقت يناشد المثقفين الاخرين لاتخاذ نفس الموقف الا ان محاولة (بورديو) هذه لم تمر دون مواجهة عداء و رد فعل شديدين، و من اللافت للنظر ان ردود الافعال تلك و التي واجهتها محاولة (بورديو) قد جاءت من وسط المثقفين انفسهم و ليست من قنوات اخرى، و هذا ما ادى الى اثارة وحدوث السجالات و النقاشات في فرنسا من جديد حول ماهية المثقف؟ و هل المثقف هو الذي يقوم بكتابة او انجاز الدراسات و البحوث في مجال الفكر فحسب ولا يتخلى عن موقعه الطبيعي، ام هو ذلك الكائن الذي و كما يقول (سارتر) يتدخل و يمتزج بتلك القضايا التي لا علاقة لها بشخصه هو البتة؟

ومما لاشك فيه فان (بورديو) قد انحاز الى الرأي الثاني، و موقفه هذا ادى الى اثارة حفيظة عدد غير قليل من الاخرين حيث بدأوا بمحاربته و ابرزهم هي السيدة (جانين فرديس –ليرو) و التي تعد من الد خصوم (بورديو) و تشغل منصب مدير قسم الدراسات في المركز القومي للأبحاث العلمية حيث صرحت في مقابلة اجرتها معها مجلة (لير) بهذا الصدد قائلة: "انني لا اصادق على ما يفعل بورديو، لأن المثقف و حسب اعتقادي هو ذلك الشخص الذي يثير الشكوك و من ثم يبعد نفسه عن عالم السياسة". و في معرض اجابتها عن سؤال اخر حول تحديد ما يؤدي الى اثارة حفيظتها من مواقف بورديو، و هي يمكن ذلك في اهتمام بورديو بالقضايا السياسية او هنالك سبب اخر وراء ذلك، اجابت (ليرو) قائلة: "ان ما يثير حفيظتي هو نظريته (أي نظرية بورديو – المترجم) و ليس اهتمامه و تدخله في القضايا السياسية، و انني اعتقد بأن بورديو يسير في مسار خطأ، كما انه يعرف تمام المعرفة بأن نظريته قد وصلت الى طريق مسدود، و لهذا السبب تراه و منذ سنوات قد بدأ يخوض النضال السياسي – الراديكالي".

كما انها و في معرض اجابتها تستطرد قائلة: "انني اقولها حقيقة بأن بورديو لا يروم خوض غمار المعركة ضد القمع و الاضطهاد، كما لا اعتقد بأنه ينوي ان يقوم بتسليح المضطهدين و المقموعين من حيث الفكر و التوعية، و دليلي على ذلك هو الاسلوب الكتابي الذي يكتب به نتاجاته، و ان من يقرأ كتاباته يظهر له جليا بأن

استيعاب مثل هذه الكتابات يكون في مقدور نخبة معينة فقط و ليس عامة الناس. لانه يلجأ الى استخدام لغة هي في غاية التعقيد من حيث التقنية، فيكون من الصعوبة بمكان ان يفهم عامة الناس تلك اللغة و اذا كانت ذريعة بورديو في ذلك و كما تضمنتها اجاباته العديدة على كتاباتي تكمن في انه ينبغي على الكاتب و في سبيل التعبير عن فكرة سديدة، ان يمتلك لغة تقنية رصينة. ازاء هذا اقول: كلا.. انه ليس محقا او مصيبا في رأيه و لدي ادلة كثيرة على ذلك، فهاهم مؤرخو فرنسا العظماء امثال لوسيان فيفر و مارك بلوك و فيرنان بروديل، فعلى الرغم من انهم اصحاب افكار عميقة و اراء علمية، الا انهم يكتبون بلغة سلسلة و مبسطة بالشكل الذي تكون بمستطاع عامة الناس ان تفهمهم اثناء قراءة كتاباتهم".

ان جميع الانتقادات التي توجهها (ليرو) و الحملات العدائية التي يشنها سائر الاشخاص الاخرين داخل و خارج الوسط الثقافي الفرنسي ضد مواقف و كتابات (بيير بورديو)، لن تحجب تلك الحقيقة التي مفادها ان (بورديو) و منذ لحظة تصعيد ممارسات العنف من قبل السلطة، و كذلك منذ بدايات ظهور ممارسات بربرية جديدة تحت شعارات العولمة، قد قام بادخال الخطاب الثقافي مرة اخرى الى معترك الاحداث الحياتية و اعاد لذلك الخطاب مرة اخرى المهام التي تطبع بطابع الانتقاد و المسؤولية، تلك المهام التي كان المثقفون يعتقدون بأنهم قد نفذوها و اصبحت في خبر كان. لكنه و على الرغم من ان التاريخ (و حسب ماتيقن به فوكوياما) قد بلغ نهايته و ان قوته (حسب مقولة نادين جورديمر) قد بلغته الردى، الا ان مهام المثقفين لا و لن تنتهي ابدا.

المصادر:

1-ييس ستين: المثقف الاول.

2-كابى كليجمان: خمسة اسئلة الى المثقفين.

3-اسكندر حبش: قضية (بيير بورديو)/ المثقف سلطة في الشارع.

4-ابراهيم العريس: ظاهرة جديدة في الثقافة الفرنسية اسمها (بيير بورديو)

5-محمد نور الدين افاية: (بيير بورديو) / طرح يساري نحو تجديد اساليب المثقف.

6-هاشم صالح: فيلسوف الصالة الثامنة.

7-ريبوار سيويلي: نموذج السوسيولوجيا المعاصر/ (محاولة للتعرف على بيير بورديو).

سليم بركات يكتب الحكاية الغرائبية وصولاً الى النصّ الأنَقى

عبده وازن

عندما باشر سليم بركات في كتابة الرواية في منتصف الثمانينات ظن بعضهم أن الشاعر الذي كان كتب للتوّ رائعته "الجمهرات" يواجه أزمة شعرية ما. وحملت سيرته التي وضعها في جزءين نفساً روائياً بيّناً ما لبث أن تجلّى لاحقاً في روايته "فقهاء الظلام" وما تلاها من أعمال روائية. إلا أن لجوء بركات الى الفن الروائي لم ينجم عن أزمة في الصنيع الشعري لديه مقدار ما كان مضيّاً في التجربة الفريدة التي خاضها وهي تميل الى النثرية ميلها الى الشعر ولو كان تفعيلياً أو مدوّراً في أحيان. ولم يكن النصّ السرديّ الذي كتبه بركات غريباً عن ذاكرته الشعرية وعن جذوره اللغوية, خصوصاً أن الشاعر لم يغادر آفاقه الشاسعة الطالعة من عتمة الماضي ومن سديم الوجود. واللافت أن بركات لم يكتب رواية واقعية أو تاريخية في المعنى الرائج للواقع والتاريخ بل هو عمد الى وضع عالم روائي لا يشبه عالم الرواية أصلاً, أحداثاً ووقائع وشخصيات, ناهيك بالبنى الروائية المتعارف عليها. أطلّ بركات روائياً مثلما كان أطل شعرياً: صوت فريد يحمل من وحشية التعبير ما يحمل من صفاء الموقف ونداوة الجذور, اضافة الى الجوّ الغريب وربما الغرائبيّ المنبثق من عمق المخيّلة الأولى, الفردية والجماعية. ومثلما أحدث شعر سليم بركات صدمة في "تاريخ" الحداثة الشعرية وفي وجدان القارئ العربي, أحدثت رواياته المتوالية صدمة في الحركة الروائية الجديدة وراحت تؤلف ما يشبه "الحالة" الخاصة, المنعزلة عن عالم الرواية والروائيين, والمنكفئة الى نفسها والى لغتها ومخيّلتها و"نموذجها" النادر. والقارئ (ربما العادي) الذي لقي صعوبة في ولوج "محراب" سليم بركات الشاعر, واجه أيضاً صعوبة في دخول "دائرته" الروائية, ليس لصعوبة في المعجم والتراكيب فقط وانما لغرابة النص - شعراً ورواية - وتغرّبه عن السائد

و"حوشيّته" - كما تقول العرب - وفجاجته اللطيفة. ولم يسع سليم بركات الى مصالحة قرائه من خلال ما كتب ويكتب من روايات أو الى جذبهم واغرائهم, وبدا كأنّه لا يضع القارئ نصب عينيه بينما هو يكتب. فما يهمّه هو أن يعبّر ويخلق تلك اللحظات العالية, شعراً وسرداً, لغة وأسلوباً, رؤيا وتخييلاً. ولا يسلّم بركات مفاتيح عالمه بسهولة الى القارئ, فهو يحرّضه على فعل القراءة مثيراً فيه شيئاً من الحيرة والقلق وشيئاً من المتعة أيضاً, متعة الوقوف أمام نص صعب وشائك ظاهراً. ولكن ما ان يدخل القارئ هذا العالم حتى يروح يتمتع بما يضم من مفاجآت: ايقاعات وصوراً وتعابير ومعان وجماليات غير مألوفة.

ولئن بدت معظم روايات سليم بركات (فقهاء الظلام, أرواح هندسية, ثلاثية "الفلكيون", الريش, الأختام والسديم وسواها) تميل الى "الأدب الخارق", بحسب تسمية الناقد تزفتان تودوروف وهو الأدب الذي يبقى على "حدود الواقع والخيال", لا ينحاز الى الواقع الصرف ولا الى الخيال الصرف, فأن روايته الجديدة "كهوف هايدراهوداهوس" (المؤسسة العربية, 2004) تميل الى ما يسمّيه تودوروف بـ"الخارق العجيب" حيث لا يفسّر الحدث تفسيراً عقلانياً كونه يفوق الطبيعي. وعالم الأدب "الخارق العجيب" لا يشبه "عالم الواقع بل يجاوره من غير اصطدام ولا صراع, على رغم اختلاف القوانين التي تحكم العالم". وقد تكون رواية بركات هذه "حكاية خرافية" تنتمي الى عالم التخييل والوهم ولكنها خلو تماماً من أي "أمثولة" اجتماعية أو سياسية على رغم بعض الإشارات التي تشي بمعان عدة, تظل وقفاً على القراءة التأويلية.

تنتمي شخوص الرواية الى أمّة "السانتور", فهي, إناثاً وذكوراً, نصف إنسان ونصف حصان. أما عالمها فهو يوازي عالم "الحقيقة" ولكن متخيّلاً, أي أن هناك "كهوف هايدراهو داهوس" وهي البلاد التي يحكمها الأمير ثيوني المتزوّج من انيكساميد ويملك مهرّجاً هو خايناس وكاهناً يدعى كيدرومي وشاعراً هو ميدراس اضافة الى المجلس والرعية. طبعاً ليس المهم الحكاية نفسها بل ما يحيط بها وتحديداً المناخ الذي رسمه بركات وشاءه مترجّحاً بين البعد الحكائي والبعد الخرافي. فالحدث شبه الرئيس هو مقتل الأمير (عندما تنكّر وراح يجوب أحياء "البلاد") على يد ديديس التي كانت تعتقد أن "أميراً متنكراً هو أمير ميت". وحين يقتل الأمير تبحث زوجته عن شبيه له يحلّ محلّه لئلا يحلّ الفراغ في السلطة. أما أجمل ما تفصح عنه الرواية فهو اختلاط عالم الظلال والأطياف وعالم المخلوقات الغرائبية هذه. فالظلال تتشاجر في ما بينها ثم تتصالح, والأميرة تؤمن أن "الرسوم والصور حنين خيالنا الى ما كناه في وجودنا الأول كنقوش على اللون". ولا تتوانى انستوميس عن طحن "بزرة من بزور الطبائع في جرن جسدها".,

وهي تصف النعاس بـ"ابن الوجود اللقيط". وفي هذه "الكهوف" يتزوج مخلوق الهوداهوس في السادسة ويكتهل في العشرين ويشيخ في الثلاثين. على أن أغرب ما في هذه الإمارة المتخيلة هو اقتسام الأحلام في النوم, فالكائن يبصر نصف حلم فيما النصف الآخر لدى شريكته. وذات يوم يقرّر الأمير ثيوني, بعدما ضجر من استنطاق أحلام أهل المجلس, أن يستنطق أحلام العامة, والمفاجأة أن مئات من أهل العامة لم يحلموا فراحوا يلفقون الأحلام. ولن يلبث الأمير أن يصدر قراراً بمنع انتصاف الحلم: "لا حلم يبقى ملك اثنين وحدهما, بعد اليوم". لكن القرار لن يعجب الكاهن فيخاطب الأمير قائلاً: "الحلم لون, إن كشفناه أهتاه".

شخصيات غير واقعية حتى وإن مثلت نماذج بشرية معيّنة (الأمير, الأميرة, الكاهن...) تحيا في عالم لا واقعي, يختلط فيه الحلم والحقيقة فلا يبقى الحلم حلماً ولا الحقيقة حقيقة. وفي هذا العالم الخرافي يملك الكاهن "أسرار اللون" وهي "الحقائق" وفيه يلقي الشعراء أشعارهم "وهم يركضون متسابقين" وفيه يقول الكائن المقيّد: "حلم كامل ليس حلماً فحسب, بل تمرين على إملاء سرّ على أنفسنا لا يخصّ غيرنا". وإذ يحلم الأمير أنه نادى "كاهن الطواحين" باسم "أوريسن" يكتشف بحسب ما يقول له المخلوق المقيد ان هذا الإسم يعني أن صاحبه "مخلوق رحالة, لا لغة له ويقف على قدميه". وإذا تأمل الأمير "البلورة السوداء" فإنما لتنثر على خياله صوراً يستنطقها كما يعبّر. وفي هذا العالم يستطيع الكائن أو المخلوق أن يعرف مَن يحب قبل التقائه به, مثلما تقول انستوميس.

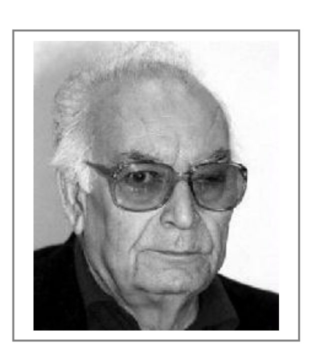
عالم مشرع على المخيلة في كل ما تحوي من تصوّرات وهمية وأطياف وأحداث غرائبية. عالم كأنّه وليد كيمياء التخييل, تتداخل فيه الكائنات والأصوات, الظلال والألوان, العادات المستهجنة والأوهام الطفولية. عالم كأنّه مستلّ من حكايات "ألف ليلة وليلة" أو كأن كائناته من مسوخ "تحولات" أوفيد وأحداثه من صميم الأساطير والخرافات. بل كأنّ أسرار هذا العالم تشبه أسرار السحر القادر على تغيير المظاهر وتحويل الأشكال. في هذا العالم الساحر والجميل يمكن أي كائن أن يقول: "سطور السهول مدوّنة بأنفاس اللون على مرايا الأفق", أو أن يتحدّث عن "هزال الحيرة" و"خبز اليقين الغامض" و"حمّى القرائن" و"خراب اللون" و"ماء التورية" أو أن يقول أيضاً: "سأفني في قلبي حنين المكان"... ومثل هذه الأقوال أقرب الى الكتابة الشعرية ذات النزعة السوريالية والحلمية. وقد لا تكون هذه الرواية غريبة عن بعض الأعمال السردية الخارقة التي عرفناها لدى إدغار ألن بو ولو ترياмون وجيرار دونيرفال وسواهم. وقد تصعب المقارنة بين هذه

الرواية ورواية "أليس في بلاد العجائب" أو "الأمير الصغير" وسواهما. فرواية سليم بركات لا تلجأ الى الأسطورة لتصوغها في صيغة أخرى أو لتنطلق منها الى أفق أسطوري آخر, بل هي تحاول البحث عن الجذور الخرافية والغرائبية للعالم عبر الاستسلام الكلي للمخيّلة. فالحكاية هنا تخفي نفسها أكثر مما تبوح بنفسها. والأسماء الغريبة التي تحملها مخلوقات "السانتور" اشتقها الكاتب على ما يبدو من بعض الأسماء والتعابير الاغريقية والرومانية. والاشتقاق دليل واضح على اعادة خلق التاريخ الأسطوري من ماء المخيّلة.

لم يتخلّ سليم بركات في هذه الرواية عن نسيجه اللغوي المتين والفريد ولا عن تقنية البناء الحلمي الذي تجلّى في رواياته السابقة ولا عن "شطحاته" الشعريّة وهي تتخطى دوماً الأشراك اللفظية التي تثقل الكثير من القصائد العربية المعاصرة. لغته هنا تنساب رقراقة كعادتها, محمّلة ببعض المفردات الغريبة و"الحوشية" وبعيدة كل البعد عن البلاغة الميّتة والبيان المفتعل. انها لغة سليم بركات في سياقٍ حكائي, يهدف الى خلق عالم باهرٍ, بصوره الغريبة ومعالمه الغرائبية وأفقه المفتوح على سحر المخيّلة البريئة والنقية.

وختاماً لا بدّ من طرح السؤال الذي يفرض نفسه لدى قراءة أي رواية من روايات سليم بركات: هل الأعمال الروائية أهم من الأعمال الشعرية لدى هذا الشاعر المتفرّد, أم أنّها مجرّد تمارين عميقة وصعبة بغية الوصول الى النصّ الأنقى الذي لا يعرف حدوداً بين السرد والشعر؟.

الكتاب الكرد الذين لا يكتبون باللغة الأم


يشار كمال

فاضل كريم احمد

الكتابة باللغة الأم، ظاهرة طبيعية سائدة، و الكتابة بلغة الشعوب الاخرى، ظاهرة تفرضها الضرورة و الحاجة الموضوعية. العلاقات و الأمور التجارية و الدبلوماسية و السياسية و الدينية.. الخ تولد ضرورة تعلم و ممارسة لغات اخرى الى جانب اللغة الأم.

النتاجات الأدبية و الفنية تكتب عادة باللغة الأم، لارتباطها بالعواطف الجياشة و الأحاسيس الملتهبة و الذاكرة الجماعية و

التجربة الفردية. في التاريخ حالات اخرى كسيادة اللاتينية و اللغة العربية في العصر الوسيط.

كانت في اوربا سلطة البابا و الكنيسة و رجال الدين مهيمنة بشكل مطلق. المؤسسة الدينية تقر الكتابة باللاتينية في الكنائس و الجامعات و المراسلات الرسمية. و اللغات "القومية" كالألمانية و الفرنسية و الانكليزية و الايطالية.. الخ انحصرت في المنزل و السوق و الأدب و الفن.. الصراعات السياسية بين "المركز" و "المحيط" بين روما و الاقاليم، اتخذت اشكالا و صورا مختلفة تبعا لضعف و قوة كلا الطرفين، احدثت في النهاية زعزعة اسس السلطة الدينية و انكماشها و زيادة نفوذ السلطات في الاقاليم. هذه العملية التاريخية، رسخت استعمال اللغات القومية او المحلية في الدوائر الرسمية و المراسلات. صعود نجم زعيم الاصلاح الديني البروتستانتي مارتن لوتركنغ (1483-1546) تكتب (Luther) و تلفظ لوتر و ليس لوثر الشائعة في اللغة العربية – و هو احسن و انجح مترجمي الانجيل الى اللغة الالمانية. الحركة برمتها كانت تعبيرا و تجسيدا لنمو المصالح و الأولويات "القومية" الاقليمية المتناقضة مع سلطات المركز – روما. و ساهم اختراع الطباعة في هذه الفترة من قبل كوتنبيرك (1400-1468) في نجاح حركة الاصلاح الديني، بطبع الكتاب المقدس بشكل واسع باللغة الالمانية، الى جانب مؤلفات و بيانات و اطروحات زعيم الحركة، و لولا الطباعة، ربما لم يكن مصير مارتن لوتر افضل من مصير مترجمي الانجيل الاخرين الذين سبقوه.

هناك خطوط متشابهة و متوازية بين اللغتين العربية و اللاتينية، مع ملاحظة شبكة الاخلاقيات و المفارقات. العربية اصبحت لغة الدوائر الرسمية و المدارس و الجامعات و المراكز الثقافية. ان جغرافية اللغة لم تحصر نفسها في حدود جغرافية الشعب و الوطن الأم بل انتقلت مع الفتوحات و الشبكات التجارية الى ابعد المراكز الثقافية و الموجودة خارج اطار الجغرافية السياسية.

بعد اطلالة القرن العاشر الميلادي، انكمشت حدود سلطة الدولة المركزية و ظهرت دول و امارات قوية في الاطراف، هددت في بعض الاحيان سلطة المركز، اللغات "القومية" انتعشت و استفاقت في الأقاليم، لأن الحكام و الأمراء كانوا يشجعون في البلاط الكتابة باللغة الأم الى جانب استعمال اللغة العربية.

هذه المقدمة المقتضبة، ضرورية لفهم اسباب و دوافع عزوف الكثير من ابناء الشعب الكردي في الماضي و الحاضر عن الكتابة باللغة الأم. كتابة النثر تقتضي وجود مؤسسات تعضيدية تشجع و تحمي و تصون و تنشر الروائع النثرية، فالطبري و ابن الاثير و ابن خلكان و ابن خلدون لم يكتبوا فقط اشباعا للرغبات الشخصية و تنفيسا و تخفيفا للذات. اليوم نشاهد بأنفسنا و تخفيفا للذات.

اليوم نشاهد بأنفسنا ما يعانيه الكاتب الكردي من صعوبات في ايجاد دور الطباعة و النشر، ناهيك عن التعضيد و التشجيع، ان مقالة او بحثا تقود الى المقصلة او اطلاق النار من الخلف من قبل (مجهول) في ظروف (غامضة) احيانا اقارن كاتبا كرديا مع كاتبة رواية "هاري بوتا" التي بلغ عدد النسخ المبيع منها اكثر من خمسمئة مليون نسخة. وحجم ايرادات الصور و الالعاب و الاقنعة المستلهمة من احداث و شخصيات الرواية، بلغ مليار دولار امريكي و لا ادري ما تدوره الافلام التي مازالت تعرض على شاشات السينما في كثير من ارجاء العالم، من ارباح طائلة؟ الكتاب و المثقفون الكرد مازالوا عموما تحت تأثير اراء و توجيهات المؤرخ و الوزير محمد امين زكي (1880-1948) الذي الف مؤلفاته في البداية بالتركية ثم قرر الكتابة بالكردية. فحرر كتبه عن تاريخ الكرد باللغة الكردية. و قد اشار بشكل عام الى ان الأمير شرف خان البدليسي (1443-1507) دون سفره الرائع (شرفنامه) باللغة الفارسية و لم يدون تاريخه بالكردية. ظروف الانتقاد و الايماءات و اجواء اليقظة القومية في بداية العشرينيات مفهومة. بالتأكيد لو كتب البدليسي عام 1497 كتابه القيم بالكردية، لأسدى افضل الخدمات الى الثقافة الكردية، و ربما كانت له تأثيرات مشابهة لانتشار ترجمة "الكتاب المقدس" لمارتن لوتر في الثقافة الالمانية و تاريخ الالمان السياسي و الاجتماعي و الديني.. الخ لكن المرء لا يستطيع دائما انتخاب ادوات و اشكال و وسائل التعبير بنفسه و تجاهل العوارض و العقبات التي تعترض السبيل. والدة البدليسي لم تكن من الكرد و الوالد كان اميرا منفيا في ظل الدولة الصفوية. تلقى التربية و التعليم في نفس المدارس المخصصة لأبناء الشاه الصفوي و الوزراء و كبار الأمراء في العاصمة.

النثر الكردي كان مجهولا في ذلك الزمان، الأمير المؤرخ كان سياسيا و اداريا و عسكريا متمرسا، تبوأ عدد من المناصب و منهم (امير الأمراء). كان صاحب رؤية و حلم و وعي تاريخي و حضاري متقدم. اراد اقناع السلطان العثماني، ربما بشكل غير مباشر، بضرورة توحيد جميع الأمارات و الدول الكردية و منح ادارتها و قيادتها لأحد الأمراء البدليسيين. القيمة التاريخية لهذا الاثر الرائع ستبقى هامة لكل الاجيال، رغم كتابته باللغة الفارسية، و هذا ينطبق على كتاب (تاريخ الفارقي) لابن الازرق الفارقي (1116-؟) المدون باللغة العربية. المهم وجود وثيقة تاريخية مسجلة خالدة.

الشعوب لها مقاييس و معايير مختلفة و لا تقفل ابوابها بوجه ابنائها الذين ساهموا بابداعاتهم في بناء صرح الحضارة الانسانية. انا لا اريد هنا عرض مقارنة بين الطرق و المناهج الاوربية التي لا تجعل اللغة دائما دليلا للانتماء التراثي و انما نوع و مستوى المساهمة ذاتها اشارة عابرة من الادب الفارسي ربما ستكون اكثر تعبيرا لفهم موقف الشعوب

الاخرى من التراث الثقافي و (القومي)! المؤرخون الايرانيون يأخذون النسب و الانتماء الى احد الشعوب الايرانية اساسا و قياسا في ادراج اسماء الكتاب و الشعراء و المفكرين ضمن تراثهم و تاريخهم الثقافي و "القومي". ربما يستغرب القارئ العربي عندما يطلع لأول وهلة على كتاب مثل المجلدات الخمسة الفخمة (تاريخ الأدب الفارسي – باللغة الفارسية) للمؤرخ (ذبيح الله صفا) الذي يدرج اسماء لامعة مثل: بشار بن برد و ابي نؤاس و الطبري و ابن سينا و الفارابي و الغزالي و الزمخشري و الخوارزمي و.. الخ ضمن التراث الفارسي و يحاول ربط هؤلاء بالتاريخ الايراني. القارئ العربي تعود على اعتبار جميع هؤلاء من رواد و كبار الكتاب و الشعراء و المؤرخين العرب، فكيف يطرح هذه الاسماء من ثقافته و تراثه القومي؟!

المسألة تشبه تقريبا موطن و منبع و موقع (مملكة سبأ)!

المؤرخون العرب محقون في اعتبار (مملكة سبأ) عربية لوجود اثارها في اليمن و ذكرها في القران و كثير من كتب التاريخ العربي و الاسلامي. و المؤرخون الحبشيون ايضا محقون في اعتبار (مملكة سبأ) جزءا من ثقافتهم و تاريخهم القديم، لأن اثارها موجودة في اثيوبيا. ربما المملكة امتدت على طرفي البحر الاحمر يمينا و يسارا، و لكن سيبقى تاريخ مملكة سبأ تفاحة خصام – كما يقول الاوربيون – بين المؤرخين و التراثيين، لحين تنبلج الحقائق بعد تلاشي غيوم الاساطير حول التاريخ الحقيقي.

نحن اليوم بأمس الحاجة الى قراءة كردية و رؤية كردية جديدة للتراث و التاريخ! احياء قراءة و رؤية المؤرخ شرف خان البدليسي الذي درس التاريخ الاسلامي (العربي، الفارسي، العثماني، الكردي..) من وجهة نظر كردية بحتة، حتى تجسمت امام عينيه معالم واضحة للتاريخ الكردي المتميز.

انا لا افهم مغزى الدعوات المستمرة لاسدال ستار الاهمال و النسيان حول ما دون بالعربية و الفارسية و التركية و الروسية و الانكليزية و الالمانية و الروسية و الفرنسية و السويدية..الخ. هذا يعني شطب جزء حيوي هام من تراثنا، لأن اصحابه لأسباب و غايات شتى اثروا الكتابة بلغة اخرى غير اللغة الأم. النزعات القومية التي نعيشها اليوم لم تكن موجودة اصلا، ناهيك عن التطرف و المغالاة "القومية" المشوبة بالشحنات العنصرية.

المؤسسات السياسية الضخمة، تقف وراء نشوء و تطور الحركة النثرية عادة، كما اسلفنا، هذه هي القاعدة و الشواذ تأكيد للقاعدة. انتخاب "الوسيلة" للتعبير ليس جريمة بحق التراث، الشكل مهم لكن المحتوى و المضمون و الطابع و الغاية هي الاخرى هامة ايضا.

كم شخصا تجند داخل مؤسسات السلطة ليشتم شعبه بالكردية، لقاء راتب ارتزاقي من جلادي شعبه و كم مثقفا واعيا و مخلصا اضطر الى اللجوء الى المنافي ليواصل نضاله من اجل

شعبه و يكتب بلغة المنفى، لايصال صوت شعبه الى العالم؟

ايهما جزء حيوي من التراث، و هل يمكن اعتبار اللغة وحدها قياسا للتصنيف ضمن التراث او خارج التراث؟

روايات يشار كمال اقرب الى روح التراث الكردي منه الى أي تراث اخر. قصص علي اشرف درويشيان تجسيد حي للتراث الكردي.. و كيف حذف كتابات سليم بركات من التراث الكردي؟

نحن بأمس الحاجة لتغيير منطقنا و تفكيرنا و نظرتنا الى الحياة، التعاريف الضيقة تحطم و تشوه تاريخنا و تراثنا. الطابع و نوع المساهمات الانسانية، تبرز احيانا بشكل هاجس عند الذين لم يكتبوا باللغة الأم. العالم و الاديب الكردي عبدالله البيتوشي (1140-1210هـ) افصح عن هذا الهاجس بشكل معبر:

فإن تجد شيئا خلاف الأدب

فالطبع كردي و هذا عربي.

البروفيسور جاسم جليل

رائد النهضة الثقافية الكردية في الاتحاد السوفييتي السابق

للكاتب الكردي: كوني رش،

الترجمة بتصرف: دلجار أمين

يعد جاسم جليل من الرواد الأوائل الذين أرسوا دعائم الثقافة الكردية في الاتحاد السوفييتي السابق مثل عرب شمو، حاجي جندي، أمين عفدال، وزير نادري، اوجاغ مراد، علي عبد الرحمن، سعيد إيبو، قناتي كردو، بشكو حسن... الخ.

وقد يكون جاسم متفوقاً عليهم بإبداعاته ونشاطاته، ووقفته التي دامت سبعين عاماً في خدمة ومساندة الثقافة الكردية.

إن كتاباً واحداً لا يمكن أن يستوعب نشاطات ووصف البروفيسور جاسم جليل، لذلك سنتوقف عند مراحل مهمة من سيرة حياته.

ولد جاسم جليل في تشرين الأول من عام 1908 في قرية (قزل قولا) في محلة ديكور في منطقة قرس، وفي عام 1918 بعد الحرب العالمية الأولى وانسحاب الجيش الروسي من قرس، هاجم الجيش التركي بقيادة (كاظم قره باشا) منطقة (قرس) وقتل من الشعب الكردي والأرمني بشكل وحشي ومخيف، يومها كان جاسم في العاشرة من عمره، وأثناء ذلك القتل الوحشي، أبيدت عائلته التي كنت أكثر من خمسين شخصاً ولم ينج منها سوى جاسم وأخته خجي، ومع

الأسف ضاعت أخته بين جيش الفارين إلى جبال (الاغوز).

استطاع الطفل المسكين أن يصل مع جمع المتشردين،جائعاً، حافياً وعارياً إلى يريفان. تربى جاسم مع آلاف الأطفال اليتامى من الكرد و الأرمن في ميتم الكسندرا بولي وجلالوخليي. وفي عام 1928 رشح ليذهب إلى المدرسة العسكرية في باكو، ونظراً لذكائه أرسل الى تبليس لدراسة مرحلة أعلى من السابقة.

وفي بدايات عام 1929، بعد أن تحسن وضع كرد ما وراء القفقاس (أذربيجان، أرمينيا، جورجيا)، و بعد أن وضع (عرب شمو) بمساعدة مورغوف ألف باء اللغة الكردية، فتحت الدولة المجال أمام الكرد لتعلم لغتهم قراءة وكتابة، ولكن لقلة الكادر الكردي، ذلك الكادر الذي يستطيع أن يقوم بعمله المطلوب في المدارس والمعاهد، اختاروا عدداً من يتامى الكرد والأرمن (الأذكياء منهم) وكان جاسم من بينهم، حينها كان عمره 23عاماً.

وهكذا عاد جاسم من تبليس إلى يريفان لخدمة الثقافة الكردية، وأصبح عضواً في الحزب الشيوعي السوفياتي عام 1930 ومديراً لمعهد إعداد كوادر الكرد والأرمن في المراكز والمدارس الكردية لما وراء القفقاس عام 1931 وقد تخرج على يديه مئات الشباب والفتيات الكرد، وأصبحوا مدرسين في المدارس الكردية.

ولتفوقه في معهد إعداد الكوادر، اختارته الحكومة الأرمنية عام 1932 مديراً للطباعة وتطوير اللغة والأدب الكرديين.

وبعد هذا التغيير أصبح المسؤول الأول لطباعة الكتب الكردية، ومنذ ذلك الحين شقت الكتب المكتوبة باللغة الكردية طريقها إلى الصدور مثل جميع اللغات في الاتحاد السوفييتي.

وما بين عامي 1032 - 1938 وفي السنة الأخيرة أوقف ستالين هذه الإصدارات، و كان جاسم في ذلك الحين قد طبع مئات الكتب باللغة الكردية من كتب المدارس إلى دواوين الشعر وترجمة الكلاسيك الروسي إلى اللغةالكوردية.

لقد أعد جاسم لوحده حوالي عشرة كتب للمدارس الكردية إضافة إلى ترجمة عدة كتابات لماركس ولينين إلى اللغة الكردية، ولا تزال بعض كتبه تقرأ وتدرس. وبعدها درس ثلاث سنوات في الجامعة، في كلية الحقوق ونال شهادة الدبلوم. وفي سنوات الحرب العالمية الثانية أصبح مدرساً للغة الكردية في المدارس العسكرية الخاصة، و بناءَ على طلب من الحزب الشيوعي في يريفان نظم حوالي (500) أمسية في المناطق الكردية حول حب الوطن ومحبة الأمم. لعب جاسم جليل دوراً كبيراً في مجال تطوير اللغة والأدب الكرديين بعد الحرب العالمية الثانية.

وفي الذكرى المائة والخمسون لميلاد الشاعر الكلاسيكي الروسي (أ، س، بوشكين) ترجم جاسم مجموعة من أشعاره إلى اللغة الكردية ونشرها. وبعد وفاة ستالين، فتح المجال مرة أخرى أمام اللغة في قرى الكرد، وأعادت جريدة (ريا تازه) البسمة إلى وجوه الكرد إثر صدورها مرة أخرى.

ولكن الحدث المهم بالنسبة للكرد جميعاً وخاصة كرد ما وراء القفقاس هو فتح الإذاعة الكردية في يريفان سنة 1955 وبإدارة جاسم جليل، وبفضله انتشر صوت الشعب الكردي إلى العالم، وراح الكرد في الأنحاء الأربع من العالم يستمعون إلى موسيقاهم وفولكلورهم، وبفضله أنقذت حولي (1000) أغنية ومقاطع موسيقية من الضياع والاندثار. لم يكن جاسم عاشقاً لسماع الأغنية الكردية فحسب بل كان موسيقياً أيضاً يعزف على الناي، فكان يتذكر أغاني طفولته، وطفولة قرى آبائه وأجداده فكان دائماً يغني ويدندن تلك الأغاني فيشعر بالراحة والترويح عن النفس. وكان للقسم الكردي في إذاعة يريفان دور كبير في إيقاظ الكرد في النواحي الأربعة. وفي عام 1970 أصبح مسؤولاً لطباعة الكتب الكردية في مطابع الدولة على مدى عشر سنوات، وطبع خلالها المئات من الكتب.

وهب جاسم جليل سبعين عاماً من عمره هدية للشعب الكردي دون أن يتوقف يوماً عن حب وطنه، فقد كان الوطن دائماً في فكره وقلبه. وكان عاشقاً لفولكلوره، وغالباً كان الفولكور أساساً لكتاباته ومزيناً لها، حيث كان يسعى جاهداً لتعريف فولكلوره الغني بالشعوب المجاورة من الأرمن والروس والجيورجين... الخ.

ترجمت العديد من أشعاره إلى اللغة الروسية، ونشرت في كبريات الصحف السوفياتية مثل برافدا و ايزفستا... الخ، وفي عام 1963 أثناء الظلم الوحشي الذي كانت تمارسه الحكومة العراقية على ثورة البارزاني , كتب العديد من القصائد ونشرها.

وبفضله ترجمت أشعار الكثير من الكتاب الكرد إلى اللغة الروسية، الإنكليزية، الأذربيجانية الأرمنية ونشرت في مجلات مختلفة في أرمينيا.

وكان جاسم مثالاً للبارزين في الاتحاد السوفياتي السابق، فلم تبق مجلة أو صحيفة في أرمينيا إلا ونشرت قصائده، وتحدثت عنه بايجابية. وفي عام 1936 في اتحاد الكتاب السوفييت، ولعدة مرات أصبح ممثلاً في الكونفرانسات في موسكو ويريفان لنشاطه الدائم والمثمر، ونال العديد من الجوائز.

وفي 24/ 10/ 1998 فارق الحياة في إحدى مشافي يريفان عاصمة جمهورية أرمينيا بعد أن عاش تسعين عاماً ذاق خلالها المرارة والسواد، وبقيت رؤية أرض الآباء والأجداد حسرة في قلبه ودفن فوق تل يبعد 15 كم من يريفان. إلى الشمال من قبره ترى جبال ألاغوز بوضوح، تلك الجبال التي أنقذته من الموت ذات يوم، وإلى الجنوب من قبره جبل أرارت يعلو نحو السماء والذي أصبح مقبرة لشهداء ثورة أرارات ما بين سنة 1927 – 1930. ذهب العالم الجليل و ترك خلفه ثلاثة أبناء وهم: الكبير البروفيسور اورديخان جليل وهو أستاذ باحث في الفولكلور، وأبنه الأصغر البروفيسور جليلي جليل المؤرخ المشهور، وابنته جميلة جليل باحثة وموسيقية ماهرة، وهؤلاء أيضاً كرسوا حياتهم لخدمة الثقافة الكردية.

ممدوح عدوان قبل رحيله:
[معرفتنا بالأدب والشعر الكوردي ليست معدومة]

حاورته: كازيوه صالح

***والآن نسألك عن العالم الكوردي، مدى علمكم بالأدب والإرث الكوردي، هل تعرفون أحداً من الكتاب الكورد؟**

ـ أنا قرأت بعض النصوص وبعض الكتب، لكن، لاشك هناك أدب جيد، ولاشك نحن بحاجة أنا وغيري لمزيد من التعارف، لتنشيط العلاقة بين المثقف العربي والمثقف الكوردي، يجب أن تتم اللقاءات على أفق وأسس غير سياسية، لآن للأسف كل النشاطات تتم وفق الأسس السياسية، والأدباء منتشرون نسبياً فى الاطار السياسي؛ أنا أرى أن القضية الكوردية قضية عادلة، لكن أفضل ان أقرأ الشاعر الكوردي، من أن أسمع خطاب السياسي، والشاعر الكوردي يتمنى أن يقرأ الشاعر العربي، من أن يسمع الخطاب السياسي العربي، فأنا دائماً، حتى القصيدة الكوردية تجيئني محمولة على المنبر السياسي، أتمنى أن تجيئني محمولة على المنبر الأدبى الشعري، فلتكن هذه القصيدة مهتمة بالموضوعات السياسية، لا أمانع،



لأني، أنا كشاعر، أهتم بالموضوعات السياسية فى الشعر، إذاً، معرفتنا بالأدب والشعر الكوردي ليست معدومة، ولكن أيضاً ليست كافية، ونحن بحاجة إلى أكثر.

***إذاً، ماهو تفسيركم لتهدم الأواصر بين المثقفين العرب والكورد إلى حد ما، من المسؤول عن ذلك؟**

ـ السياسيون، أنا دعيت لمهرجان الشعر الكوردي، قبل ثلاث سنوات، وصارت مشكلات كثيرة، قلت كلمتين قبل أن اقرأ القصيدة، قلت: لقاؤنا كشعراء، يدل على أن علاقة الثقافة بين الكورد والعرب هي أعمق بكثير من كل التعقيدات السياسية، وهى متفوقة على التعقيدات السياسية، فلا شك أن السياسيين الكورد والعرب هم المسؤولون.

***ما هو الحل؟**

ـ اسألي الزعماء السياسيين، من عندي الحل، هو التعايش، إنني الآن أتكلم معك، وأنسى أنك كوردية، أكلمك كالبشر، المطلوب، فقط، أن نصل إلى هذا المستوى، الحياة بسيطة، لكن الاحزاب لاتستطيع.

***بما أنك صحفي أيضاً، نسألك، كيف يجب أن يكون دور وسائل الإعلام العربية والعالمية تجاه القضية الكوردية، وخاصة تجاه قضية الابادة الجماعية والأنفال وحلبجة؟**

- يجب أن يتم التعامل معها بأنها قضية عادلة، وقضية شعب، وطبعاً كل التفاصيل تبنى على هذا الموضوع، وقتل الشخص، أو قتل عشرة آلاف شخص، كلها جرائم، ولاشك الجريمة تكبر، كلما ازداد عدد القتلى، والاشكالات السياسية هى: ماذا يفعل الزعماء الكورد؟ ماذا يفعل الزعماء العرب؟ ماذا تفعل امريكا؟ صدام؟ الانكليز؟ هذه الاشكالات السياسية تزيد الأمور تعقيداً. لكن وسائل الإعلام اجمالاً، تسيطر على العالم، وهى وسائل الإعلام العربية، وهى عنصرية، لاتهتم بأي موضوع، إلا حين يتم المساس بالمصالح الغربية، أما إذا لم يكن هناك مساس بالمصالح، إذا مات مئات الآلاف من الكورد في حرب أو في حلبجة أو فى الأنفال، الفيضان، الزلزال، بالنسبة لهم الأمر سواء لايختلف، لكن إذا هذا الزلزال قتل اثنين من الأوروبيين يصبح هذا قضية.

⋆جزء من حوار مطول، مع الشاعر السوري الراحل ممدوح عدوان، وقد اختار موقع tirej.net المقاطع المتعلقة بالكورد.

كتب



قراءة في كتاب مهاباد قرداغي "المرأة و المجتمع في المرحلة الطائرية لشيركو بيكەس"

قراءة: د. عادل كرمياني

النقد النسوي و النفسي – الاجتماعي لمجموعة "حين اكون طائراً" الشعرية

اذا كان مختصو الترجمة يحبذون قيام الشعراء بترجمة القصائد الشعرية من اللغات الأخرى الى لغتهم الأم، فإن المختصين في مجال نقد الشعر يفضلون ايضاً قيام احد الشعراء بالدراسة النقدية للقصائد الشعرية لكونهم – عكس ما يقال عن مثل هؤلاء النقاد من كونهم شعراء فاشلين – يملكون الذائقة الشعرية المناسبة في اختيار القصيدة المتوفقة شعرياً للدراسة النقدية، و يملكون الاذن الموسيقية الشعرية الجيدة في معرفة الايقاعات الموسيقية للقصيدة، و بالتالي لديهم المعرفة الجيدة بطبيعة اللغة الشعرية المتناسبة مع اجواء القصيدة و طبيعة مضمونها و ثيمتها.

اذا كان القرن الماضي هو قرن الجدل و المناقشات حول مفهوم دور المرأة في حياة المجتمع، فان قرننا الحالي يعتبره البعض من انصار حقوق المرأة قرناً لحرية المرأة، و لا ندري ما الذي سيتحقق لها خلال اعوام هذا القرن الحالي الذي اعتبروه بداية الألفية الثالثة الذي اعلن فيه الحرب على الأرهاب الديني، و لا ندري ان كان الرجل سينال ايضاً قسطاً من ارهاب النساء و هن مندفعات للتحرر من سلطة الأبوة و الرجولية!!، و لا ندري هل سيأتي زمان يناضل الرجال فيه ضد النساء لنيل حريتهم المغتصبة من قبلهن؟!!..

للمرأة بلا شك مكانة خاصة و عظيمة في حياة المجتمع، فهي الأم و الزوجة و الأخت و البنت و القريبة و الصديقة و الزميلة و الحبيبة، و لذا صدق من قال انها نصف المجتمع الفاعل في حياة

البشرية. و يبدوا ان هناك من يبذل جل اهتمامه للدفاع عن معاناة وهموم هذا النصف الفاعل من المجتمع منطلقين من تصور ان سلطة الأبوة و الرجال داخل العوائل هي الباعث الرئيس في معاناة المرأة متجاهلين بأن هناك اعداداً هائلة من الرجال في ماضي و حاضر كل المجتمعات البشرية تعاني هي الأخرى من فاقة الجوع و الاضطهاد السياسي و الفكري من قبل رجال اخرين، و التي كانت دافعاً من دوافع قيام الثورات و الانتفاضات في قديم الزمان و حديثه. بل يمكننا القول بان البعض من الرجال المتنورين كان لهم دورهم المشهود في الدفاع عن حقوق المرأة بدليل ان الشاعر المبدع و صاحب الفكر التقدمي شيركو بيكەس كان من رواد الكتاب و الأدباء الكرد في الدفاع عن حرية المرأة الكردية في التفكير و التعبير و العمل. فقد كان هذا الشاعر و المثقف الكردي صاحب بيان (يا اصحاب الأقلام الجريئة اتحدوا) الذي نشره عام 1971 في جريدة (هاوكاري – التضامن) التي كانت تصدر في بغداد، و قد اثار البيان موجة من الكتابات النقدية بين مؤيد و معارض و مهدر لدمه لما جاء في ذلك البيان من اراء و افكار حول حرية المرأة الكردية التي تعيش نوعاً من الحرية الاجتماعية في بقاع ريف كردستان، لكنها تعاني الكثير في مجال فسح المجال لها للتعبير عن افكارها و همومها في قرى و مدن كردستان.

و يبدو ان مثل هذا الأمر من الدفاع عن حقوق المرأة و تخليصها من معاناتها هو الذي حدا بالناقد و الشاعرة الكردية مهاباد قرەداغي المغتربة في السويد منذ اعوام ان تكتب دراستها النقدية باللغة الكردية، و الذي احتواها كتابها الصادر عام 2002 في السليمانية عن مركز كەلاويز الأدبي و الثقافي و الموسوم بـ (ژن و كۆمەڵگا له فۆناغى باڵندەیی شێرکۆ بێکەس دا – المرأة و المجتمع في المرحلة الطائرية لشيركو بيكه س)، و الذي تتناول فيه بالدراسة النقدية مجموعة (وختى كه بالنده م – حين اكون طائراً) الشعرية للشاعر الكردي المبدع شيركو بيكه س الذي يعتبر من ابرز اعلام الشعر الكردي المعاصر، و الصادرة عام 2000 في السليمانية.

يتكون كتابنا المعروض من (157) صفحة من الحجم المتوسط، و يتألف من مقدمة و خمسة اقسام. و تهدي الناقدة مهاباد قرداغي كتابها الى بعض المشاهير من النساء الكرديات امثال: ليلى زانا و فاديمة شاهيندال، فالأولى حريتها كضريبة لكونها مناضلة كردية في تركيا من اجل حقوق شعبها الكردي و معتقلة حيالياً في السجون التركية، و الثانية دفعت حياتها ثمناً لحريتها الاجتماعية في بلاد الغربة كمواطنة في السويد حين ارتبطت عاطفيا مع رجل سويدي و اقامة علاقة غير شرعية معه. و عن اسباب اختيارها لمجموعة شيركو بيكەس الشعرية الموسومة بـ(حين اكون طائراً) تقول الناقدة مهاباد قرداغي:

1-يحس عن طريق القراءة الاعتيادية لقصائد هذا الديوان

بالدور الأساسي للمرأة في الشعر الكردي مقارنة مع دورها المنعكس في المراحل السابقة للأدب الكردي بشكل عام و في الشعر الكردي بشكل خاص.

2-ترفض في هذه القصائد علاقات المجتمع الأبوي، و يقترح البديل الايجابي له.

3-هذا الشاعر هو من اكثر الاصوات الشعرية الكردية المعاصرة تأثيراً. و بسبب نوع و عدد نصوصه الشعرية التي يبتدعها فقد خلق له شخصية اجتماعية مؤثرة بحيث ان صوره المنتجة حول المرأة تترسخ بدرجة كبيرة في اذهان قراء شعره و من خلالهم تترسخ داخل المجتمع، و تصبح في النهاية انموذجاً تترسخ في العادات.

و تعتبر الناقدة قصائد هذه المجموعة الشعرية للشاعر شيركو بيكةس "مثل مرأة ذات وجهين بالامكان رؤية اعماق الشاعر في احداها، و يمكن في الاخرى رؤية كل المجتمع الكردي و العلاقات الاجتماعية". و كذلك تعتبر الناقدة النصوص الشعرية في مجموعة (حين اكون طائراً) للشاعر شيركو بيكه س "مادة ثمينة لقراءة اعماق الشاعر و توضيح انسانيته، بالاضافة الى قراءة المجتمع و البيئة الاجتماعية للشاعر، و خاصة تأملاته و رؤياه نحو المرأة التي لها مساحة واسعة في هذا الديوان". و تستفيد الناقدة و الشاعرة مهاباد قرةداغي في دراستها النقدية هذه من قراءتها النقدية لقصائد الشاعر شيركو بيكەس و من تلك المقابلات التي اجريت مع الشاعر شيركو، حيث ترى في قراءتها لقصائد الشاعر البعد النفسي و مدى التأثير النفسي في قصائده، و ترى في تلك المقابلات سيطرة العقل و المنطق على افكاره في حالاته الاعتيادية. و تحاول الناقد في فقرات هدف بحثها الاجابة عن الاسئلة الاتية:

1-كيف يرى الشاعر شيركو بيكه س المرأة كإنسان و كرجل و كشاعر؟ و كيف يرى مجتمعه الذي يعيش فيه؟ و ما مدى رؤيته الانسانية بشكل عام في هذه القصائد؟.

2-هل صورة المرأة في هذه القصائد هي نفس الصور الشائعة التي عود الادب الكردي قراءه عليها؟ حيث المرأة كموضوع احتلت في اغلب الاوقات مساحة النتاجات الادبية الكردية، و كان الرجل فيها فاعلاً، او بشكل اخر حين يكون الشاعر هو المؤثر و الفاعل و المرأة هي المتأثرة و المفعول بها.

و تعلل الناقدة اسباب اختيارها لعنوان موضوع دراستها النقدية الى ما يأتي

1-كونها شاعرة و تفهم ولادة القصيدة.

2-اعتبار الدراسات حول المرأة و المجتمع من همومها كأمرأة كردية واعية.

3-هدفها هو ذات هدف قصائد الشاعر شيركو بيكەس.

و تتحدث الناقدة عن اختيارها النقد النفسي – الاجتماعي كمنهج لدراستها النقدية، لكون العلوم الانسانية تكمل بعضها البعض، و تشير الى ان اختيارها لمثل هذا المنهج ينبعث من كون النقد النفسي

يتناول داخل اعماق الانسان و يتناول النقد الاجتماعي البيئة الاجتماعية المحيطة بالانسان. و يبدو ان الناقدة في تحليلاتها النفسية لقصائد مجموعة (حين اكون طائراً) متأثرة بمبادئ المدرسة النفسية الفرويدية، و خاصة تصوراته حول اللاوعي و الوعي الداخلي، و حاولت ان تضيف ركناً رابعاً الا و هو (الانا المقاومة) الى اركان نظرية فرويد الثلاثة: (الأنا) و (الأنا العليا) و (الهو). و عند حديثها عن المستويات الثلاثة لشخصية الشاعر المتألفة من: (الوعي) و (اللاوعي) و (الوعي الداخلي)، حاولت الناقدة و بشكل نقدي موفق تشخيص ما لتلك المستويات الثلاثة من دور فاعل في بناء الصورة الشعرية، و لديها: "الذي ينسكب من الوعي و الاحساس و الشعور على الورق من كلمات هي في واقعها تلك الصور الموجودة في الواقع و ليست غريبة عن الاعضاء الحسية الخمسة للانسان، و لكن تلك التفاصيل التي يمنحها الفن المثير لإبداع شعري و تمنحها الطلاسم الشعرية هي من نتاج اللاوعي و الوعي الداخلي للشاعر المؤلفة من الألفاظ و الجمل و الصور المجردة التي تتبرأ منها الطبيعة المجردة و لا تستطيع تقبلها، و بمستطاع الفن و الأبداع الفني ان يفتح لها ابوابه بطلاقة على مصراعيه لأستقبالها". و تشير الناقدة ايضاً الى ان "بالأمكان عن طريق النصوص الشعرية قراءة امس او ماضي الشاعر و مراحل حياته السابقة، و يكون هذا عن طريق الصورة و التفاصيل اللاشعورية الدقيقة الحاضرة في القصيدة، و تستطيع الكشف بسهولة عن الأسرار عن طريق تلك الصور و الأفكار و الأحاسيس المكبوتة و التي كبتت في مراحل حياته و معبره الى الوعي الداخلي".

و من يقرأ كتابها النقدي سيجدها تشير في الصفحة (11) و ضمن الفقرة الأولى من اسباب اختيارها لهذه المجموعة الشعرية لدراستها النقدية: "لكوني شاعرة و افهم حالة ميلاد الشعر، و لدي معرفة بحالة تلك الاثارة التي يختلق فيها الشعر، و لهذا السبب ارى بمستطاعي الذهاب الى اعماق لحظات خلق القصائد لدى الشاعر، و من ثم ادرس الحالة النفسية للشاعر".

للشاعر شيركو بيكه‌س تجربة شعرية و ادبية تتجاوز اربعين عاماً، و قد ذاع صيته الشعري منذ بداية اعوام السبعينيات حينما ساهم مع ثلاثة ادباء كرد اخرين في اصدار بيان (روانكه – المرصد) الأدبي، و بعدها توالى نشر مجاميعه الشعرية، و لذا تشير الناقدة مهاباد قرداغي الى كون "شيركو بيكه س صاحب بيدر شعري متنوع، فقد ملأ الادب الكردي بأنواع: الملحمة الشعرية، و الرواية الشعرية، و القصة الشعرية، و قصيدة النثر، و المسرحية الشعرية، و الشعر البرقي..الخ.. لقد تجاوز عمر الشاعر الستين عاماً و كانت تجاربه الأدبية و السياسية و الاجتماعية غزيرة، و هذا الانسان المطلع على الدنيا بكلا المعنيين معنى العمر و التجربة الأدبية و معنى البحث و الرؤية

الواسعة للمساحات الجغرافية في العالم، هذان المعنيان كانا سبب تكثف تلك التجربة التي جعلته صاحب كل تلك النتاجات الشعرية مثل: (مضيق الفراشات، الصليب و الثعبان و يوميات شاعر، سفر الروائح، اناء الألوان) تلك النتاجات الشعرية التي تجعل قراء شعره يندهشون لتلك الصور الدقيقة". و قد درست غالبية تلك النتاجات الشعرية من قبل العديد من الكتاب و النقاد الكرد و بعض الكتاب العرب و الأجانب، على سبيل المثال يقول عنه الشاعر السويدي (سون اكسلسون) في مقدمة الترجمة السويدية لمجموعة شيركو بيكةس الشعرية الموسومة بـ(الرحيل الأحمر) ان "لشيركو بيكه س لغة شعرية واسعة بشكل يمزج في مقطوعة شعرية الجبال و الثورة و الألم و الرمز القومي القديم لالاف سنين صاحب التجربة"، فهو يقول:

اكتب لكي

لقلل شيئاً من ضجر اللغة

و شيئاً من ضجري

لكني ازيد شيئاً

عن حب هؤلاء الناس

و حب الشعر!!

و للناقدة مهاباد قرداغي رأي بالمرحلة الطائرية في السيرة الشعرية للشاعر شيركو بيكه س، فهي تعتبرها (في الصفحة/ 96) مرحلة التطهر و الطلاقة في حياة الشاعر. و قد اثار انتباهي استخدامها الموفق لهذا المصطلح الجديد عن نتاجات هذا الشاعر المبدع، حيث تقول في الصفحة (40) من هذه الدراسة النقدية ان: "كتابات الشاعر في المرحلة الطائرية ليست بالكتابات العادية، فها هي القصة تصبح مطراً.. و هذا الطائر لا يطير في اعالي السماء مثل طيورها الأخرى طيراناً عادياً، بل هو مختلف و له قصد اخر من ذلك الطيران. فهو يريد من السماء ان يؤثر في الأرض، و ان لغة تأثيره هي الشعر، و لهذا يجعل من الشعر نجمة حتى يضيء بشعاع ذلك الشعر دياجير ليالي الأرض".

يبدو ان للهم النسوي دوره المؤثر في قصائد هذه الشاعرة التي بدأت تؤشر حضورها الشعري في اعوام الثمانينيات من القرن المنصرم بقصائدها العاطفية و السياسية و الاجتماعية، و مثل هذا الهم النسوي هو الدافع الأول لكتابتها لهذه الدراسة النقدية التي تصنف ضمن النقد النسوي الأدبي الكردي الذي يشكو من شحة فائقة لتبيان الواقع النسوي الكردي المرير ضمن النتاجات الأدبية النسوية. و رغم اني لا احبذ استخدام مصطلح الادب النسوي لأن اطار الأدب هو عام و يشمل كل النتاجات الأدبية، و قد سبق ان ابدينا رأينا فيه ضمن مقالة نشرت لنا بعنوان (كلمات حول واقع الأدب النسوي الكردي") في العدد (4312) من جريدة العراق الصادرة في 1990/3/12، و لكون هذا المصطلح سيؤشر اليباب الأبداعي في غالبية النتاجات الأدبية النسوية من جهة اخرى، الا اني سأكون مضطراً لاستعمال مصطلحي (الأدب النسوي و النقد النسوي) ضمن عرضنا لهذه الدراسة النقدية المكتوبة من

مناظر نسوية صرفة و بحتة، لكون الناقدة تتقصى تلك المقولات و الأبيات الشعرية من مجاميع شيركو بيكه س الشعرية لدعم تنظيراتها النقدية النسوية حول مجموعة (حين اكون طائراً) للشاعر المتألق شيركو بيكه س. ففي الصفحة (42) تشير الناقدة، و من خلال اختيارها للأبيات المترجمة في ادناه، الى كون الشاعر شيركو بيكه س يعتقد هو الآخر بأن الأنثى هي الأصل، و نعتقد بأن المفكر الماركسي فردريك انجلس في كتابه (اصل العائلة) – الذي لم تستفد منه الناقدة مع الأسف في دراستها النقدية هذه و كذلك الكاتبة المصرية د. نوال السعداوي في كتابها (الأنثى هي الأصل) قد سبق الشاعر شيركو بيكه س في اعتقاده بأن الأنثى هي الأصل و مناداته بأن يسمى من الآن فصاعداً باسم (شيركو شفيقة) تيمناً باسم والدته و ليس باسم (شيركو بيكه س) الذي استخدمه و لا يزال يستخدمه كلقب شعري لكونه ابن الشاعر الكردي الخالد فائق بيكه س (المتوفى عام 1950- طيب الله ثراه). و تلجأ الناقدة الى الأبيات التي ترجمناها ادناه و المقتبسة من الصفحة (173) من مجموعته الشعرية (حين اكون طائراً) لتعزيز وجهة نظرها حول التغيير الجذري الحاصل في التفكير الرجولي و الأبوي السلطوي للشاعر شيركو بيكه س:

اليوم اسمي

شيركو شفيقة!!

و ارجو بهذه المناسبة من الورود و الكلمات

و معاضد و خواتم و قلائد النساء

ان تناديني بهذا الاسم

و في دفتر حبهن

ينادونني بذلك الأسم

و يقرأونني بها و يكتبونني بها

عرف عن الشاعر شيركو بيكه س امتلاكه للروح العصامية العنودية المقاومة و الرافضة لبعض الجوانب و الظواهر المرفوضة في حياة ابناء مجتمعه الكردي، وكما تشير الناقدة في الصفحة (45) من كتابها: "كانت المقاومة في المراحل الشعرية الأخرى للشاعر شيركو بيكه س و في المراحل الأخرى لحياته مصيدة حمراء مرر من خلالها افكاره و كلماته و نظمها شعراً، و لكن مقاوماته كانت على الأغلب بشكل سياسي و من اجل الحرية السياسية لشعبه، و كانت المقومات متعددة في المرحلة الطائرية فهو في الوقت نفسه يعارض المجتمع الأبوي و الدين و السياسة، و كانت قوته الكثيرة محفزة للشاعر لكي يوسع من تلك المقاومة التي اخذها من المرأة (امه)، فأم الشاعر ليست فقط امرأة، بل هي كل النساء:

بمستطاع بلبل واحد فقط

ان يجعل الغابة مهما كبرت تصغي له

و بمستطاع قلم واحد فقط

ان يجعل من قصة عاصفة في ورقة على منضدة

و تأخذ العاصفة معها

عيون الدنيا و القراء و كل الطيور

و بمستطاع برقية في لحظة

ان تميط اللثام عن ظلام الاف السنين

و بمستطاع امرأة واحدة.. مثل تلك التي احبها،

ان تجعل من كلمتي بلبلاً، و تحول اعماقي الى عاصفة

و تحول طموحاتي الى برقية كي لا يموت الحب في ابداً

للشاعرة و الناقدة مهاباد قرداغي قناعة تامة بأن هناك جدلية معينة بين العلم و الجمال و لهما علاقة معينة مع الكارثة، و تميل الى ان العلم ضروري للمرأة، و حسب رأيها "وجود الجمال شيء جيد و عدم وجوده ليس بالكارثة، ووجود العلم هو ثروة و عدم وجوده هو الكارثة". هذا الرأي المعبر عنه بوضوح في الصفحة (75) هو رأي سديد لمرأة كردية مثقفة وجدت نماذج قليلة منها مجتمعنا الكردي اصبحن فيما بعد من ذوات الشهادات العليا رغم افتقارهن للجمال، بل ان احداهن تحدت العرف الاجتماعي البالي و ذهبت الى بيت عريسها برضاها و رضى اهلها في يوم الزفة من دون مغالاتها في متطلبات يوم الزواج و بذلك اثبتت انتصار العلم ايضاً على بعض الأعراف الاجتماعية البالية التي تتمسك بها البعض من تلك اللواتي المغرورات بجمالهن. و هكذا يتضح لنا بأنه من الضروري اعتبار الجمال في المرتبة الثانية بعد العلم و المعرفة، و عمري انها لحقيقة ناصعة ابداً.

و لكون الناقدة و الشاعرة مهاباد قرداغي من انصار فكرة الانثى هي الاصل، لذا فانها ترفض النظام الابوي و تعتبره بالياً لا يتفق مع الواقع العالمي الراهن في حياة المجتمعات البشرية. و كذلك تعتبره معياراً غير منطقي و قياساً غير عادل لدور وقيمة الانسان ذكراً و انثى، و جلياً قولها بأن النظام الأبوي، او التراث الأبوي يغطي الدين جزءاً منه، و يحدد له قيمته، و من هذا المنطق تشير (في الصفحة / 85) الى "ان الأب هو المالك، و صاحب الكائنات الحية و غير الحية، و الذكر و الأنثى، و كل شيء في حدود سلطته، فهو يتحدث بدلاً عنهم جميعاً، و يختار بدلاً عنهم جميعاً، و يقرر لهم جميعاً.. بينما الأم هي و من ولدوا من اناس يدخلون تحت سيطرة الأب.. و شرف الأب و كل الذكور موجود في ذلك الصندوق الذي يسمونه جسد المرأة، و الأب و كل ذكور العائلة احرار في كسر ذلك الصندوق الذي هو ملكهم عندما يضيع مفتاح ذلك الصندوق الذي سلم بيد المرأة كأمانة". و لكون الفناة الكردية المغتربة فاديمة شاهيندال فقدت مفتاح تلك الأمانة حين اقامت علاقة غير شرعية مع رجل سويدي لذا نالت جزاءها الاجتماعي و الأبوي عن ذلك التصرف فقتلها والدها شر قتل في بداية عام 2002 في مدينة (اوبسالا) السويدية و هي في السادسة و العشرين من عمرها، و بذلك اصبحت رمزاً من تلك انتفضت عليها الشاعرة و الناقدة مهاباد قرداغي فأهدت كتابها النقدي هذا لها، و انتفض عليها الشاعر شيركو بيكةس من خلال شعره، و ها هو يقول:

ايها القمر الجميل فوق قامة فاديمة

استدر كردستاني الصغير المذبوح

استدر في السماء استدر حول غيرتنا

لكي لا ننسى في قتل الوردة و المرأة

كم كنا ابطالاً، و كم كنا كرداً، و كم كنا انسانيين!..

ام المرحلة الطائرية حسب رأي الناقدة مهاباد قرداغي هي من المراحل الشعرية لدى الشاعر شيركو بيكه س، و التي ينفصل فيها اثناء الطيران عن الأرض المليئة بفوضى التراث الأبوي، و هذا يجعل الشاعر يتنهد الحسرات، و لذا فهو في هذه المرحلة يريد النجاة من تلك القيود التي قيدته بها رجوليته، و يريد التخلص في العديد من صوره الشعرية من الرجولية بذلك المعنى المليء بالظلم و الاضطهاد، و يريد صياغة روحه في قالب عاطفة المرأة، و يريد تجريب لذة الانثوية – حسب رأي الناقدة -، و ان يفهم المعاناة من داخل المعاناة، لأن المرأة لديه خالقة الجماليات و الاناس و الالهة:

سأحاول اليوم النزول نحو اعماق المعاناة الانثوية

و مع غروب الشمس اتحدث مع همومهن

احاول الولوج لداخل لحظات الام الولادة لزوجتي

تعتقد الناقدة (في الصفحة/ 103) ان شيركو بيكه س و بعد عمر معطاء من تقديم انواع عديدة من الشعر، فانه يقلب نفسه تماماً للقراء و يظهر صور اعماقه الموجودة في مجموعته الشعرية (حين اكون طائراً) و التي مرت بعملية نفسية مكثفة تحت تأثير اللاوعي و الوعي الداخلي للشاعر. و تعتقد الناقد (في الصفحة/ 108) بأن الشاعر شيركو بيكه س عند كتابته لمجموعته الشعرية (افات) كان يمر بنزيف الشعور الجنسي، و لكن هذا الشعور ارتكن فيما بعد في وعيه الداخلي بعيداً عن متناول يد الشاعر. و تقول ايضاً ان الشاعر استخدم كلمة (الوادي) و لم يستخدم كلمة (القمة) كرمز لثورة ما بعد عام 1970، لكونها كانت تفتقد للعناصر النسوية التي كانت حطباً لماسي كل الثورات و الانتفاضات الكردية، و كانت حطباً و جرحاً لا يندمل لفاجعة حلبجة و لمآسي الأنفال.

و تقول الناقدة في الصفحة (113) ان الشاعر في بداية القرن الجديد، و بعد صدور مجموعته الشعرية (اناء الألوان)، التي ترجمها الاستاذ شاهو سعيد الى اللغة العربية، مازال يعتقد بأن تاريخ منطقته هو التاريخ الفاقد للمرأة التي قال عنها في تلك المجموعة:

كانت الواننا في ذلك الوادي بلا امرأة

و اللون بلا امرأة يشبه حياتنا:

يشبه نوافذنا اللاتي بلا زجاج،

و يشبه لون النايلون في مهب الريح حين ينقطع احدى زواياه،

و يشبه لون غطاء الباب حين يمتص المطر

و لا يزاح و يصبح ثقيلاً.

كان اللون المفتقر للمفتقر
للمرأة لون مصباحنا اليدوي
حين تنتهي بطارياته، او
يضعف ضياء عينها
في منتصف الطريق عند
المسير الليلي.
يشبه اللون المفتقر للمرأة لون
اللحاف الوسخ،
و القمصان بلا ازرار، و انية
المياه المكسورة اليد،
و يشبه اصفرار فتيلة المدفأة
حين تفقد زرقة نارها.

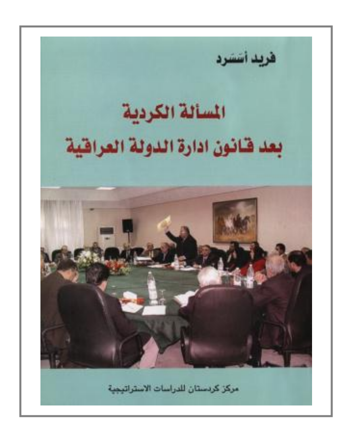
و تصل الناقدة مهاباد قرداغي في خاتمة دراستها النقدية الى ان المرأة في مجموعة (حين اكون طائراً) الشعرية لوحظت كموضوع عكس صورها في الأدب الكردي بشكل عام و الشعر الكردي بشكل خاص. و تشير ايضا الى امكانية اعتبار قصائد هذه المجموعة شعراً مقاوماً للنظام الأبوي من قبل رجل شاعر، و تؤكد على قدرة الشاعر في تجسيده واقع العلاقات الاجتماعية في هذه النصوص الشعرية.

و ختاماً نقول: بالأمكان اعتبار هذه الدراسة النقدية نموذجاً جيداً يشار له بالبنان عند الحديث عن النقد النسوي الكردي، لكون كاتبتها من العناصر النسوية الكردية الواعية كشاعرة و مثقفة و ناقدة.

المسألة الكردية بعد قانون ادارة الدولة العراقية

للباحث فريد اسسرد

عرض و تحليل الدكتور خليل اسماعيل محمد



من منشورات مركز كردستان للدراسات الستراتيجية، صدر كتاب بعنوان "المسألة الكردية بعد قانون ادارة الدولة العراقية" لمؤلفه السيد فريد اسسرد. يقع الكتاب في (222) صفحة من الحجم المتوسط، يضم مقدمة و فصلين، تناول الاول منهما: الكرد في القانون المذكور، و خص الاخر، بدراسة "الاراضي المتنازع عليها" مؤكدا على محاور خانقين – مندلي، كركوك، مخمور و محور الموصل.

و معلوم، ان مثل هذه الدراسات، تعد –اليوم- ضرورة لازمة في مرحلة متميزة، من تاريخ العراق عموما و الشعب الكردي على وجه الخصوص، ولاسيما انه قد كتبت الدراسة قيد العرض، باللغة العربية، مما

يتيح لاخوتنا العرب، الاطلاع على المجريات السياسية داخل المنطقة الكردية..

و الباحث السيد (اسسرد) من بين المتميزين في الدراسات الستراتيجية ذات العلاقة بالكرد و القضية الكردية، خاصة و هو يشرف منذ وقت طويل على مركز كردستان للدراسات الستراتيجية، مثلما هو رئيس تحرير مجلتها المركزية، و قد تجلى ذلك في كثير من مباحث هذا الكتاب، سواء في اختياره لموضوعات الدراسة، او في تحليله الجيوبولوتيكي لها.

يمثل (قانون ادارة الدولة العراقية المؤقت). و كما جاء في المقدمة، مرحلة فاصلة في تاريخ العراق السياسي، و كان ذلك السبب الرئيس في اختياره موضوع الدراسة هذه و قد جاء الفصل الاول، معرفاً بالعوامل التي حددت الاطار العام للسياسة الكردية في العراق، و التي استمدت – كما يقول الباحث – حيويتها من خلال عوامل تاريخية و جغرافية و ثقافية، مشيراً الى مطالب الشعب الكردي التي يسعى الى تحقيقها، بدءا من اللامركزية الادارية. و مرورا بالحكم الذاتي و انتهاء بالفدرالية.

لقد افاض السيد (اسسرد) في الاهمية التاريخية للقانون المذكور، و لا سيما في مسألة (الاقرار) بمبدأ (المشاركة) الكردية في ادارة الدولة العراقية. ذلك ان مبدا (تقاسم) السلطة الذي جاء به القانون، تعد سابقة لم يألفها العراقيون من قبل. فالمفاوضات التي كانت تجري بين القيادات الكردية و الحكومات المركزية، تقوم على اساس (تنازل) تلك الحكومات عن (سلطاتهم) او جزء منها.. بينما اقرت المادة الرابعة من قانون ادارة الدولة، مبدأ (تقاسم) السلطات بين المركز و الاقاليم.

و حدد الباحث، محطات معينة مرت بها القضية الكردية منذ تشكيل الدولة العراقية سنة 1921، بدءا باقرار اللغة الكردية كلغة رسمية في اجزاء من كردستان العراق بين العرب و الكرد، و الى الاقرار بحق الشعب الكردي في اقامة كيان قومي لهم في ضوء اتفاقية اذار سنة 1970، و انتهاءً بقانون ادارة الدولة العراقية المؤقت، الذي اقر وثيقة تقدم بها الشيخ محمود الحفيد سنة 1930. الى المندوب السامي البريطاني يدعو فيها الى اقامة كيان سياسي يمتد من زاخو الى خانقين، كاقدم اشارة الى مطالبة الكرد بكيان قومي لهم.

و من الملاحظ ان السلطات العراقية كانت تتجنب استخدام مصطلح (كردستان) في ادبياتها السياسية او في مكاتباتها الرسمية، بخلاف استخدامها لمصطلح (الاكراد)، الامر الذي عرقل كثيرا الوصول الى حل للمسألة الكردية، بل حتى نظام اللامركزية الادارية لسنة 1963، فقد تجنبت السلطات العراقية هذا المصطلح (كردستان) في تحديد المنطقة الكردية، مثلما ظهر ذلك ايضاً في مشروع البزاز سنة 1966، فيما اعترفت اتفاقية اذار لسنة 1970 بكردستان

كوطن للشعب الكردي و ذلك في المناطق التي غالبيتها من الكرد.

و يؤكد السيد (اسسرد)، اهمية لاتفاقية المذكورة فيقول (ان الاهمية التاريخية لوثيقة عام 1970، تكمن في اقرارها بامكانية الربط بين الارض و الشعب، و اعترفت بوجود شعب يملك ارضا، و من حقه ان يقيم عليها سلطته القومية).

و تناول الباحث (اللغة الكردية)، و التي ظلت ثمة حساسيات في الاعتراف بها رسميا من قبل الحكومات المركزية، حتى سنة 1970، حيث اقرت اتفاقية اذار ذلك، واعتمدتها كلغة رسمية في كردستان العراق. و جاء قانون ادارة الدولة العراقية ليكون اكثر شمولا في هذا المجال. بل (اكثر ما كان الكرد يأملون) كما ورد في الدراسة، حيث اصبحت بموازاة اللغة العربية باعتبارهما رسميتين في العراق، الامر الذي ساهم في ازالة الكثير من الهواجس التي كانت تغطي الساحة العراقية، كما هيأت جوا سايكولوجيا مناسبا للتقارب و اعادة الثقة بين المفاوضين الكرد و العرب.

ثم تناولت الدراسة (ضمانات) القانون المذكورة في نمط الحكم في البلاد مؤكدة على اللاءات الثلاثة الاتية:

1-لاعودة لحكم الاقلية العربية السنية

2-لا دكتاتورية لحكم الاغلبية الشيعية

3-لاعودة للحكم الشمولي.

اما بخصوص (الفدرالية) فيقول عنها الباحث، (انها بلا شك ظاهرة جديدة لكنها لاقت ردود فعل متباينة من قبل الاطراف غير الكردية في العراق.. و يعزي السيد (اسسرد) المواقف المتشددة من قبل بعض تلك الاطراف الى كون (الفدرالية) بعيدة عن واقع الانظمة الشرق اوسطية، التي تعتمد الحكم الشمولي في الغالب. الى جانب ذلك فان جوهر الصراع بين المؤيدين و المعارضين يتمثل بين المؤيدين للتغيير و المعارضين له.. لان الفدرالية في واقع الامر، تمثل بداية التغيير في العراق.

و لم ينس الباحث الاشارة الى الفقرة (ج) من المادة (61)، التي تقرن شرعية الدستور، بعدم رفضه من قبل ثلثي الناخبين في اية ثلاث محافظات. و يقول (ان ما يرى البعض فيه نقطة قوة بيد الكرد، قد يتحول اذا استخدمها الاخرون الى نقطة ضعف).

و قدم الفصل الثاني، تحليلا جيوبولوتيكيا عن (الاراضي المتنازع عليها) من خلال قانون ادارة الدولة المؤقت.. فقد اشارت الفقرة (ج) من المادة (58) من القانون الى (تاجيل التسوية النهائية للاراضي المتنازع عليها و من ضمنها كركوك الى حين استكمال الاجراءات اعلاه، و اجراء احصاء سكاني عادل اخذين بنظر الاعتبار رغبات السكان)..

و يرى الباحث، ان ما جاء اعلاه يتضمن جملة امور غاية في الاهمية منها:

1-الاعتراف بوجود (اراضٍ متنازع عليها) ومن ضمنها كركوك.

2-لم تحدد الفقرة المناطق المتنازع عليها باستثناء كركوك.

3-تاجيل التسوية الى وقت اخر.

4-ضرورة اشراك السكان في تقرير مصيرهم.

و من المعروف، ان (المنطقة المتنازع عليها) كانت و لا تزال موضوع خلاف بين القيادة الكردية و الحكومات المركزية في العراق، بل كانت من ابرز اسباب فشل المفاوضات بينهما. و قد ادى تقادم الزمن الى تعقيد المشكلة، و صعوبة وضع الحلول لها.

و تتمثل (المنطقة المتنازع عليها) بنظر الكرد، بالامتداد الطبيعي للاراضي الواقعة بين نهر دجلة و السلاسل الجبلية الى الشرق منه، لكنها ليست كذلك في نظر الحكومات المركزية.. فعلى سبيل المثال – و كما جاء في الدراسة – ابقت الحكومة العراقية قضاء عقرة ضمن المنطقة الكردية التي تخلت عنها سنة 1991. مثلما تخلت عن اراضٍ في محافظات نينوى، صلاح الدين، كركوك و محافظة ديالى، بينما ابقت قضاء مخمور خارج المنطقة دون مبرر!! من جانب اخر، فان القيادات الكردية كانت و على امتداد العقود الماضية اكثر ثباتا و وضوحا بالنسبة للاراضي المتنازع عليها.

وفي دراسته للجذور التاريخية لشعوب المنطقة، اكد الباحث على ان الكرد اقدم شعوبها، اما التركمان فان استيطانهم فيها يعود وفقا للمصادر التركية المعتمدة، الى ما بعد القرن العاشر الميلادي. و يؤكد المؤرخ التركماني (عزيز قادر الصمانجي)، ان توطين التركمان في (الاراضي المتنازع عليها) خلال القرن السادس عشر الميلادي، يعود الى حماية الطريق الاستراتيجي الذي يربط بغداد باستنبول. و قد حدث تمازج بين التركمان الذين استوطنوا المنطقة في العهد السلجوقي، و اولئك الذين استقدمتهم السلطات العثمانية.

اما العرب، فان اول ظهور لهم في المنطقة كان مع بدايات القرن التاسع عشر الميلادي، حيث استقرت مجموعات من قبائل الجبور والطي، و جحيش و العكيدات على ضفاف الزاب الصغير، مثلما استوطنت قبائل العبيد في الحويجة. و بالتالي فان الباحث يستنتج ان المنطقة لم تكن يوما من الايام فاصلة بين العرب و الكرد.

و في دراسته لسياسة التعريب في المنطقة (المتنازع عليها) اشار الباحث الى عمليات درعها بالمستوطنات العربية بعيد قيام الدولة العراقية و حتى سنة 1963 حيث اقترنت تلك العمليات بعدها بحملات اجلاء السكان الاصليين من المنطقة، الامر الذي تسبب في تعقيدات كثيرة ازاء حل عادل للقضية الكردية.

ان تضمين قانون ادارة الدولة، حل مشكلة الاراضي المتنازع عليها، يعبر عن الوعي باهمية هذه المشكلة و ضرورة ايجاد حل عادل لها، من خلال

عـودة المـرحلين اليهـا و اعـادة الوافدين الى المحافظات التي جاءوا منها. و لاشك في ان اشراك السكان انفسـهم في ذلـك – كمـا جـاء في القـانون المـذكور – يضـفي الشرعية على نتائجها.. و يدعو الباحـث الى (فـترة انتقاليـة) قصيرة الامـد للوصـول الى الحـل النهائي، يصار خلالها الى (تطبيع) الاوضاع و تخفيف مشاعر التـوتر بين اثنيات المنطقة.

و في نهايـة دراسـته، تنـاول السـيد (اسسـرد) تصـنيف الطروحـات الكرديـة بخصـوص (المنطقـة) الى معتدلـة و غـير معتدلـة! و يميـل الباحـث الى الحلـول المعتدلـة و الـتي تحصـر منطقـة (النـزاع) بـين محـور خانقين – مندلي مروراً بكركوك و الى سـنجار. و يـرى ان صـلات سـكان المحـور الاول (خـانقين – منـدلي) بـالعرب ظلـت ضـعيفة رغـم موقـع المحـور الهامشـي مـن المنطقـة الكرديـة. و مـع اسـتمرار زحف القبائل العربية نحو المحور و توطين مجموعات من الاتراك و المغـول لاحقـا، فـان ذلـك لم يـؤثر في التركيـب الاثـني الكـردي حتـى النصف الثاني من القرن الماضي.

و بالنسـبة لمحـور كركـوك، فـيرى الكاتـب ان (التعريـب) و لـيس شـيئاً اخـر يعـد الاسـاس في تصاعد المشكلة.. و في ضوء وثيقة سرية لسنة 1929 اشارت الى ان القسـم الاعظـم مـن (عـرب) كركـوك تم تـوطينهم مـؤخرا في حاشـية (اللـواء) الجنوبيـة الغربيـة.. و لا يعبـأ بهـم مـن الوجهة السياسـية في التـأثير على رأي اللواء). و مع استمرار سياسة تعريب هذا المحور في العهد الملكي، الا ان ذلـك لم يقـترب بعمليـات اجلاء السكان الاصليين الا بعـد سنة 1963..

و بهـدف ايجاد حـل للمشـكلة، عكف قـانون ادارة الدولـة الموقت على ادانة عمليات التعريـب الـتي تلت عام 1968، و هـذا يعـني – كمـا يقـول الباحـث – اضـفاء الشـرعية على عمليـات التعريـب للفترة الـتي سـبقت ذلـك التـاريخ، مـع ادانـة لسياسـة اجـلاء السـكان الاصليين. و من هنا حدد القانون المذكور في مادته الـ(58) الاسـلوب (الامثـل) لمعالجتهـا.. سـواء فيمـا يتعلـق بالترحيـل او النفـي او الهجـرة القسـرية، او التـوطين و تصـحيح القوميـة. و قـد دعـت (الدراسة) بالنسبة لمحور كركوك الى اعـادة الخريطـة الاداريـة للمحافظـة قبـل عـام 1968، استنادا الى الفقـرة (ب) مـن المـادة (58) مـن قـانون ادارة الدولـة المذكور.

اما بخصوص محور (الموصل) فـان الدراسـة اكـدت علـى تقريـر لجنة عصبة الامـم لسـنة 1925، و الذي اشار الى عروبة المدينـة، و احاطتها بالقرى و التجمعات غـير العربيـة. فقـد جـاء في التقريـر المـذكور (ان مدينـة الموصـل لا تـرتبط بسـائر المنـاطق العراقيـة ذات السكان المقيمين الا عبر اراضٍ كردية) لكن الباحث يستدرك بان مدينة الموصل لم تـدخل التـاريخ كمدينـة عربيـة الا في القـرن العاشر او الحادي عشر الميلادي، و يـورد بهـذا الصـدد تقريـراً سـرياً مـن وزارة الخارجيـة البريطانيـة لسنة 1913 يكشف عـن علاقـات الموصـل القويـة مـع الكـرد، بحيـث

تجعل – كما ورد في التقرير- بالامكان تحويلها الى عاصمة لاقليم (الحكم الذاتي) الكردي.

و في ضوء الدراسة ظهر ان محور الموصل كان قد شهد عمليات زرعه بالمستوطنات العربية قبل محور (كركوك) بزمن طويل.. و لا سيما في ولاية مدحت باشا للعراق (1869-1872)، بيد ان حملات التعريب هذه تصاعدت بعد تأسيس الدولة العراقية سنة 1921.

و يختم الباحث دراسته في ان قانون ادارة الدولة الموقت من شأنه ان يضع حداً لتفاعلات الحركة الكردية في العراق، و يسدل ستارا على فصل مؤلم من الصراع العربي الكردي، دون ان يكون ثمة.. (توسع) او (امتداد).. او ان يصار الى (ربح) هذا الطرف و (خسارة) الطرف الاخر..

جدير بالذكر ان السيد (اسسرد)، اغنى البحث بالعديد من الوثائق و البيانات التي تتعلق بموضوع الدراسة، بما في ذلك بنود اتفاقيات 11 اذار سنة 1970 و قانون الحكم الذاتي لسنة 1974، و مشروع الحكم الذاتي لسنة 1991، الى جانب قانون ادارة الدولة العراقية المؤقت لسنة 2004، مما اضفى على الكتاب اهمية وثائقية بالاضافة الى اهميته الجيوبولتيكية.

الديمقراطية و حق تقرير المصير القومي



د. سعد بشير اسكندر

عرض: سردم العربي

ان لمسألة حق تقرير المصير القومي اهمية سياسية بالغة في عالمنا اليوم بسبب عدم التناسب الجلي بين كثرة الامم و الشعوب من ناحية، و قلة عدد الكيانات السياسية الحديثة من ناحية ثانية. و بينما يصل عدد الجماعات الاثنية – اللغوية الى حوالي ثمانية الاف، فان عدد الدول لايتجاوز مئتي دولة في العالم، أي ان النسبة بينهما هي واحدة الى اربعين.

هذا ما جاء في "مدخل الى الديمقراطية و حق تقرير المصير القومي" للدكتور سعد بشير اسكندر و هو بمثابة مقدمة لكتابه القيم "الديمقراطية و حق تقرير المصير القومي –

دراسة نظرية و تأريخية مع اشارات خاصة بالمسألة الكردية" الذي طبع ضمن منشورات مكتب الفكر و التوعية في السليمانية عام 2004.

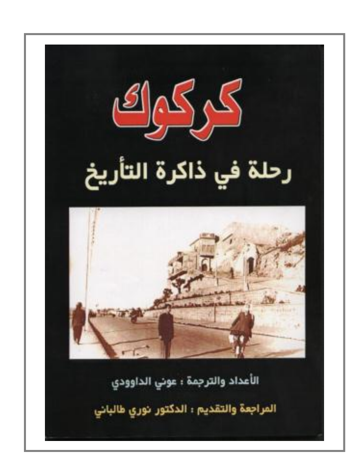
يحوي الكتاب ثلاثة ابواب كالاتي: الباب الاول: الايديولوجيات و حق تقرير المصير القومي، و كذلك نقرأ في هذا الباب بحثين هما: الليبرالية و حق تقرير المصير القومي، و الماركسية و حق تقرير المصير القومي. اما في الباب الثاني فنقرأ: المنظمات الدولية، الحرب الباردة، العولمة و حق تقرير المصير القومي، عصبة الامم و حق تقرير المصير، حقوق الانسان ام حقوق الجماعات الخاضعة، منظمة الامم المتحدة و المجتمع الدولي و مبدأ حق تقرير المصير السياسي، حق تقرير المصير القومي في ظل الحرب الباردة، حق تقرير المصير القومي و تأثيرات العولمة. و نقرأ في الباب الثالث قضايا نظرية و تجارب تاريخية لحق تقرير المصير القومي، الجدل الاكاديمي حول مفهوم حق تقرير المصير القومي بما في ذلك حق الانفصال الكامل، مسوغات معارضي و مناصري حق الانفصال السياسي الكامل، معضلات تطبيق حق تقرير المصير القومي، العوامل المؤثرة في ترجمة مبدأ تقرير المصير الى واقع، التشابهات و التنويعات في تجارب حق تقرير المصير القومي، تطبيقات هذا الحق بين الطموح و الواقع، قوميو الدولة و مبدأ حق تقرير المصير و نزعة تقديس الدولة. و اخيراً (ملاحظات ختامية).

كركوك رحلة في ذاكرة التأريخ

اعداد و ترجمة: عوني الداوودي

عرض: سردم العربي

ضمن منشورات مكتب الفكر و التوعية في السليمانية، صدر الطبعة الثانية 2004 من كتاب للباحث عوني الداوودي بعنوان (كركوك رحلة في ذاكرة التاريخ) حيث راجعه و قدم له الدكتور نوري طالباني. يحتوي الكتاب على المواضيع الآتية: كركوك و سياسة التعريب، رحلة في ذاكرة تأريخ كركوك و هو بالاصل ريبورتاج اعده الباحث من خلال طرحه عدة اسئلة على بعض الشخصيات السياسية الكردية و العربية لالقاء الضوء على تاريخ مدينة كركوك و المراحل الهامة التي



مرت بها و ابعاد سياسة التعريب التي مارستها جميع الانظمة العراقية المتعاقبة على حكم العراق، كما و تضمن الكتاب عدة ملاحق و هي

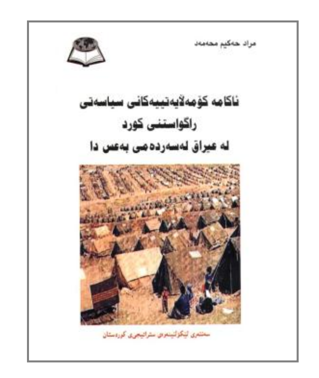
عبارة عن الوثائق المهمة و بعض الخرائط. و ضم الباحث في كتابه دراستين مهمتين حول مدينة كركوك، الاولى للدكتور جبار قادر بعنوان (التركيب الاثني لسكان كركوك خلال قرن 1850-1958)، و الثانية للدكتور خليل اسماعيل محمد بعنوان (مدينة كركوك في ظل الحقائق التاريخية – الجغرافية).

يقول الدكتور نوري طالباني في مقدمته للكتاب: كانت كركوك، او بالاحرى نفطها، سبباً اساسياً لالحاق ولاية الموصل العثمانية بالدولة العراقية الحديثة التي استحدثتها وزارة المستعمرات البريطانية عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى. و اقر بعض الكتاب العرب هذه الحقيقة و كتبوا بوضوح انه لولا الجهود التي بذلها الانكليز لما اصبحت ولاية الموصل جزءاً من العراق. هذا ما كتبه المرحوم عبدالرحمن البزاز قبل قرابة نصف قرن من الزمان، و هذا ما يردده الان بعض الكتاب المعاصرين في قولهم كانت للانكليز مصالح في العراق، و كانت للعراقين مصالح عند الانكليز. تركزت المصالح الانكليزية بوجه خاص في نفط كركوك حيث ادركوا ان لا يمكن ايصاله الى الغرب الا عبر اراضي الدولة العراقية التي انشأوها عام 1921، فالحقوا ولاية الموصل بها عام 1926، لذلك تم مد خطين لأنابيب نفط من كركوك الى مينائي حيفا و طرابلس على شواطيء البحر المتوسط عام 1935 ليتم عبرهما شحن نفط كركوك الى اوروبا و امريكا. اما مصالح الطبقة الحاكمة العراقية التي فرضها الانكليز على الشعب العراقي، فكانت تتمثل في هيمنتها على هذا الكيان العراقي الجديد و استنزاف ثروات كوردستان من النفط و غيرها من اجل اقامة نهضة سياسية و ثقافية و عمرانية و اقتصادية و تعليمية. اما الحكام الذين تسلطوا على رقاب الشعب العراقي و خاصة منذ بداية الستينيات، فقد انهمكوا باستخدام موارد هذه الثروة البترولية الهائلة في تدمير كوردستان و حرق قراها و قصباتها و طرد ابنائها من مدنهم، ثم جلب الاف الاسر العربية من وسط و جنوب العراق لاستيطانهم فيها.

النتائج الاجتماعية لسياسة ترحيل كرد العراق في عهد البعث

مراد حكيم محمد

عرض: سردم العربي



صدر هذا الكتاب في الاونة الاخيرة عن مركز الدراسات الاستراتيجية في كوردستان، لكاتبه (مراد حكيم محمد) في (350) صفحة. يتحدث الكاتب فيه عن تجربة خاضها الشعب الكوردي في كوردستان منذ سنوات خمس و ثلاثين الماضية، حيث ان ظاهرة

ترحيل الكرد التي مورست من قبل نظام البعث الجائر، (و ان كانت هذه الظاهرة مورست قبل البعث من قبل الاخوين، عبد السلام عارف و عبد الرحمن سنوات 1963-1968) الذي حكم العراق بالحديد و النار تلك السنوات. اذ يتناول الكاتب حياة الكرد قبل الترحيل و بعده، و التغيير الحاصل من الناحية الاجتماعية و كذلك تفسير اشكالية هذا التغيير، من هنا فقد جاء الكتاب في سبعة فصول: الفصل الاول: مناهج و ابعاد هذه الدراسة، و الذي حاول الكاتب من خلاله تسليط الضوء على المنهج المتبع في بحثه هذا، و كذلك طرح اهداف و اهمية و مشاكل و اسلوب دراسته بشيء من التفصيل.

و في الفصل الثاني: حاول تعريف اربعة مفاهيم اساسية للبحث، و هي: الترحيل، نتائجه الاجتماعية، التغيير الاجتماعي و البعثية، في كل ذلك ينوي الباحث ان يطلع القارئ على المعنى الحقيقي لتلك المفاهيم و دلالتها و مضمونها في هذه الدراسة. و قد خصص الكاتب الفصل الثالث للمسيرة الاجتماعية للمجتمع الكوردي قبل سنوات 1970، و قد ركز الباحث على الفترة الكثيبة من زمن الدراسة، أي خمسينيات و ستينيات القرن الماضي، و قسم هذا الفصل على مبحثين : يتعلق الاول بالريف الكوردي، و الثاني بالمدن الكوردية. و الهدف من تناول هذا البحث هو ذكر الحالة الاجتماعية للكورد قبل الترحيل منذ ان كانوا مجتمعاً عادياً، و ذلك فلدى ذكرنا لتأثير الترحيل على المجتمع الكوردي تتضح نتائج هذه العملية عليه اكثر. و في الفصل الرابع نقرأ مراحل ترحيل الكورد في العراق و ذلك عن طريق عدة مباحث، ففي المبحث الثالث من هذا الفصل ذكر الكاتب المراحل الثلاث للترحيل: 1963-1974، 1975-1990، 1991-2003، معتمداً في كل ذلك على الوثائق.

في المبحث الاول من الفصل الخامس، عالج الكاتب الجانب الميداني لدراسته بعنوان: (بعد الترحيل؛ المجتمعات القسرية، المدن و القرى)، كما ذكر في المبحث الاول حياة المجمعات القسرية كمظهر سكاني جديد في كردستان الجنوبية، و المبحث الثاني مخصص لاستفصال القول في تأثير الترحيل على مدن كوردستان الجنوبية، و في المبحث الاخير تحدث عن الحياة في القرى المعمرة.

الفصل السادس من هذا الكتاب اطول الفصول؛ و هو مقسم على مبحثين: المبحث الاول: السمات العامة لنماذج الدراسة هذه، و المبحث الثاني السمات الخاصة لنماذج الدراسة. و في الفصل الاخير تم عرض النتائج (المحصلة) و الوصايا و الاقتراحات..

7

Vol,2. Winter 2005

SARDAM AL-ARABI

A quarterly Cultural magazine in Arabic issued by Sardam Printing & Publishing House



Sardam Printing & Publishing House
www.sardam. info

Kurdistan- Sulaimany

سعر النسخة: 1500 دينار عراقي